الضياء الشمسي
على الفتح القدسي

شرح ورد السحر للبكري

تأليف

شيخ الإسلام الأستاذ قطب الأقطاب

مصطفى بن كمال الدين البكري

المتوفى ١١٦٢هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

المجلد الثاني

BOOKS - PUBLISHER

كتاب - ناشرون

الضياء الشمسي
على الفتح القدسي

شرح ورد السحر للبكري

تأليف

شيخ الإسلام الأستاذ قطب الأقطاب
مصطفى بن كمال الدين البكري
المتوفى ١١٦٢ هـ

تحقيقه وتعليقه

الشيخ أحمد فريد المزيدي

الجزء الثاني

BOOKS - PUBLISHER
كتاب - ناشرون | بيروت لبنان

Explanation of Al-Bakri's
" WIRD AL-SAHAR "

AḌ-ḌIYĀ' AŠ-ŠAMSĪ
'ALĀ AL-FATḤ AL-QUDSĪ
ŠARḤ WIRD AS-SAḤAR LIL-BAKRĪ

الضياء الشمسي
على الفتح القدسي
شرح ورد السحر للبكري

Author : *Sheikh AL-Islam Mustafa ben Kamaluddin Al-Bakri (D 1162H)*

المؤلف : شيخ الإسلام مصطفى بن كمال الدين البكري (ت١١٦٢هـ)

Editor : *Al-Sheikh Ahmad Farid Al-Mazidi*

المحقق : الشيخ أحمد فريد المزيدي

Classification : *Sufism*

التصنيف : تصوف

Year : *1434 H. - 2013 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

Pages : *1056 (2 Volumes)*

عدد الصفحات : ١٠٥٦ (مجلدان)

Size : *17 × 24 cm*

القياس : ١٧×٢٤ cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنان

Edition : *First edition*

الطبعة : الأولى

ISBN : 978-2-7451-5994-6

All Rights Reserved

Exclusive [illegible] by © BOOKS - PUBLISHER Beirut-Lebanon. No part of this publication may be translated, [illegible] or distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits [illegible] réservés à © BOOKS - PUBLISHER Reproduction, représentation, édition, traduction [illegible] même partielle [illegible] en tous pays, [illegible] sans autorisation préalable [illegible] et exposera le contrevenant [illegible] aux poursuites [illegible].

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لكتاب - ناشرون [illegible] ولا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب [illegible] أو تصويره أو ترجمته [illegible] أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر [illegible] على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

BOOKS - PUBLISHER
كتاب - ناشرون

Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel : +961 76 944 855 - P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Solh
E-mail: books.publisher@hotmail.com

ISBN 978-2-7451-5994-6

بسم الله الرحمن الرحيم

(حَرف الصّاد)

قال المصنف: (إلهي صِرفنَا في عَوالِمِ المَلك والمَلكُوت وَهَيئنَا لقَبُول أَسْرَار الجَبَرُوت وَأَفِض عَلينَا مِن رَقَائِق دَقَائِق اللاهُوت).

قال الشارح: فلذا قال: **(إلهي صرفنا)** أي: حكمنا وفوض لنا الأمر، يقال: صرفه في الأمر فتصرف؛ أي: حكمه فيه، وفوضه له فتحكم.

وقال في «القاموس»: وصرفته في الأمر تصريفًا فتصرف: قلبته فيه فتقلب، واستصرفت الله المكاره: سألته صرفها عني، وانصرف: انكسف، وإنما قال: صرفنا؛ أي: اجعل تصرفنا بك لا بنا؛ ليكون تصرفًا تامًا وتحكمًا عامًا، ولتحفظ فيه من أن ننسب شيئًا منه إلينا؛ فإن من رأى ذلك فهو الهالك لا السالك.

قال سيدي أبو المواهب الشاذلي ﷺ في «قوانين الإشراق»: التصريف يعطي للكامل إذنه فيما قل وجل من المضار والمنافع، ومن دونه يتصرف بالإذن بحسب النوازل، والوقائع من أعطي التصريف لا يخرج عن مشيئة الفاعل بالاختيار، ومن زعم غير ذلك حجبت عنه المعارف، والأنوار التصريف يكون بالهمة القلبية العاملة الغيبية قال ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب أعني في عالم الغيوب**»[1].

وإذا تحقق به صاحبه في المقام تصرف بالكلام في الأنام؛ وهذا من سر الفهوانية في الحضرة الإلهية، وهي كلمة الحضرة؛ كمن يقول للشيء كن فيكون، ومن هذا الوادي ما حكي عن أبي يزيد أنه مر بيده على ساقه فقتل نملة، فما علم بها نفخ فيها، فقامت حية تمشي بإذن الله[2].

وكان عيسى ابن مريم عليه السلام يحيي ويميت ويبرئ الأكمه والأبرص بمجرد النطق.

وقد رأينا من صرفه الحق بنطقه في البرية من خلقه، من شأنه مشيئة القبول أن

---

(1) لم أقف عليه.

(2) انظر: الفتوحات (1/ 115).

يشاء ينشئ، ويقول قول القوم، قيل لي: يريدون بذلك أمورًا: منها ما يسمع من هاتف الحقيقة، ومنها ما يسمع من الملائكة من غير رؤية لهم، ومع رؤية على غير صورهم المعتادة لهم؛ كما نظر الصحابة جبريل عليه السلام في صورة دحيه الكلبي، ومنها ما يسمع من القلب، ومنها عن حال الشيء بحسب الواقعة؛ كما اتفق الشبلي مع الرجاء والشجرة، وعد ذلك من القول فافهم، انتهى.

واعلم أن التصرف على أقسام: تصرف خاص، وعام ظاهر، وباطن قدسي، وأقدسي أسمائي، وصفاتي، وذاتي عرشي فرشي تفصيلي إجمالي، وتصريف جامع لسائر الأقسام، وهذا خاص بالمحمدي يثربي المقام، وقد يكون في اليقظة لا في المنام وبهما، أو بالنوم فقط، وصاحبه قد يشعر بذلك وقد لا يشعر، وربما يكون باطنًا من حيث الحقيقة، وغير ظاهر للنفس الوثيقة، ومن أهل الله من يتصرف بآية من كتاب الله، أو سورة، أو بالبسملة، أو بكلمة الخضرة، أو باهمة؛ لكن التصرف بها إذا لم يقترن بالبسملة لا يعول عليه.

ومنهم: متصرف في بعض الأوقات دون بعض كالرجبيين.

ومنهم: المخصوص تصرفه ببلدة دون أخرى وإقليم دون آخر.

ومنهم: الذي يرتقي للتصرف في العناصر.

ومنهم: الذي تصرفه على مقام واحد قاصر، وإذا أراد أن يتسلق للغير لم يقدر؛ لأن من أحد له لا يستطيع أن يتعداه، وهكذا الأمر دنيا وبرزخًا وحشرًا وجنة وكثيبًا، والرجال المتصرفون في الكون المسبل عليهم رداء النصون كثيرون: منهم: رجال الأيام السبعة، ورجال الشهر، ورجال أيام العام، ورجال الساعات ويسمون: رجال الفتح، ورجال الصلوات خمس ويقال لهم: رجال الاشتياق، وكان عند هؤلاء السادة أمانة لبعض الفقراء فمن كشف لهم عن صاحبها أدوها لأهلها، وسجدوا شكرًا لأداء الأمانة، ومنهم رجال المنازل، وربما يكون لأحدهم نائب فرشي بمطره إمداد عرشي، وقد يشعر النائب، ويعرف أنه غير أصيل، وقد لا يشعر، وبعضهم من يشعر بمقامه منامًا لا يقظة، واعرف رجلاً له النيابة منامًا عن الإكليل، وقد يظن أنه أصيل.

ومنهم: رجال جهات، ويلقبون برجال الأيام وآيتهم ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:38].

ورجال الأقاليم، ويقال لهم: الأقطاب السبعة، ورجال العطف والهيبة وهم خمسة عشر، ورجال النوه وهم ثمانية، ورجال المساء، ورجال الفناء وهما اثنان، ورجال الغيب تسعة، وقيل: أكثر، والنجباء ثمانية، والنقباء بعدة الشهور، ومثلهم البدلاء، ومنهم الأبدال، والرجبيون، والأوتاد، والإمامان، والممتد للجميع هو القطب الغوث صاحب المقام الرفيع، وغير ما ذكرنا هم من أهل هذه المراتب فكثير جدًا؛ لكن لا يزيد أهل التصريف في العالم على مائة ألف، وأربعة وعشرين ألفًا عدد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما الأفراد وإن تصرف منهم البعض فالبعض لا بالذات، وكذلك إذا خص وافي الجمع فعن اختيار؛ لانشغالهم بما هو أهم وأرفع من هذه اللذات، وأما غيرهم فيحضرون الديوان جبرًا، ولو أرادوا التأخر ما استطاعوا عنه صبروا، وما اتفقوا عليه فيه وقع في العالم دون تمويه؛ إذ هم الحكام على الحقيقة، وما عداهم فالمجار في هذه الطريقة.

فإن **قلت**: هل يمكن أن يحضر معهم أحد من حيث الباطن، وهو لا يدري من حيث الظاهر؟ قل: هو أمر واقع كثير لسر باقر، وربما خص ذلك الجمع الزاهر عند بعض الناس، ولم يدر لحال قاهر.

أخبرني بعض الأفراد: أن هؤلاء الأمجاد حضروا عند بعض الفقراء؛ لأجل الإكرام لحقائقه، والقراء نحو سبعة عشر مرة، أو أكثر، ولم يشعر إلا نادرًا بحضور ذلك العشر، فقلت له: ولا بُدّ إذا حضروا من حصول مدد كبير كذلك الفقير، فقال: وأي مدد وحدثني بعض الإخوان أنه رأى أحد الفقراء، يقول له في المنام: يا فلان قد عرضت علي قطبانية المغرب فلم أقبلها، وأفاده أن القطب إذا كان وجهه طويلاً دل على طول مدته وبالعكس.

وهذا الحكم من حيث الظاهر؛ فإن الوجه الذي يواجه به القطب الحضرة العلية إذا كان طويلاً، طالت مدة تصرفه في ذلك المقام، وإذا قصر قصرت، والسلام والعرض كان وقع من حيث الباطن قبل أجناده بنحو سنتين أو أكثر، وهو أول جمع أكبر وقع في الديار الرومية يحق له أن يذكر، وأخبرني كبير ذلك المحضر: أني نظرت إليه كالمستنير في قبول

ذلك المقام الأفخر، فأشار بالتنزه عنه؛ لنيل ما هو أبهر فقبلت إشارته، وحمدت على القبول، وشكر منه ذلك الأمر المقبول؛ ثم أن ذلك الفقير توالت الجموع لديه، فأغدقت الخيرات عليه، والثامن عشر، كان يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة الحرام عام ثمانية وثلاثين بعد المائة والألف، وقبل هذا بأيام حصلت غيره، وفي ليلة الجمعة الرابعة والعشرين من شعبان المبارك، وهي ليلة الجمع المدنية اللمع، المؤذنة باللمع، المذيبة النفس بالقمع، المرتبة أهل الطاعة والسمع، المزينة بقناديل الابتهال.

وشرح المعراج الغنية عن السمع المجرية الدموع المعنية، وناهيك بذاك الدمع حصن حظ وافر، سافر عن فرق الفرق وجمع الجمع، وفي ثالث ساعة من صبيحتها فاحت روائح لوائح أولئك الجمع الجامع لكل مدد مؤيد بالعقل والسمع.

فقلت: مشيرًا لهذا الفيض الرباني، والإسعاف، والإسعاد الإحساني السبحاني، وفي رابع العشرين من شهر:

أحمد إمام الهدي من جاء بالعقل	**والسمع توالى ورود الجمع**
في يوم جمعة رابعة مسنه	**فنلت بهم جمعي**
ويصحبهم لمع البوارق والسنا	**وملمع غيوث البر في الغرق والجمع**
فحق لنا من فرحة فيه إن	**نمت وإلا بأن تبكي إلى منتهى الدمع**
إلهي لك الحمد الذي أنت أهله	**على نِعَم شرفت في ذكرها سمعي**
ويا ربنا صل وسلم على الذي	**لقد حضنا أن نجهد النفس بالقمع**
وآل وأصحاب كرام أئمة	**وأتباعهم ما ارتاح قلبي لذا الجمع**

وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من الشهر المبارك، ظهيرة ذلك اليوم الذي في الفضل الذي لا يشارك من الحق سبحانه وتعالى عليَّ، وله الحمد والمنة برؤية سيد أهل الله الذي هو لنا جنة، وبه ندخل إن شاء الله تعالى الجنة، فرأيت أني نمت في المنام، فشاهدت جمال طلعته ﷺ، وهو جالس في مكان مشرق بأنواره المحمدية منير، والفقير قائم بين يديه في صفة خادم كسير، والخلق مقبلة للفوز برؤيته من كل فج عميق من كل جنس، أو شخص يرتجي النجاة من اللهيب الحريق، وبيد الفقير عصى أذود بها عن الناس عن التهجم عن على جنابة، ولا أخالفه في تلك الحضرة التي لا تمثل الكمال دنو العبد واقترابه،

والعبد يشارك في بعض أمور بعدما إليه يتقدم وغيره، لا يرفع لتلك المرتبة الشامخة قدمًا عن قدم.

ثم رأيته ﷺ وأنا معه في مكان رفيع مكين يباشر بيديه الشريفتين شيئًا كالعجين، وهو ﷺ ينظر إليّ، ويتعطف بالتفاته عليّ، وسمعته ﷺ يدعو إليّ بدعوات منها الثبات والقوة، فحمدت الله تعالى العظيم ذي القوة، وأنا مسرور بدعائه ﷺ السرور التام؛ لتحققي بقول ذلك منه ﷺ؛ ثم غيب عني شخصه الشريف، فشاهدت مهدي الزمان المبشر به في الأحاديث الحسان قام مقامه المنيف، وقمت بين يديه؛ كقيامي بين يدي جده الحبيب المعظم ﷺ؛ ثم أنه دنى إليّ، وألقى ثقله باتكائه عليّ، ولما استفقت من المنام أخبرت به بعض الناس أحبابنا الكرام، فسر بذلك السرور التام، وقال: هذا منام لا يعادله منام، فالحمد لله على الدوام حمدًا نفوز به بحسن الختام.

ولما كان التصرف قد يكون في عالم من عوالم الملك أو عوالمه كلها، قال: **(في عوالم الملك)** جمع عالم، قال في «المختار»: والعالم: الخلق، والجمع: العوالم بكسر اللام، والعالمون: أصناف الخلق، انتهى.

والملك: هو عالم الشهادة المقابل لعالم الغيب، والمعنى اجعلنا متحكمين بتحكيمك في كل عالم ظاهر **(والملكوت)** أي: وصرفنا في عوالم الملكوت، صار له ذلك وهي كل عالم باطن، وكل من دخل عالم الملكوت صار له ذلك العالم ملكًا؛ أي: مشهودًا له ويعاين في ضمن ذلك العالم عالم آخر فيسمى ما غاب عنه ملكوتًا، وإذا دخل العالم الثاني صار له شهادة، ورأى في باطنه عالمًا غيبيًا سماه ملكوتًا، ولا يزال كلما رقا يشاهد ما لم يكن عاينه من قبل حتى يصير غيبه شهادة وشهادته غيبًا، قال في «المختار»: والملكوت من الملك؛ كالرهبوت من الرهبة، يقال له: ملكوت الطرق وهو الملك والغر، انتهى.

وفي الاصطلاح: هو عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس، ويقال له: عالم الأنوار القدسية، والأسرار الإنسية، وعالم الأمر، وحضرة القدس.

وقال سيدي محمد المهدي الفاسي -رحمه الله تعالى- «شارح الدلائل»: والملكوت: فعلوت من الملك وهو العز والسلطان والمملكة، وباعتبار العوالم الأربعة فعالم الملك ما شأنه أن يدرك بالحس والفهم، وعالم الملكوت ما شأنه أن يدرك بالعقل والفهم، وعالم

الجبروت ما شأنه أن يدرك بالحس أو ما معه؛ لكن لا في الحال، أو بالعقل، أو ما معه؛ لكن لا في الحال؛ بل في ثاني الحال؛ كما في الدنيا مما لم تصل إليه وهمًا ولا فهمًا؛ كتعلق الجسم بالروح وهي به، وما في الجنة؛ إذ هو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وستراه العيون، وتسمعه الأذان، وتعرفه القلوب.

وقيل: إن عالم الجبروت أعلى وأرفع من عالم الملكوت، وهو ما يدرك بالمواهب، وهذا سمي جبروتًا مأخوذًا من الجبر وهو القهر؛ أي: العباد مقهورون عن إدراك كنهه، فيكون على هذا كعلم الذات، والملكوت كعلم الأسماء والصفات الدالة على الذات، والملك علم فعله الظاهر الدال ما سبق، ويقال: الإنسان روح ثم نفس ثم جسم؛ فالروح عالم الجبروت، والنفس عالم الملكوت، والجسم عالم الملك؛ فالروح الجبروتي مظهر الذات، والنفس الملكوتي في مظهر الصفات، والجسم الملكي مظهر الأفعال.

وعلى القول الأول: الملك راجع إلى الأمر، والملكوت راجع إلى الذات، والجبروت راجع إلى الأسماء والصفات، وهو متوسط بينهما، فيدرك بالبصر الأثر الدال عليها، والبصيرة المعاني الغيبية؛ فالملك ما ظهر، والملكوت ما بطن، والجبروت جامع لهما؛ كالإنسان ظاهره ملك وباطنه ملكوت، وحيث جمع بينهما كان جبروتًا فيدرك بالبصر والبصيرة، والعالم الرابع: هو عالم العزة وهو مما امتنع إدراكه بكل وجه بحيث تفرد الله تعالى به وانفرد بعلمه، فلم يظهر لأحد من علمه؛ كتعلق أسمائه وصفاته من حيث تعلقها بها.

وقال في محل آخر منه: قال الشيخ أبو محمد الفريري المهدي ﷺ: العوالم عندنا عالمان: **عالم العلم والإرادة**: وهو المعبر عنه بالعالم العلوي، **وعالم الملك والشهادة**: وهو المعبر عنه بالعالم السفلي، فالعالم الملكوتي هو الذي لا يقتضي الترتيب ولا الزمان ولا المكان، وإنما هو أمر رباني إرادي إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون؛ إذ ليس في وجوده تقديم، ولا تأخير، ولا زيادة، ولا نقصان، فهذا عبارة عن العالم الملكوتي المستمر على حقيقة واحدة وهو الأزل الذي لا كسب فيه، وإنما الكسب في عالم الملك والشهادة والمضافة إلى القدرة المصرفة للحكمة، وفيه الترتيب والكسب والزمان والمكان والأكوان، فعبر عما ظهر في عالم العلم والإرادة المسماة بالعالم الملكوتي بالأزل.

وعبر عما ظهر في اختراع القدرة المصرفة للحكمة المسمى بـ: عالم الملك والشهادة

بالأبد؛ إذ في شأنها ظهر الترتيب الحكمي والارتباط والزمان، وظهر الكسب وشرعية الشرائع، وخرجت لا اله إلا الله محمد رسول الله على هذه السنة من معنى العالمين؛ اللذين هما عالم الغيب والشهادة، وعالم الملكوت والأزل والأبد، فلا إله إلا الله أزلية؛ لفراغ الخلق منها، وهي من صفات عالم الملكوت، ومحمد رسول الله أبدية، وهي من صفات عالم الملك، فما يظهر بغير كسب يعزى إلى الأزل، وما يظهر مع ترتيب الأسباب يعزى إلى الأبد، انتهى[1].

---

(1) فائدة جليلة: قال القاشاني: العالَم: اسم لما سوى الحق تعالى، وإنما بني على هذه الصيغة لأنه اسم لما يعلم به كالطابع اسم لما يطبع به، والخاتم اسم لما يختم به، فكذا العالَم اسم لما يعلم به، وذلك لكونه هو العلامة الدالة على موجده، وحقيقة العالَم هو الوجود المقيد بصفات الممكنات، ولهذا يطلق عليه بأنه سوى الحق، وهو بالنسبة إلى الحق كالظل، وليس هو بشيء زائد على حقائق معلومة للحق تعالى أولاً، متصفة بالوجود ثانياً، فجميع الكائنات ليست إلا حقائق معلوماته تجلت من باطن الحق الوجود إلى ظاهره على الوجه الذي عرفت في أغمض المسائل، من كون المراد بتجليها إنما هو تجلي الحق بأحكامها؛ لأن البطون ذاتي لها على ما مر في بابها، فهو تعالى الظاهر في المظاهر، وهو الباطن عنها، فظهوره باعتبار تجليه في أعيانها، وبطونه باعتبار عين ذاته، التي لا يصح إدراكها لغير ذاته: فهو الظاهر في كل مفهوم، الباطن عن كل فهم، لأن أعرفهم من قال: إن العالم صورة وهو هوية.

فهذه التقيدات والتعددات في الوجود الواحد إنما هي أحكام الاسم الظاهر من حيث إن ظاهر الحق متجل لباطنه، فأحكام الظهور تعدد مطلق وحدة البطون، وتلك الأحكام هي المسماة بالخوابل، وهي صور الشؤون التي عرفتها ليست غيرها.

عالَم المعاني: هو حضرة المعاني الذي هو التعين الثاني كما عرفت أنه سمي بذلك لتحقق جميع المعاني الكلية والجزئية، وتميزها في علمه تعالى لاستحالة خلو شيء عن علمه تعالى.

عالَم الجبروت: هو عالم الأسماء والصفات الإلهية والحقائق الكونية في العلم الأزلي، ويسمى مقام الجمع، وجمع الجمع، والمرتبة الثانية للألوهية.

عالَم الملكوت: هو عالم الأرواح والملائكة.

عالَم الجَمْع: هو حضرة الجمع التي عرفتها، وقد يعني به عالم الجبروت، ويعني بعالم شهود الوحدة في الكثرة، بحيث يشاهد الذات من حيث واحديتها المشتملة على جميع الأسماء والحقائق.

عالَم الأمر: هو عالم الملكوت، سمي عالم الأمر لوجوده عن أمر الحق من غير سبب.

عالَم المُلْك: هو عالم الأجسام والجسمانيات.

=

كلام المهدي على تصحيف فيه أصلحت من أجله بعضه والله اعلم.

(وهيئنا) أي: اجعل فينا فراغًا واستعدادًا وصلاحًا، قال في «المصباح»: وتهيأت للشيء: أخذت له أهبته، وتفرغت له، وهيأته للأمر: أعددته فتهيأ وتهايأ مهايأة، وقد تبدل للتخفيف فيقال: هايئته هايأته، وفي «القاموس»: وهيأت تهيئة، وتهيأ: أصلحه، والمهايأة: الأمر المتهيأ عليه، انتهى.

(لقبول) أي: لأن نقبل ما يرد علينا، فلا ترد النفس؛ لوجود برد القدس من (أسرار الجبروت) شيئًا، قال في «المختار»: وقبله يقبله قبولاً بفتح القاف، وهو مصدر شاذ، يقال: إنه لا نظير له، وقد ذكرنا في وضأ فقال: والوضوء بالفتح الذي يتوضأ به، وهو أيضًا مصدر كالولوع والقبول، وقيل: المصدر: الوضوء بالضم، وقيل: الولوع والقبول مصدران شاذان وما سواهما من المصادر مضموم، وقيل: ما سوى القبول من المصادر مضموم؛ ثم قال: ويقال على فلان قبول إذا قبلته النفس، والقبول أيضًا الضياء؛ وهي ريح تقابل الدبور، انتهى.

وأنشدوا في معنى على فلان قبول:

وجـــوه علـــيها للقـــبول علامـــة ولـــيس عـــلى كـــل الوجـــوه قـــبول

أسرار الجبروت؛ تقدم الكلام عليهما؛ إذ كل من لم يأهله الحق لتلقي فيض هذه الأسرار الجبروتية، لا يثبت للمحة من لوامح أنوارها السنية؛ لكن الأمر كما قال العارف مواليًا: إذا أرادك لما يختاره هيأك.

(وأفض علينا) أي: أفرغ يا واهب يا جواد على ذواتنا المتعطشة لزلال إحسانك، وبرك، وامتنانك (من) بحار خزائن، (رقائق) جمع: رقيقة، ومعنى ذكرها (دقائق) جمع:

عَالَمُ الخَلْقِ: هو عالم الجسماني، وهو ما وجد عن الحق بواسطة سبب. عالَمُ الصور: يراد به عالم الصور الجسمانية العلوية منها والسفلية، وهو عالم الأجسام. عالَمُ الغَيْبِ يطلق ويراد بذلك ما ليس بمحسوس كعالم الأرواح. عالَمُ الشَّهَادَةِ: هو عالم الأجسام. العالَمُ الكبير: يراد به جملة الممكنات. العَالَمُ الصَّغير: يراد به الإنسان، هكذا عند الأكثرين. وقال الشيخ في الفتوحات: «إن العالم الكبير هو الإنسان الكامل، وإن العالم الصغير هو العالم، وذلك لكون الإنسان الكامل قد جمع كل ما في العالم وليس في العالم عند قطع النظر عن الإنسان الكامل، كل ما فيه».

دقيقة، وهي كما في «القاموس»: الأمر الغامض، وفي «المصباح»: ودق الأمر دقة أيضًا إذا غمض وخفي معناه، فلا يكاد يفهمه إلا الأذكياء، انتهى.

ورقائق الدقائق لا تحوم خفاق الأفاضل حول حماها؛ لأن الحكيم أخفاها وصانها وحماها؛ سيما وتلك الرقائق المطلوبة المحبوبة المرغوبة من عالم أخفى، وسوطن أرق من غيره وأصفى، وهو السر الخفي، والحضرة الغيبية المعبر عنها بعالم (اللاهوت) وقد سلف بيانه.

ولما سأل المؤلف رحمه تعالى- يقل: التصرف والتهيئة لموطن الشرف والإفاضة بما يوجب لعلاء التعرف، وتحقق أن هذه المطالب عالية غالية شامخة الأبواب من دونها قطع الرقاب، ناسب أن يقوله بذلة واكتئاب.

(حَرف الضَّاد)

قال المصنف: (**إلهي ضُربت أَعْنَاق الطَّالِبِين دون الوصول إلى سَاحات حَضَرَاتِك العَلِيّة وتَلَذَّذُوا لِذَلِكَ فَطَابُوا بِعِيشَتِهِم المرضِية**).

(**إلهي ضربت**) بالبناء للمجهول، والتاء علامة التأنيث؛ أي: قطعت، (**أعناق**) جمع: عنق، وهو نائب فاعل، والعنق: الرقبة، قال في «المصباح»: وهو مذكر والحجازيون تؤنثه، فيقال: هي العنق، والنون تضم للأتباع في لغة الحجاز، وساكنة في لغة تميم، والجمع: أعناق، انتهى.

وفي «المختار»: والأعنق: الطويل العنق، والأنثى عنقاء؛ ثم قال: والعنقاء: الداهية، وأصل العنقاء: طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم، انتهى.

قلت: ومن الرجال المعينين لتنبيه الغافلين رجل يقال له: عنقاء مغرب، ولقد سمع تنبيهه بعض الفقراء مرارًا، وتحقق أنه الطارق جهارًا، فجزاه الله من منبه خيرًا، ولا برح يكسب من أيقظه للمعاني سيرًا.

(**الطالبين**) جمع: طالب، والطلبة، والطلب بتشديد فضم له أيضًا، قال في «المختار»: والتطلب الطلبة مرة بعد أخرى، والطلبة بكسر اللام الشيء المطلوب، وأطلبه بوزن أبطله، أسعفه بما طلب، وأطلبه أيضًا: أحوجه إلى الطلب، انتهى.

والمراد بهم أهل السير، والورود في ميادين أهواء الشهود الناهجين مناهج الوفود

لكعبة الوجود (دون الوصول) أي: قبل أن يمنحوا الوصول، قال في «القاموس»: دون بالضم نقيض فوق، ويكون ظرفًا، وبمعنى أمام ووراء، وفوق ضد، وبمعنى: غير، قيل: ومنه ليس فيما دون خمسة أواق صدقة؛ أي: في غير خمسة أواق، قيل: ومنه الحديث أجاز الخلع دون عقاص رأسها، وبمعنى: الشريف، والخسيس ضد، وبمعنى الأمر والوعيد؛ ثم قال: ويدخل على دون من والباء قليل، أو دون النهر جماعة؛ أي: قبل أن تصل إليه، ويقال: هذا رجل من دون، ولا يقال: رجل دون، ولا ما أدونه، انتهى. ومر معنى الوصول.

(إلى ساحات) جمع ساحة، قال في «القاموس»: الساحة الناحية، وفضاء بين دور الحجاج وسوح وساحات، انتهى.

وفي «المصباح»: ساحة الدار: الموضع المتسع أمامها، ويجمع على ساحات وساح مثل: ساعات وساع، انتهى.

(حضراتك): جمع حضرة، وتقدم الكلام عليها (العلية) أي: الرفيعة الشامخة المنيعة الباذخة ذات الحرف المطموس الذي لا يقرأ، والسر المهموس الذي لا يدرك، وسبب قطع الرقاب من دون هذه الحضرات عزتها، وصعوبة قطع هاتيك العقاب إلا أن حفت العناية، ولحظت الطالبة عيون الرعاية.

وأنشد الجيلي المقدام في هذا المعنى المرام قوله:

جـــيء لهـــند ممـــنع الأعـــتاب ... عـــلى المكافـــأة شـــامخ الأبـــواب

مـــن دونـــه ضرب الـــرقاب وكلـــما ... تـــستطيع الخلـــق فـــيه مـــن إعـــراب

لـــو أن نـــشرا هـــب مـــن أرجائـــه ... ســـلب العقـــول وطـــاش بالألـــباب

وأنشد الفارضي الفاتح الفائح طيبة البائح، مغلق الأبواب المائح من بر الاقتراب برشا الاكتساب شراب الحب، وأنعم به من شراب:

أرومُ وقـد طـال المـدَى مـنْك نظْـرَةً ... وكـم مـن دمـاء دونَ مَـرْمَايَ طُلَّـتِ

وأنشد سيدي أسعد اليافعي الأسعدي نفعه في «نشر المحاسن» قوله:

عـلى مـثل حـد الـسيف يـسعون للعـلا ... لـتجلى لهـم بـيض هـناك صـباح

أتـوا تلـك والخطـى بـالخط حـاضر ... لـه الـصبر تـرس والـدعاء سـلاح

يخـــدمهم قـــتل الغـــرام شـــهادة وشـــهد ومحقـــون الـــدماء صـــباح

وأنشد فيه علي ﷺ يشفيه ويكفيه:

يـــا ســـادة إن قبلـــتم مهجتـــي ودمـــي بنظـــرة في الجـــمال الغـــالي العـــالي

فقـــد أبليـــتم جمـــيع الفـــضل عـــبدكم وقـــد ربحـــت بيـــع الـــدون بالغـــالي

وعلى قدر عزة المطالب تتوعر المسالك على الطالب، ولا أجل ولا أعز من القرب إلى الحب، ومن لم يجد بالنفس في طلب النفيس الأنفس، وبالروح في نيل الأرواح كيما صباح وصاله يتنفس، فما عنده خبر بمبتدأ الشوق الدسيس ولا منتهاه، ولا فتت البثر؛ لما منع التداني من مشتهاه وأنشدوا:

تـــريدين إدراك المعـــالي رخيـــصة ولا بُـــدّ في الـــشهد مـــن جنـــى الـــنحل

وأنشد الآخر:

إن كـــانَ سَـــفكُ دَمـــي أَقـــصى مُـــرادِكُمُ فَـــلا عَـــدَت نَظـــرَةٌ مِـــنكُم بِـــسَفكِ دَمـــي

وإذا كانت المطالع في الوصال تقطع أعناق الرجال، فكيف بمبتغي وصل الوصال دون انفصال؟ وأنشدوا:

أتطمـــع في لـــيلي وتعلـــم إنـــما يقطـــع أعـــناق الـــرجال المطامـــع

ومن رغب وخطب وما رغب من الخطب والعطب فلا يبخل بروحه في طلب سبوحه.

ومـــن يخطـــب الحـــسناء يـــسنح بمهـــرها وطالـــب شـــهد لم تخفـــه اللواســـع

وحق لمن ركب سرج المطلب، واستوى على ظهر براق الرغب أن يموت من الرهب حال توجهه لتلك الساحات الهامعة بكل ما هو أعجب، والجامعة لكل غريب، واغرب كي ينشد في نعته ذو الأدب:

ماتـــوا عـــلى تلـــك الـــسروج مخافـــة فكـــأن هاتـــيك الـــسروج مقابـــر

واقتد بالنية الفاخرة صفر أنبت شعيب في سماعها ببصرها، إن كنت ترجو الشرب من أقداحها الجالية الجالبة كؤوس أفراحها؛ فإن الوصول إلى ساحات الحصول منيع المنال رفيع المثال، فاشتاق لوصلها فلقي، أو سقي لرتقي؛ بل يفنى بأول وهلة إلا أن أمده الحق وقي فبقي؛ ولكنهم تلذذوا وما زعجوا ولا جزعوا (بذلك) أي: بضرب الأعناق؛

لشهودهم أن المحبوب هو الفاعل، وفعله لهم مطلوب؛ إذ كل ما يفعله المحبوب فهو محبوب، وإيثارًا لمراده على مرادهم، وهذه علامة تؤذن بصحة إسنادهم، وأنشدوا:

أريد وصاله ويريد هجري فاترك ما أريد لما يريد

وكان أبو علي الدقاق ﷺ كثيرًا ما يقول: إنما استعذب الأولياء البلوى للمناجاة مع المولى؛ يحكى أن رابعة العدوية -العارفة الناهجة الطريقة السوية رضي الله تعالى عنها- كانت مجتازة مع نفر من أصحابها لبعض حاجاتها، فضرب رأسها ركن جدار، فرضه وجري الدم على وجهها ويديها، وهي لا تلتفت إلى ذلك، ولا اكترثت به، فقال لها بعض أصحابها: أما تحسين بما جرى عليك، وهذا الدم قد خضب وجهك وثوبك، فالتفتت كالمتطرفة لذلك والمستيقظة؛ ثم أقبلت عليه من سنة غفلتها، وقالت: يا إخوتي التذاذي بموافقة مراده فيما جرى، اشغلني عن الإحساس بما ترون من شاهد الحال، انتهى.

(فطابوا) أي: فتفرع عن تلذذهم بحكم الحكيم، طيب قلوبهم بما قدره الخبير العليم، قال في «المصباح»: طاب الشيء: يطيب إذا كان لذيذًا، أو حلالاً، وطابت نفسه تطيب إذا انبسطت وانشرحت، انتهى.

(بعيشتهم) قال في «القاموس»: العيش الحياة عاش يعيش عيشًا، ومعاشًا، ومعيشًا، ومعيشة، وعيشة بالكسر، وعيشوشة، وأعايش، وعيشه والطعام، وما يعيش به والخير والمعيشة التي تعيش بها من المطعم والمشرب، وما يكون به الحياة وما يعايش به، أو فيه جمعه معايش والمعيشة الضنك عذاب القبر، انتهى.

وكان سيدي سهل بن عبد الله التستري ﷺ يقول: العيش على أربعة أقسام: عيش الملائكة في الطاعة، وعيش الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في العلم وانتظار الوحي، وعيش الصديقين في الاقتداء، وعيش سائر الناس في الأكل والشرب، والضرورة للأنبياء، والقوام للصديقين، والقوت للمؤمنين، والمعلوم للبهائم، انتهى.

إذ كل من مات في حبه عاش في قربه، وأنشد سيدي عمر قدس الله سره:

فإن شئتَ أن تحيا سعيداً فمُتْ بِهِ شهيداً وإلَّا فالغرامُ لهُ أهْل

فمن لم يمُتْ في حُبّه لم يَعِشْ به ودون اجتناءِ النّحل ما جنتِ النّحل

وأنشد الشاب الذي تقرب بروحه من أجل المنى: لما رأى الناس يتقربون بالشاة

والغنم في منى:

إِنَّ الحَبِيبَ الَّذي يُرضيهِ سَفكُ دَمي ... دَمي حَلالٌ لَهُ في الحِلِّ وَالحَرَمِ
وَاللهِ لَو عَلِمَت روحي بِمَن عَلِقَت ... قامَت عَلى رَأسِها فَضلاً عَنِ القَدَمِ
يا لائِمي لا تَلُمني في هَواهُ فَلَو ... عايَنتَ مِنهُ الَّذي عايَنتُ لَم تَلُمِ
يَطوفُ بِالبَيتِ قَومٌ لا بِجارِحَةٍ ... بِاللهِ طافوا فَأَغناهُم عَنِ الحَرَمِ
ضَحى الحَبيبُ بِنَفسٍ يَومَ عيدِهِمُ ... وَالناسُ ضَحّوا بِمِثلِ الشاءِ وَالنَعَمِ
لِلناسِ حَجٌّ وَلي حَجٌّ إِلى سَكَني ... تُهدي الأَضاحي وَأُهدي مُهجَتي وَدَمي

ومعنى الطواف بالله التقرب به إليه، والاشتغال بكل ما يوجب له الإقبال عليه، ومعنى (طابوا بعيشهم) أي: بحياتهم بعد الموت، ووجدهم المطلوب عن الفقد والفوت، ولما كانت العيشة التي هي الحياة السرمدية قد تكون مرضية له ولهم، وقد تكون غير مرضية، قال: (المرضية) أي: له؛ لأنهم لما سمحوا بأنفسهم دون الوصول إلى منازل قربه، ورضي عنهم ورضوا به ومنه، بذلك خصهم بخالص شربه، وجعل حياتهم لديه أبدية وعيشتهم مرضية، أو أنها مرضية لهم؛ لأنهم ضربت أعناقهم (وتلذذوا بفعله) انشرحت صدورهم بحياتهم المسفرة بإقباله عليهم.

وكان المؤلف- سامحه الله تعالى- يقول: إذا كان الطلاب المنجبون في جمالك، الراغبون في نيل وصالك، المعدودون من ذلك تضرب أعناقهم قبل الوصول، فأين لي ولأمثالي بذلك؟ ومن يقدر على قطع هذه المهالك؟ وتخطي عقبات هذه المسالك؟ إلا إن أسعفته وأسعدته؛ فالتحق بما هنالك من أولئك القوم المشرقة بهم الحوالك، الذين لما صفت منهم السرائر وتجليت عليهم، يا قدس يا مالك، حتى به استطاعوا حمل أثقال واردات جلالك، وانقطعت بك عنهم مواد القواطع الحاجبة عن شهود طوالع سواطع كمالك، فظهرت بذلك منهم الحملة، وعدوا من الحملة المكلفة لأحمال أفضالك، ولما تحقق أن دخول تلك الساحات بدون صفاء السريرة كالمحال على السالك.

(حرف الطاء)

قال المصنف: (إِلهي طَهِّر سَريرَتي مِن كُلِّ شَيء يُبْعِدني عَنْ حَضَراتِك وَيقْطَعني عَنْ

لَذِيذ مُوَاصَلَاتِكَ).

قال الشارح: قال: (إلهي طهر) بالمبتدأ يداي، قدس ونقي من الأدغال، قال في «المصباح»: طهر الشيء: من باب قتل وقرب طهارة، والاسم: الطهر، وهو النقاء من الدنس والنجس، انتهى.

اعلم أن الطهارة على أقسام: طهارة القلب من التقلب، وطهارة الروح عن الشغل بالمعارف والفتوح، وطهارة السر عن شهود غير البر، وطهارة الخفي والأخفى عن الوقوف مع المشرب الأصفى، وطهارة العقل عن التقييد والنفس من التقييد، وقد جاء في الحديث الشريف: «دم على **الطهارة يوسع عليك الرزق**»[1]، وكما أن الرزق حسي ومعنوي، كذلك الطهارة، وفي الحديث: «**إذا نام العبد وهو على [طهارة][2] عرج بروحه إلى العرش، فكانت رؤياه صادقة، وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ وتكون أضغاث أحلام لا تصدق**»[3]، فمن طهر ظاهره وليه عرج بروحه، وأدرك قربه على طهارة حِسّك ومعناك، ليظهر لك سر مغناك.

قال الشيخ ﷺ في باب الحج من «فتوحاته»: وكل سبب موجب للنظافة ظاهرًا وباطنًا؛ فينبغي استعماله في كل حال، فإن الله جميل يحب الجمال؛ ثم قال: فصل في فضل دخول الحمام، فمن الناس من كرهه، ومن الناس من قال: لا بأس به، وبه أقول: وليس في أحوال الدنيا ما يدل على الآخرة؛ بل على الله تعالى، وعلى قدر الإنسان مثل الحمام يقول عمر بن الخطاب ﷺ: لما دخل الحمام بالشام نعم البيت بيت الحمام ينعم البدن، ويزيل الدرن، ويدل على الآخرة، انتهى.

بل يدل على الله، ومن هذه آثاره في العبد لا يكره استعماله، فإنه نعم الصاحب وبه سمي؛ لأن الحمام من الحميم، والحميم: الصاحب الشفيق، قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء:100-101] أي: شفيقة، وسمي حميمًا لحرارته، واستعمل فيه الماء لما فيه من الرطوبة، فالحمام حار رطب وهو طبع الحياة، وبه ينعم البدن

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 273).

(2) سقطت من الأصل.

(3) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (1/ 44)، والعراقي في تخريج أحاديث الإحياء (3/ 13).

وبالماء يزول الدرن، وبتجريد الداخل فيه عن لباسه، وبقائه عريانًا ما عدا عورته حافي الرأس لا شيء في يده من جميع ما يملكه بذكره الآخرة، وقيام الناس من قبورهم حفاة عراة لا يملكون شيئًا، فدخول الحمام أدل على الآخرة من الموت؛ فإن الميت لا ينقلب إلى قبره حتى يكسى، وداخل الحمام لا يدخل إليه حتى يعرى، والتجريد أدل؛ ثم أن دعاء النبي ﷺ: «**اللهم نقني من الخطايا؛ كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس**»[1] وتنقية البدن من الدرن والوسخ من أخص أوصاف الحمام؛ ومن أجله عمل، واعتبار الحمام بأحوال الآخرة مجاله عظيم الفائدة ما يعقله إلا العلماء بالله، انتهى.

فإن **قلت**: ألم يقل الشيخ ﷺ في «العبادلة»: طهارة الأسرار ذاتية، وطهارة الطبيعة عرضية فقدس طبيعتك؛ فإن سرك مقدس وتحصيل الحاصل تضييع الوقت، وأراك تحرص على طهارة السريرة، فما هذه الحيرة؟ قلت: لا حيرة؛ فإن كون طهارة الأسرار ذاتية لم تعلم إلا بعد حصول الطهارة الطبيعية، فقولنا: (**طهر سريرتي**) المعنى: امنحني طهارة الطبيعة العرضية التي ينكشف بها أن طهارة السريرة ذاتية، فأتحقق بطهارتها، ويرتفع الحجاب عن وجه إشارتها وصراحتها، وأيضًا فما من مقام إلا وفوقه ما هو أعليه، وما من صفاء إلا وفوقه ما هو أصفى، وما من سر ولا سريرة، ولشمسها شروق وضحى ورابعة وظهيرة، والكامل يقبل الكمال، وما بلغ أقصى النهايات إلا سيد أهل الجلال والجمال.

ولما كانت الطهارة مطلوبة في أشياء كثيرة خص بالذكر السريرة، فقال: **طهر سريرتي**، قال في «القاموس»: السر: ما يكتم؛ كالسريرة جمعه: أسرار وسرائر، انتهى.

والسريرة ما يقابل العلانية، وفي الحديث الشريف: «قال: **اللهم اجعل سريرتي خيرًا منه علانيتي، واجعل علانيتي صالحة، اللهم إني أسألك من صالح ما تؤتي الناس من المال، والأهل، والولد غير الضال ولا المضل**»[2] رواه الترمذي عن عمر.

ويقال: من صفت سريرته حسنت سيرته، وأنشد بعضهم:

إذا طهرت لله منك السرائر ... تجلى عليك الله والليل عاكر

وحيث كانت الموانع غير محصورة، والقواطع ليست على عدد معين مقصورة، لذا

---

(1) رواه البخاري (1/ 259)، ومسلم (1/ 419).

(2) رواه الترمذي (5/ 573).

قال: (من كل شيء) ظاهر وباطن، قال في «المصباح»: والشيء في اللغة: عبارة عن كل موجود إما حسيًا كالأجسام، وإما حكمًا كالأقوال، نحو قلت: شيئًا وجمع الشيء: أشياء غير منصرف، واختلف في علته اختلافًا كثيرًا، والأقرب ما حكي عن الخليل: أن وزنه شيئاء وزان حمراء فاستثقل وجود همزتين في تقدير الاجتماع، فنقلت الأولى إلى أول كلمة فبقيت لفعاء؛ كما قلبوا دور، فقالوا: آدُرٌ وَشِبْهِهِ وَتُجْمَعُ الْأَشْيَاءُ عَلَى أَشَايَا انتهى[1].

وشيء أنكر النكران؛ كما أن الله أعرف المعارف، (يبعدني) بالتخفيف ويصح فيه التثقيل؛ أي: يجعلني بعيدًا عن حضراتك الإلهية، (ويقطعني) أي: ويمنعني، يقال: منعه عن حقه إذا قطعه عنه (عن لذيذ) أي: شهي، قال في «المصباح»: لذ الشيء يلذ من باب تعب لذاذة، ولذاذًا بالفتح: صار شهيًا فهو لذ ولذيذ، ولذذته لذيذًا، واللذة بالفتح اسم، والجمع: لذات، انتهى.

(مواصلاتك): جمع مواصلة؛ وهي ضد المقاطعة مفاعلة.

قال في «المصباح»: ووصلت الشيء بغيره وصلاً فاتصل به، ووصلته وصلاً وصلة ضد هجرته، وواصلته مواصلة ووصلاً، من باب قاتل كذلك، انتهى.

وليس في العالم لذة أعظم من مواصلة الأحباب، فلا تقاس بغيرها من لذة منكح، ومطعم، ومشرب، ولذا قال بعض المقربين: لم يبق من لذائذ الدنيا إلا مواصلة المحبين، وأكبر عدو للإنسان العاشق الأواه من قطعه عن مواصلة من يهواه، وأفخر صديق له من تسبب في القرب منه، ولو قدر أنملة؛ إذ المواصلة شراب وغذاء وقوت، ومن فقد القوت فلا عجب أن يوجده يموت، وأنشد:

وإذا كنت قوت النفس ثم هجرتها فلم تلبث النفس التي أنت فوقها

فالمواصلة هي الحمية التي بها سكر الأحباب، والقهوة القديمة التي تدهش الألباب، فكل من شرب منها؛ ليشفي حر الظمأ، زاده الشرب تعطشًا فيضه هما، فعلى الحقيقة محتسيها هو الظامئ بلا ارتواء، وبحرها الطامي كم توافيه بالجوى من الشرب من أقداحه نوى.

---

(1) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (5/ 143).

(حرف الظاء)

قال المصنف: (إِلهِي ظَمَؤُنَا إِلى شُرْبِ حُمَيَّاكَ لَا يَخْفَى وَلَهِيبُ قُلُوبِنَا إِلى مُشَاهَدَةِ جَمَالِك لَا يُطْفَى).

قال الشارح: ولما كان طلبها مطلوب، والظمأ إليها مرغوب ناب أن يقول: (إِلهِي ظَمَؤُنَا) أي: عطشنا، قال في «القاموس»: ظمئ؛ كفرح ظمأ وظماء وظمأة فهو: ظمئ، وظمآن، وظمآنة، والجمع: ظماء، ويضم نادرًا.

عن اللحياني: عطش، أو اشتد العطش، وإليه اشتاق، والاسم منها الظمئ بالكسر، ورجل مظماء: معطاش، وكمقعد موضع الأرض من العطشا انتهى.

(إِلى شُرْبِ حُمَيَّاكَ) الحميا من اسم الخمرة، وهي هنا كناية عن خمرة الشهود، وسلافة المعرفة، والورود، وعقاب المواصلة، وشموس التقربات الحاصلة، وخندريس البقاء بالحبيب، ولمّ ليل اللقاء حال غفلة الرقيب وعروس التداني وملجأ التهاني، وهي مداومة المحبة ورحيق القربة، وعاتق العيان العاتقة من رق الكيان المشار إليها بقول ذي البنان واليبان العارف الغارف بأقداح الأعيان: شربنا على ذكر الحكيم مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم، ووجه شبهه خمرة المحبة بخمر الحية الأسكار والغيبية عن الحضار، وقلنا من قصيدة:

وما الخمر إلا مسكر العقل وحده وخمرتها تسري إلى كل شعره

والمعنى: ظمآونا (إِلى شُرْبِ) حمياك المضافة إلى عليائك؛ إضافة تشريف التي خصيتها بأهل التعرف، والتعريف لا يخفى عليك؛ لأن السر والنجوى سواء لديك، ولا على من أطلعته على ذلك من كل مقرب إليك قائم بخالص العبودية بين يديك؛ ولأن زفرات الاشتياق، وحسرات الاشتياق، وتلهف الظمآن، وتقلب الفرقان لا تكاد تخفى على إنسان.

في اصطلاح أهل اللسان: والظمأ ثمرة الإيمان؛ فمن اشتد إيمانه قوي ظمأه للعيان، وشرب أقداح التجلي المصان، وسببه الذوق من ذاق عرف، ومن عرف اعترف فكر في عبير الجنان، فنمى ظمؤه إلى مشاهدة المحسان؛ ولذا قال: (وَلَهِيب) قال في «القاموس»: اللهب، واللهيب، واللهاب بالضم واللمسات محركة اشتعال النار؛ إذا خلص من

الدخان، أو لهبها لسانها، وهيبها شدة الحر، واليوم الحار، والعطش كاللهاب، واللهبة بضمها، انتهى.

(قُلُوبِنَا) أي: إشعال نيران الحب والوجد فيها، وأنشدوا:

كلما قلت بقربي تنطفئ نيـ ـران حبي زادني القرب لهيبا

هكذا حال المحب، وقلت في مطلع قصيدة مكرر:

أزيد اشتياقًا كلما ازددت من قربي ويقلقني وجدي

فأنشد بالركب:

وازدادني شربي إليكم تعطشًا ويطلق دمع العين ينهل كالسحب

(إِلَى مُشَاهَدَةِ) أي: معاينة، والمشاهدة في الاصطلاح: تطلق على رؤية الأشياء به، لا بالتوحيد، وتطلق بإزاء رؤية الحق في الأشياء، وتطلق بإزاء حقيقة اليقين من غير شك جمالك المقدس المنزه عن المثيل، والتجزئ، والتقسيم، والمغني نوره، الأقوياء: الأشداء من أرباب التحكيم، المنسي لذة الدار الآخرة ونعيمها المقيم.

ولذا قال صاحب «بدء الأمالي»: فينسون النعيم إذا راؤه، فيا خسران أهل الاعتزال غير أن رؤية الكثيب بصريه، ورؤية هذه الدار قلبية، والعجيب من وجود اللهيب للجمال الذي هو ظاهر لا يخفى، وباطن نوره لا يخبو ولا يطفئ؛ ولهذا كان التهاب القلوب إليه كذلك؛ كما أن الظمأ لشرب حمياه باد للناجي به.

(جَمَالِك لَا يُطْفَى) أي: لا يخمد بل يتوقد، ومنه ذاك يخمد، قال في «المصباح»: وطفيت النار، تطفأ بالهمز من باب تعب، طفوء على فعول، خمدت فأطفأتها، ومن أطفأت الفتنة إذا سكنتها على الاستعارة، انتهى.

وهذا التوسل أخبار معرض بالطلب، وحيث سبق في علمك حصول هذا الظمأ واللهيب، فمن علينا بالشرب والتقريب، فإنك المنان لا سواك الحنان، فلا دواء إلا دواءك، وثبتنا لدى المشاهدة التي لا توصل إليها بدون العناية المجاهدة، وإذا كان بعض المحبين المتيمين في الجمال الفاني لا يستطيعون رؤية محبوبهم حال التداني؛ فكيف يقدر الهائم في الجمال الباقي الرباني الثبات عند صدمات ذلك التجلي السبحاني بدون رعاية أزلية، وعناية أبدية؟ هيهات هيهات تلك أماني.

وقد تشفع الأصمعي الداني في حكاية رشيقة المباني، رقيقة المعاني: عن فتانة فتاكة بسيف لحظ هاروتي الفعل في المعاني لشاب قتيل غرامها؛ أن تواصله ليحيي الميت، ويبقي الفاني، فأجابته إكرامًا بدون تواني، فلما رأى أثر غبار نعلها غشي عليه كتميل القناني، وألقى نفسه في نار بين يديه، فاحترق بعض أعضائه قبل التداني، فلامها الأصمعي على عدم كشف لثام وجهها النوراني، فقالت: يا سليم إذا كان لا يطيق مشاهدة غبار نعالنا؛ فكيف يطيق أنوار جمالنا؟ فهذا حال محب تيمه الجمال المجازي وكأسه الرحيقي، فما بالك بمن هيمه الحب الرحيقي.

ولما تحقق المؤلف -رحمه الله تعالى- بثبات الظمأ واللهيب؛ لأنهما فروض لازمة عند الصب الكئيب نظر بعين التدريب، والتقريب بعد مكابدة التجريب، ومكابدة النفس في التخريب، فرأى أن الشرب والشهود بدون معرفة المشروب والمشهود لا يكون، وأن الحزن بغير المعرفة الخاصة لا يهون، وإن الذي يلزم السالك أن يتعلق به؛ ليتحقق بأوصاف أرباب هذه المسالك هي معرفة الأسماء؛ لا سيما الحسنى والاطلاع على المعارف الإلهية هنا، ولذا ناسب أن يلحق هذا التوسل بقوله:

(حرف العين)

قال المصنف: (إِلهي عَرِّفني حَقَائِقَ أَسْمَائِكَ الْحُسنى وَأَطْلِعْني عَلى رَقَائِقِ دَقَائِقِ مَعَارِفِكَ الحُسْنا وَأَشْهِدْنِي خَفِي تَجَلياتِ صِفَاتِك وَكُنُوزَ أَسْرَار ذَاتِكَ).

قال الشارح: **(إلهي عرفني)** أي: علمني، قال في «القاموس»: عرفه يعرفه معرفة وعرفانًا، وعِرفة بالكسر: وعِرفانا بكسرتين مشددة الفاء: علمه فهو عارف وعريف وعروفة، انتهى.

وقال السيد -رحمه الله تعالى- في «التعاريف»: المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم، ولذلك يسمى الحق وتعالى بالعالم دون العارف، انتهى.

وقيل: إنما يوصف الحق بها؛ لعدم التوفيق وإلا فهما بمعنى، وقال الشيخ أبو بكر الموصلي -رحمه الله تعالى- في مختصر «منازل السائرين»: وهي؛ أي: المعرفة على ثلاث درجات: **معرفة**: الصفات والنعوت، **ومعرفة**: الصفات من غير تفرقة بينها وبين الذات،

ومعرفة: مستغرقة في محض التعريف لا يوصل إليها الاستدلال، ولا يدل عليها شاهد، وهي على ثلاثة أركان، مشاهدة قرب صعود عن علم مطالعة جمع فلخاصة الخاصة، انتهى.

وقال الإمام القشيري ﷺ في «الرسالة» في باب المعرفة: قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾[1] [الأنعام: 91].

جاء في التفسير: ما عرفوا الله حق معرفته، وروي بسنده عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن دعامة البيت أساسه، ودعامة المعرفة بالله واليقين والعقل القامع، فقلت: بأبي وأمي ما العقل القامع؟ قال: الكف عن معاصي الله، والحرص على طاعة الله**»[2] والمعرفة على لسان العلماء: هي العلم فكل علم معرفة، وكل عالم بالله تعالى عارف، وكل عارف عالم.

قلت: لكن في «مواقع النجوم» للأكبري: المعلوم أن لفظة عالم أبلغ من عارف، وآن اللسان والقرآن يشهد له، وأنكر على القوم تسميتهم العالم منهم عارفًا؛ ثم اعتذر بأن ذلك صدر منهم؛ لغيرتهم لما شاركهم في هذا الاسم من ليس منهم، ورجع الخلف إلى اللفظي، وذكر أن خلاف وقع بينهم فهو لفظي.

ثم قال القشيري قدس الله سره: وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الله بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله في معاملاته، ثم تنقى غير أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه، وحام بالقلب اعتكافه، فحظي من الله بجميل إقباله، وصدق في جميع

---

(1) قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ قطع الله بهذه الآية أطماع الخذلان عن إدراك كنه قدمه وغرة أزليته؛ لأن الخذلان لا يبقى أثرها في جمال سطواته عزة الرحمن، كيف يعرف قدره مَنْ لا يعرفه؟ وكيف يعرفه مَنْ لا يعرف نفسه؟ وكيف يعرف نفسه مَنْ لا يكون خالق نفسه؟ وكيف يكون خالق نفسه، والأزلية منزهة عن الأضداد والأنداد؟! لأن سطوات عظمته لا تبقي للخذلان أثرًا في ساحة كبريائه، عرف قدره بنفسه لا غيره عرف قدره، بطنان الألوهية لا يدرك؛ لأنها غير متناهية في العقول، غير محدودة في القلوب، غير معروفة بالحلول في الأماكن والأزمنة.

قال الحسين: كيف يعرف أحدٌ حق قدره وهو يقدره، يريد أن يقدر قدره وأوصاف الخذلان أثر يقع من أوصاف القدم. وقال بعضهم: ما عرفوا حق قدره، لو عرفوا ذلك لذابت أرواحهم عند كل وارد يرد عليه من صنعه. [عرائس 1/ 465] بتحقيقنا.

(2) ذكره القشيري في الرسالة (1/ 141).

أحواله، وانقطع عن هواجس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره؛ فإذا صار من الخلق أجنبيًا، ومن أفات نفسه بريئًا، ومن الساكنات والملاحظات نقيًا، ودام في السر مع الله مناجاته، وحق في كل لحظة إليه رجوعه، وصار محدثًا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجري من تصاريف أقداره؛ سمي عند ذلك عارفًا، وتسمى حالته معرفة وبالجملة، فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه ﷻ، وقد تكلم المشايخ في المعرفة، فكل نطق بما وقع له، وأشار إلى ما وجد في وقته.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى - يقول: من أمارات المعرفة بالله تعالى حصول الهيبة من الله، فمن ازدادت معرفته ازداد هيبته، وسمعته -رحمه الله تعالى- يقول: المعرفة توجب السكينة في القلب؛ كما أن العلم يوجب السكون، فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته؛ ثم قال: وقال أبو يعقوب النهرجوري: قلت لأبي يعقوب السوسي ﷺ: هل يتأسف العارف على شيء غير الله ﷻ؟ فقال: وهل يرى غيره فتأسف عليه؟ قلت: فبأي عين ينظر إلى الأشياء؟ فقال: بعين الفناء والزوال.

وقال أبو يزيد ﷺ: العارف طيار، والزاهد يشار، وقيل العارف: تبكي عينه ويضحك قلبه.

وقال الجنيد ﷺ: لا يكون العارف عارفًا؛ حتى لا يكون كالأرض يطأها البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب.

وقال يحيى بن معاذ: يخرج العارف من الدنيا، ولا يقضي وطره منها من شيئين بكاؤه على نفسه، وثناؤه على ربه إلى آخر الباب الجامع للباب.

وعنه ﷺ: **«لو خفتم الله حق خيفته؛ لعلمتم العلم الذي لا جهل معه، ولو عرفتم الله حق معرفته لزالت لدعائكم الجبال»**[1] رواه الحكيم عن معاذ.

قال سيدي محيي الدين -قدس الله سره في «العبادلة»: المعرفة معرفتان:

معرفة تحصل بالأحوال، وعن هذه المعرفة تظهر الآيات في خرق العوائد لأربابها، فيتخيل بعض الناس أن ذلك الأثر عن الأحوال؛ وإنما الأثر للمعرفة التي تكون عن الحال، وهذا قد يكون الحال، ولا أثر لكون الحال لم يكسب المعرفة بالله، فيقول من قال:

---

(1) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (3/ 106).

الأحوال للكرامات إذا كانت عنها المعرفة، وهو قول صاحب «محاسن المجالس»، وقد نبهت النبوة على هذا الفصل من المعرفة في خبر روي عنه ﷺ: «**لو عرفتم الله حق المعرفة؛ لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال**»(1)، انتهى.

وعبارة سيدي أبي العباس أحمد بن موسى الصنهاجي ﷺ في «مجالس المحاسن»: المعرفة مهجتي والعلم حجتي، فالعالم يستدل بي، والعارف يستدل إليَّ، فالعلماء والعارفون بي علق العباد بالأعمال، والمريدون بالأحوال، والعارفون بالهمم، والحق وراء ذلك كله ليس بينه وبين العباد نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت غير الأزل، وما بقي فعمى وتلبيس؛ فالأعمال للجزاء، والأحوال للكرامات، والهمم للوصول، وإنما يتعين الحق عند اضمحلال الرسم؛ فالإشارة نداء على رأس البعد، ونوح بعين العلة، والعلم على القلوب كالأسباب على الغيوب، وما سوى الحق حجاب عنه؛ ولولا ظلمة الكون لظهر نور الغيب، ولولا فتنة النفس لارتفعت الحجب، ولولا العلانية لانكشفت الحقائق، ولولا العلل لبرزت القدرة، ولولا التكليف لضعفت المعرفة، ولولا الطمع لرشحت المحبة، ولولا حظ باق لا أحرق الاشتياق الأرواح، ولولا البعد لشوهد.

فإذا انكشف الحجاب عن جسم هذه الأسباب وارتفعت العوائق بقطع العلائق بذلك سر طال عنك اكتتامه، ولاح صباح كنت أنت ظلامه، فأنت حجاب القلب عن سر غيبه، ولولاك لم يطبع عليه ختامه، فإن غبت عنه حل فيه، وطنبت على منكب الكشف المصون خيامه، وجاء حديث لا يملى سماعه شهي، إلينا نثره ونظامه إذا بقي النفس طاب نعيمها، وزال عن القلب المعنى غرامه، انتهى.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] قال ابن عباس رضي الله عنهما: ووافقه المحققون ليعرفون، فمن لم يعرف الحق سبحانه بمعرفة الخصوص لا يراش جناح سره المقصوص.

قال سيدي محمد بن عبد الرحمن الفاسي -رحمه الله تعالى- في «حاشيته حزب البر»: معرفة الله تعالى هي أعلى المطالب وأسمى المواهب؛ والمعنى بها ما يقع من تجلي الحق تعالى في قلوب خواصه، وتحقق أسرارهم بأحديته؛ وذلك لما أفاض الله عليهم سبحانه من أنوار

(1) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (/ 352).

الشهود، وأطلعهم عليه من مكنون الوجود، فانغمسوا في بحار الأنوار، وغرقوا في المعاني والأسرار.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:46] أنه جنة معجلة: وهي جنة المعارف، وجنة مؤجلة: وهي جنة القيامة، وأن من دخل هذه لا يشتاق إلى تلك؛ يعنون: بالنسبة إلى حورها وقصورها، وأما بالنسبة ما يحصل هناك من القرب والتعرف فشتان ما بين الحالتين؛ فإن ما يفتح على قلوب العارفون في هذه الدار، إنما هي ثمة مما أعد لهم أكرموا بتعجيله في هذه الدار، والله أعلم، انتهى.

وقال بعض العارفين: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها، وما عرفوا طيب ما فيها، قيل له: وما هو، قال: معرفة الله تعالى.

وقد ألف الهمام الأكبري -قدس الله سره- فيها كتابًا، وأبدى فيه من أسرارها عجابًا، وعقد لها في «فتوحاته» بابًا قد جمع من الأسرار لبابًا تحير من العارفين ألبابًا، ونثر منظوم دررها ونثر منظوم غررها في كثير من مألوفاته -روح الله روحه ومنحه كامل هباته- وكذلك الغزالي في «إحيائه»، والسهروردي في «عوارفه»، وأبو طالب في «قوته» - قدس الله أسرارهم آمين- وهي أول الواجبات، ومنتهى الطيبات.

قال منشئ الزبد الضارب بحر عرفانه بالزبد: أول واجب على الإنسان معرفة الإله باستيقان، وصحح قوم أن النظر الموصل إليها هو الواجب الأول، وقيل: قصده والمآل واحد.

واعلم أن المعرفة على أقسام: معرفة خواص، وخواص الخواص، ومعرفة عوام، وذاتية: وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن:1-2].

وصفاتية: وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف:65] وأسمائية: وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:31] وتنقسم من حيث الأصل إلى قسمين: معرفة الله لعبده، ومعرفة العبد لربه، وكل منهما خاصة وعامة؛ فالمعرفة الإلهية العامة: هي علمه سبحانه وتعالى بعباده، وإطلاعه على ما أسروه وأعلنوه، وعلى ما يجري لهم مما سبق به العلم من الأزل إلى الأبد.

والمعرفة الإلهية الخاصة: هي التي تقتضي محبته لعبده وتقريبه له، وإجابة دعائه،

وإليها الإشارة بحديث قرب النوافل، والحديث الذي رواه أبو القاسم بن بشر، أن في أماليه عن أبي هريرة، وهو قوله ﷺ: «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»[1] فإن العبد إذا اتقى الله تعالى، وحفظ حدوده، ودعا حقوقه حال الرخاء، فقد تعرف بذلك لمولاه؛ حيث شاهد ربه في تلك المواطن من إقباله في الظاهر، فعرفه ربه سبحانه معرفة خاصة من هذا الوجه الخاص به، وشكره الحق سبحانه وتعالى على ذلك، وذكره ذكرًا خاصًا فيما هنالك، فنجي به من الشدائد والمهالك، وهذا المتعرف السالك هو الذي إذا دعا تقول الملائكة: يا رب صوت معروف من عبد معروف.

أما معرفة العبد العامة: فهي الإقرار بالوحدانية، والتصديق والإيمان بالأمور الغيبية؛ كأنها عيانية.

والخاصة: هي التي تنجذب بها القلوب إلى المحبوب، وينشأ عنها التبتل له والأنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه والهيبة له، ولكل من العامة والخاصة درجات بحسب الأذواق والمقامات، وقد سئل الصديق ﷺ: بم عرفت الله تعالى، فقال: عرفت ربي بربي، ولولا ربي ما عرفت ربي.

وسُئل -مصباح التوحيد ومفتاح التفريد الليث الغالب- مولاي علي بن أبي طالب ﷺ: بم عرفت ربك، فقال: بم عرفني به نفسه لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده بعيد في قربه، فوق كل شيء، ولا يقال: تحته شيء وأمام كل شيء، ولا يقال: أمامه شيء وهو على كل شيء، ولا يقال: كشيء في شيء، فسبحان من هو هكذا، وليس هكذا غيره، انتهى.

وما من ذوق في كل مقام إلا وثم أعلى منه؛ ولكن إذا أراد الحق سبحانه وتعالى أن يطوي لعبده الطريق جمع له في الذوق الواحد ما لا نهاية له من الأذواق، ورفعه في آن واحد إلى أعلى الطباق، وكما أن المقامة طريقًا وهو النظر؛ كذلك للخاصة طريق موصل إليها، فيجب سلوك طريقها الشاهد السالك، وميض بريقها، ويمزج كأس ذوقه برضاب حسنًا مشاهدها وبريقها، ويدرك حلاوة شهد سحقها، وتمزيقها، وجمعها، وتفريقها، والكامل الذي زال عنه المين؛ هو الجامع لهما في آن لا آنين، وهناك تطهر منه الثياب

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 51)، والطبراني في الكبير (11/ 123-223).

ويحصل له الثبات دون ارتياب.

قال سيدي أبو الحسن علي الشاذلي قدس الله سره: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي: يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس، فقلت يا رسول الله: وما ثيابي، فقال: اعلم أن الله تعالى قد كساك حلة الإيمان، وحلة المعرفة، وحلة التوحيد، وحلة المحبة، قال: ففهمت حينئذٍ معنى قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: 4]، انتهى.

ولنذكر لك وصية ذكرها الأكبري -قدس الله سره- آخر مسامراته لها: تعلق بهذا الباب، وتعلق لذا اللباب، وهي الذي أوصيك بها أيها الأخ أيدك الله بروحه- منه أن تعرف الحق سبحانه وتعالى من حيث ما أخبرك به عن نفسه، إن عليه اعتمادك على ما اقتضاه البرهان الوجودي؛ مما ينبغي أن يكون الحق سبحانه عليه من التنزيه والتقديس، فيجمع بين العلم الذي أعطاك الإيمان، وبين العلم الذي اقتضاه الدليل القطعي، ولا تطلب الجمع بين الطريقين؛ بل خذ كل طريق على انفرادها، واجعل الإيمان لقلبك ما أعطاك من معرفة الله بمنزلة البصر، ولحسبك ما أعطاك من معرفته ما تقتضيه حقيقته.

واحذر أن يصرف بصرك الفكري فيما أعطاك من الإيمان، فتحرم عين اليقين؛ فإن الله أوسع من أن يقيده عقل عن أيدان إيمان، وأيدان عن عقل، وإن كان نور الإيمان يشهد العقل من حيث ما أعطاه فكره بصحبة ما أعطاه نور الإيمان والكشف؛ لكن نور العقل الذي يكون به القبول الخارج عن الفكر يشهد بصحة ما أعطى الكشف، والإيمان للشرع نور، وللألباب ميزان، والشرع للعقل تأييد وسلطان، والكشف نور؛ ولكن ليس تدركه إلا عقول لها في القلب رجحان.

واعلم يا أخي أن العقول بأسرها الملكية والبشرية؛ بل العقل الأول الذي أول موجود في عالم التقدير، والشطر قد علمت قصورها وجهلها حقيقة ذات بارئها، وأنها ما تعرف من هذه الذات المنزهة إلا قدر ما يطلب العالم منها من المناسبة، وتلك صفات الإله فاعرف سر المرتبة؛ فاشتركت النفس البليغة والقاصرة في هذا الجهل والقصور، وما هذه المعرفة وهو العلم بما سوى الله تعالى، لا حاجة لنا به؛ إنما الحاجة المهمة التي يكون بحصولها كمال النفس؛ فإن الصفة النفسية التي لهذه الذات المنزهة من المحال أن تكون سوى واحدة؛ وهي عين الذات، ومعناها من حيث الإثبات، فمحال أن تعلم موجدها

علمه بنفسه، قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:18]، وقال ﷺ: «لا تفكروا في ذات الله»[1]؛ فالشغل بما لا يوصل إليه تضييع.

واعلم يا أخي أن ما انتقش من العلم الإلهي في العالم، إلا قدر ما هو العالم عليه إلى يوم القيامة علوًا، وهو قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ [فصلت:12] وسفلاً وهو قوله تعالى: حين ذكر الأرض: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ [فصلت:10].

فكن يا أخي مع الله على الصفاء، وتجريد الباطن، والتعلق بغير ذات الحق سبحانه وتعالى؛ أي: فإن ذات الحق من حيث هي لا يتعلق بها كما أسلفه، وليكن حالك في جلوسك بباطنك الله من غير تخيل؛ بل بتحقيق الحدوث، لا تخيلها يحصل الفتح الإلهي لك بواسطة هذا الجلوس، وهذا الحال واذكره بمثل ذلك الذكر: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران:191] فلا يكون ملحظك إلا ذكر الله باطنًا وظاهرًا سرًا وعلانية، وليكن حالك مع الأرواح والأسماء، وشهودك مع مرضات الله سبحانه وتعالى، وحقيقة أمرك مبنية على ما يوافق الشرع، فقد دللتك على ما فيه سعادتك في الدارين، والله يتولى هداك فتأمل هذه الوصية؛ فإنها كافية وفية

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني -قدس الله سره- في «الميزان الذرية»: فصل لا يكمل لعبد مرتبة العرفان إلا إن جمع بين القول بالتشبيه، والقول بالتنزيه: كما جاءت بذلك الأخبار والآيات، فمن قال: بالتشبيه فقط، أو التنزيه فقط: فهو على النصف من مقام المعرفة، وإن كان كل منهما يسمى عارفًا بالله ﷻ، وقد انقسم الناس فريقين: فريق: نفى معرفة الله ﷻ وقال: لا يعرف الله إلا الله.

وفريق: أثبت المعرفة لكل مخلوق، وهو الحق الذي ارتضاه المحققون؛ لأن الله تعالى ما خلق الخلق إلا ليعرفوه، فلا بُدَّ أن يعرفوه، إما كشفًا، أو عقلاً، أو تقليدًا لصاحب كشف، أو عقل، والمعرفة تابعة للرؤية، فكما تعلقت الرؤية به تعالى فكان مريبًا، كذلك تعلقت المعرفة به فكان معروفًا.

وأيضًا فإن الله تعالى ما خلق المعرفة المحدث به تعالى إلا لكمال مرتبة العرفان،

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 371-372).

ومرتبة الوجود، ولا يتم ذلك إلا حتى يتعلق العلم المحدث بالله على صورة ما تعلق به القديم، وما تعلق القديم بالعجز عن العلم، فكذلك العلم المحدث ما تعلق إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه، وعمدة هذا الباب: خلق الله آدم على صورته لمن فهم المقصود على وجهه، وإن قال: منكر الرؤية والمعرفة لمن لا يقول بالوصول إلى معرفته، ولا إلى رؤيته المراد بهما عن «العجز من درك الإدراك إدراك»، وهي المسمى عنده بالمعرفة؛ فذلك جهل منه، وهو إن جوزي بقوله: لا يرى الله أبدًا، كما لا يعرفه أبدًا، وإن لم يجازيه الله بذلك، وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب، وعلم منه ثاني حال خلاف ما كان يعلمه؛ فإنه يراه ويعلم إنه هو ضرورة.

ولما سُئل الجنيد ﷺ عن المعرفة والعارف؛ فقال للسائل: لون الماء لون إنائه، ولم يزده بقول ﷺ: إن الماء يقبل جميع الألوان فيصير في رأي العين متلونًا بلون إنائه، وهو في نفس الأمر شيء آخر، لا لون له يعرف، فالعارف يعرف الماء، ويعرف أن ذلك لون الإناء[1].

وكذلك القول في «التجليات الإلهية»: فإن العارف يدركها دائمًا، والفرقان عنده دائم، فهو يعرف من يتجلى، ولما لا يتجلى؟ ويختص الحق تعالى دون العارف بكيف يتجلى لا يعلم ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فهو من خصائص الحق تعالى؛ إذ الذات مجهولة في الأصل، فعلم كيفية تجليها في الظاهر غير حاصل، ولا يدرك لأحد من خلق الله تعالى، وإذا كان الحق تعالى غير محسوس فما بقي إلا ما أنتجه الفكر، وتعالى ربنا في علو ذاته عن ذلك، انتهى.

---

(1) قال سيدي علي وفا في هذه المقولة: هو على قسمين: هو أن الماء على لون، وإناؤه لا لون له، كالأواني الشفافة الساذجة من الصبغ، فيكون الإناء مشهودًا على لون مائه، والثاني عكسه، فليس التحقيق إلا في الأفراد، كل حقيقة بنفسها، في كل مقام بحسبه؛ فافهم انتهى.

وكان ﷺ وعنّا به كثيرًا ما يقول في كتابه «المسامع» الذي لم يسمع بمثله سامع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد للمشهود، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقيق يكون المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقام مقالٌ، ولكل مجالٍ رجالٌ، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 282]، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

قال المصنف:

باب العين

[إلهي عَرفني حَقَائِق أَسْمَائِكَ الحُسنى وَأَطْلِعْنِي عَلى رَقَائِقِ دَقَائِقِ مَعَارِفِكَ المَانِحَةِ طِيبَ عَوَارِفِكَ المَوْصُوفَةِ بَيْنَ أَهْلِ لَطَائِفِكَ بِأَنَّهَا الحُسْنا وَأَشْهِدْنِي خَفِي تَجَلِيَاتِ صِفَاتِك وَكُنُوزَ أَسْرَار ذَاتِكَ].

قال الشارح: ولما كانت أقسام المعرفة كثيرة ذات نور أسنى، قال: (حَقَائِق): جمع حقيقة، (أَسْمَائِكَ): جمع اسم، وهو اللفظ الدال على ذات المسمى، وهي كثيرة:

قيل: ثلاثمائة، وقيل: ألف وواحد، وقيل: مائة ألف وأربع وعشرون ألفًا على عدد الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام؛ إذ كل نبي تمده حقيقة اسم خاص به، مع إمداد بقية الأسماء له؛ لتحققه بجميعها، فعن الاسم الجامع تفرعت الأمهات السبع وعرفها، وعنها بقية الأسماء، وقيل: ليس لها حد ولا نهاية، ولا يُحيط بها عد ولا غاية، وإلى هذا جنح ابن عباس ﷺ، وهي ذاتية كالله والرحمن، وصفاتية كالحي والعليم، وأفعالية كالمحيي والمميت، والصفاتية على أقسام:

أسماء صفات جمال: كالرحيم والكريم.

وأسماء صفات جلال: كالكبير والعظيم.

وأسماء صفات كمال: كالسميع والبصير.

وإذا كانت أفعاله لا تنحصر، فكذلك أسماؤه، لكن هل يُزاد في أسمائه على الوارد؟ فقيل: لا، وقيل: نعم، بقيد تصرف الاسم: كالعليم والعالم والعلام، وقيل: إن كان فيه معنى التعظيم جاز، وإلا لا، والأسماء دالة على المسمى، ومدلوله هو الذات والنسبية بين الاسم والذات، وهي الحقيقة الاسمية.

مثالها: كحقيقة الإنسان هي الحيوان الناطق، فمعرفة حقائق الأسماء تعطي علم النسب والإضافات، وهو علم كبير وعالمه عالم فيضه كثير، ومنه يُرتقى إلى عالم رقائق المعارف الحسناء، ومنه إلى شهود وخفي تجليات الصفات الأسنى، ومنه إلى كنوز أسرار الذات التي نيلها أغنى وأثنى، واتقى وأغنى، وأقرب وأدنى، ولما كان علم الأسماء هو الذي يعني، وعنه لا يبتغى طلبه، وخص بعد العموم علوم الأسماء الحسنى.

قال (الحُسْنَى): الدلائل مصدر وصف به، أو مؤنث أحسن، فأفرد؛ لأنه وصف جمع ما لا يعقل، فيجوز فيه الإفراد والجمع، وحسن أسمائه تعالى هو بتحسين إطلاقها شرعًا، مع تضمنها معانٍ حسانٍ شريعةً من المدح والتعظيم والتحميد، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:180].

قال القاضي - رحمه الله تعالى: لأنها دلالة على معان هي أحسن المعاني، والمراد بها الألفاظ، وقيل الصفات: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:180]، وسموه بتلك الصفات، ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:180]، واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توفيق فيه؛ إذ ربما يوهم معنى فاسدًا كقولهم: ما نعرف إلا رحيم اليمامة، أو ذروهم واتخاذهم فيها بإطلاقها على الأصنام، واشتقاق أسمائها منهم: كاللات من الله، والعزى من العزيز، ولا توافقوهم عليه، أو اعرضوا عنهم، فإن الله مجازيهم، كما قال: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:180]، انتهى.

ويحتمل أنه أراد التسعة والتسعين، المشار إليها بحديث: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة**»(1)، «**إنه وتر يحب الوتر**»(2)، وفي رواية: «من حفظها»(3)، وقد استخرجها بعض العلماء من القرآن العظيم، وبعضهم من السنة.

وخرج الترمذي - رحمه الله تعالى - في «جامعه» تعيين هذه الأسماء، فروى عن إبراهيم بن يعقوب عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لله تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةٌ غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْحَفِيظُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ**

(1) رواه البخاري (2/ 981) بنحوه.

(2) رواه مسلم (4/ 2063).

(3) رواه مسلم (4/ 2062).

الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُحْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الْأَوَّلُ الْآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِي الْمُتَعَالِي الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِيُّ الْمُغْنِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ»[1].

وفي رواية أبي الشيخ وابن مردويه معًا في التفسير والحاكم وأبي نعيم عنه أيضًا بعض زيادات ونقص في سردها، وكذلك وقع في رواية ابن ماجه عنه أيضًا.

قال بعض العلماء: ويحتمل أن يكون ذلك مدرجًا من كلام أبي هريرة، سمعها آحادًا فسقها، فحصل بعض اختلافات في الروايات من تقديم وتأخير، وزيادة ونقص.

قال شارح «الدلائل»، وقال الخطابي على قوله في أول الحديث: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة**»[2]، في هذا الحديث الكريم من الأحكام إثبات هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد، وليس فيه ما يدل على نفي ما عداها، وإنما وقع التخصيص بالذكر هذه الأسماء؛ لأنها أشرف الأسماء، وأبينها معانٍ وأظهرها.

قال: فجملة قوله قضية واحدة لا قضيتان، ويكون تمام الفائدة خبر إنَّ، وهو قوله: «**من أحصاها دخل الجنة**»[3]، لا في قوله: «**تسعة وتسعين اسمًا**»[4] وهو بمنزلة قولك: إن لزيد تسعة وتسعين درهمًا، أعدها للصدقة، أو: من زاره أعطاه إياها، فهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم غيرها، ولا أكثر منها، وإنما يدل على أن الذي أعدَّه زيد من الدراهم للصدقة أو للعطية من ذلك العدد المذكور.

قال: ويؤيد هذا التأويل ما ذكر في حديث ابن مسعود في دعائه: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[5] الحديث، قال غيره، ويؤيد قوله ﷺ: «**وبأسماء الله الحسنى كلها**

---

(1) رواه الترمذي (4329)، والبيهقي في الشعب (97)، وفي الأسماء والصفات (6)، والاعتقاد (15)، والطبراني في الدعاء (103)، والدعوات الكبير (247)، وأبو نعيم في «إن لله تسعة وتسعون اسمًا» (23)، وأبو بكر الإسماعيلي في معجم مشيخته (237).

(2) سبق تخريجه. (3) سبق تخريجه.

(4) سبق تخريجه. (5) رواه أحمد (1/ 452).

ما علمت منها وما لم أعلم»[1]، وقوله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[2]، وقوله في حديث الشفاعة: «فيفتح على من خافه وحسَّن الثناء عليه، ما لا أقدر عليه إلا أن يلهمنيه الله ﷻ»[3]، أو كما قال ﷺ.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:110]، «ثم الإحصاء صادق بالعدّ والحفظ، والعلم والفهم، والتعبد والتعلق، والتخلق والتحقق، ووجوه ذلك لا تنحصر من حيث التحقق تفصيلاً، فتتفاوت رتب المعارف من أجل ذلك تفاوتًا خارجًا عن الإحاطة والضبط، وكان الكلام على الأسماء من العلوم المكنونة، والأسرار المصونة التي ضنَّ بها عن غير أهلها، وأُعطيت لمن جعل نفسه أقل مهرها»، قاله بعض العارفين، انتهى.

وقال سيدي محمد القونوي ﷺ في مقدمة «شرح الأسماء»: وصح عن المخبر الصادق ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»[4]، وقوله: «مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة»[5]، وقوله: «مائة إلا واحدًا»[6] على وجه التأكيد، كقوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: 196] فقيده على التأكيد عند أكثر العلماء، وهو أبعد عن التصحيف في الكتابة؛ لأن التسعة والتسعين تشبه في الكتابة السبعة والسبعين، فما زال الالتباس بالقيد، وأما قوله ﷺ: «من أحصاها»[7] عند علماء الظاهر هو بمعنى: العلم، وهو معرفة ألفاظها ومعانيها، والعثور على حقائق نتائجها، وآثارها، وعند أهل الله: هو الاتصاف بها، والظهور بحقائقها والعثور على مدارج نتائجها، بحيث يصدق عليهم إطلاق أعيانها، كما أنه تعالى وصف نفسه بأنه خير الناصرين، وخير الحاكمين، وخير الحافظين، وخير الرازقين، وأحسن الخالقين، وأخبر عن نبيه أنه رؤوف رحيم، ففي أمثال هذه التنبيهات مجال متسع لأهل العناية من أرباب القلوب، وأصحاب الكشف والشهود، فيتصفون بما نعتها هم وبهم، وينصبغون بصبغ آثارها في سلوكهم على مناهج السنن المشروعة، ويسيرهم على مدارج طريقة أهل الولاية،

---

(1) رواه مالك في موطئه (2/ 951).
(2) رواه ابن ماجه (1/ 373).
(3) رواه مالك (5/ 455).
(4) سبق تخريجه.
(5) سبق تخريجه.
(6) سبق تخريجه.
(7) سبق تخريجه.

والتخلق بالأخلاق الإلهية، ويصير ذلك قربة لهم إليه، ووسيلة لديه، نسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من أهله، فإنه ولي ذلك؛ لأنه ما أولى من ولي إلا من هو من ذوي الأهلية الأهلية.

واعلم أن كل من دخل عالم حقائق الأسماء بسر فسّر هذه الأسماء، وشاهد حضراتها التي لا تنضبط حدًّا ورسمًا، وجداولها السائحة السابحة بها قلوب فنيت رسمًا واسمًا، وبقيت بالمنى لما آتاها من أجسامه قسمًا يعاين إمدادًا لا يشيخ؛ إذ يصبح وهمًا. فكيف وأمله المتون الطيب نسمًا، وينكشف له عن علوم تهتك سترًا، وتنهك جسمًا، وتمد الرفائق، والحال أن مددها من مدد [شذي] المليحة وأسمى، ولقد قلت في هذه المعنى مشيرًا لمن حل ذا المغنى:

مُدَّتْ رَقَائِقُنَا مِنَ الأَسْمَاءِ ... وعَلَى الْحَقِيقَةِ فَهُوَ مِنْ أَسْمَاء
وبِبُرْقَعِ الحَسْنَاءِ بَدَتْ حَسْنَاؤُنَا ... تَجْلَى فَبَشِّرْ صَاحِبَ الإِحْصَاءِ
وَالمنح قُلْ أَدْعُو اللهَ وَأَعْرِفُ سِرَّهَا ... فَمُدَامُهَا يَعْلُو عَلَى الصَّهْبَاءِ
وادِرِ اخْتِلافَ تَجَلِّيَاتِ جَمَالِهَا ... وَجَلالِهَا وَتَصَرُّفِ الأَسْمَاءِ
واشْهَدْ تَوَحُّدِهَا إِنْ كَثُرَتْ فَقَدْ ... دَلَّتْ عَلَى فَرْدٍ بِغَيْرِ مِرَاء
وَإِذَا سَبَحْتَ وَسَبَحْتَ أَجْزَاكَ فِي ... بَحْرٍ لَهَا وحَسِبْتَ فِي الْفُرَقَاءِ
وَعَرَفْتَ آثَارًا يُوَافِقُ بَعْضُهَا ... بَعْضًا وَكَيْفَ تُوَافِقُ العُرَفَاءِ
وسَمِعْتُ مِنكَ مُخَاطبًا يَا أَهْلَ يَثْرِب ... لا مقَامَ لَكُم بِدُون ثَنَاءِ
وكشفت عن سر العماء وكنزه الـ ... مخفي وسر الـدرة البيضاءِ
وفككت ظلمات أسماء المنى ... وشهدت ما تمنحه للأشياءِ
فهناك غب واشرب وطب لا تحتجب ... عن شاخص بالظل والإفياءِ
واقرأ التكاثر إن فهمت رموزها ... تحظى بسر لاح للعلماءِ
وتأمل الأخبار تلق غرائب ... دقّت مداركها على العقلاءِ
واكتم عن الأغيار جهدك سرها ... فالكتم شيمة كمَّل الأدباءِ
وانهج مناهج خير خلق الله طه ... المجتبي من جاء بالأنباءِ

متمسكًا بهديه وبهديه ... تنجو من الداءات والادواءِ
فمن اقتفى آثار أنوار له ... أضحى بجمع الجمع نقطة باءِ
ثم الصلاة مع السلام على الذي ... هو سيد السادات والعظماءِ
والآلِ والأصحابِ ما هب الصَّبا ... سحرًا فأحيا ميِّت الأحشاءِ

(وَأَطْلِعْنِي) أي: اجعلني ممن أشرف، قال في «المصباح»: وأطلعت زيدًا على كذا، مثل أعلمته، ومعنى (فاطلع عليه): افتعل، أي: أسرني عليه، وعلم به، انتهى.

(عَلَى رَقَائِقِ دَقَائِقِ مَعَارِفِكَ الحَسْنا): أي: (عَلَى رَقَائِقِ دَقَائِقِ مَعَارِفِكَ المَانِحَةِ طِيبَ غَوَارِفِكَ المَوْصُوفَةِ بَيْنَ أَهْلِ لَطَائِفِكَ بِأَنَّهَا الحُسْنَاءُ)، أي: ذات الحسن الباهر والجمال الآمر الناهي، قال في «المصباح»: وامرأة حسناء: ذاتُ حُسْنٍ، انتهى.

(وَأَشْهِدْنِي) أي: اجعلني مشاهدًا بك.

(خَفِي) أي: مصون مكنون، قال في «المختار»: خَفِي: من باب رَمَى: كتمه وأظهره، وهو من الأضداد، وإخفاء ستره وكتمه، وشيء خفي، أي: خاف، وجمعه خفايا، وخَفِيَ عليه الأمر يَخْفَى خفاء، ويقال أيضا: برح الخفاء وصح الأمر، والخوافي: ما دون الريشات العشر من مقدمات الجناح، واستخفى منه: توارى، ولا تقل: اختفى، وأخفيت الشيء: استخرجته، والمختفي: النبَّاش؛ لأنه يستخرج الأكفان، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه:15] أي: أزيل عنها خفاها، أي: غطاءها، كقولهم: اشكيته أي: أزلته عما يشكوه.

قلت: وأصل الخفاء بالمد، والكسر: الكساء الذي يغطى به السقاء وقرئ: أخفيها، انتهى.

(تَجَلِّيَاتِ صِفَاتِك)، جمع صفة: والصفات الإلهية الواجب علينا اعتقادها تنقسم إلى: نفسية، وسلبية، ومعان:

فالنفسية: هي الحال الواجبة للذات ما دامت الذات غير معللة بعلة، كالتحيز للجرم.

والسلبية: هي كل صفة مدلولها: عدم أمر لا يليق به سبحانه وتعالى.

وصفة المعنى: هي كل صفة موجودة في نفسها، سواء كانت حديثة كبياض الجرم، أو قديمة كعلمه تعالى، والمعنوية فرع عنها؛ ولذا لم نعدها؛ إذ لولا المعاني ما وجدت المعنوية، فهي علل لها، أي: ملزومة لها، ولهذا نُسبت إلى تلك، فقيل فيها صفات معنوية، ولذا كانت سببًا كالأولى، فالياء في لفظ المعنوية ياء النسب؛ لقصد النسبة، أي: نُسبت إلى المعنى، والواو فيها أبدلت من الألف التي في المعنى، كذا في شرح الصغرى للإمام السنوسي ـ قدس الله روحه ـ، وتنقسم أيضا إلى ذاتية وأفعالية:

فالذاتية: ما لا يوصف الحق سبحانه بأضدادها، كالوجود، والبقاء.

والأفعالية: ما يصح وصف الحق سبحانه بأضدادها، كالعطاء والمنع، والضر والنفع، ثم تنقسم إلى:

جمالية، وجلالية، وكمالية، والكلام عليها من حيث التفصيل يؤدي إلى تبسيط بَسْط، تفريع وتأصيل، وربما اتسع المجال، فأدى إلى الإملال.

وأشهدني يا مولاي بمنك، وفيض هباتك، (وَكُنُوزَ أَسْرَارِ ذَاتِكَ): قال في «المصباح»: كنزت المال كنزًا، من باب ضرب، جمعته وادخرته، وأكنزت التمر في وعائه كنزًا أيضا، وهذان من الكناز.

وقال ابن السكيت: لم يُسمع إلا في «الفتح».

وحكى الأزهري: كنزت التمر كنازًا، وكنازًا بالفتح والكسر، والكنز معروف تسمية بالمصدر، والجمع كنوز، مثل: فلس وفلوس، واكتنز الشيء اكتنازًا: اجتمع واستلأ، انتهى.

وقال في «المختار»: الكنز: المال المدفون، وقد كنزه، من باب ضرب، وفي الحديث: «**كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز**»(1)، انتهى.

وفيه استعارة مكنية؛ حيث شبه أسرار الذات بنفائس جواهر مخزونة عن أعين الذوات، ورشح بذلك الكنزية؛ لينتبه السامع إلى أنها أسرار خفية، وقد سلف الكلام على الأسرار.

والذوات: هي النفس والحقيقة.

---

(1) رواه البيهقي في سننه الكبرى (4/ 82).

قال أحمد القمولي ـ رحمه الله تعالى: في الدرة الخسناء: فائدة في استعمال إطلاق لفظ الذات على الله تعالى على ما يستعملها المتكلمون.

قال الزمخشري: سُئلت عن وجه صحة قولهم: ذات الله تعالى على ما يستعملها المتكلمون، فقلت: هي وفي وضع العربية تأنيث (ذو) المقتضي للموصوف والمضاف إليه، كقولهم: رجل ذو مال، ثم اقتطع عنها في استعمالهم، وأجريت مجرى الأسماء غير المقتضية، وعبر بها عن نفس الباري وحقيقة الباري، وأصل ذلك نفس ذات علم وقدرة، وغيرها من الصفات، والاستغناء بالصفة عن الموصوف إذا علم من الكثرة بمكان، وصارت منسية لا تخطر بالبال، كموصوف الصاحب والفارس، وحذف المضاف إليه إرادة التعميم، كما يحذف مفعول الفعل لذلك، فإن قلت: فأين سماع أجزاء الصفة الحاملة لعلامة التأنيث عليه سبحانه، وقد رأينا ممتنعين عن وصفه بالعلامة، مع استقلالهم بالمبالغة التي تزيد على ما في العالم والعظيم.

قلت: من حيث شاع قولك: نفس الباري، وحقيقة الباري، وتفسير ذلك أن امتناع نحو العلامة؛ لأنه صفة يخلا بها حذف الفعل في التفضيل به المذكر والمؤنث، بخلاف الاسم، فإن العلامة فيه ليست لهذه الفضيلة، ألا ترى أنهم ألحقوها في باب النداء معوضين وقد قدرت انتظام الذات في سلك الأسماء، وأجريتها مجرى النفس والحقيقة، ولترجيح قول بعضهم: وتضرب في ذات الإله فترجع، فالكلمة إذا عربية، وللمتكلمين في استعمالها القدرة، انتهى.

وقال الشيخ عبد الله الأنصاري في كتاب «دقائق الإشارات إلى معاني الأسماء والصفات» الذي لخصه من كتاب «معاني الأسماء والصفات» للإمام البيهقي ﷺ: باب ما ذكر في الذات: قال رسول الله ﷺ: «**لم يكذب إبراهيم عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله تعالى: قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة: إنها أختي**»[1]، حديث رواه في «الصحيحين».

وعن أبي هريرة قال: «**بعث رسول الله ﷺ عشرة، منهم خبيب الأنصاري، في واقعة، فأسر خبيب، فلما قدم ليقتل قال:**

(1) رواه البخاري (3/ 1225).

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله، وإن يشاء ... يبارك في أوصال شلو ممزع[1]

رواه البخاري. انتهى.

وقال في «المصباح»: وأما قولهم: في ذات الله فهو مثل: في جنب الله، ولوجه الله، وأنكر بعضهم أن يكون ذلك في الكلام القديم، ولأجل ذلك قال ابن برهان: من النحاة قول المتكلمين: ذات الله جهل؛ لأن أسماءه لا يلحقها تاء التأنيث، فيقال: علامة، وإن كان أعلم العالمين، وقولهم: الصفات الذاتية خطأ أيضًا؛ فإن النسبة إلى ذات: ذو، ذي؛ لأن النسبة ترد الاسم إلى أصله، وما قاله ابن برهان فيها إذا كانت بمعنى الصاحب والوصف مسلم، والكلام فيها إذا قطعت عن هذا المعنى واستعملت في غيره بمعنى الاسمية، نحو قوله: «عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» [لقمان: 23]، والمعنى: عليم بنفس الصدور، أي: ببواطنها وخفاياتها، وقد صار استعمالها بمعنى (نفس الشيء) عُرفًا مشهورًا، حتى قال الناس: ذات متميزة وذات محدثة، ونسبوا إليها على لفظها من غير تغيير، فقالوا: عيب ذاتي بمعنى: جبلي وخلقي، وحكى المطرزي عن بعض الأئمة: كل شيء ذات، وكل ذات شيء.

وحُكي عن صاحب «التكملة»: جعل الله ما بيننا في ذاته، وقول أبي تمام: ونضرب في ذات الإله فنوجع.

وحكى ابن فارس في «متخير الألفاظ»: قوله: فنعم ابن عم القوم في ذات ماله إذا كان بعض القوم في ماله كلبًا، أي: فنعم فعله في نفس ماله من الجود والكرم، إذا بخل غيره.

وقال أبو زيد: لقيته أول ذات يدين، أي: أول شيء، وأما أول ذات يدين فإني أحمد الله، أي: أول كل شيء.

وقال النابغة:

مَجَلَّتُهُمْ ذاتُ الإِلَهِ وَدِينُهُمْ ... قَوِيمٌ فَما يَرجونَ غَيرَ العَواقِبِ

والمجلة بالجيم: الصحيفة، أي: كتابتهم عبودية الإله، ثم قال: وإذا نقل هذا

(1) رواه البخاري (6/ 2693).

فالكلمة عربية، ولا التفات لمن أنكر كونها عربية، فإنها في القرآن، وهو أفصح الكلام العربي، انتهى.

وفي الحديث الشريف: «**أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله تعالى**»(1)، رواه الديلمي عن أبي ذر، ورُوي عن معاذ قول أشرف معاذ: «**ثلاث من كن فيه فهو من الأبدال: الرضى بالقضاء، والصبر عن محارم الله، والغضب في ذات الله**»(2)، وتعقبه المناوي ـ رحمه الله، وهي في الاصطلاح كما قاله الجيلي ـ قدس الله سره ـ في الباب الأول من «إنسانه الكامل»: اعلم أن الذات مطلقة، هو الأمر الذي تستند إليه الأسماء والصفات في تعيينها، لا في وجودها، فكل اسم أو صفة استند إلى شيء، فذلك الشيء هو الذات، سواء كان معدومًا كالغناء، أو موجودًا، والموجود نوعان:

نوع **موجود محض**: وهو ذات البارئ ـ سبحانه وتعالى ـ ، ونوع **موجود ملحق بالعدم**: وهو ذات المخلوقات، إلى آخر الباب، وليس وراء هذه المعرفة والاطلاع والإشهاد مطلب أو غرض يرمي لما في حديث: «**ليس وراء الله مرمى**»(3).

ولما سأل المؤلف نيلَ هذه المطالب نادته هواتف الحقيقة الممدة لكل لطيفة ورقيقة، إذا منا عليك بهذا الغناء الأكبر، وأفضنا على ذاتك سحائب هذا العز الأفخر، هل تستقل نفسك بشهود ذلك؟ وتنسبه لها دون المالك؟ وتدعي المشاركة لنا في وصف الغناء فتُلهيك عنا؟ إذ شأن النفوس منازعة القدوس، فأجاب بلسان الأدب الذي إليه الشارع ندب، مثبتًا لمولاه الغناء المطلق ولنفسه المقيد بالعجز المحقق، وفي هذا الإثبات تبرئ مما تدعيه النفس الخسيسة من الصفات بالصفات المقدسة النفسية، وبهذا التقرير تفهم وجه المناسبة: إنها التحرير.

قال المصنف:

(حرف الغين)

إِلهِي غِنَاكَ مُطْلَق وَغِنَانَا مُقَيد فَنَسْأَلكَ بِغِنَاكَ المُطْلَق أَن تُغْنِينَا بِكَ غِنًى لَا فَقْرَ بَعْدَهُ

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 31).

(2) رواه الديلمي في الفردوس (2/ 84).

(3) رواه مالك (2/ 901).

إلا إليكَ يَا غَنِي يَا حَمِيد يَا مُبْدِئ يَا مُعِيد يَا رَحِيم يَا وَدُود يَا الله يَا رَحْمَن يَا رحِيم.

قال الشارح: (إِلهِي غِنَاكَ): بالكسر والقصر، أي: عدم احتياجك إلى شيء من الأشياء في وجودك القديم، ووصفك العظيم، وفعلك الجسيم، (مُطْلَق): لا يتقيد حتى عن وصف الإطلاق؛ لأنك الغني بالذات، وغيرك بالفرض.

والغناء في اللغة: اليسار، قال في «المختار»: والغَناء بالفتح والمدّ النَّفْعُ، وبالكسر والمدّ السَّماع، وبالكسر والقَصْر اليَسار. انتهى.

غنانا معشر الفقراء إليك بموجب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر:15]، مقيد بحال دون حال، ووقت دون وقت، وعالم دون عالم، وأيضًا فإن القيد وصف لازم لنا في كل أوصافنا والإطلاق وصفك، ونحن لا غناء لنا إلا إن أغنيتنا، فكان (وَغِنَانَا مُقَيد): أي: بك بإرادتك، ومَنْ كان غناؤه بغيره فهو الفقير على الدوام، المكبل بقيود القيد إلى يوم القيامة وبعد القيام.

(فَنَسْأَلكَ)، أي: نتوجه إليك، ونتشفع لربك بسر وحق وحرمة غناءك.

(بِغِنَاكَ المُطْلَق أَن تُغْنِينَا)، أنْ: حرف مصدري ونصب، تغنينا في نفوسنا، فإن الغنى عن النفس، أو بحفظ كتابك وفهم خطابك، ففي الحديث: «**القُرآن غِنَى لَا فَقْرَ بَعْدَهُ، ولا غنى دونه**»[1] رواه أبو يعلى في «مسنده»، ومحمد بن نصر عن أنس.

و(تُغْنِي): فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه فتح آخره، و(نَا): ضمير الجماعة من الحاضرين أو المسلمين (بِكَ) أي: بحولك، وطولك، وقوتك، وقدرتك، أو بشهودك، وقربك؛ فإنك من قرَّبته أشهدته، ومن أشهدته أسعدته، ومن أسعدته حصل له الغناء الأكبر، والمجد الأبهر، غناء مفعول تغني.

(لَا فَقْرَ) أي: لا احتياج، ولا فاقد (بَعْدَهُ) - أي: بعد ذلك، إلا غنًا لأحد من خلقك - (إِلا إِليكَ)، أي: إلا لواسع فضلك، وجودك ومنك، وبرك الوافر بإمداده على أهل شهودك، فإن الفقر إلى غيرك مذلة، وإليك عز يدركه المُوَلَّه، والفقير من استغنى بغيرك، والغنى - في الحقيقة - من افتقر لغيرك، (فمن أغنيته بك)، أي: بما منك إليه على يد من شئت من مخلوقاتك، حتى أقبل وصف الغنى عليه، فهو الغني بإمدادك في سائر

(1) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 229).

المسالك، وإن كان واسطةً كونًا في وصول ذلك، فإن الغني بالله حقيقة مع رفع الوسائط لا يكون، كما أن الأنس به كذلك.

قال سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره ـ في الباب 135 من «فتوحاته»: إنه لا يصح لأحد الغنى بالله حقيقة، إنما حقيقة الاستغناء ترجع إلى الأسباب، وجلّت ذات الله تعالى أن تكون محلاً لمثل ذلك، وإيضاح ذلك أن الله ما وضع الأسباب إلا ليزيل بها فاقة المخلوقين، فما استغنى أحد إلا بالكون، ولا يصح الغنى عن الكون بحكم العموم، وإنما يصح الاستغناء عن مخلوق ما بغيره، فتقول بعضهم: فلان مستغنٍ بالله، جهل، وإنما التحقيق أن العبد مستغنٍ بما من الله، لا بالله، فإذا جاع أمر بالأكل فزال جوعه عند الأكل، لا بالأكل، انتهى.

على التحقيق يحمل كلام شيخنا ذي المقام السني، سيدي عبد الغني، قدس الله سره بالمدد الطري الجني: عففت نفسي عن خطور السوي في خاطري، فالآن عيشي هنيٌّ، أنا غني بغنى سيدي، لأجل ذلك سميت عبد الغني.

(يا غَني): سيأتي الكلام عليه عند قولنا في الورد: (يا غَنِيُّ أَنْتَ الغَنِيّ).

(يا حَمِيد): هو بمعنى محمود، فعيل أبلغ من مفعول، ومعناه: المستحق لجميع أنواع الحمد.

قال الشيخ في «فتوحاته» عند ذكر حضرة الأسماء: حضرة الاسم الحميد يدعى صاحبها عبد الحميد، وهو فعيل، فعمَّ اسم الفاعل بالدلالة الوضعية واسم المفعول، فهو الحامد والمحمود، وإليه ترجع عواقب الثناء كلها، ومحمد ﷺ بيده لواء الحمد، ولآدم عليه السلام علم الأسماء، ولمحمد ﷺ علم الثناء بها والتلفظ بالمقام المحمود، وأعطي في القيامة؛ لأجل المقام المحمود، العمل بالعلم، ولم يعط لغيره في ذلك الموطن، فصحت له السيادة، فقال: «**آدم ومن دونه تحت لوائي**»[1]، وما له لواء إلا الحمد، وهو رجوع عواقب الثناء إلى الله، وهو قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة:2] لا لغيره، وما في العالم لفظ إلا يدل على ثناء البته، أعني ثناء جميلاً، وأن مرجعه إلى الله، فإنه لا يخلو أن يُثني المثني على الله أو على غير الله، فإذا حمد الله بحمد من هو أهل للحمد، وإذا حمد غير الله فما يحمده إلا بما يكون فيه

---

(1) ذكره أبو يعلى في مسنده (4/215).

من نعوت المحامد، وتلك النعوت مما منحه الله إياها وأوجده عليها، إما في حيلته وإما في تخلقه، فتكون مكسبة له، وعلى كل وجه فهي من الله، فكان الحق مدرك كل خير وجميل، فرجع عاقبة الثناء على المخلوق بتلك المحامد على من أوجدها، وهو الله، فلا محمود إلا الله، وما من لفظ يكون له وجه إلى مذموم إلا وفيه وجه إلى محمود، فهو من حيث إنه محمود يرجع إلى الله، ومن حيث ما هو مذموم لا حكم له؛ لأن مستند الذم عدم ولا يجد متعلقًا، فيذهب ويبقى الحمد لمن هو له، فلا يبقى لهذا اللفظ المعين إلا وجه الحمد عند أهل الكشف، ويذهب عنه وجه الذم، أي: ينكشف له أن لا وجه للذم، انتهى.

وقال سيدي محمد القونوي ﷺ: الحميد: بمعنى الحامد، والحامد هو الذي يحمد على يسير الطاعة، ويجازي بكثير الثواب، وهو الحميد بما هو حامد نفسه بنفسه إجمالاً، وبلسان كل حامد تفصيلاً، وبما هو محمود لكل حامد ما هو مثنى عليه، فإن عواقب الثناء تعود عليه، وكل اسم فعيل من أسماء الحق يعم أسماء الفاعل والمفعول بالدلالة الوضعية، فهو الحامد والمحمود، ولا يطلع على سر الحمد إلا من له المقام المحمود، فما خُصَّ بعلم الثناء إلا محمد ﷺ، كما أنه ما ظهر بعلم الأسماء إلا آدم عليه السلام.

اعلم: أن الإنسان لما خلق على مزاج يميز بين اللذات والآلام، بحيث يتضرر بالآلام ويحزن، وينتفع باللذات ويُسر، وهما حالان من أحوال الكون، سمي علمه بما أورثه حال النفع شكرًا وعبادته من ذلك حمدًا، وهما عين شؤون الحق، وليست الشؤون إلا التجليات الوجودية، وهو الخير المحض، غير أنه تختلف أحكامها في القوابل، بل ربما أمر يتضرر به زيد ويلتذ به عمرو، والأمر واحد العين لا انقسام فيه، ويختلف حكمه في الممكنات بحسب قابلياتها واستعداداتها، وكذلك كان رسول الله ﷺ يقول في السراء: «**الحمد لله المنعم المتفضل**»(1)، وكان يقيد بتقيد حكمه وأثره، يقول في الضر: «**الحمد لله على كل حال**»(2)، وهذا الحمد أعظم من السراء؛ لإطلاقه واشتماله على الكل، فإنه من إنعام الحق أن أفهم صاحب الضُّرِّ الثناء، واستعمله بحمده ووقاه من الضجر والسخط، فعافا باطنه بما ألهمه من التحميد، ثم زاده عافية بإزالة الضراء عنه.

(1) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (39/ 417).

(2) رواه ابن ماجه (2/ 1250).

واعلم أن ما في العالم لفظ إلا وفيه ثناء جميل في طور الكشف، يشهده أهله، ومرجع ذلك الثناء إلى الله تعالى، وإن كان له وجه إلى مذموم فلا بدَّ أن يكون له وجه محمود عند أهل الحق، وإن لم يعثر عليه السامع، كما القائل: فهو من حيث ما هو مذموم لا مستند له، ولا حكم له؛ لأن مستند الذم العدم، فلا يجد الذم من يتعلق به، فيذهب ويبقى الحمد لله، ثم الحامد في حال الحمد إما أن يقصد الحق أو غير الحق، فإن حمد الله فقد حمد من هو أهله، وإن حمد غير الحق فما يحمده إلا بما يشاهد من الصفات الكمالية ونعوت المحاسن، وتلك الصفات عطاء ومنح له من حضرة الربوبية، إما مركوزة في جبلته، وإما مكتسبة في تخلقه وتخليقه، وهي مردودة إلى الحق، فرجوع عاقبة الثناء إليه سبحانه وتعالى، وللحمد ثلاث درجات:

- حمد الحامد نفسه.

- وحمده غيره.

وهذان القسمان يتطرق إليهما الاحتمال، ويحتاج إلى قرينة الحال.

-والثالثة: حَمْد لسان الحمد، وهو الذي لا يتطرق إليه الاحتمال، فإنه عين قيام الصفة بالموصوف، وإذا كان غير الصفة عين الموصوف، كأن الحمد عين الحامد والمحمود، انتهى.

قال الجيلي ـ قدس الله سره ـ في «كمالاته»: اسمه الحميد تعالى، هو الذي أثنى على ذاته بمقتضيات صفاته حق الثناء الواجب له في نفسه، كما هو أهله، وهذا الاسم من أسماء الأفعال، وصفته الحمد، وهو عبارة عن التجلي الإلهي بما يستحقه لنفسه في نفسه، فحمده هو تجليه بالكمالات كلها على الحيطة والشمول؛ ظهورًا للجمال والجلال، وحيطة لجميع أوصاف الكمال، ومن ثم قال بعض النحاة أن اللام في الحمد للشمول، ولو لم يعلم ما قال، وقال بعضهم إن اللام للعهد، واعتبارنا في عهدية اللام هو أن تقول: إن الحمد ـ الذي هو عبارة عن تجلية بجميع كمالاته لله لا لغيره ـ للإحاطة الملكية في هذا الاسم الذاتي، وذلك أن مقارنة هذا الاسم بالحمد إنما هو لأن اسم الله تعالى دون غيره جامع للأسماء والصفات الحقية والخلقية، والحمد هو عبارة عن تجليه بجميع تلك الأسماء والصفات التي جميعها للاسم "الله"، فلهذا حصلت المناسبة بين اسم الله وبين الحمد،

فالحمد هو مقام النبي ﷺ، وإلى ذلك أشار بقوله: وله لواء الحمد، والله هو المحمود، وهو حقيقة المصطفى المعبر عنه في اصطلاح القوم بالحقيقة المحمدية، ومن خواصه: اكتساب المحامد في الأخلاق والأفعال والأقوال.

وفي «الأربعين الإدريسية»: يا حميد الفعال، يا ذا المن على جميع خلقه بلطفه.

قال السهروردي: مُدَاوِمَهُ يحصل له من الأموال ما لم يمكن ضبطه، وفيها أيضًا: يا محمود، فلا تبلغ الأوهام كنه جلال عزه ومجده.

قال: مواظبه - حق المواظبة - يتوحش من الخلق ويستعذر عشرتهم، ويأنف مجالستهم، فإذا صار له ذلك فليلزمه على خلوة تامة خمسة وأربعين يومًا، يذكره كل يوم ما قدر، فإنه يترقى في رتبة الولاية، والله أعلم.

كذا في كتاب «المقصد الأسماء» فيما يتعلق بمقاصد الأسماء للإمام سيدي أحمد زروق ـ نفعنا الله ببركاته، آمين.

(يا مُبْدِئ): المبدئ هو الموجد، و(المنشئ): الذي أظهر الممكنات في مرائيها، فلهذا كان له الإبداء الدائم، وقيل: هو الذي ابتدأ الخلق بالإيجاد في الرتبة الثانية، فكل ما ظهر من العالم ويظهر فهو فيها، ومن ثم رتبة ثالثة، فهي الآخرة والأولى للحق، فهو الأول، فالحق من حيث وجوده لا يكون في الأول أبدًا، والخلق معه في الآخر، فإنه مع العالم أينما كانوا، ولذا يسمى بالآخر، فاعلم ذلك.

وهذا الاسم من أسماء الأفعال، وله اقيمنة على جميع الأسماء؛ لأنه في المرتبة الأولى، وهي المبدئية.

قال الجيلي ـ قدس الله سره ـ في «كمالاته»: المبدئ: هو الذي أظهر الكثرة، المعبر عنها بالأسماء والصفات مع مقتضياتها، التي هي عين المخلوقات الوجوديات والحكميات من الأحدية الذاتية، المعبر عنها بحضرة الجمع والوجود وحقيقة الحقائق. وهذا الاسم من أسماء الأفعال، وصفته الأبد، وهو عبارة عن ظهوره تعالى، بالتعينات الشؤونية للاقتضاءات الكمالية في المظاهر الوجودية من الأسماء والصفات الإلهية، أو غيرها من الأعيان الخلقية والأحكام الوجودية، والمعاني الحكمية على ما هو عليه من تغير الكنزية المخفية، ولا انصرام للمرتبة المبطونية، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وقال سيدي محمد القونوي ﷺ: المبدئ بمعنى المظهر، والمنشئ الذي يبدأ الخلق بالإيجاد كالمبتدئية من المرتبة الأولى، وهي رتبة الموجد، فالمرتبة الثانية هي المرتبة الأخيرة للممكن، فالممكن من حيث وجوده لا يكون له قِدَم في الأولى أبدًا، وإنما له الأخرى، والحق معه، فالسابق في الوجود من الممكنات، واللاحق سواءٌ في المرتبة، فإن الآخرية تشملهم.

والمبدئ هو الذي أظهر الممكنات في مراتبها، وله حكم البدء في الأولى والآخرة، في كل عين من أعيان أنواع إمكان، فلا يزال المبدئ مبدئًا؛ لأنه يحفظ حدود مراتب الوجود بإيجاده أعيانها دائمًا، ولهذا الاسم حكم في الأسماء الإلهية كلها، كما للاسم حكم فيها، أوجده اسم المبدئ تعالى في حق كل ما يوجده دائمًا، مبدئ دنيا وآخرة، انتهى.

وقال الإمام الأكبري ﷺ في شرحه على الأسماء: الاسم المبدئ لتعلق افتقارك إليه في خلاص النية، فيما تظهره من الأعمال، وتنشئه على طريق القربة إلى الله تعالى، أي: فإن الله تعالى إذا لم ينعم على عبده بالإخلاص لم يحصل له من ورطة الرياء خلاص، فيتعلق بهذا الاسم تعلق افتقار، إلى أن يذيقه حلاوة الإخلاص، ومن التخلص، وشهد الاختصاص، فإن ذلك بيده؛ إذ هو سر مودع في خزائن الغيب، يهبه الله لمن شاء من كل عبد خلص، وحقيقته العمل لله وحده من غير ملاحظة سواه، وإليه أشار حديث: «**اعمل لوجه واحد يكفك الوجوه كلها**»[1]، ثم قال: التحقق: إبداء الأشياء إبداءً في أعيانها ظاهرها، وإن كانت ظاهرة له أو لنفسها، وتتعرض هنا مسألة بين طائفتين كبيرتين، وهي: كل الأشياء غير ثابتة في العدم، أم لا؟ واشتركا مع هذا الخلاف في أنه تعالى مبدئ لوجودها، وهو المقصود، أي: إثبات أنه المبدئ للأشياء، سواء كانت في حوزة العدم أو دائرة الوجود.

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: 27]، ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: 29]، التخلق يظهر بما يخترعه العبد من الأفعال في نفسه وعلى يده مما لم يسبق إليه، في علم أو في نفس الأمر، ومنه من سنّ سنة حسنة، فقد أبيح له إنشاء هذه العبادات، على أمر مخصوص معين، انتهى.

---

(1) رواه ابن عدي في الكامل (7/ 49).

وفيه إذن من الشارع لخلفائه بالتشريع المستنبط من شريعته المطهرة، دون إحداث ما ليس فيها: «**فإن من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد**»[1]، ويؤيده: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عُضُّوا عليها بالنواجذ**»[2].

واعلم أن سائر الأسماء الإلهية إذا لم يتعلق بها السالك - أولاً - ثم يتحقق: لا يعد سالكًا في هذه المسالك، وكلما زاد زاد المزيد من هذا التعلق والتحقق والتخلق الحميد، بهاء نوره وسناء سروره، من علامة تخلق العارف بهذا الاسم أن يبدئ غرائب المعارف، ويظهر مكنونات الغيوب، ويفيق موتوق الجيوب، ويكشف عن العلوم المستورة، ويرشف الفهوم المجهولة المنكورة، ويرفع غواشي الأستار عن قلوب طلاب الستار، ويعرف عن الأحوال حالاً حالاً، ويبين الواقع ماضيًا ومستقبلاً وحالاً، وصاحب هذا المقام هو الذي ذاق من الأسرار، هذا الاسم - المبدئ- فجابه لطالب الندى يندي، ولباغي الهدى يهدي، فأصبح نورًا محضًا وطورًا للتجلي، أظهرت زبد أسراره سر أطواره محضًا، فما حلّ حبه بأرض قلب إلا عَمُرَ منه الدارس، ولا نزل جسمه بأرض موات إلا حييت منه الدوارس، وأنشدوا:

وما الحي إلا أن تكون بسفحه ... وإلا فرسم دارس، وطلول

إذا ما رحلتم عن حمى، فهو دارس ... وحي إذا أنتم هناك حلول

ومثله العبد، فعلامة المتخلق فيه أن يعيد القارين من العبيد الضالين عن السبيل الحميد للولي الحميد، والملازمة على الاسم يصلح لمن أراد ابتداء أمر، فإنه يتيسر، ومن داوم عليه حسنت أعماله وصلح حاله، وهان عليه ما تفسر، ونطق بالحكمة والنظم الفصيح، وعرف الفهوم العجيبة التنقيح، ومن كسره، ونزله في مربع حرفي أو عددي، حظي بالسرور الأبدي.

ومن خواص هذا الاسم أن من قرأه على بطن الحامل سحرًا تسعًا وعشرين مرة فإن ما في بطنها يثبت، ولا يزلزل.

---

(1) رواه البخاري (2/ 959).

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (18/ 246).

وفي «الأربعين الإدريسية»: يا مبدئ البدائع، لم يبغ في إنشائها عونًا من خلقه.

قال شارحها: من داوم عليه تسعة وتسعين يومًا اطلع على العلوم وخواص العوالم، وسخرت له الحاجات من جميع الجهات.

ومن خواص هذا الاسم الشريف: أن من أدمن على ذكره ليلا ونهارًا، ألم بالعلوم السنية، ونطق بالأمور الحكمية، وانفتق رتق قلبه، فبدت له الأسرار الخفية.

(يَا مُعِيد)، المعيد: هو الذي يعيد الخلق، عين الفعل، من حيث ما هو خالق وفاعل، وجاعل وعامل، فإذا فرغ من إيجاد شيء أوجد غيره؛ لأنه ليس في العالم شيء يتكرر، وإنما هي أمثال تتجدد، وأعيان توجد، لا أنه يوجد شيء ما مرتين، كما أنه لا يتجلى على عبد بتجليين متقفين من كل وجه، ولا على عبدين بتجلٍ واحد للوسع الإلهي، ولنص: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝﴾ [الرحمن: 29]، وأنشد سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره:

فـــما في الأمـــر تكـــرار إلا مـــرَّ أمـــرٌ عـــليَّ

ولا أقـــول بتكـــرار الوجـــود ولا عـــود الـــتجلي

ما كان من قدم، إن الحوادث أمواج، وإنها لا تحجبك أشكال مشكلة عمن تشكل فيها، فهي أستار، وهذا الاسم من أسماء الأفعال وصفته الإعادة على الدوام، وفي كل حال.

قال سيدي محمد القونوي ـ رحمه الله: المعيد هو الذي يعيد عين الفعل من حيث ما هو خالق؛ لأنه ليس في العالم شيء يتكرر، وإنما هو أمثال تحدث، وأعمال توجد، وخلق يُجَدَّد، فإن الخق إذا فرغ من خلق شيء عاد إلى خلق آخر، لا أنه يعيد عين ما ذهب، فإنه أوسع من ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۝﴾ [الروم: 27]، يريد به الفعل لا المخلوق، فإن عين المخلوق ما زال عن الوجود حتى يعيده، وما عليه أهل الظاهر من إعادة الأجسام والنفوس في الدار الآخرة، ليس ذلك عند أهل الكشف، وإنما هو انتقال من موطن الدنيا إلى البرزخ، ومن البرزخ إلى المحشر إلى الجنة أو إلى النار، فالحق لا ينال بخلق ويعود إلى الخلق، فهو المبدئ لكل شيء، والمعيد لشأنه، كما يحكم الوالي في أمر ما، فإذا انتهى عين ذلك المحكوم عاد في أمر آخر، فحكم الإعادة باقٍ في فعل

الحاكم وحكمه، لا في المحكوم، انتهى.

وقال الجيلي ـ رحمه الله تعالى ـ في «كمالاته»: اسمه المعيد، هو الذي أخفى حكم الكثرة في الأحدية المحضة حتى لا يظهر فيها حق، ولا خلق، ولا صفة، ولا نعت، ولا اسم، بل ذات مجردة، لا ظهور لها فيها بحق، ولا بطون، ولا نسبة، ولا إضافة، وقد تكلمنا على الأحدية في كتابنا الموسوم بالإنسان الكامل، بعبارة مبسوطة: واسمه المعيد من أسماء الأفعال، وصفته الإعادة، وهي عبارة عن رجوع الصفة إلى الذات والاسم إلى المسمى، والمعلوم إلى العلم والعلم إلى العالم، والمتعين إلى رتبة ألا يتعين، وهذا قال الجنيد: النهاية هي الرجوع إلى البداية؛ يعني نهاية الإنسان الكامل أن يرجع إلى التجلي هو مجمع البحرين، وحضرة الجمع والوجود، وحقيقة الحقائق التي لا رسم لها، ولا صفة.

ومن الناس من أخذ قول الجنيد ﷺ على ظاهر الأعمال، فقال: نهاية العارف أن يرجع إلى الحق، فيعمل بعمل أهل البداية، وهذا تأويل سائغ، انتهى.

ويحتمل أنه أراد السير، لمَّا كان دوريًا كانت نهايته بدايته، فإن الدائرة نهاية عين الوصول لبدايتها، وأيضًا فإن مقام الكمال ستر الأحوال، حتى لا يفترق الكامل عن العامة، وهذا من مقام التحقق بالعبر التامة، وحال العارف كما قال ذو العارف أبو السعود ابن شبل البغدادي ـ قدس الله سره: النادي كساعي الطير: فم مشغول ورجل تسعى، وما هو ـ أي: ما شأن العارف، وحاله ـ إلا أداء الصلوات الخمس وانتظار الموت، وأنشدوا:

ثَبَّتَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ دُونِ أَخْمَصِكِ الْحَشْرُ

وهذه حالة عَوَام، وغارق في ميدان المعرفة عوام: فرجعت النهاية إلى البداية، وأنشد العارف:

صَحَّ عِنْدِي فِي مَنْزِلِ الاخْتِصَاصِ أَنَّ حَالَ الْعَوَامِ حَالُ الْخَوَاصِّ

قال سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره ـ: هو المتين في شرح الأسماء: الاسم المعيد التعلق افتقارك إليه ـ سبحانه ـ في المداومة على ما أمرك بفعله من العبادات، وإن كان ليس عينها، أي: بل الأمر متجدد غير متكرر، قال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سورة ق آية: 15]، التحقق: الإعادة؛ ردًّا لشيء إلى الحالة التي فارقها، وهي خلاف التحقيق، إنها مثلها، لا عينها، وحينها لا مثلها من وجهين مختلفين، فالمدبر

يُعاد على تدبيره، والمدبر لا يلزم أن يكون بعينه: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء:56]، التخلق: إحداث الفعل على صورة ما مضى يُسمى إعادة، وإن لم يكن عينه لشبهة في الصورة، التخلق: إعادة الفعل الذي إنشاؤه فيك، ونسبه إليك منّة منه سبحانه وتعالى عليك، وهو روح العبادة؛ حيث لم تغب عنك مشاهدة الحق، أي: لكونك شاهدت مُعيدها ومنشئها فيك في كل آن، فكنت صاحب مراقبة توصّل لمرتبة إحسان، ولهذا الاسم خواص كثيرة، منها: إن مَنْ أكثر من ذكره أصلح به كل فاسد، واسترجع كل فائت، وإذا وضع في مربع يطالع أحد البروج المنقلبة وعلق في مهب ريح، وأقام الإنسان يتلو الاسم طول ليلته على آبق مسافر رجع إلى المكان الذي خرج منه، فمن حبس عنه ما يحب، فليكرره مرات، ويضيف له اسم المبدئ، فإنه يدرك ما فقد.

ومن كان له غائب، أراد مجيئه، أو خبرًا من طرفه، فليقرأ الاسم سخرًا في أركان بيته الأربع، في كل ركن سبعين مرة، ثم يقول بعد قراءته:

(يا معيد رُدَّ فلانًا هذا المكان، أو وصل لنا خبرًا منه)، يحصل له المراد بعد سبعة أيام.

قال سيدي أحمد زروق ـ رحمه الله تعالى ـ في «المقصد»: الأسماء تنبيه من عرف أنه المبدئ المعيد، رجع بكل شيء إليه؛ لأن كل شيء منه بدأ وإليه يعود، والتقرب بهذا الاسم تعلقًا بالرجوع إليه في كل شيء، والاستفادة من كل شيء، وتخلقًا أن تعود إلى البداية، وترد النفس منها إلى النهاية، ثم تعود النهاية بداية، والبداية نهاية، بلا تقصير، والله أعلم.

وفي «الأربعين»: يا معيد ما أفناه، إذا برز الخلائق لدعوت من مخافته.

قال: الشر مداومة يعظم قدره، ومن ذكره آنفًا زالت حيرته، واهتدى لما فيه صلاحه، انتهى.

ومن خواص هذا الاسم أن من داوم على ذكره تذكر ما نسيه، وإن طالت مدته.

(يَا رَحِيم يَا وَدُود): سيأتي الكلام على اسمه تعالى الودود، عند قولنا: (يَا الله يَا رَحمَن يا رحيم) اللَّهُمَّ أَسْكِنْ وُدَّكَ فِي قُلُوبِنَا، ووجه المناسبة بين هذا التوصل والذي يليه أن المؤلف ـ سامحه الله تعالى ـ لما توسل بغنى سيده المطلق أن يُغنيه بما منه إليه غنىً لوجه الخصوصية يسير كيما به يتحقق، وكان هذا الغنى المطلوب على هذا النمط المرغوب لا يقع

إلا لأهل الخصوص، كما دلت عليه من الأقوال الكمل النصوص، ولا يصح هذا الغنى للرجال، إلا بعد فتح ما على القلب من الأقفال، ومخلصهم من قيد قفص الخيال والخبال، وقطع تلك الحبال والجبال، ناسٍ أن يسأل عقب طلب الغنى فتحًا يكون به زوال كل عناء، فلذا قال: أول الثلث الثالث من التوسلات المنتجة أشكالها إن شاء الله بالخلاص والإخلاص.

قال المصنف:

(حرف الفاء)

[اللهم إنك فَتحت أَقْفَال قُلُوب أَهل الاختِصَاص وَخَلصْتَهُم مِن قَيد الأَقْفَاص فَخلص سَرَائِرنَا مِن التعلق بِمُلَاحَظة سِوَاك وَافنِنا عَن شُهُود نُفُوسنا حَتّى لَا نَشْهَد إِلا عُلَاك].

قال الشارح: (**اللهم إنك فَتحت أَقْفَال قُلُوب أَهل الاختِصَاص**): وسيأتي الكلام على هذا التوسل مع بقية الورد أول الجزء الثاني من شرح هذا الورد المبارك، ونسأل الله تعالى أن يكسبه حلة القبول بجاه السيد السند الرسول، آمين.. آمين.. آمين، وقد تم في أول شهر رمضان المبارك سنة 1738، ونحن في ديار أوان قبال داخل قسطنطينية المحمية.

(**اللهم**) أي: يا الله (**إنك**): إن: حرف توكيد ونصب، والكاف: ضمير المخاطب.

(**فَتحت**): بمفتاح اسمك الفتاح، وفككت وخلصت كل مشتبك بغيره؛ لتوصله إلى قدسك الفياح، فانفتحت بتوجهات اسمك الفتاح، (**أَقْفَال**): جمع قفل، وهو معروف، (**قُلُوب أَهل**) أي أرباب وأصحاب (**الاختِصَاص**) أي الذين خصيتهم ببدائع الخصائص، وصيغتهم من كدورات طلائع النقائص، وقد شبَّه قلوبهم أولاً ببيوت أغلقت أبوابها، وضربت عليها أقفال الاحتجاب، فعنَّ اقترانها ثم لما فُتحت مغاليقها، وسرحت مطالعتها، خصَّها المحبوب بفتق الجيوب، والتخلص من العيوب، والاطلاع على الغيوب، فعُدَّت أهلها من عبيد الاختصاص، وعدت من الخواص، وباستغراقهم في تدبر معاني القرآن، فتح ما على قلوبهم من أقفال الذات، وسَلِموا من سلطان الشيطان؛ إذ هم على الحقيقة عباد الرحمن، وإلى هذا يشير حديث: «**إذا سمعتم المؤذن يؤذن فقولوا: اللهم افتح أقفال قلوبنا بذكرك، واتمم علينا نعمتك من فضلك، واجعلنا من عبادك**

الصالحين»[1]، رواه ابن السني، عن أنس وعليّ.

زال ما على كنز القلب من الموانع، بدت جواهره المصونة، فسبح صاحبه الصانع، ويلوح بلوح السر ما أخفاه الصدى، ويدرك فيه ما يكفيه عن التطلع؛ لترجيح الصدى، والمعنى: فتحت وخلصت؛ ليفتحوا المغلق ويخلصوا المعلق.

(وَخَلَصْتَهُم) أي: سلمتهم، فتجلى اسمك السلام، ونجيتهم، وتحييهم مما يوجب الملام عن الآثام.

قال في «المصباح»: خلص الشيء من التلف خلوصًا من باب قعد: وخلاصًا ومخلصًا: سلم ونجا، انتهى.

(مِن قَيد) قال في «المصباح»: القيد جمعه: قيود وأقياد، وقولهم للفرس: (قيد الأوابد) على الاستعاذة، ومعناه: أن الفرس لسرعة عدوه يدرك الوحوش ولا تفوته، فهو يمنعها الشراد كما يمنعها القيد، و(قيدته تقييدًا): جعلت القيد في رجله، ومنه تقييد الألفاظ بما يمنع الاشتراك، ويزيل الالتباس، و(قيد رمح): بالكسر، وقاد رمح، أي: به قدرة، انتهى.

(الأَقْفَاص): قال في «المختار»: القفص واحد أقفاص الطير، وفي «المصباح» قيل: معرب، وقيل: عربي، واشتقاقه من: قفصت الشيء إذا جمعته، وقفصت الدابة: إذا جمعت قوائمها، وفي حديث: «في قفص من الملائكة»[2]، أي: جماعة، انتهى.

واعلم أن الأرواح ملكية علوية مقدسة نورية، لكنها لما أُهبطت من عليين: المنزلة الرفيعة، وأُخلدت إلى سجين: أرض الطبيعة، امتزجت الماء مع العود، ونسيت عهودًا بالحي، وظنت إنها إليه لا تعود، وألفت صفات اقتضاها تركيب الجسم واتحدت به، وغلقت عن رسمها الأصلي والاسم، فإذا ذكّرها مذكّر بمعهدها القديم حنّت، وتريد انطلاقًا من قفص الهيكل: فلم تستطع بما حَنّت إذ جُنّت، فيحتاج صاحبها الباغي الخلاص من ضيق الأقفاص إلى مجاهدة في نفسه الحاكمة، ومكابدة تُذهب ظلمات الغفلات المراكمة؛ لتضعف النفس المنازعة، وتقرئ الروح التي لربها فازعة؛ إلى أن تصفو

(1) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 484+).

(2) لم أقف عليه.

من الكدر، وترجع لصفائها الذي إذا عاودها أنكر، ولا بدّ لها في هذا المقام من طبيب حاذق، يعالجها مما حل بها من الأسقام؛ إذ كل مجاهدة على يد شيخ تقدام لا يعول عليها الصادق في الإقدام، فإذا خلصت من القيود، ورجعت راضية مرضية للمالك المعبود، انكشفت هناك لديها الأستار، وشاهدت جمال من تهوى، فطاب لها خلع العذار، فبدون مجاهدة لا تحصل مشاهدة، اللهم إلا أن تحصل جزية خفية، أو نفحة ربّيّة، فرفعت من في الحضيض إلى السماء، حتى أدرك سرّ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: 42]، وهذا نادر فلا يُقاس عليه، فللتعرض إلى النفحات بادر، فقد ندب الشارع إليه، وحيث مننت سيدي على أهل الاختصاص بالخلاص من قيد الأقفاص، فقاموا بأبصارهم التي نفذ إليها نور بصائرهم، ما لا يعبر عنه لسان من مشاهدة مقام الإحسان، وخلصوا من طلب مطالب الأبطال، وعدلوا عن مثاله، ارتضاها البطال بسرهم، كما فتحت لهم الأقفال، وخلصتهم من أقفال الأقفال، (فخلص) من السوابق، والعلائق.

(سَرَائِرَنَا): جمع سريرة، (مِن التعلق): بأذيال، (بِمُلَاحَظَة)، أي: مرعاة ومراقبة، (سِوَاكَ)، أي: غيرك، حتى لا تغفل عن برك وخيرك، فإن الغفلة محنة وبلاء، واليقظة محنة منحة من بلي.

سئل الشبلي - قدس الله سره الجلي - عن قول رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية»(1)، فقال: أهل البلاء هم أهل الغفلة عن ذكر الله تعالى، انتهى.

وفي تشبيه القلوب ببيوت أو صناديق وإثبات الأقفال لها استعارة، وكذلك تشبيههم بطيور في أقفاص، (وَأَفْنِنَا) بقطع الهمزة: من أفنى، أي: فإن الإفناء والإبقاء بك، وهما حالتان يقيم الله تعالى في أحدهما من أراد من عباده، وهي من الرحمة المفتوح بها للناس، التي لا يقدر على إرسالها وإمساكها غيره، دون التباس كيفية المقامات، والأحوال المفاضة من مفاتح الغيوب التي لا يعلمها إلا ذو الجلال والإكرام المكرم، بما تفيض القلوب، وسيأتي الكلام على الفناء في الميمية عن شهود رؤية نفوسنا بالكلية، (حَتَّى): بمعنى الغاية، (لَا نَشْهَد): سرًا وعلنًا، (إِلَّا عُلَاك): فنبلغ المنى.

قال العارف:

---

(1) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (12/ 161).

فلـم تهـوَني مـا لم تكـنْ فيّ فانـيًا ... ولم تفـنَ مـا لم تجتـلِ فيك صورتي

والعلا: الرفعة والشرف، وكذا المعلاة، والجمع: المعالي، ذكره في «المختار»، وإذا أفنى السيد عبده عن شهود نفسه، وأطلقه من قيد وهمه وحدسه، وغيّبه بنوره عن حسه ويومه، وغده وأمسه، أدناه من حظائر قدسه، فولج عليه أنسه وخلّصه من حصر حبسه، وأحلّه عليين قدسه عن حلول سجين رمسه، وأيده في جهره وهمسه، وأبدر بدر عرسه، وأطلع ضاحية شمسه في غير دائرة عنسه بعد قلبه وعكسه، وإدخاله بحر النور وغمسه، فأدرك ما أدرك في مسه وكنسه، وعاين ما عاين في محقه وسحقه وطمسه، وشاهد من علا مولاه ما أدهشه عن خمسه، فلو كان العرش مصقول طرسه، ما وسع رقم ثلث فيضه ولا سدس سدسه، ووجه المناسبة بين هذا التوسل وما بعده، أنه لما خصّ بالذكر أولا أهل الاختصاص، عمم بمجيء الجمع؛ لطلب الخلاص، أو أنه لما طلب فناء الوجود طلب حصول مقام البقاء والشهود بقوله: (قد جئناك)، فإن المجيء لا يكون إلا لمن بقي بمولاه بعد ما عنه أفناه؛ إذ هو لا يكون غالبا إلا بعد الفناء، ومن غير الغالب ما يقع لأهل الجذب من تحصيله قبله، خلافا لأهل السلوك من كل مالك مملوك.

قال المصنف:

(حرف القاف)

إلهي قد جئناك بجمعنا متوسلين إليك في قبولنا متشفعين إليك في غفران ذنوبنا فلا تردنا.

قال الشارح: (**إلهي قد جئناك**) أي: أتينا أبواب عزك، (**بجمعنا**): معاشر الحاضرين، أو بطريق النيابة عن جماعة المسلمين، وقراءة هذا الورد بالجماعة هي الأصل المبني عليه، فإذا لم يتمكن التالي من الحضور مع الجماعة، رخص له في تلاوته منفردًا، فإن في الاجتماع بركة؛ لقوله ﷺ: «**يد الله مع الجماعة، فإذا شذ الشاذ منهم اختطفه الشيطان، كما يخطف الذئب الشاة من الغنم**»[1] رواه الطبراني عن ابن عمر، والحاكم عن ابن عباس، وفي رواية: «**الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة الشاذة، والقاصية، والناحية،**

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 257).

فعليكم بالجماعة والألفة والعامة والمساجد، وإياكم والشعاب»[1]، رواه الطبراني والسجدي في «الإبانة» عن معاذ، وعنه ﷺ: «من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد»[2] رواه ابن قانع، والدارقطني في «الإفراد»، وأبو نعيم في «المعرفة» عن أسامة بن شريك.

(مُتَوَسِّلِين إِلَيكَ) أي: متقربين إلى جنابك، طالبين راغبين.

(فِي قُبُولِنا): لاقترابك، والقبول: الإثابة على العمل الصحيح، أو الرضا مع ترك الاعتراض دون تجريح، وقبول السيد لعبده أن يمنحه خالص رفده، وأن يُسعده بقربه بعد بعده، ووده بعد صده، وأن ينشقه طيب نده، فيدرك أنه بده اللازم، فيلزم باب بده في سره وجهره، وخطاله وعمده، ويقف عند رسمه وحده في هزله وجده.

(مُتَشَفِّعِين إِلَيكَ)، أي: راغبين إليك متوجهين، (فِي غُفرَانِ)، أي: ستر ومحو، (ذُنُوبِنا): جمع ذنب، قال في «القاموس»: والذنب: الإثم، وجمعه ذنوب، وجمع جمعه ذنوبات، انتهى.

وسيأتي الكلام على الذنوب قريبًا عند قولنا: (فَلا تَرُدَّنَا) أي: فلا تصرفنا عن بابك بخيبة ولا نظر طرف يصرفنا بعيبة، فإنك لا ترد السائلين، وكرمك يقتضي قبوله شفاعة الشافعين، وقد أتيناك تجمعنا الساعة قاصدين القيام بالسمع والطاعة، واجمع قل أن يخلو من مقبول الشفاعة، مرضي الابتهال والضراعة، ولقد حُكي بطريق الإشاعة أن أهل الجمع في عرفات الرابح البضاعة، ربما عممهم القبول بشفاعة أُشيعت لغير من ذوي القناعة، والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه أولي الشجاعة، والنسان حال الانفراد قصير الذنوب ظلامها إراعة، ويمتد إذا وجد المعين النصير، وفقد النفس النساعة، لا سيما إذا دعا لغيره بقلب خالص من القباحة والشناعة، وسرٍّ خالص عن التفويت لأوقات المرات والإضاعة، والمؤمن للمؤمن كالبنيان قادم إتقان هذه الصناعة، جاء في الحديث الشريف، عن نُورِ نَوَّرَ كل مبصر وكفيف: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا»[3]، وفي

---

(1) رواه أحمد (5/ 232)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 164).

(2) رواه الترمذي (4/ 465) بنحوه، ورواه النسائي (5/ 387).

(3) رواه البخاري (1/ 182).

رواية: «**المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسه اشتكى كله، وإذا اشتكى عينه اشتكى كله**»(1)، وفي أخرى: «**المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان، كما يألم لِمَا في الرأس**»(2)، ورب قائل يقول: وهل يطلب أهل العصمة والحفظ الإلهي مغفرة ذنوب لا وجود لها؟ الفضل ما له تناهي، فيقال له: يطلبون محوها؛ إذ لو كانت أيها الساهي.

قال القاضي البيضاوي: من ليس له مضاهي عند قول مولانا الآمر الناهي: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2] جميع ما فرط منك، مما يصح أن تعاقب عليه، انتهى.

وعنه ﷺ: «**اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها**»(3)، أي: لو كانت، فسؤال القبول والمغفرة، ولو من معصوم؛ إظهارًا للعبودية وقيامًا بحق الحي القيوم، عين الكمال وزين الجمال، وتعليمًا، وإرشادًا، وإسعافًا للأمة، وإسعادًا.

جاء في حديث ابن عمر ﷺ: «**كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي، وتب عليَّ، إنك أنت التواب الرحيم**»(4)، والذنوب على أقسام:

عامة: وهي الوقوع في المعاصي والمخالفات.

وذنوب **خاصة**: وهي صدور غفلات عن الحق مُتْلِفَات.

وذنوب **خاصة بخاصة الخاصة**: لا تدركها عقول مكلفات.

قال سيدي عمر بن الفارض ـ قدس الله سره العزيز: ولو خطرتْ لي في سواك إرادة على خاطري سهوًا، قضيت بردتي.

وسأل بعض الأشخاص رجلاً له في الحقيقة أشخاص عن كيفية السجود السهو، فقال: هو عندكم سجدتان وتسليمه، وعندنا ضرب العنق للغفلة الوخيمة، ولما لم يكن في وسع البشر دوام الحضور من غير تخلل فترة وقصور، سامح الحق ـ سبحانه وتعالى ـ من لم

(1) رواه مسلم (4/ 2000) بنحوه، ورواه أحمد (4/ 271).

(2) رواه أحمد (5/ 340).

(3) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (10/ 112).

(4) رواه أبو داود (2/ 85).

يقدر على ذلك من كل سالك، وإلى ما هنالك أشرت في الألفية بقولنا:

لا يمكـــن الحـــضور بالمجمـــوع عـــلى الـــدوام وَهْـــوَ كالممـــنوع

إلا لأفـــــراد كالأنبـــــياء وكمـــل بعـــض مـــن الأولـــياء

ووجه الناس بين هذا التوسل والذي بعده أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لما سأل على لسان الأمة القبول، وغفران الذنوب التي تمنع الوصول، ناداه لسان التعرف الإلهي: إذا لم أفعل بكم ما سألتم، ولم أعطكم ما طلبتم، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نرضى ونقول:

قال المصنف:

(حرف الكاف)

[إِلهِي كَفَانَا شَرَفًا أَنَّنَا خُدَّامُ حَضَرَاتِكَ وَعَبِيدٌ لِعَظِيمِ رَفِيعِ ذَاتِك].

قال الشارح: (إِلهِي كَفَانَا شَرَفًا أَنَّنَا خُدَّامُ حَضَرَاتِكَ) التي بحرها مهول (وَعَبِيدٌ لِعَظِيمِ رَفِيعِ ذَاتِك) التي تحير واصفها، فلا يدري ما يقول، (إِلهِي كَفَانَا)، أي: أقنعنا وأغنانا، (شَرَفًا)، أي: علوًّا ورفعة أو ارتفاع وسائط؛ لأن الشرف في الاصطلاح عبارة عن ارتفاع الوسائط بين الشيء ومُوجِده، أو قلتها، وكلما كانت الوسائط بينه وبين الحق تعالى، وأحكام الوجوب على أحكام الإمكان فيه أغلب، كان أشرف، ذكره الشيخ القاساني في «التعاريف».

(أَنَّنَا): معاشر الحضار والموحدين، (خُدَّامُ): جمع خادم؛ قال في «القاموس»: خدمه يخدمه خدمة وبفتح: فهو خادم، وجمعه: خدام، وهي خادم، وخادمة، واختدم: خدم نفسه، واستخدمه كخدمة أسبوعية خادمًا، فوهبه له انتهى.

(حضراتك) العلية التي من خدمها خدمته العوالم الملكية والملكية؛ إذ من أطاع الله وخدمه بحسب الاستطاعة والإمكان، طوّع له الأشياء واستخدم له صحائب الأكوان، «وفي كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق» للمناوي: يقول الله للدنيا: شُدِّي على أوليائي، ووفر فيهما، للديلمي في «مسند الفردوس»: ومحتمل الأمر بمرورها عليها للخدمة، والتفقد لأحوالهم، أو المرور من غير وقوف عندهم؛ لأنه لا يرضاها لهم بل يحميهم منها، كما في الحديث: «إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا، وهو يحبه، كما تحمون مريضكم

الطعام والشراب تحاقون عليه»[1]، ويمكن أن يقال: إن الحمية تقع للمبتدئ، والخدمة للمنتهي.

وقلت في «الألفية»:

وخادم الحق له الحق خدم لا سيما إن كان ثابت القدم

وفي «الحكم العطائية» ذات الخصائص العطائية: «قومٌ أقامَهُم الحقُّ لخدمَتِهِ وقومٌ اختَصَّهُمْ بمحبَّتِهِ: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:20]»[2]، انتهى.

والخدمة، وإن كانت من جملة الأسباب التي تتصل بها من الإنسان الأنساب، فإن المحبة فوقها؛ إذ هي عروة وثقى، وذروة شاهقة.

قال: إن ترقى فكل محب لمولاه خادم، وليس كل خادم محبًا على المراضي قادم، فأهل الخدمة أبرار وهم الأطوار تصادم، وأهل المحبة أخيار كل منهم لحبيبه يُنادم، وكفانا شرفا

---

(1) رواه أحمد (5/ 428).

(2) قال الشيخ ابن عجيبة: العباد المخصوصون بالعناية على قسمين: قسم: وجههم الحق لخدمته وأقامهم فيها، وهم أنواع: فمنهم من انقطع في الفيافي والقفار لقيام الليل وصيام النهار وهم العباد والزهاد ومنهم من وجهه الحق لإقامة الدين وحفظ شرائع المسلمين، وهم العلماء والصلحاء ومنهم من أقامه الحق لنصرة الدين وإعلاء كلمته، وهم المجاهدون في سبيل رب العالمين، ومنهم من أقامه الحق لتمهيد البلاد وتسكين العباد وهم الأمراء والسلاطين. وقسم: أقامهم الحق لمحبته واختصهم بمعرفته، وهم العارفون الكاملون سلكوا سواء الطريق ووصلوا إلى عين التحقيق، وبينهما فرق كبير؛ لأن أهل الخدمة طالبون الأجور، وأهل المحبة رفعت عنهم الستور أهل الخدمة يأخذون أجورهم وراء الباب، وأهل المحبة في مناجاة الأحباب أهل الخدمة مسدول بينهم وبينه الحجاب، وأهل المحبة مرفوع بينهم وبينه الحجاب، أهل الخدمة من أهل الدليل والبرهان. وأهل المحبة من أهل الشهود والعيان، أهل الخدمة لا تنفك عنهم الحظوظ، وأهل المحبة تصب عليهم الحظوظ أهل الخدمة محبتهم مقسومة، وأهل المحبة محبتهم مجموعة، فلذلك دام أهل الخدمة في خدمتهم، ونفذ المحبون إلى شهود محبوبهم، فلو تركوا الحظوظ وحصروا محبتهم في محبوب واحد لنفذوا إلى محبوبهم وشهدوه ببصر إيقانهم واستراحوا من تعب خدمتهم، ولكن حكمة الحكيم أقامتهم في خدمتهم فوجب تعظيمهم في الجملة، ولا يلزم منه عدم تفضيل أهل المعرفة والمحبة عليهم.

أننا عبيد لعظيم رفيع ذاتك، الملتجئين لحرم آمر صفاتك، ويحق لنا أن نزهو بهذه النسبة ونطيش، وإنا إذا سمعنا مَنْ ينسبنا إليها أن نموت فلا نعيش.

يُحكى أن عتبة الغلام زهى يومًا من الأيام، وجعل يتبختر في مشيته؛ لأنه رأى بعض عبيد السلطان يمشي كذلك، فقيل له: أتزهو يا عتبة؟ فقال: كيف لا أزهو وقد أصبح لي ربًا وأصبحت له عبدًا؟

وسمعت بعض الأعيان أن شيخًا قال لتلميذه ـ وقد خالفه في حين من الأحيان: أما تخشى أن أسلبك ثوب الإيمان؟ فقال: يا سيدي، أتقدر أن تسلبني طوق العبودية للرحمن؟ قال: لا، قال: يكفيني ذاك إذا قبلني الديان، وما معناه من كلام له معان وعليه لمعان، فالعبودية طوقها لا ينزع، وصاحبها آمن لا يجزع يوم الفزع، ولم تتمحض العبودية في أحد مثل خير البرية، وكذلك لأنتم تمحضها بالنسبة في كل إنسان من أهل الخسران والرجحان، كتمحضها للقطب في كل زمان؛ لأن رحاها تدور عليه في كل آن، وهذا يدعى بعبد الله من حيث الرتبة لا الجسمان، فليس أي عبد كان يُسمى بعبد الرحيم والرحمن، بل من شرب من عين الرحمة الفائضة من عرش الاستواء المصان، المسمى بالعظيم أو المتدفق من العرش الكريم، شرب تخلق بالرحمة على كل حادث عديم، تسمى بعبد الرحمن وعبد الرحيم، وقس على هذا التعبد كبقية الأسماء أيها الأخ الحميم، والعبد كل العبد من لا يغفل عن مولاه طرفة عين، ولو عند معاينة تلف العين بثين أو حين، فإن العبد الكلي المخلص من شوائب الشين، والمخلص الذي خلص من جانب العين، لا يشغله عن مطلوبه ذهاب روح، يمس بها بخل، فإن شهوده أنساه وجوده، وتخل دقيق صفاه من سبعة مناخل، جاء في الحديث الشريف، عن صاحب الظل الوريف أن الله تعالى يقول: «**إن كل عبدي الذي يذكرني، وهو ملاق قرنه**»[1]، أي: عدوه المقارن المكافئ له، فلا يغفل عنه حال الهلاك؛ لغيبته بلذة ذكره عن المالك والأملاك، والهلاك والإهلاك، فهذا العبد الذي بأنفاسه وراء الأفلاك، وتنور بنبراسه الأحلاك، وقد سبكت هذا التوسل سبكًا عاليًا على نظم الدر في الأسلاك، وهو شعر:

كَفَانَا سَيِّدِي مُتْرَفًا ... بِأَنَّا مِنَ الخَدَمِ فِينَا تُحِبُّ

(١) رواه الترمذي (5/ 570).

فَإِنَّـــكَ وَإِنَّـــا غَارِقُــــونَ بِبَحْـــرِ فَـضْلِ عَـبِيدٍ عَـدُوِّ الـرَّفِيعِ ذَاتَــكَ

ووجه المناسبة بين هذا التوسل وبين الذي يليه، أن مُنْشِئَهُ لما اعترف بأنه من خدام بارئه الذي يُميته ثم يُحييه، والخادم لا يراح له عن باب مخدومه، فكيف بقيومه؟ فلو قصد مثواه، لضلت به السبيل وتاه، ولو بغير اسمه زمزم وفاه؛ لملأ من يهواه شراب الاشتباه فاه، فلذا قال، إذ نال الانتباه.

قال المصنف:

(حرف اللام)

[إِلَهِي لَوْ أَرَدْنَا الإِعْرَاضَ عَنْكَ مَا وَجَدْنَا لَنَا سِوَاكَ فَكَيْفَ بَعْدَ ذَلِكَ نُعْرِضُ عَنْكَ إِلَهِي لُذْنَا بِجَنَابِكَ خَاضِعِينَ وَعَلَى أَعْتَابِكَ وَاقِفِينَ فَلا تَرُدَّنَا يَا عَلِيمُ يَا حَكِيمُ].

قال الشارح: **(إِلَهِي لَوْ أَرَدْنَا)** لو: حرف امتناع لامتناع.

(الإِعْرَاضَ)، قال في المختار: والإعراض عن الشيء الصَّدُّ عنه، انتهى.

(عَنْكَ)، أي: عن أبوابك الشامخة السامية الباذخة، أو التعلق برحماك، والتخلق بأسمائك، أو عن الطلب من فضلك، والرهب من عدلك، **(مَا وَجَدْنَا)** أي: ما أدركنا.

قال في «القاموس»: وجد المطلوب كوعد وورم يجده، ويجد بالضم.

قال في «المختار»: ولغة عامرية، فمن لا نظير لها، وجد، أوجد، أو جودًا، أو وجدانًا، واجدانًا بكسرهما أدركه، انتهى.

(لنا مولى يقضي لبانات على أنوال الصدور تحاك **(سِوَاكَ)**، يا من لا تدركك الأبصار منا، ولا تراك، والموجود الذي من طلبه وجده متفردًا في ملكه بدون تنازع اشتراك)، ورد عن سيد أهل الموارد من كل صادر عن المنهل ووارد: «**اللهم إنك لست بإله استجددناه، ولا برب ابتدعناه، ولا كان قبلك من إله نلجأ إليه ونذرك، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشركه فيك، تباركت وتعاليت**»[1]، رواه الطبراني عن صهيب.

(فَكَيْفَ بَعْدَ ذَلِكَ)، أي: بعد إرادة تقدير الأعراض، وفقدان الوجدان، والتحقق والعيان، **(نُعْرِضُ عَنْكَ)**، أي: عن قربك الأسنى، وشرب شرابك إلا هنى، وقد جاء

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير (8/ 34).

الحق وزهق الباطل، ووضح أن جِدّ مَنْ يحيد عن بابك عاطل، والواجب على عين لم تر الحاجب أن لو تنسب مالكها في أبعادها أن تلزم باب مرادها ليوم معادها، وأن ترضى بكل ما يجري به القضاء.

يحكى عن شخص، أنه سمع برجل في الحرم اشتهر بالولاية بين الرجال والحرم، قال: فجاءه وهو يطوف، فلما قال: لبيك، سمعت مناديًا يقول: لا لبيك ولا سعديك، قال: فقلت: خابت سفرتي في رؤية رجل مطرود، فرفع رأسه وقال: يا أخي اسمع ما سمعت أربعين سنة، وهب أنه طردني عن بابه، فإلى باب من ألتجئ سواه؟ وعزّتك لا أبرح عن بابه، فإذا أردنا فتحنا لك الباب وأدخلناك مع الأحباب.

وقيل: (تعبّد رجل من بني إسرائيل سبعمائة سنة، فأوحى الله إلى دانيال عليه السلام: قل لفلان تعبد ما شئت، فإنك من أهل النار.

فلما قال له ذلك قال: مرحبًا بحكم ربي، ثم قال: إلهي عبدتك، وأنا أظن أني لا أزن عندك قليلاً ولا كثيرًا، فإذا أنا أصلح لنارك وعزتك وجلالك ما زادني هذا إلا حبًا وتلهفًا، فأوحى الله تعالى إلى دانيال عليه السلام: أن قل لعبدي المستحق لولائي بالصبر والرضا رضيت مني بأصعب حكم وقضاء، وعزتي وجلالي لو ملأت ذنوبك الأرض والسماء لغفرتها لك، ولا أبالي).

فانظر كيف أينعت ثمرة الرضا بالقضاء وأطعمت فواكه عفو ملأ نورها الغضى، فالصبر يصحبه الظفر، والرضى يكسي جلباب الوقار والخفر، ويقترن معه الرضا من حبيب حبه آمنًا.

قال السيد الأكرم ﷺ: «من رضي عن الله رضي الله تعالى عنه»[1] رواه ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها.

وقلت: سابكًا هذا التوسل في بيتين أجنحتهما رائشة:

إلهي عنك لو قيلا أردنا ... سواك لنا وحقك ما وجدنا

فكيف بعيد ذا للغير نصبوا ... إليك من السواء مولاي اهدنا

---

(1) ذكره العجلوني (2/ 358).

ولما أخبر المؤلف ـ سامحه الحميد الرشيد ـ أن إرادة الأعراض لا تفيد العبيد؛ إذ ليس لهم إلا الولي المريد، وأن لا منجا، ولا ملجأ من الله إلا إليه دون ترديد، ولا ملاذ ولا عياذ ولا اتكال إلا عليه، ولا عنه محيد، ناسب أن يقول: **(إِلٰهِي لُذْنَا)** أي: استترنا، وتحصَّنا.

قال في «المختار»: لاذ به لجأ إليه، وعاذ به وبابه، قال: انتهى.

وفي الحديث: «**من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ**»[1] وفيه: «**أنت ملاذي، فبك ألوذ، وأنت عياذي فبك أعوذ**»[2].

(بِجَنَابِكَ) أي: بعظمتك أو بغنى عزك، الذي من لجأ إليه من العبيد فقد آوى إلى ركن شديد، وحصن حميد مشيد.

قال في «القاموس»: والجناب: الغنى والرحل، انتهى. وقيل: علمٌ على جبل عرفات، وفي المثل: لجأ إلى جناب الله في جناب، أي: إلى عظمة الله في عرفات.

ويُقال: أخصب جناب القوم، أي: ناحيتهم، انتهى.

وفي «تهذيب الصحاح»: والجناب: الفناء، أو ما قرب من محله القوم، والجمع أجنبة، انتهى.

(خَاضِعِينَ)، أي: حال كوننا ذليلين لعزتك، مستكينين لعظمتك.

قال في «المصباح»: خضع له يخضع خضوعًا: ذلَّ واستكان، فهو خاضع، واختضعه الكفر: أذله، والخضوع قريب من الخشوع، إلا أن الخشوع أكثر ما يستعمل في الصوت والبصر، والخضوع في الأعناق.

وقال في «المختار»: والخضوع التطامن والتواضع، تقول: خضع يخضع بفتح الضاد فيهما، خضوعًا، واختضعتني إليه الحاجة، ورجل خُضَعَة بوزن همزة: يخضع لكل أحد، انتهى.

(وَعَلَى أَعْتَابِكَ وَاقِعِينَ)، أي: ساقطين عليها، هابطين لديها، حاطين ثقل أمورنا فيها، وبين يديها، خاطين بأقلام الأعلام: نيل المطالب أوجبت السعي إليها، قائلين مقالة

---

(1) رواه أحمد (1/ 66).

(2) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (9/ 80).

عارف، خلع العذاب تيهًا قابلين بها، نسقي شربيات صافيها، من حظٌ ثقل أموره في باب مالكه استراح، إن السلامة كلها حصلت لمن ألقى السلاح، وأنشد القطب سيدي محمد البكري ذو الشراب البكري طيب الله ذكره وبه ذكرى:

مَا خَابَ مَنْ لَازَمَ الأَعْتَابَ مَا خَابَا وَيَا خَسَارَ الَّذِي عَزَّ بَابُهم غَابَا

وَلَيْسَ مَنْ قَامَ بِي أَعْتَابَ سَيِّدِهِ فِي القَلْبِ إِلَّا قَرِيبًا نَالَ أَرْبَابَا

......إلخ.

وله في مطلع قصيدة روح الله روحه الذاكية السعيدة:

دَعْنِي أُزَاحِمُ فِي أَعْتَابِ سَادَاتِي يَا فَرْحَتِي بِمَا. هُنَا حَظِّي وَلَذَّاتِي

وَأَيُّ وَقْتٍ أُرَى فِيهِ بِبَابِهِمْ وَحَقِّهِم ذَاكَ عِنْدِي خَيْرُ أَوْقَاتِي

..إلخ.

(فَلا تَرُدَّنا) بخيبة وكآبة، ولا تحرمنا من فضلك الإثابة، إذ كرمك يقتضي ألا ترد قاصدًا ولا تصدَّ راصدًا، فإنك الكريم الجواد الذي يعطي النوال قبل السؤال، فكيف تمنع فقيرك السؤال.

قال سيدي علي أبو الحسن الشاذلي الولي الكبير في «حزبه الكبير»: فليس كرمك مخصوصًا بمن أطاعك وأقبل عليك، بل هو مبذول بالسبق لمن شئت من خلقك، وإن عصاك وأعرض عنك، وليس من الكرم ألا تحسن إلا لمن أحسن إليك، وأنت المفضال الغني، بل من الكرم أن تحسن لمن أساء إليك، وأنت الرحيم العلي، كيف وقد أمرتنا أن نحسن لمن أساء إلينا، فأنت أولى بذلك منا.

نقل السفيري ـ رحمه الباري ـ في «شرحه على البخاري»: قيل إن موسى عليه السلام قال في بعض مناجاته: يا رب، فقال الله تعالى: لبيك يا موسى، فقال موسى عليه السلام: يا رب أنت أنت فمن أنا حتى أجاب بالتلبية؟ فقال: يا موسى إني آليت على نفسي ألا يدعوني عبد من عبادي بالربوبية إلا أجبته بالتلبية، فقال موسى عليه السلام: يا رب هذا لكل عبد طائع؟ قال: ولكل عبد مذنب، قال: يا رب، أما الطائع فبطاعته، فما بال المذنب؟ فقال الله تعالى: يا موسى إني إذا جازيت المحسن بإحسانه وضيعت المسيء لإساءته، فأين جودي وكرمي؟ لا سيما والعبد قد بَسَطَ بُسُطَ الرغب، وأكفى الطلب، ولسان الأدب علمًا بمواقع نجوم

الرهب، والفرق بين العالي والمنخفض من النسب، والمميز بين مرتبة المسبب والسبب، وقرب إليه المنقلب).

جاء في الخبر عمن عرفنا ما وجب، وصرفنا عما حجب: «**ما رفع قوم أكفهم إلى الله تعالى يسألونه شيئًا إلا كان حقًّا على الله أن يضع في أيديهم الذي سألوا**»[1]، رواه الطبراني عن سلمان.

(**يَا عَلِيم**): قال الإمام البيهقي في «دقائق الإشارات»: ومنها العليم، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:26] ومعناه المدرك لما يدركه المخلوقون بعقولهم وحواسهم، وما لا يستطيعون إدراكه من غير أن يوصف سبحانه بعقل أو حس، وذلك راجع إلى أنه لا يعزب عنه ولا يعجزه شيء كفاقة العقل والحس من المخلوقات، ومعناه أنه لا يشبههم سبحانه، ولا يشبهونه.

قال الخطابي: العليم: العالم بالسرائر والخفيات، التي لا يدركها علم الخلق، وجاء على: فعيل؛ للمبالغة في وصفه بكمال العلم.

وقال أبو العباس، أحمد بن محمد القمولي، في «الدرة الحسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: ورد في القرآن: قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 32].

ورد في رواية الترمذي في «بيان الأسماء»: وعليم: صيغة مبنية للمبالغة من عالم، فهو دال على كثرة تعلق علمه بالمعلومات، فإن معلوماته كثيرة غير متناهية، فإن العلم صفة لازمة له، ففاعل دال على أصل الصفة، وفعيل على لزومها وكثرة متعلقاتها، ولا يحمل ذلك على كثرة العلوم، فإن علمه تعالى واحد وإن كثرت متعلقاته، والكلام فيه كالكلام في عالم، وقد تقدم خط العبد منه أن يبالغ في تحصيل العلم، فقد روى التميمي في «جواهر الكلام» قال: إنه ﷺ قال: «**إن الله أوحى على خليله إبراهيم: إني عليم، أحب كل عليم**»[2]، انتهى.

وقال سيدي محمد القونوي ﷺ في «شرح الأسماء»: العليم: بكثرة معلومات العالم، بآحدية نفسه، العلام بالغيب.

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (5/ 447).

(2) ذكره الغزالي في الإحياء (1/ 6).

اعلم: أن العلم هو التعلق الخاص بعين العالم، وهو نسبة تحدث لذات العالم من المعلوم، وعند أهل الكشف خلافًا لأصحاب النظر، فإن العلم بالمحال لا يؤثر في المحال من ذات العالم ولا علمه، بل بالمحال يعطيه العلم بأنه محال، وإيجاد أعيان الأكوان، ثبت عن القول شرعًا وكشفًا، وعن القدرة شرعًا وعقلاً، لا عن العلم، كتعلق العلم بظهور المعلوم وعدم ظهوره سرًّا؛ لأنه تعلق بظهور الموجود عند ظهوره، كما تعلق بعدم ظهوره قبل ظهوره.

والعلم إما ذاتي - وهو علم الحق - وإما موهوب، وهو ما لا يخطر بالبال، ولا للاكتساب فيه مدخل، وهو علم الإفراد، يخص به الحق من يشاء من عباده، كما اختص به الخضر عليه السلام برحمة من عنده، حتى كان الكليم، مع جلالته، يستفيد منه، وطريق تحصيل ذلك العلم معرفة الوجه الخاص، فإن لكل موجود في علم الحق وجهًا خاصًا إلى موجده، به يتجلى الحق له، فيحصل له من العلم به ما لم يعلمه غيره، سواء علم ذلك الموجود أن له وجهًا خاصًا، وأن له من الحق علمًا من ذلك العلم، أو لم يعلمه، وتفاوت درجات الأولياء وتفاضلهم بحسب تفاوتهم في معرفة ذلك الوجه، وأما العالمون من عالم الأمر، الذين هم سكان حضائر القدس، فما لهم سوى الوجه الخاص، فهم المهيمون في جمال الحق وكبريائه، وكذا قيل لا التفات للعلويات إلى السفليات، وأما المكتسب فهو ما يحصل بالممارسة والتعليم، والداخل في هذه الحضرة إما أن يكون: ذائقًا من طريق التقوى أو ناظرًا من طريق القوة الفكرية، فصاحب الذوق هو العالم بالله تعالى وله مقامات، فإنه إما يختص بعلم يكون متعلقه نسبة العالم إلى الله تعالى، وإما متعلقه نسبة الحق إلى العالم والأسماء، وإما علم بارتفاع النسبة بين العالم والذات، وإثباتها بين العالم والأسماء، وإما علم بإثبات النسبة بين العالم والذوات، كالقول بالعلة والمعلول.

وإما علم بالصورة التي خلق عليها الإنسان الكبير، وإما علم بالصورة التي خلق عليها الإنسان الصغير، فالعلوم كثيرة ولكل علم أهل، فمن دخل الحضرة العلمية بالفكر والنظر فإنه ينال منها على قدر ما يقضي طوره، ومن دخلها ذوقًا من طريق التقوى فقد حاز الكل وفاز بالكل، انتهى.

وقال سيدي عبد الكريم الجيلي في «كمالاته الإلهية»: اسمه العليم تعالى: هو الذي

علم ماهية الأشياء كما هي عليه، مجملاً ومفصلاً، وسيأتي بيان الفرق ما بين اسمه العليم، واسمه الخبير عند ذكرنا تفسير اسمه الخبير إن شاء الله تعالى.

وقد تحدثنا في الفرق بين اسمه العليم والعالم في كتابنا الموسوم بـ«الإنسان الكامل»، فإذا أردت معرفة ذلك فطالع هناك.

واعلم أن هذا الاسم صفة، وصفته العلم، وهو عبارة عن تجلٍّ إلهي إدراكي، فيه أوجد الله تعالى أعيان الخلائق على حسب ما اقتضاه ذلك التجلي، فعلمه تعالى بالأشياء على حسب ما اقتضاه شأنه القديم، خلافًا للإمام محيي الدين بن العربي، فإنه قال: إن الحق إنما أعطته المعلومات العلم بها، ونحن نقول: إن المعلومات إنما تعينت في العلم على حسب ما أعطته الشؤون الذاتية الأولية، التي هي أم الكتاب، والعلم القديم الإلهي هو مظهر لتلك الشؤون، فافهم.

والذي قاله سيدي محيي الدين بن العربي في علم الله بالأشياء إنما نقوله نحن في اتخاذه لها، فنقول: إن الحق أوجد الأشياء على حسب ما اقتضاه أم الكتاب، فعلمه غير مستفاد من مخلوق -تعالى الله عن ذلك- ولقد سهى الإمام في هذه المسألة سهوًا قطعيًّا، فجعل علم الله مستفاد من الأشياء، ولو كان كما ذكر لم يصح له الكمال المطلق؛ لاحتياجه في علمه إلى معلوماته، وتعالى الله عن ذلك.

وقد ذكرنا هذه المسألة بعينها في «الإنسان الكامل» بأبسط من هذه العبارة، وأوضح من هذه الإشارة، وعبارته فيه: واعلم أن العلم صفة نفسية أزلية، فعلمه ـ سبحانه وتعالى ـ بنفسه وعلمه بخلقه علم واحد غير منقسم ولا متعدد، ولكنه يعلم نفسه بما هو له، ويعلم خلقه بما هم عليه، ولا يجوز أن يقال إن معلوماته أعطته العلم من نفسها؛ لئلا يلزم من ذلك كونه استفاد شيئًا من غيره.

ولقد سهى الإمام محيي الدين بن العربي ﷺ حيث قال: إن معلومات الحق أعطته العلم من نفسها، فلنعذره، ولا نقول كان ذلك مبلغ علمه، ولكنا وجدناه ـ سبحانه وتعالى ـ بعد هذا العلم بعلم أصلي منه، غير مستفاد مما عليه المعلومات فيما اقتضته بحسب حقائقها، غير أنها اقتضت في نفسها ما عَلِمَها سبحانه عليه، فحكم لها ثانيًا بما اقتضته من نفسها، لا أن علم الحق مستفاد من اقتضاء المعلومات، فأعطت الحق العلم من نفسها،

وفاته أنها إنما اقتضت ما علمها عليه بالعلم الكلي الأصلي النفسي قبل خلقها وإيجادها، فإنها ما تيقنت في العلم الإلهي الا بما علمها عليه، فليتأمل؛ لأنها مسألة لطيفة ولو لم يكن الأمر إلا بما اقتضته ذواتها بعد ذلك من نفسها أمورًا هي عين ما هي عليه، أو لا، فحكم لها ثانيًا بما اقتضته، وما حكم لها إلا بما علمها فليتأمل؛ لأنها مسألة لطيفة، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يصح له في نفسه الغنى عن العالمين؛ لأنه إن كانت المعلومات أعطته العلم من نفسها، فقد توقف حصول العلم له على المعلومات، ومن توقف وصفه على شيء كان مفتقرًا إلى ذلك الشيء في ذلك الوصف، ووصف العلم له وصف نفسي، فكان يلزم من هذا أن يكون في نفسه مفتقرًا إلى ذلك الشيء، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقد بحث معه سيدي صفي الدين أحمد بن محمد القشاشي المدني ﷺ في شرحه لمشكلات الكتاب، وأيد كلام سيدي محيي الدين، وحقق أنه الصواب، ورد عليه كلامه بكلامه فانفسح غمام الارتياب، وارتفع ظلام الحجاب، ورد عليه الشيخ أبو المحاسن حسن بن عبد الله الحموي في كتابه «الشموس المضيئة في الكشف عن الحكم الإلهية»، فقال: فمن تعلق من الأولياء باسم دون اسم، فهو يفرد عينًا لا يرى غيرها، كبعض كمل الأولياء؛ حيث قال عن خاتم الولاية: إنه سهى، وأنه ظفر بما لم يظفر به الشيخ، فهو معذور في ذلك؛ لضعف ذوقه عن مشهد الحقيقة ونفيها مجازًا عبَّر وما هو هو، فلو نفى ونزَّه ورآه بعين التنزيه، وأثبت وشبه ورآه بعين التشبيه، كان له عينان يرى نفسه بهما، إنه حق خلق، وهو العين الواحدة، ونظر بهما فنظر وما نظر، ثم عبس وبسر، فلم يستطع أن ينكر، فقال: إن الشيخ ظفر، وفاته أكثر مما ظفر، والعجب في قوله: ولقد ظفر بما ظفر ثم عثر؛ حيث صدمته تجليات الحيرة، فرجع مقهقرًا، مستندًا إلى الدليل، فقال: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص:٦٨]، وأطال في الرد وزاد في الحد، ورأيت بخط شيخنا ذي المقام السني سيدي الشيخ عبد الغني على هامش نسخته «الكمالات الإلهية»، حاشيته سنية بهية، قال فيها بعد تحقيق بالذكر: حقيق ما ملخصه أن الشيخ محيي الدين كلامه من المقام الذاتي، والشيخ الجيلي كلامه من المقام الصفاتي، والذائقون أعلا من الصفائيين، وفوق كل ذي علم عليم، انتهى.

ورأيت كتابة للشيخ حمزة من بين أم الكردي الكوراني، نزيل دمشق الشام، أنيل

التهاني، قال في آخرها بعد انتصاره للمحيوي بحر العلم رادًا على الجيلي: وهذا مبلغه من العلم، فذكرت لشيخنا الشيخ قاسم بن سعيد المغربي عدم استحساني رده؛ لأنه غير موافق في الاعتقاد لمشربي، فأخبر أن المذكور أخبره أن هذا الرد بعد ما نسخ من ناس كثير: رأى في منامه رجلا شريفًا مهيبًا، ذا وجه منير، جالسًا على كرسي رفيع كبير، قال: فسألت عنه، فقيل: إنه الجيلي الحقير، فتقدمت لأقبل يده، فلما رآني مقبلا صعد سلمًا طويلاً، فصعدت خلفه وأردت تقبيل يده، فامتنع من إعطائها، فاستيقظت مرعوبًا، وذكرت ما وقع مني فمزقت للرد، واستغفرت وتبت، ولكن لم يسعني تمزيق ما كتبت منه، انتهى بما هذا معناه.

وأخبرني صديقنا المرحوم الأمجد الأكرم الشيخ إبراهيم بن الأكرم، خادم مرقد الشيخ الأفخم الأكبر سيدي محيي الدين، قدس الله سره الأعظم الأبهر: أن ابن عمه الشيخ أحمد أراد «عينية الجيلي» الهمام، فرأى في المنام جناب الشيخ الإمام، وقال له: لم لا تفعل؛ فإنه رمانا بثلاث حصيات.

قلت: **الأولى** رده عليه في باب العلم السابق سره من الإنسان لكل إنسان، **والثانية** في باب الإرادة، **الثالثة** في باب القدرة، فافهم إن كنت مرادًا مراد الشيخ ومراده، ولا تعجل بالرد على السادة؛ فإن العجلة من الشيطان، فانظم منثور القلادة، واجمع موفقًا بين كلماتهم تكن موفقًا للحق، والحق زاده جامع بين كيمياء السعادة وسمياء السيادة في الغيب والشهادة، واكسر هناك الوسادة لتحصيل الإفادة، فليس الرجل من يزيف كلام الرجال أعلام الإجادة، إنما الرجل من يحمله على المحامل الحسنة، ويرفض هواه ويلحظ معاده، ويلزم نفسه الأدب مع أهل الله تعالى، فافهم الأئمة القادة، واعلم أيها الأخ ـ رزقنا الله وإياك أدبًا له الشارع مع أهل عباده ندبًا- أن أهل العرفان في أطوار التجليات يتقلبون؛ لاختلاف فنون الفنون عند من فتحت منه العيون، فتارة في بحر مشهد الذات يسبحون، فيتكلمون بما منه يلمحون، وآونة في بر الصفات يسيحون، فليفرقوا سرها وقتًا وأخر يسبحون، وطيور الأفعال يكشطون الغيون، وفي ساعة يجمعون بين التشبيه والتنزيه المصون وأخرى يفرقون، فيتكلم الواحد منهم الواجد عن وجد وشوق مضنون، ويشرح؛ إذ يشرح في كل مقام بما يقتضيه سره المخزون، فيظن من رأى في تنزله أنه خالف

ما علم المحققون، وما ثم خلاف؛ إذ كل قول في مقامه سلاف ودر مكنون، وهكذا إذا رد العارف على مثله فإنما يرد من مقامه الذي هو فيه يكون؛ لأنه لم يدرك ما أدركه غيره من أهل الشحون والسكون، لا سيما الجيلي الشارب من يم التحقيق والسارب في تلك الخصون، فلا نشك أنه مذاق مذاق الشيخ، وساق مساقه بكشف مأمون ورشف ميمون، وكل من غلب مشهدًا نسب إليه، وإن كانوا في غيره يتنعمون يتدللون للأدنى ويتعلون، وأهل الدوائر الكبرى ففي المشهد الذاتي مخيمون، وفي عظيم تجلياته مهيمون، منهم الجيلاني، والشاذلي الرناني، والمجيوي، والجيلي، وأضرابهم أهل الصفا والحجون، فإذا عرفت أن الرد لغلبة حكم تجلٍ كمرهف مستون على تجلٍّ إلهي، له في الغيب ظهور وبطون، فلا يسوغ إذًا تفويق سهام اعتراض على مخلص من حبائل أعراض وأغراض يتجلى بها الدون؛ لأن إطلاق اللسان في أهل هذا الشأن لصاحبه شأن، وهو المغبون، فالتسليم آسلم عند من استسلم وسلم القوسَ بارئها؛ ليهون عليه حزن كل كمون، فحقق في هذا الكلام تكن من أهل السلام الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولقد جرى قلم البيان في ميدان التحذير من التكران نصيحة للإخوان الذين لربهم يرهبون، وقد كتب على هامش «الإنسان الكامل» عند قول المؤلف المحمول والحامل: ولقد سهى الإمام قدس الله سره، وإن له الإكرام أن المؤلف والإمام المحيوي، كلاً، أصاب الحق فيما قاله:

ولكـل قـولٍ وجـهُ حـقٍّ ثَابِـتٌ ... عِـنْدَ الـذِي دَرَجَ الْعُـلا يَرْقـى لَـه

كَلامُـه لِحُكْـمِ الـتَّجَلِّي تَابِـعٌ ... حَيْثُ الْحَبِيبُ الصِّرْف قَدْ أَسْقَى لَه

مَـا بَـيْنَ أهـلِ الله خَلْـفٌ إنَّـمَا ... لِلَّفْـظِ يَـرْجِعُ عِـنْدَ مَـنْ أَبْقَـى لَـه

والوسْـعِ يَقْـضِي بِالَّـذِي قَـالا ... فَمَا أَخْطَـأَ لَبِـيبٌ إنْ فَهِمْـتَ مَقَالَـه

وَإِذَا شَـهِدْتَ لِكُـلِّ قَـوْلٍ وَجْهَـهُ ... كُـنْتُ الَّـذِي رَفَـعَ الْمُنَـى أَثْقَالَـه

سَـلِّم لأهـلِ الله وَاحْـذَرْ تَعْـتَرِضْ ... وَدَعِ الْجُهُـولَ؛ فَجَهْلُـهُ أَشْـقَى لَـه

فَالأَكْـبَرِيُّ مُـصَرِّحٌ بِمَقَالَـةِ الجِيلِي ... وَهُـوَ يَـسِيرٌ لِلَّـذِي قَالَـه

ثُـمَّ الموَفَّـقُ مَـنْ يُوَفِّـقُ بَيْـنَهُمْ ... وَإِذَا عَـيَا تَـسْلِيمِهِ اتَّقَـى لَـهُ

ولنرجع لما كنا بصدده من الكلام على اسمه تعالى «العليم»، قال العارف البوني ـ رحمه الرحيم: هذا الاسم العظيم الشأن الجليل البرهان، مَنْ أكرم أطلعه الله على دقائق

الأمور وخفيات أسرارها، ومن نقشه في صحيفة من زئبق مفقود في شرف عطارد وحملها أنطقه الله بالحكمة، وعلّمه لطائف المعارف، ومر وصفه في صحيفة من فضة في شرف المشتري وحملها، رزقه الله تعالى الفهم في العلوم الشرعية، ويصلح ذكرًا لمن كان اسمه غني، ولمن كان اسمه سلطان، وهذه صورته، ويوضع مثلثًا كما ترى، ومن فهم هذه خضعت له المخلوقات، وانقادت له بسائر العوالم، وقوي تصرفه في الوجود، ومنعه الله من الآفات، ودفع عنه ما يكره، ومن داوم على ذكره علّمه الله تعالى علم ما لم يكن عنده، وظهرت على لسانه الحكمة، وله من العدد 10، وهو زوج مفرد زائد، أجزاؤه 30، ومن ثم العلماء هم الملوك حقيقة، بل هم المالكون على الملوك ملكهم، وهذا العدد يظهر فيه سر باقي المراتب الثلاث، وقال في محل آخر منها: والمتقرب إلى الله بهذا الاسم الشريف يتلوه ليلا ونهارًا، حتى يعلمه الله تعالى، ومن خواصه كشف العلوم الغامضة، وله خلوة جليلة، وتلاوته هي له مضروبة في مثلها والذكر القائم به بعد ذلك، وله مربع إذا كتبته وسقيته لبليد الذهن فتح الله عليه، ورزقه العلم، وإن أشكل عليك علم الصنعة الإلهية فأضف إليه اسمه "الحكيم"، واتله، ولازم عليه؛ فإن الله تعالى يعلمك إياها، وإذا وافق عدده اسم شخص وتلاه بغير خلوة نال المراتب العلية، وإذا كنت على ذهب أو فضة وحمله صاحب علم، رفع الله قدره بين الخلائق أجمعين، وأما الذكر القائم به تقول:

(بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أنت العالم العليم، علام الغيوب، وعالم دقائق الأسرار والخفيات، المحصي لكل ذرة وتفصيل المؤتلفات بما قدرت، وذرات في الظاهر والباطن من الموجودات، أسألك بإحاطة علمك، وإجراء سرائر بدعك بتفصيل كل شيء، ونفوذ قدرتك في كل شيء، وعني بأنواع ارتقاب حلمك أن تحرق فيما بيني وبينك الحجاب؛ لأطلع على ما تحت كل ذرة من ذرات الوجود، فأبتهج بسر العدم، ونزول غنى حقيقة العدم يا الله، (يَا عَلِيم يَا حَكِيم) أسألك بسر قوتك أن تسخر لي عبدك عينائيل يقضي حاجتي، ويكون لي عونًا فيما أريد، يا الله يا عليم يا حكيم).

ما من عبد واظب على هذا الذكر يوم الجمعة، من طلوع الشمس إلى وقت الصلاة، وكتب اسم الملك حول المربع وحمله، إلا رزقه الله تعالى الحفظ لكل ما يسمعه، ونال المراتب العلية في العلويات، انتهى.

(يَا حَكِيم): قال في «دقائق الإشارات»: ومنها الحكيم، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾[النساء آية: 26]، وفي «الصحيح» في تعليمه ﷺ للأعرابي الكلمات: «**ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم**»(1)، ومعنى الحكيم: أنه الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، كما ينبغي أن يوصف بذلك؛ لأن أفعاله سديدة وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم، كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلا من حكيم عالم قادر.

قال الخطابي: الحكيم: المحكِم لخلق الأشياء بمعنى اتقان التدبير فيها، وحسن التدبير لها؛ إذ ليس كل الخليقة موصوفًا بوثاقة البنية، كما في البقة والنملة، إلا أن التدبير فيهما والدلالة على كون الصانع وإثباته ليس بدون الدلالة عليه بخلق السموات والأرض، وبعاظم الخليقة، وكذا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: 88]، لم تقع الإشارة إلى الحسن في النظر، فإنه معدوم في القردة، وإشكال ذلك إنما المعنى منصرف لحسن التدبير في الإنشاء كل شيء من خلقه على ما أحب أن ينشئه ويهيب على الهيئة المرادة، كقوله تعالى: ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:2]، انتهى.

وقال سيدي محمد القونوي، قدّس الله سره السّوي : الحكيم: الذي أتقن كل شيء أنزله، وجعله في مرتبته.

اعلم أن الحكمة أخص من العلم؛ لتعلق العلم بالمعلوم بحسب ما وظفته الحكمة، فكل حكيم عليم وما كل عليم حكيم، فالحكمة أعلى مرتبةً من العلم عند المحقق، وكذلك امتن الله تعالى على داود ﷺ مع وفور علمه بالنبوة، والكتاب، والحكمة، وفصل الخطاب، وهو الإيجاز في الكلام في مواطنه لصاحب الفطنة، ورُبَّ موطن يقتضي تكرار الكلام لتفهيم المستمع؛ ولذلك كان رسول الله ﷺ يكرر ثلاث مرات؛ مراعاة للأدنى، فالحكمة التي تقتضي الإيجاز في موطن بعينها تقتضي الكثرة والتكرار، فالحكيم: حاكم يحكم في الأمر أن يكون هكذا، والمواطن بخصوصياتها تقتضي الحكم لذاتها، فكان الحكم للموطن بها كما كان الحكم لديها، يراد الأمر منه إليه، ومن أهل الله من يُكشف له عن سر

(1) رواه ابن حبان في صحيحه (3/ 226).

ترتيب الحكمة فيؤديه إلى الهيبة والحيرة، ومنهم من لا يعلم ذلك إلا بعد وقوع حكمة في الوجود، فيُعرف بجهله في المصالح، وغاية ما تنتهي إليه همة العارف أن يعرف بالجملة أن الظاهر الواقع في الوجود إنما هو في فيضة الحكمة الإلهية، صادر عن حكمة الحكيم القادر، وهذا هو الذي استعمل النعيم بدوام الفرح والرضا، وقام عنده التفويض والتسليم، وزال عند الضجر والسخط بزوال الغرض، فإن الجهل والنزاع لا يقع إلا فيما لا يوافق الغرض، وصاحب الشهود لا يُنافي غرضه لمطابقة أسرار حكمة الحكيم، انتهى.

وقال الجيلي ـ رحمه الله ـ في «كمالاته»: اسمه تعالى حكيم، هو الذي تجلى في المظاهر بما يستحقه، قابلية كل مظهر من غير زيادة ولا نقصان، وأعطى كل ذي حق حقه، وهذا الاسم من أسماء الصفات، وصفته الحكمة، وهي عبارة عن إظهار القدرة تحت ملابس الأكوان، بوضع كل شيء موضعه من الترتيب اللائق بالعلم، وإعطاء كل حقيقة في الوقت المخصوص ما تقتضيه من الظهور والبطون، والتعالي والسفل، والنقص والكمال، والتقديم والتأخير، والإيجاد والإعدام، والتقليل والتكثير، وغير ذلك من أحوال الأكوان التي هي عبارة عن سورة الرحمن، فافهم، انتهى.

وقال البوني ـ رحمه الله ـ في «شمس معارفه الكبرى» في الفصل السابع والأربعين: اسمه تعالى حكيم، هذا الاسم البهي الباهر، والسر السني الزاهر، مَنْ أكثر ذكره ألهمه الله تعالى الحكمة وعلمه دقائق العلوم، وألقى فيه غرائب المعاني ولطائف الإشارات، ثم قال: واعلم أن كل ذكر يعطي ذاكره ما في قوته، لكن بالوقوف على حقيقته، وذلك لا يتفق إلا للإفراد، والله الموفق.

وقال في الباب التاسع والثلاثين منها: ومن خواص هذا الاسم أن من لازم عليه نال ما يريد من العلوم العقلية، ومن كتب وفقه في خاتم فضة، وفي الوجه الثاني اسمه تعالى الرءوف، ونجده بعود وعنبر، وتلا الاسمين عددهما، فحامله لا يأتي أرضًا إلا ظهرت فيها البركة، ولا يأتي مريضًا إلا عافاه الله تعالى، والله الموفق، وهذه صورة وفقيهما.

وأما الذكر القائم به تقول:

(بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يا مولاي، يا واحد يا مولاي، يا دائم يا عليم يا حكيم، حكمتك بالغة لأمرك، لا راد لأمرك، ولا معقب لحكمك، فمن قولك تباركت

وتعاليت، يا ذا الجلال والإكرام، الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم، فهذه الحكمة البالغة في المخلوقات أسألك يا حكيم بالحكمة البالغة، وما حوت من بديع الصنع ومدركات الرحمة وسوائغ النعمة، أن تفتح لي خزائن رحمتك بمفاتيح حكمتك، من بحار فيضك بسوائغ نعمتك، وأقمني على قدم العبودية بطاعتك، يا رب العالمين).

ما من عبد لازم على هذا الذكر إلا كانت أفعاله مبدعة من خوارق العادات، ونطقه حكمة، ورفع الله قدره، وإن كان خاملاً انتشر ذكره وعلمه، انتهى.

ومن خواصه: أن من أكثر من ذكره رفعت عنه المشاق التي لا يطيق حملها، وذكر عدده أيام الوباء يدفع سره عن التالي، وإذا أكثر من ذكره معلم العلم والأطفال، فهموا عنه ما يلقيه في أقرب مدة، وذاكره يحبب للقلوب.

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى: يكتب هذا الاسم الشريف بعدد أعداده على إناء طاهر، ويسقى للملسوع، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، ويشترط صوم الكاتب، وإن كتب على جوانب اللسعة كان أجود، انتهى.

وقد عقدت هذا التوسل بقولي شعر:

بِجَنَابِ عِزِّكَ سَيِّدِي لُذْنَا وَقَدْ ... خَضَعَتْ لِرِفْعَةِ ذَاتِكَ الْأَعْنَاقُ

مُتَرَامِينَ بِذِلَّةٍ حُبًّا عَلَى ... أَعْتَابِ قُرْبِكَ كَي إِلَيْكَ نُسَاقُ

وَامْنَحْ عَبِيدَكَ يَا عَلِيمُ تَعَلُّمًا ... وَأَذِقْهُ مِمَّا فِي حَكِيمٍ يُذَاقُ

ووجه مناسبة ذكر هذين الاسمين أن الأول مناسب لقوله: لو أردنا، والثاني لقوله: لذنا، وبيان ذلك أن قوله: لو أردنا الإعراض عنك ما وجدنا لنا سويا قام بنا هذا الوجدان؛ إلا من وصف العلم بأن السوى مفقود، والجود والوجود إنما هو للموجود، فكيف بعد ما علمنا علمًا يقينًا كالعيان، حتى حققنا ذلك الوجدان بعد رجحان ميزان علم وعرفان، نعرض عنك وقد وقع التعليم لنا منك يا عليم؟

وأما مناسبة الثاني أن العبد لما لاذ بجناب مولاه خاضعًا متراميًا على أعتابه، غير ساهٍ عنه، ولا لاهٍ، دليلا لعزة سلطانه، مترقبا لرفيع توقيع أمانة من رده، وصده، وهذه وخزلانه، قابله الحكيم الذي ينزل الأشياء منازلها بإحسانه وفيضه وامتنانه، على أن إقبال الحكيم على عبده المحكوم عليه بالجهل المقيم، ضعفي إقباله كما صح شبرًا؛ لما في الحديث،

قال الله تعالى: «**إذا تقرب العبد إلي شبرًا**»[1]، ولما تحققنا أنك الحكيم، الذي تعطي كل ذي حق حقه، لذنا بجنابك كالأرقاء، خضوعًا وذلة ورقة، راجين أن تجعلنا للعطاء محلاً يا من غدًا يبسط اليدين موصوفًا، وليس سر الحكمة يتجلى، يجلي بها من لاذ بجنابه، فيتجلى، ومن أُوتي الحكمة من كل حكيم، لا يتصور منه أن يلوذ إلا بمن يعطيه حقه، وما يستحقه، وليس ذلك إلا الحكيم، ومناسبة هذا التوسل لما بعده أن الإعراض على أقسام:

إعراض استكبار، وإعراض غفلة توجب دمارًا، وإعراض حياءٍ وإنكار، وإعراض نفار، وإعراض حكيم عن سقيم أو زاد.

وحيث لم يكن الإعراض عن العزيز الجبار، ولا يقر للنفس دون القيام بأعتابه قرارًا، وتحتاج في قيامها إلى أدب، وإقبال دون إدبار، وطهارة ظاهرة وباطنة، من أكدار ذنوب صغار وكبار؛ لتكون بطهارتها ونضارتها قابلة لتوالي الفيض المدرار، ولتزول عنها الوحشة التي عليها من تراكم الذنوب بادئة للحضار، فترفع رأسًا تطلبها لمطالب الأبدار، ومقاصد الأخيار التي عليها المدار، وهناك يكشف لها الستار عن جماله الأستار، فترى ما لا يفي بالتعبير إخبار، وتمحى عن مخيلتها الذنوب وهذه علامة مغفرتها عند أهل الله الأطهار، فيوجب هذا المقدار من التقريب للعزيز الجبار، اللوذان بخضوع وافتقار العالم بالإضمار والإجهار، فلذا ناسب أن يقول المؤلف ـ نجاه الله من شر هذه النار :

(حرف الميم)

قال المصنف:

[**إِلهِي مَحِّص ذُنُوبَنَا بِظُهُور آثَارِ اسْمِكَ الغَفَّار وَامْحُ مِن دِيوَانِ الأَشْقِيَاء شَقِينَا وَاكْتُبْهُ عِنْدَكَ فِي دِيوَانِ الأَخْيَارِ**].

قال الشارح: (**إِلهِي مَحِّص ذُنُوبَنَا بِظُهُور آثَارِ اسْمِكَ الغَفَّار**) التمحيص: أصله في اللغة التخليص من الشوائب، يُقال: محص الذهب بالنار: خلصه مما يشوبه، وله معان كثيرة، ذكرها في «القاموس»، قال الله تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [آل عمران: 154].

قال القاضي ـ رحمه الله : وليكشفه ويميزه، أو يخلصه من الوسواس.

---

(1) رواه البخاري (6/ 2741).

وقال البغوي ـ رحمه الله تعالى : وليمحص: يُخرج ويظهر ما في قلوبكم، انتهى.

وفي الحديث: «**أكثروا ذكر الموت، فإنه يمحص الذنوب**»[1].

قال المناوي ـ رحمه الله : أي: يزيلها، وعنه ﷺ: «**طول مقام أمتي في قبورهم؛ تمحيص لذنوبهم**»[2].

قال المناوي: أي: بسببه يمحص الله عنهم ذنوبهم، والمراد للصغائر، والمعنى أزل ذنوبنا وامحها، والذنوب جمع ذنب، وهو الإثم، وقيل: هو ما عُصِيَ الله به، أو ما يذم مرتكبه شرعًا، ويرادفه المعصية والسيئة والجريمة والمنهي عنه، وقيل: هو ما يحجبك عن الله، وعنه ﷺ: «**ذنب العالم ذنب واحد، وذنب الجاهل ذنبان**»[3]، وبقية الحديث على ما في «شرح الجامع» للمناوي:« **قيل: ولم يا رسول الله؟ قال: العالم يعذب على ركوب الذنب، والجاهل يعذب على ركوبه الذنب، وترك التعلم**»[4]، وعنه ﷺ: «**ذنب يغفر، وذنب لا يغفر، وذنب تجازى به؛ فأما الذنب الذي لا يغفر فالشرك بالله، وأما الذي يغفر فعملك بينك وبين ربك، وأما الذي تجازى به فظلمك أخاك**»[5].

قال المناوي: أي: في الدين، فإن الله لا يظلم مثقال ذرة، وذكر الأخ للغالب فظلمه الذمي كذلك، انتهى.

واعلم أن الذنب قد يعظم بعظم فاعله؛ إذ ذله من المقرب بألف، وربما يؤاخذ المقرب بنحو هاجس وهم، وحديث نفس؛ لوفور معرفته، كما وقع لأبي بكر الشبلي المهاب في اعتراضه باطنًا على شاب شحاذ، ليس له اكتساب، وقد يكثر الذنب بشرف الزمان كشهر رمضان، أو المكان كمكة ذات الحرم المصان، وقيل بالمضاعفة فيها، ونقل عن ترجمان القرآن: وباجتناب الكبائر تقابل الصغائر بالغفران، والذنوب تسود وجه القلوب، فمن أسعد نية للتوبة، ومن لا انهمك فيها، فاستوجب النيران، وهي عامة،

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 86).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 283).

(3) ذكره المناوي في فيض القدير (3/ 565).

(4) ذكره المناوي في فيض القدير (3/ 565).

(5) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (10/ 348).

وخاصة، وخاصة بخاصة الخاصة أهل العياني، وتقدمت الإشارة قريبها إليها، فالحظها واحذر الافتتان، ولها أقسام أُخر عند أهل الإيقان حقيقة مغلظة الجثمان، وعرضية واهية الأركان؛ لأن صاحبها ما له أركان، ويدبر له ممحوية كآية الليل بذيل الغفران؛ لحديث:

«**وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر؟ فقال: اعملوا ما شئتم، فإن الله قد غفر لكم**»[1]. وفي رواية: «**إن الله اطلع**.. إلخ»[2].

وفي أخرى: «**لن يدخل النار رجل شهد بدرًا والحديبية**»[3]، فكانت ذنوبهم كسراب، يظن أنها سراب حتى إذا جاءه الظمآن البحت لم يجده شيئًا، ووجد الله عنده متجليًا بصفتي العفو والامتنان، فهي مشهودة في الظاهر، مفقودة في الباطن؛ لسر يعلمه الظاهر، ولمثلها ذنوب أهل البيت الطاهر، الذين طهروا بالنص الباهر من الرجس ومن الذنوب تطهيرًا، وكان الله على كل شيء قديرًا، ومن كمال قدرته أن قلب إكسير المغفرة نحاس سيئات أولي الوجوه المسفرة إبريزًا، وصير دليلهم بتجلي غرته عليه عزيزًا، فهذه سيئات أحباب، لا حسنات متعلق بالأسباب، معتمد على الأحساب والأنساب.

قال قطب الأقطاب أبو الحسن ـ الذي ملأ بالمعارف منه الوطاب ـ في ورده المستطاب: واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك، والإساءة لا تضر مع الحب منك، وصورته كالأكل من الشجرة، أو التقرب منها. وقد سماه تعالى عاصيًا من حيث الأمر الإرادي، وهذا ما عليه أهل التحقيق من سادات الطريق؛ إذ كل ما صدر من الأنبياء الكرام، المنزهين عن الآثام قبل النبوة وبعدها، أمور صورية، كتوبتهم، واستغفارهم، فإنه ليس من المعاصي الشرعية من حيث مرتبة الحضور التام، الذي ليس من مقدور البشر كما صح في خبر: «**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»[4]، والمراد به غين به الأمور، لا غين الأغيان، فكان يغشى قلبه الشريف أنوار؛ خشية عدم القيام بحقوق الخبير اللطيف،

(1) رواه الحاكم في المستدرك (16/ 281).

(2) رواه الحاكم في المستدرك (16/ 281).

(3) رواه أحمد (3/ 396).

(4) رواه مسلم (4/ 2075).

فيستغفر إرشادًا للضعيف، وإمدادًا للكفيف عن خلو القلب من حال المراقبة المنيف، ولما أمر بالاستقامة، وبانت له خفيات واتضحت لديه مكنوناتها، قال: «**شيبتني هود وأخواتها**»[1]، ولا تتم الذنوب إلا بحنظل الإبعاد عن المحبوب، لكن ربما اعتني بالعبد الموهوب، فأثمرت له بالذنو المخطوب، كما في الحديث: «**إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة، يكون نصب عينيه ثابتًا قارًّا حتى يدخل به الجنة**»[2]، وهذا دليل ما في الحكيم للعارف المحكم: رب معصية أورثت ذلًّا وانكسارًا خير من طاعة أورثت عزًّا واستكبارًا.

سئل الجنيد ـ قدس الله سره وزاده أنوارًا : أيراني العارف؟ فأطرق مليًا وقال: وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، فالأولياء محفوظون من الأقدار، والأنبياء معصومون، وقل أن تقع معصية من عارف إلا عند قيام نفسه؛ ليرجع بها ذليلة حقيرة حالة الإياب إليه، ولا يمكن أن تقع على الشهود، فلا بُدّ من وجود حجاب غفلة ممدود، وشاهده حديث: «**إن الله إذا أراد إمضاء أمر نزع عقول الرجال حتى يمضي أمره، فإذا أمضاه رد إليهم عقولهم، ووقعت الندامة**»[3]. وربما أكرم الحق سبحانه وتعالى بعض عباده بإعلامه بالذنب قبل وقوعه فيه، فيسبح إليه في محوه وصرفه عنه؛ مخافة أن نوره يطفيه، فيعاين الأمر محكمًا، والتقدير جزمًا، فيكون راجعًا للتسليم، راضيًا بما قدره السميع العليم، ويأتي الذنب والعيون دوامع، والجفون هوامع، ويبادر للإنابة بذلة وكآبة، بعد ما كاد الفؤاد أن يحترق مهابة، والجسم أن يذوب مما أصابه من خطأ خلفته الإصابة، وقد أفصح عن حال هذا الصب، الذي صب الاحترام في أحشائه جمرًا، أذابه الجليل في عينيه ـ قدس الله سره، وبلغه آدابه ـ فقال:

وفي نكسة عزاء هنا، سأقرؤها ... وحق لها أن تزعوا بها المسامع

هي الفرق ما بين الولي وفاسق ... تنبه لها، فالأمر فيه ودائع

وما هو إلا أنه قبل وقعة يُخبر ... قلبي بالذي هو واقع

---

(1) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (1/ 435).

(2) رواه ابن المبارك في الزهد (1/ 52).

(3) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 201).

فأجني الذي تقتضيه في مرادها ... وعيني له وقت الفعال تطالع

وكنت أرى منها الإرادة، قبلها ... أرى الفعل مني، والأسير مطاوع

فإني الذي تهواه مني ومهجتي ... لذلك في نار حوتها الأضالع

وإن كنت في حكم الشريعة عاصيًا ... فإني في حكم الحقيقة طائع

واعلم أن أعظم الذنوب الغفلة عن المطلوب، واعتماد الأواه على أحد سواه.

قال سيدي داود بن باخلا - بلغ في الدارين مناه: إقبال القلب على الله حسنة يرجى ألا يضر معها ذنب، وإعراضه عنه سيئة لا ينفع معها حسنة.

وقال سيدي علي الخواص - منحنا الله به الخلاص: إذا طال زمن العبادة على النفس، حنَّت إلى مفارقة حضرة ربها، كما يحن العطشان إلى الماء، أو وزن ثواب ذلك العمل الواقع، قبل المملل وبعده، لوجد إثم محبته لفراق حضرة ربه يرجح على ثوابه، انتهى.

ومن مثل هذا الذنب وأضرابه ترجف قلوب أوقعها ببابه، ويعرف لها باقترابه، وسقاها كأس شرابه بين طلابه، فلا ترى لها عملاً يصلح للعرض على جنابه من شوائب نفس لهاتيك من شابه، فلا يقدر العارف بعللها وأمراضها أن يرفع له رأسًا بين أحبابه، ويشهد لفرط قصوره أن كلاً بلا وقع في روح هذا العالم، وأهابه من وخامة ذنوبه التي نقطة منها تعكر البحر في حسابه، ولو توزع في ذلك لأقسم على الله بالله وآياته وكتابه، وهي التي تُبلي من العبد ضيق ثيابه، ولذا قيل: الخضر عليه السلام أثوابه لا تبلى به؛ لانعدامها باتسابه، فكما أن نوبة ماعز لو قسمت على أهل الأرض بركتها لوسعتهم [لفسيح] وابل ثوابه، فكذلك الذنب الواحد من العبد الفاقد وجودًا، دأبه مع القادر على عقابه، ولولا أن الله تعالى يمن عليه بحسن متابة لذاب كالرصاص بنارين: المفر ولات حين مناص، أيها الغافل لا النابه، لكن الرحيم يتلطف بهذه القلوب المقبلة على جنابه، بظهور آثار اسمه الغفار، فيرتاح بكشف حجابه، والباء في (بِظُهُور) للقسم، أي: بسر، ويصح أن تكون المسببية أي: بسبب بدء شروق أنوار.

(آثَارِ): جمع وله كما في «التعاريف» ثلاثة معان:

الأول: النتيجة، والحاصل من الشيء.

والثاني: بمعنى العلامة.

والثالث: بمعنى الجزء، وأثر اسمك الغفار متى ظهر فيض تجليه على أحد في هذه الدار لم يدع لذنوبه رسمًا إلا محاه، حتى من الصحائف، وأذهان الملائكة الأخيار.

قال في «دقائق الإشارات»: ومنها الغفار، قال سبحانه ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: 5]، والغفار: البالغ في الستر فلا يشهر الذنب، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومنه حديث النجوى وغيره، انتهى.

وحديث النجوى هو ما رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، عن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين**»[1] انتهى.

قال الشيخ الأكبر ﷺ في «تراجمه»: من جنى وعلم أن الحق غفار غفر له، ومن لم يجن ولم يعلم أنه غفار فقد جنى، وقال تلميذه سيدي محمد القونوي ﷺ في «شرح الأسماء»: الغفار ما يستر من العيوب، الغافر بنسبة الستر إليه الغفور، بما أسدل من الستور من أكوان وغير أكوان، هو الذي لا يترك ذنبًا إلا ستره عن عيون الناظرين، ومحاه من صحف الملائكة المقربين، اعلم أن من أحكام هذا الاسم الصون والغيرة والحفظ، فإن المستور في هذا الموطن على ثلاث طبقات:

الأولى: هو المستور عن العقوبة بعد حكم المعصية فيه، وهو المغفور له.

والثانية: المستور عن قيام المعصية به؛ لعدم رغبته فيها، وهو المحفوظ.

والثالثة: المستغرق في تلاطم أمواج الصفات، المستهلك في أشعة أنوار الذات، الغائب عن شهود المعاصي والطاعات، وهو المعصوم.

هذا في الخصوص، وأما في العموم فالأمور كلها مستورة بعضها على بعض،

---

(1) رواه البخاري (2/ 862).

وعليها ستر ظاهرية الخلق، وذلك أن أفراد الإنسان، وأشخاص مراتب الأكوان بأجمعها لا تزال وقوفًا مع الاسمين: الظاهر والباطن، فمن كان مع الاسم الباطن في حال رؤية وشهود، كان الاسم الباطن في حال مشاهدة سترًا على الاسم الظاهر، والاسم الظاهر في محل سلطنته على ما هو عليه في الحكم ما تغير، وكذلك من كان مع الاسم الظاهر شهودًا أو روية فإن اسم الباطن في حقه ستر على الاسم الظاهر، فالظاهر غيب لأهل الشهود اسم الباطن، والباطن شهادتهم، كما كان الباطن غيبًا لأهل الظاهر شهادة لأهل الباطن، وغيب أهل الباطن شهادة أهل الظاهر، ودون ذلك ستر الأشياء والوسائط، وشهود الخلق بعضهم على بعض، وألطفها ستور الأسماء على المسميات، وإن دلت على ذات المسمى، فهو أعيان المستور، فإن الناظر يحتار فيها؛ لاختلاف أحكامها، فالوجود المسمى كله ستر وساتر وستور، فالخلق في عين الوجود مستورون عنه، وهو ستر عليهم، وهم ستور عليه، والستر لا بدَّ أن يكون مشهودا لمستوره، والعجب أنه مستور عن الستر بالستر، انتهى.

وقال سيدي عبد الكريم الجيلي - قدس الله سره - في «الكمالات الإلهية»: الاسم السادس عشر اسمه الغفار، هو الذي يستر قبح الاثم بحسن الثواب، فذهب اسم الشر وجاء اسم الخير، والفرق بين العفو والغفار أن: الغفور يصفح عن الذنب ولا يعاقب، والغفار يصفح عن الذنب ثم يبدله بالحسنة، فيستر ذلك القبح بحسن يهبه له؛ لأن الغفر هو الستر، والعفو هو الصفح، وهذا الاسم من أسماء صفات الأفعال، وصفته الغفر بفتح الغين، وهو عبارة عن تجلٍّ إلهي بمطلق الجمال والحسن، فيستر كل قبح في الوجود، وهذا في المعنى يظهر بطون الحق تعالى في الأشياء من غير حلول، وينكشف حجاب الوحدانية عن وجوه الكثرة، ومن فيض هذا التجلي يصير الإبدال إبدالاً.

والبدلية على ثلاثة أنواع:

بدلية الفعل، وبدلية الصفة، وبدلية؛ **فبدلية الفعل** على نوعين: أعلا وأدنى، فالأعلى أن تتبدل المذمات النفسية بالمحمودات الروحانية، فيتبدل بخله بكرمه، وغضبه بحلمه، وضيقه وسعًا، وضرره نفعًا. **وبدلية الذات** أيضًا على نوعين: أعلى وأدنى؛ فالأدنى أن تتبدل ذات العبد بذات الرب، أي: بتجلي ذات الرب عليها، فيغنيها؛ لأن الله

تعالى ما تجلى لشيء إلا خضع، أي: فني، فيجد العبد ذات الرب متجلية عليه موضع ذات العبد، فكلما أراد العبد أن يرى نفسه، لا يرى إلا ذات الله تعالى، فالأعلى أن تتبدل ذات الرب بذات العبد، بأن يغنيه، ويكون الحق نائب عنه والمتصرف، فيشهد الحق نفسه نائبة عن نفس العبد، فيكون العبد خليفة عن الرب، فإذا أراد العبد أن يري ذاته، رأى ذات العبد، أي: الباقية بعد إفنائه، فيكون رأى ذاته على حد قول العارف، أعارته طرفًا لأهلها، فكان البصير لها طرفها، وبين هذا المشهد والذي قبله فرق كبير لا يفهمه إلا الغرباء.

وقال عند الكلام على اسمه تعالى الغفور: (وهو الذي لا يؤاخذ على ذنب، كائنًا ما كان الذنب)، والفرق بين اسمه الغفور واسمه الغافر أن:

الغافر يخص بالمغفرة، والغفور يعم، فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:48] هذا من حيث التجلي اسمه الغافر، فإنه تخصيص للمغفرة بها دون الشرك، ومفهوم الظاهر من هذه الآية أنه لا يغفر الشرك على الإطلاق، ومفهوم أهل الحقائق: أنه لا يغفر الشرك في تجلي اسمه الغافر على التقييد، ويغفره في تجلي اسمه الغفور، وقد صرح بذلك في قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:53].

فاعلم أن مغفرة الذنب على الإطلاق هو يتجلي اسمه الغفور؛ لقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ عقب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ولا ذنب أعظم من الشرك، فينبغي أن يكون داخلاً تحت العموم، وقد تحدثنا عن اسمه الغفار في أول هذا الباب، وبه يُعلم الفرق بين هذين الاسمين وبينه، ثم قال: اعلم أن صيغة اسمه الغفار موازن لصيغة اسمه القاهر، وبقي اسمه الغفور لا موازن لصيغته من القهر، فانفرد بالرحمة العامة لهذا السر، وكان الأمر في الاسمين أعني (الغافر والغفار) مخصص لبقاء رائحة من القهر في تجلياتها بطونًا في الوصفية، ولأجل ذلك كانت موازين القاهر والقهار، وظهورًا في الأزمنة، ومن ثم قيل: ﴿ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ ، وثم نكتة أخرى، وذلك أنا وجدنا لاسمه الغفار صفة وهي الغفر، ووجدنا لاسمه الغافر صفة وهي الغفران، ووجدنا لاسمه الغفور صفة وهي المغفرة، فهذه ثلاث صفات لثلاث أسماء، ولم نجد لاسمه القاهر والقهار سوى صفة واحدة، وهي القهر، وسر ذلك قوله: «سبقت رحمتي

غضبي»[1]، وكانت أسماء الرحمة متعددة، وصفاتها كثيرة، وأسماء النقمة بالنسبة إليها قليلة، وصفاتها أقل، فافهم، واعلم أن اسمه الغفور من أسماء صفات الأفعال، وصفته كما سبق بيانه المغفرة، وهي عبارة عن تجلٍّ إلهي، يظهر فيه الجمال المطلق من غير تقييد، فينكشف عند ذلك أنه الفاعل لأفعال العباد، وأن أفعالهم كلها مليحة، وأن لا مؤاخذة عليهم، وأنه الفاعل، وإلى هذا المعنى أشار بقوله: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: 56]، بين أولاً أنه الفاعل لهم، ثم بين أن أفعالهم كلها حسنة؛ لأنه الآخذ بناصيتهم على صراط مستقيم، انتهى.

قال البوني ـ رحمه الله تعالى: ومن خواص وفقه أنه يكتب لتسكين الغضب، يكتب بمسك وزعفران، وحوله اسم الملك، وهو حزقائيل، وتسقيه للولد الكثير البكاء، يزول عنه ذلك، وإذا كتب على لوح من ذهب في شرف الشمس، وحمله حاكم سكن غضبه، وهذه صورته، وأما الذكر القائم به تقول:

(بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم أنت الغفار غافر ذنوب المخلوقين في كل وقت وحين، فتغفر لهم عند توبتهم واستغفارهم وسؤالهم، كأن لم يكونوا يفعلونها، وتتبها لهم، تنسيها، أسالك يا رحمن يا رحيم، يا من أظهر الجميل، وستر القبيح أن تغفر لي ذنوبي كلها، الظاهرة والباطنة، حتى أكون في جوار قدسك، يا الله يا غفار).

ما من عبد لازم على هذا الذكر إلا فتح الله تعالى عليه فتحًا إلهيًا، ونال كل ما يتمناه، وقال في موضع آخر: هذا الاسم الجليل من وضعه في مربع آخر ليلة من الشهر في صحيفة من رصاص، وحمله بعد تلاوة الاسم عدده، أعمى الله عنه لص كل ظالم، وإذا كان صاحب صاحب حالة صادقة اختفى به عن أعين الناس، وله منافع في الحروب وغيرها، ومن أشهده الحق ما لا يطيق شهوده، فعليه بذكره، وكذلك من أطلعه الله على أحوال خلقه وخفيات أسرارهم، ولم يطق الستر عليهم، فيلجأ إليه تعالى بذكر هذا الاسم، وله من العدد 1381، وهو عدد أول، يدل على أن ستره رتق لا فتق فيه، فلذلك لا يعرف الله إلا الله، وأما أسماء حروفه فهي 1123، تشير إلى اسمين جليلين، وهما: (مقيت، قابض).

---

(1) رواه البخاري (6/ 2745).

وأما مربعه فعلى هذه الصفة، وخواص اسمه تعالى (الغفور) تقرب من خواص هذا الاسم؛ لأن مادتهما واحدة، انتهى.

لكن رأيت في خواص اسمه تعالى الغفور أن من كان معه مرض أو حمّى أو وجع رأس أو حزن، يكتب ثلاثة أسطر: يا غفور يا غفور يا غفور، هذا سطر، والسطر الثاني والثالث مثله، ويبلعهن يشفيه الله تعالى، ويكتب للمحموم ثلاث مرات بعد البسملة ويسقى، يبرأ بإذن الله تعالى، ومن داوم على ذكره، وسأل الله المغفرة، غفر له جميع ذنوبه، وأن من ذكر اسمه الغفار بعد الجمعة مائة مرة، غفر الله له، وكيفية ذكره أن يقول: (يا غفار اغفر لي ذنوبي)، ومن خواص هذا الاسم الذي يكشف أستارًا ما صرح به النص القرآني: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ ﴾ [نوح:10،11] إلى آخر الآية، انتهى.

(وَامْحُ): جزم على الدعاء، قال في «المختار»: محا لوحة، من باب: عدى ورمى، ومحاه أيضًا، فهو ممحو، والمحي: انفعل، منه: وامتحى لغة فيه ضعيفة، انتهى.

ومحو الاسم عند هذا القسم له لمادة إدعاء الوجود حسم، وكذلك محو الرسم، فمن محي اسمه ورسمه، خط في الديوان اسمه وكل من محي المحبوب اسمه (مِن دِيوَانِ الأَشْقِيَاء)، فقد أثبته في درج أهل اللقاء؛ إذ المحو والإثبات متى وجد أحدهما، لا يمكن للثاني الثبات، على أن المحو إثبات عينه، وفي الإثبات محو بينة، ولهما أمثال في الهيكل الجسماني، وذلك الخواطر، فإنه يمحي الأول بظهور الثاني، وكلها محي من ليل النفس درجة اتسع نهار الروح مثلها، فأثبت الله فرجه، وهكذا إلى أن يغلب نهار العبد على ليله، فيفض من الميل مع سيل النفس طويل ذيله، وقد تمحى آية الليل بالكلية، وهي النفس السفلية، وتثبت آية النهار، وهي الروحية، ويمحو الأولى يزول الشقاء، وتثبت بعد الفناء عنها البقاء، وهنا ترتفع أوصاف العادة، وتثبت أوصاف السيادة، أي: يزول الركون إليها، والحكم لا العين، فإن زوالها رأسًا لا يكون عند أهل حكمة العين، وقد تمحى العادة التي في العموم عند أهل الخصوص بسر عندهم معلوم، والمحو ربما وقع في الظاهر دون الباطن، أو فيهما؛ لحكم اقتضته المواطن، وقد تكلم على المحو سيدي محيي الدين - نفحنا الله من نفحاته - في الباب 335 من «فتوحات من ديوان»: هو بكسر الدال، وقد تفتح،

فارسي معرب، وهو الدفتر، والمراد بها هو مكتوب فيه.

قال في «المصباح»: الديوان جريدة الحساب، ثم أطلق على موضع الحاسب، وهو معرب، والأصل: دوّان، فأبدل من إحدى المضعفين ياء للتخفيف، ولهذا يُرَدُّ في الجمع إلى أصله، فيُقال: دواوين، وفي التصغير: دُوَيْوِين؛ لأن التصغير وجمع التكسير يردان الأشياء إلى أصولها، ودونت الديوان: وضعته وجمعته.

ويقال: إن عمر بن الخطاب ﷺ أول من دون الدواوين في العرب، أي: رتب الجرائد للعمال وغيرها، انتهى.

وفي الحديث الشريف: «**الدواوين ثلاثة: فديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئًا فالإشراك بالله، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك إن شاء، ويتجاوز، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا فظلم العباد بينهم القصاص لا محالة**»[1]، رواه الحاكم وأحمد، وصححه عن عائشة.

قال المناوي: ورد عنه ﷺ: «**يقول الله تعالى: انظروا في ديوان عبدي فمن رأيتموه سألني الجنة أعطيته، ومن استعاذني من النار أعذته**»[2]، رواه أبو نعيم في «الحلية» عن أنس، وكل كتاب جمع قصائد أحباب وحصائد أفكار أنجاب سُمِّي ديوان الجمعة العجاب، وكذلك كل مكان جمع أعيان زمان؛ لترجيح طرفي حادثة بحيان، أو حكم مصان، ولهذا اصطلح أركان دولة كل سلطان على تسمية هذا الاجتماع بالديوان.

واعلم أن ما من أمر ظاهر إلا وله مقابل من حيث الباطن باهر؛ إذ هو عنوانه، وكما أن لحكام مرتبة الظاهر دواوين استشارات، يتخذونها بينهم، كذلك حكام مرتبة الباطن، بل أولئك تبع لهؤلاء، لا يبقين؛ إذ هم أهل الحكم النافذ كل حين، فإذا برز شكل مشكل من حضرة التعيين في عالم التنظير والتدوين، نظروا فيه نظر عارف كاشف عن الإمام المبين، والكتاب المبين، وهما القلم واللوح المكين، وصاحب المقام ذو التمكين،

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك (4/ 619) بنحوه.

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (6/ 175).

القطب الغوث الأمين، يحضر في كل ديوان وقع مشرفًا عليهم من مخدعه المتين، ولا يراه ولا يشعر به الأفراد من هذا الجمع كقاضيه الحزين، وإذا علت الأصوات وحضرت الأقوات، رفع القاضي طرفه فانشق سيد الجمع عرفه، وأشار إليه بالحكم بكذا، فحكم به، وزال عن العيون القذى، وجل حُضَّارُه من أهل الفلاح، من يحضره بالروحانية لا بالأشباح، وإذا حضره من ليس من أهله، طرد عن وروده، وشرب نهله، فإن موائد الرجال لا يجلس عليها طفيلي بحال، ولقد أخبرت شيخنا المراد به الشيخ عبد الغني، صاحب المقام السني، الذي بفناء سيده اكتفاء يحضر أكثر المجموع لا بسارد الخفاء، وكثيرًا ما يخص الحق سبحانه فيها من ليس له علم بظواهرها وخوافيها، غير أن عوالمه الباطنية تعلم ذلك، والنفس المنافسة غائبة عما هناك، ومهما اتفق عليه أهل هذا المحضر الأزهر، ظهر في هذا العالم منه الأثر، وما من خلقه مخلع على أحد ذكرها ينشر، إلا ويحضرها أغلب هذا الجمع الأفخر، وربما زاد العيان فأحضر ما لا يحضر من الأخيار، وسيق له من الروحانيين الأطهار، وما لا يعبر عنه قلم بيان، وإظهار وإشارة لرفعة مقداره، هذا الممنوح خلع القبول والفتوح الرفيع المنار.

(لِلأَشْقِيَاء): جمع شقي، وهو ضد السعيد، قال في «المصباح»: شقي ضد سعيد، فهو شقي، والجمع أشقياء، والشقوة بالكسر، والشقاوة بالفتح: اسم منه، وأشقاه الله بالألف، انتهى.

(شَقِينَا معاشر الحاضرين، أو جمع المسلمين): فإن الذاكرين الله رب العالمين هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، وهذه الكتابة قديمة بالنظر لما في العلم، حادثة بالنظر لكاتبة القلم، عليٌّ بما في اللوح المحفوظ عن التحريف على الصحيح المختار، عند أئمة التعريف، وكذلك بالنظر للفروع المنتجة منه، المسماة بألواح المحو والإثبات، وكذلك جاء في الخبر عن سيد البشر: «**إذا استقرت النطفة في الرحم، اثنين وأربعين صباحًا**»[1].

وفي رواية: «**إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة**»[2].

وفي رواية: «**إن النطفة إذا استقرت في الرحم، فمضى لها أربعون يومًا**»[1]، ولعل

(1) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (4/ 593).

(2) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (4/ 592).

السؤال من الملك والكتابة تتكرر؛ لملازمة الملك لها، ومراعاته لحالها، وتمام الحديث: «أتى ملك الأرحام فخلق لحمها وعظمها وسمعها وبصرها، ثم قال: يا رب أ شقي أم سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، ثم يكتب رزقه وأجله وعمله، ثم يخرج الملك»[1].

في رواية: «إذا أراد الله ﷻ أن يخلق النطفة خلقًا، قال ملك الأرحام معرضًا: أي رب، شقي أم سعيد؟ أ ذكر أم أنثى؟ أي رب، أحمر أم أسود؟ فيقضي الله أمره، ثم يكتب بين عينيه ما هو لاق من خير أو شر حتى النكبة ينكبها»[2].

وفي رواية: «إن ملكًا موكلاً بالرحم بضعًا وأربعين ليلة، إذا أراد الله أن يخلق ما شاء بإذن الله فيقول: أي رب ذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك، ويكتب الملك، ثم يطوى ما زاد وما نقص»[3].

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح الحديث الرابع من الأربعين، بعد كلام في بيان اختلاف روايات الخلق، وكتابة الملك طويل، وجمع بعضهم بأن ذلك يختلف باختلاف الناس، فمنهم من يكتب له عقب الأربعين الأولى ومنهم من يكتب له عقب الأربعين الثالثة، ولعل الجمع بهذا أولى من قول القاضي عياض، وإن أقره [...] ثم يبعث، وما بعده معطوف على الجمع ومتعلقاته لأعلى، ثم يكون مضغة مثله؛ ثم يكون علقة مثله، ومتعرضان بين المعطوف والمعطوف عليه، ومن قول غيره أنها تكون مرتين؛ مرة في السماء، ومرة في الأرض في بطن أمه، وظاهر رواية البخاري أن النفخ بعد الكتابة، في رواية البيهقي، عكسه، قيل: من تصرف الرواة، أو المراد ترتيب الأخبار فقط، لا ترتيب ما أخبره به، انتهى.

وعنه ﷺ: «السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه»[4]، وعنه ﷺ: «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، إلا وقد كتب شقية أو

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير (3/ 176).

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (3/ 176).

(3) رواه أبو يعلى في مسنده (10/ 154).

(4) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 107) بنحوه.

(5) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 107).

سعيدة، قيل: أفلا نتكل؟ قال: اعملوا ولا تتكلوا؛ فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة»[1].

وعن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ وهو يطوف بالبيت يقول: (اللهم إن كنت كتبتني في السعادة فثبتني فيها، وإن كتبتني في الشقاوة فامحني منها واثبتني في السعادة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب)، رواه اللالكائي، كذا في «منتخب كنز الأعمال»، وفيه عن الحسن بن أبي: أظنه ذكر عن عبد الله بن مسعود قال: كان إدريس النبي ﷺ يدعوه بدعوة، وكان يأمر ألا يعلموا بها السفهاء، فيدعون بها، فكان يقول:

(يا ذا الجلال والإكرام، ويا ذا الطول، لا إله إلا أنت، ظهر اللاجئين وجار المستجيرين، وأنيس الخائفين، إني أسالك إن كتبتني في أم الكتاب شقيًا أن تمحو من أم الكتاب شقائي، واثبتني عندك سعيدًا، وإن كتبتني في أم الكتاب محرومًا أو مقترًا علي في رزقي أن تمحو من أم الكتاب حرماني واقتتاري، وارزقني واثبتني عندك سعيدًا موفقًا للخير كله)، رواه ابن عساكر.

قال شارح «الدلائل» ـ رحمه الله تعالى: عند قول المانن: وجرى به قلمك في الكتاب فيما به اللوح المحفوظ، والفروع المنقسمة منه، ولنا اللوح المحفوظ ظاهر الأخبار، إنه فرغ من كتابته قبل خلق السموات والأرض، وقد كتب فيه مقادير كل شيء، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنما المكتوب بعد ذلك الفروع المنتحية منه، كالفروع المنتحية من الأصل، وفيها يقع الإثبات والمحو على ما ذكره في الآية.

وقال: عند قوله: (قدر ما جرى به القلم في أم الكتاب): هو اللوح المحفوظ، وأما قوله: (يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب)، فقال ابن عباس وغيره: إن المراد بأم الكتاب أصله الذي لا يغير منه شيئًا.

قال المحلي: وهو ما كتب في الأزل، بخلاف المكتوب في غيره كاللوح المحفوظ، وهذا خلاف ما تقدم لغيره منه.

(وجرى به قلمك)، في الحزب الثاني: إن اللوح المحفوظ لا يقع فيه محو ولا تغيير،

---

(1) رواه مسلم (4/ 2039) بنحوه.

وإنما يقع ذلك في الفروع المنتحية منه، والله أعلم، واستعيد له لفظًا لجمعه ما يكون إلى يوم القيامة، أو لأنه أصل النسخ التي بأيدي الملائكة، وهذا أبين، والله أعلم، انتهى.

وقال اللقاني الكبير في «شرحه الصغير»: الثالث، أي: من التنبيهات أم الكتاب في قوله تعالى: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد:39]، عبارة عن علم الله تعالى الأزلي القديم، الذي لا محو فيه، ولها إثبات على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد:39]، أي: أصل اللوح المحفوظ، وهو علمه تعالى، وأما اللوح المحفوظ فالحق جواز وقوع المحو والإثبات فيه، كصحف الملائكة، كما بسطناه في الأصل، والله أعلم، انتهى.

وقد قسم سيدي عبد الكريم الجيلي ﷺ في الباب 128 من «إنسانه الكامل» المقضي به المقدر في اللوح المحفوظ إلى نوعين: مقدر لا يمكن التغيير فيه ولا التبديل، ومقدر يمكن فيه ذلك، ثم بين وجه كل نوع، ثم قال: **فالقضاء الحكم**، هو الذي لا تغيير فيه، ولا تبديل، **والقضاء المبرم** هو الذي يمكن فيه التغيير، ولهذا ما استعاذ النبي ﷺ إلا من القضاء المبرم؛ لأنه يعلم أن يمكن أن يحصل فيه التغيير والتبديل، قال الله تعالى: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد : 39] بخلاف القضاء المحكم، فإن المشار إليه بقوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: 38]، وأصعب ما على المكاشف بهذا العلم معرفة القضاء المبرم من الحكم، فيتأدب فيما يعلمه محكمًا، ويشفع فيما يعلمه مبرمًا، وإعلام الحق له بالقضاء المبرم هو الإذن له بالشفاعة قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : 255].. إلخ.

واعلم أن علم اللوح هو تفصيل إجمال علم القلم، ومجمل ما في اللوح مفصل في الألواح، وكل فاعل قلم ومنفعل فيه لوح بالنسبة لما دونه، ولذا سمي اللوح بالنفس الكلية، فهو بمنزلة حواء من آدم عليه السلام، وليس فوق القلم موجود محدث يأخذ منه، يقال له النون، كما ذهب إليه المحققون، وإلى الكشف عن علومه ينتهي الراسخون، وما بعده إلا عيب الذات المقدس المنزه المصون، فكل من وصلت حقيقته إليه، وحلقت يدها عليه، فقد أحاط بعلومه، إذا حاطه المحيط، وزج به في نور بحور فهومه التي لا يسمع لها غطيط، وأخبر بعض الأفراد ممن هو للرفرف سقيط: إنه عاين لبعض الفقراء ممن رتبه

رجال، فليس بلقيط، هذا المقام الباذخ الشامخ الوجيز الوسيط المركب البسيط، مع عدم شعوره بلمعان نوره من التخليط والتفريط، وقد ورد في الحديث الشريف: «**الكرسي لؤلؤ، والقلم لؤلؤ، وطول القلم سبعمائة سنة، وطول الكرسي حيث لا يعلمه العالمون**»[1].

وعنه ﷺ: «**إن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء، صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، لله في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء**»[2]، وربما برز من غيب الذات إلى شهادة القلم، ما لم يكن فيه قبل ذلك ارتسم، ومنه يبرز على اللوح المحفوظ الوجود، ومنه إلى الألواح ومنها هذا الوجود، وتسمى الحضرة الأولى حضرة الإطلاق، ومنها يفعل المالك الخلاق ما أراد، والكل في وثاق دونه وإملاق، يرجون فيض فضل يتدفق بانطلاق، ويخافون سطوة قهر توجب انغلاقًا غب انغلاق، ويرهبون من كتابة في ديوان أشرار، تمنع التلاقي يوم التلاق، فلذا قال: (**وَاكْتُبْهُ**): أي أثبته (**عِنْدَكَ**): في المرتبة العندية الخاصة، (**فِي دِيوَانِ الأَخْيَارِ**)، أي: الذين اخترتهم من خلقك، وصافيتهم وصفيتهم، واصطفيتهم وكافتتهم، فإن من جعلته من أخيارك فقد دخل في جوارك، ومن دخل حرز ذمتك، فلا يخفره شيء؛ لعظيم سطوتك؛ لأن من عادى لك وليًّا فقد أذنته بالحرب، حكمًا مقضيًا؛ إذ قد سبق في علمك الذي فيه المختار حار، أن الأخيار بهم عمار هذه الدار، وبهم تقضى الحوائج وتستنزل الأمطار في الأقطار، وأن بهم يدور الفلك الدوار مدى الأدوار، وأن رؤيتهم تذكر العزيز الغفار، وخصيتهم بأمور لا تسعها أسفار، ولا تحتملها عقول معقولة ولا أفكار، وإذا كان نور المؤمن العاصي يطبق ما بين السماء والأرض ولو ظهر لأغنى عن الأقمار، فكيف بنور الطائع أو أحد الأبرار؟ وكيف بخيرة الحق المصطفين الأخيار؟ ولذا قال بعض من رفع له الأستار: لو ظهر وليٌّ الظهور التام ما هو عليه من علوم وأسرار وأنوار وأطوار، وتصرف واقتدار، مما خصه به الولي الجبار، لعبد من دون الله الواحد القهار، فاحذر إذًا أيها الأخ المهدار، الساعي في اجتناب الأوزار من الأفكار، فإن فيه البوار والدمار؛ لأن الغيور لأحبابه يغار، ولا تدخل يدك في فم التنين فيقضمها ثم تحيل على الأقدار، فمن جملة

(1) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (3/ 180).

(2) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (7/ 191).

الأقدار التوفيق لصحبة أهل الحضور والإحضار، مع الأدب والحشمة والوقار، ومن الخذلان؛ لأن ركوب الأخطار فيما هو ضد هذا الخلق الموجب للعار والشنار، وكثير من أهل الجهل بمقدار من رفع الله له المقدار من سخفاء العقول وضعفاء الأفكار، الذي هو كناموسة أو دونها بالنسبة لأفيال الإعصار، وجبال الأمصار، يروم أكبر نفس بالأصابع إليه يشار أن يتصادم مع من خصَّه الله تعالى بقوة تضعف عنها كبار اشتهار، فضلًا عن صغار صغار، فيندثر أي اندثار، وتضمحل لبطش ذي البطش العديد منه، منه الآثار، ومن تداركه الرحيم بلطفه نجَّاه، بعد ما كاد أن يسقط من شفا جرف هار، فإياك ومعاداة أهل الله الذين هم الضنائن إن أمردت قرب المزار.

واعلم أن الكتابة على أقسام:

كتابة حق في نور نور صدق: وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 52] أي: أوجب على نفسه بنفسه من غير إيجاب موجب؛ لأنه لا يجب عليه تعالى شيء، ومنها قوله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء - أي: أوجبه - فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته**»[1].

وعنه ﷺ: «**إن الله لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه: إن رحمتي سبقت غضبي**»[2].

وكتابة خلق في خلق بواسطة قدرة حق، ككتابة القلم في اللوح.

وكتابة تمييز ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف: 32]، ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: 37].

وكتابة إذلال وتعزيز: يُعز من يشاء ويذل من يشاء.

وكتابة إلقاء. وكتابة أهل الفروض، ووهمية وسرية وقلبية وعقلية ونفسية، فمن كانت كتابته نفسية كانت كتابته ظلمة في ظلمة، لا تقرأ ولا تدرى، وإن قرين فوهمًا لا

---

(1) رواه مسلم (3/ 1548).

(2) رواه البخاري (6/ 2700) بنحوه.

يصادف فهمًا وإن كانت عقلية فممتزجة، أو قلبية فالنورية عليها أغلبية، وكذلك الروحية والسرية، واللوحية المنسوبة لألواح المحو فنور بحب، لكن يظهر ويخفى، فإذا كتب فيها ظهر، وإذا محي اختفى، وقد يُمحى الشيء مرارًا ويكتب، فمن نوى على الحج مرارًا ولم يحج دل على أن الكتابة فيها وقعت كذلك، ولم تثبت؛ لعدم تقدير الحج مثلاً إلى غير ذلك، مما لا يحصيه سالك، وكل من كتبه الحق في ديوان الأخيار عنده فقد أغدق عليه جوده وإحسانه ورفده، وقد عقدت هذا التوسل، سائلاً منه القبول ما حييت قائلاً شعرًا:

محص ذنوبي إلهي جلة بظهور آثار اسمك الغفار

وامح اسمي من رق الشقاء واكـ ـتبه في درج الذين نصيت من أخيار

ووجه المناسبة بين هذا التوسل وما يليه أن المؤلف عفى الله عنه ذنوبًا من الخير تخليه، لما طلب تمحيص ذنوبه، وتخليص ذنوبه، ومحوَ اسمه من ديوان الشقاوة، وكتابته في ديوان الخيرة النقاوة، وقام بأبواب طلب المغفرة، يرجو سماع خطاب كلمات بالرضوان مسفرة، طال وقوفه، وجال في ميدان الرجاء شغوفه، فبينما هو منتظر صاغ للهواتف السرية مناع للبلابل القلبية؛ إذ سمع النداء، وقد طرقه طارق نور، بدأ لها الطالب منا الطهارة، والاندراج في درج أهل الطهارة، هل أنت أسير للسوى؟ أم حر وطالب صدف أم در؟ فنادى لسان الرجل مطرقًا رأسه من الخجل:

قال المصنف:

(حرف النون)

[إِلهي نَحْنُ الأُسَارَى فَمِن قُيُودِنَا فَأَطْلِقنَا وَنَحْنُ العَبِيد فَمِن سِوَاكَ فَخَلِّصنَا وَأَعْتِقْنَا يَا سَند المُستَنِدين ويا رَجَاء المُسْتجرينَ إِلهنَا وَإِله كُل مَأْلُوه وَرَب كُل مَربُوب وَسَيد كُل ذِي سِيادَة وَغَاية مَطْلب كُل طَالِب نَسْأَلك بِأَهل عِنَايتك الذِي اختَطفتهُم يَد جَذبَاتك وَأَدْهَشتهُم سَناء تَجلِيَاتك فَتَاهُوا بِعَجِيبِ كَمالاتِك أَنْ تَسْقِينَا شَربَةً مِن صَافِي شَراب أَهْل مَوَدَتك الرَّبَانِيون وَعَرَائِس أَهْل حَضْرَتك الذين هُم فِي جَمالِك مُهَيمُون].

قال الشارح: (**إِلهي نَحْنُ الأُسَارَى**): جمع أسير، أي معاشر المسلمين، أو جميع الأعضاء والجوارح، ونحن - كما في «القاموس»: ضمير، يُعنى به الاثنين والجمع، المخبرين عن أنفسهم، مبني على الضمير، أو جمع أتى من غير لفظها، ومحركٌ آخره؛ لالتقاء

الساكنين، وضُمّ؛ لأنه يدل على الجماعة، وجماعة المضمرين تدل عليهم الواو نحو: فعلوا، أو أنتم، والواو من جنس الضمة.

وقال فيه الأسير الأخيذ والمقيد والمسجون: جمعه أسرى وأسارى وأساري، انتهى.

واعلم أن الأسارى من الحبارى السهارى، جلت عن العد أقسامها، وخبتت عن الحد إفهامها، فأسير ذنوب وخطوب وغيوب وعادات وعبادات ودعوات، وظهور وخفاء وحبور وجفاء، وأسير أحوال وأعمال وأقوال ونوال، وأسرار وأنوار وأطوار وأغيار، ومنهم أسير نفسه، فلا يستطيع خلافها، وأنسه راغبًا فيه وإن صادفت النفس تلافها، وقدسه ليسقي في حضرة القرب سلافها، وطمسه ليغني عن اليمين فلا يرى أرضًا ولاسلافها، وفهم أسير الفتوح؛ لإصلاح روح، فيقف عنده فلا يتوراه، فيفوقه بوقوفه كثير مقامات، والجهل بها للوقوف أداة، ومنهم أسير كشف وحصير رشف، ومنهم أسير علم نور من عوالم ظل الضواحي، ما ينوف على أربعمائة من الرجال، حبسوا في ذلك العالم؛ لما وقفوا لديه، وظنوا أن ليس فوقه لما وصلوا إليه، ومنهم أسير علم الشموس الضاحية والنفوس الصاحية، وهذا العالم عالم أرض السمسة برشحة من طلة، ولمحة نور من ظله، ومنهم أسير عالم الحقائق الذي ينتهي إليه سير الذائق، وشهود الحقيقة في هذه الطريقة العريقة عزيز للمنال، غريب المثال، الواصل إليه أقل من القليل، والواقف عليه أجل كل جليل، ألا ترى قول العارف النبيل:

حقيقتي همت بها، وما رآها بصري ولو رآها لغدا قتيل ذلك الخور

هذا كلام المحيوي، فكيف بغيره ممن لم يبلغ عشر عشر عشر سيره؟ وكثير من الأولياء الكرام ممن يمشي على المسار، ويطير في الهوى، لا يستطيع شم رائحة عالم الضواحي، ولو شمه لارتوى، فكيف بعالم الحقائق الذي لا يدركه غير راق حاذق فائق؟

وقلت في المقام السابق:

ولي مدة أبغي وصال حقيقتي وتلك جاوبتني: يحيا الواصل
وكم سألتها النفس كشف لثامها وإسماع ذكر كم به تاه واصل
وكم عاتبت نفسي عليها؛ لمنعها شهود جمال فيها، فات حاصل
وكنت أرى أني أراها بلا أمر قبيل مشيبها خصنا بي ناصل

ولم تستطع نفسي اعتزالاً لعزبها ... كما اعتزل البصري في الدرس واصل
وذلك من فرط اقتراب بها، لناء به ... كميل إسعافي إلى الحد واصل
ومذ هبطت لي من سهاها نزلٌ، ... وبي اتخذت ما لاح للعين فاصل

(فَمِن قُيُودِنَا): المانعة لنا عن شهودنا، التي من جملتها النفس والشيطان والهوى والدنيا ذات الالتواء، ومن جملتها ضعف الوجود عن حمل أعباء الورود (فَأَطْلِقْنَا) أي: الخي المعبود، ومن القيود المتلفة الغفلات المختلفة، وبها تضعف العين عن النظر المطلق لكل عين، والسمع عن سماع كل مسموع، وشم كل مسموم مفترق ومجموع ومقيد لبقية الحواس الظاهرة والباطنة، دون التباس، فإذا أراد الحق سبحانه وتعالى أن ينعم على عبد بالخلاص، وينعم سره بدخول دوائر المطلقين من أهل الاختصاص، فتح له باب القرب، وأذن له بالشرب، ومنَّ بجوده المناسب الطلاء عليه بكحل الجلاء الخاص، فتقوى به بصر مدارك أنوارًا تكلّ عنها أهل الأقفاص، وارتوت عوالمه الباطنية من الشرب الزنجبيلي السلسبيلي، وتغذت من المزاج الكافوري المستمد من الروح الجبريلي، فهنا تضمحل قيوده، وتخفق على رؤوس الرؤساء بنوده، وما دام العبد يسرها، وطل حصيرها، فهو محجوب غير موهوب؛ فلذا قال: (فَأَطْلِقْنَا) أي: فك وثاقنا وعقالنا؛ لتدري ما علينا وما لنا، ونفوز بكمال الإطلاق من القيود، وينحل عنها الوثاق المشهود، أو المعنى: نحن المسجونون في سجن سجين الطبيعة، المقصدون بقيود عوائد نفسية توجب القطيعة، فمنْ على أرواحنا الشريفة بإطلاقها؛ لتسرح في المقامات المنيعة.

(وَنَحْنُ العَبِيد): المعروفون بالتخصيص والتأييد، المغرقون في بحر سيود السوي؛ امتحانًا مصحوبًا بتشديد.

(فَمَن سِوَاكَ): يا شهيد يا مريد، (فَخَلِّصنَا)، أي: سلمنا ونجنا، (وَأَعْتِقْنَا): يا حميد من أسر سائر العبيد لنحوز درجة الأحرار، ونفوز بدرك الأسرار.

والحرية في الاصطلاح: على الانطلاق عن رق الانحياز، وهي على ثلاث مراتب:

- حرية العامة عن رق الشهوات.
- وحرية الخاصة من المرادات؛ لفناء إرادتهم في إرادة الحق.
- وحرية خاصة الخاصة عن رق الرسوم والآثار، لا بمخافتهم في تجلي نور

الأنوار، ذكره القاشاني، بلغه الله أرفع الأطوار.

وقال الامام القشيري ﷺ في «الرسالة»: الحرية ألا يكون العبد تحت رق المخلوقات، ولا يجري عليه سلطان المكونات، وعلامة صحته سقوط التمييز عن قلبه بين الأشياء، فتتساوى عنده أخطار الإعراض.

قال حارثة: غربت نفسي عن الدنيا، أي: انصرفت، فاستوى عندي حجرها وذهبها، سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق- رحمة الله عليه- يقول: (من دخل الدنيا وهو عنها حر، ارتحل إلى الآخرة وهو عنها حر)، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا محمد المراعي يحكي، عن الرقي، عن الدقاق ـ رحمة الله تعالى عليه ـ إنه كان يقول: (من كان في الدنيا حرًّا منها، كان في الآخرة حرًّا منها).

واعلم أن حقيقة الحرية كمال العبودية، فإذا صدقت لله عبوديته خلصت عن رق الأخيار حريته، وأما من توهم أن العبد يسلم له أن يخلع وقتًا عذار العبودية، ويحيد لحظة عن حد الأمر والنهي، وهو ممن في دار التكليف، فلذلك انسلاخ من الدين، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، يعني الأجل، أجمع عليه المفسرون، ثم إن الذي أشار به للقوم من الحرية هو ألا يكون عبد بقلبه تحت رق شيء من المخلوقات، لا من أغراض الدنيا، ولا من أغراض الآخرة، فيكون فردًا لفرد لم يسترقّه عاجل دنيا ولا حاصل هوى، ولا أجل منى، ولا سول، ولا قصد، ولا أدب، ولا حظ إلى آخر الباب المستطاب، وتكلم سيدي محيي الدين على الحرية في «فتوحاته» بما لا مزيد عليه، عمَّه الله بإمداداته.

واعلم أيها الشارب في أراضي تركك الاختيار الشارب من بحر مراضي العزيز الجبار أن العتق من رق الأغيار هو الحرية، الذي فيها فك عتق السيار من أسر الغير، وصاحبها يوصف [بالساتر]، وفيها رفع العلو والشنار، ويرفع الأستار في التيار، فإن الدخول تحت حكم السوي يشين سين السيار، ويقطع آوصال الأسفار في الأسفار، فمن تمحضت عبوديته لربه عتق من رق السوي والآثار، وسلم من الاحتجاج بالأطوار عن نور الأنوار، ولم يكن عبدًا لدرهم ولا دينار، بل عبد الله على الحقيقة، وهذا هو العبد المختار، ومن المعلوم [عند] أرباب الفهوم أن طوق العبودية للحي القيوم لا ينفك

من أعناقنا في هذه الدار، وفي تلك الدار، لكن هذا الطوق أوجه تتحقق، وتدرك خرافية خاصة الخاصة الأخيار، وثم استواء تتعلق به الخواص من السادة الأبرار، وله هبوط عليه سقوط عامة العامة ليوم القرار.

وقال سيدي عمر - غمره الله بسحب الأسرار:

عبد رق ما رق يوماً لعتق ... لو تخليت عنه ما خلا كالظاهر

هذا البيت يلمح لقضية أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وباطنه يلوح لشرف مقام العبودية، وإن المتحقق فيها، والذائق لها، لو خيره مولاه بين الرق والحرية، لاختار الرق، ولم يجنح للحرية بالكلية.

وقلت في هذا المعنى:

أنا في رق حبيبي وبرقي خلي أرقاه ... إن يخيرني بعتق، لم أكن اختار عتقا

وقلت:

لست أرجو العتق من رق الهوى ... كيف أرجو وفي الرق ارتقاء

إنما أرجو بأن يعتقني مالكي ... من رؤيتي بعد اللقاء

وكيف يطلب العبد عتقاً وهو أسير عتق، وهو أسير مولاه حقًّا؟ ولو خير بين الفاني والباقي، لاختار الباقي صدقاً، وكل من اختار غيره، فتباً له، وسحقاً.

ولقد قلت سابقاً:

بحق الهوى جودوا بكأس وما لكم ... دهاقاً، وإلا خاسر وفي بالباقي

ولو أنني خيرت ما أخذت غيركم ... ومن ذا الذي يختار فان على الباقي

(يَا سَند المُستَنِدين): السند في اللغة: معتمد الإنسان، أي يا عمدة من يعتمد عليه؛ ليبلغه الأمان.

روى الديلمي عن عمر وعلي - ﷺ - مرفوعاً: «**إذا شجاك شيطان أو سلطان فقل: يا من يكفي كل أحد يا أحد من لا أحد له يا سند من لا سند له انقطع الرجاء إلا منك، فكُنّي مما أنا فيه، وأعني على ما أنا عليه مما قد نزل بي بجاه وجهك الكريم، وبحق محمد**، آمين»

(ويا رَجَاء المستَجِيرِينَ): الرجاء ضد اليأس، والمعنى: يا من لا يرجو المستجير به سواه.

قال الإمام السخاوي ﷺ في «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع»: وعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**اللهم إني أسألك يا الله يا رحمن يا رحيم، يا جار المستجيرين، يا مأمن الخائفين، يا عماد من لا عماد له، يا سند من لا سند له، يا ذخر من لا ذخر له، يا حرز الضعفاء، يا كنز الفقراء، يا عظيم الرجاء، يا منقذ المهلكين، يا منجي الغرقاء، يا منعم يا متفضل يا عزيز يا جبار يا منير، أنت الذي سجد لك سواد الليل، وضوء النهار، وشعاع الشمس، وخفيق الشجر، ودوي الماء، ونور القمر، أنت الله لا شريك لك، أسألك يا الله أن تصلي على محمد عبدك ورسولك، وعلى آل محمد**»[1]، انتهى.

ولما سأل المؤلف رحمه الله تعالى فك القيود، والإطلاق من الوثاق المسدود، والعتق من رق السوي، الذي من تخلص منه كل خير حوى، عالمًا أن مولاه عماد من لا عماد له، ورجاء مستجير علق به أمله، ولم له كان لمن آوى إلى ركن شديد، وحصن منيع رفيع مشيد؛ لما في الحديث: «**رحم الله لوطًا؛ يأوي إلى ركن شديد، وما بعث الله بعده نبيًّا إلا في ثروة من قومه**»[2]، رواه أحمد والترمذي، عن أبي هريرة، ووجه المناسبة بين هذا التوسل والذي تلاه أن الاستناد لما كان مقصورًا على الحق لا سواه، والرجاء محصور بمن خلق العبد وسواه، وسمع الآواه قول مولاه: ﴿كُونُوا رَبَّنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:79] أي: منسوبين للرب معاشر الموحدين، وهذا لا يكون إلا بالعناية الإلهية، والجذبات الخفية، والتجليات الرفيعة، والكمالات البديعة، طلب بعد فك القيود والتقدير بمراسم الحدود، أن يسقيه شربة من صافي شراب أهل مودته، وعراتس أهل حضرته الذين وصفهم رباني، ونعتهم هيماني، وهذا الشراب هو الذي يحقق للطلاب دور الإقدام والغناني، ودخولهم غرر مقامات التداني ليوم التهاني، فناسب هذا التوسل مناسبة تامة للثاني؛ إذ هو نتيجة، وعليه المعول لدى المغاني للمعاني.

(إِلَهَنَا وَإِلَه): منصوب على أنه منادى مضاف، وأتى بنون الجمع من كونه نائبًا عن

(1) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 450).

(2) رواه الحاكم في المستدرك (2/ 611).

مجموع أجزائه، أو عن الأمة كل بالحد على الإضافة، وسبق في أول التوسلات الكلام على (كُل مَألُوه)، والمألوه: هو المعبود الذي عُبد، حقًا كان أو باطلاً، والمراد به هنا المعبود باطلاً، فإن العبادة لا يستحقها إلا الله تعالى وحده، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:23]، وقضاؤه واقع لا محالة بلا اشتباه، ولهذا أخبر تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر:3]، فهو الحق المستحق للعبادة، والفرد المنفرد بالسيادة والنور الذي للظلام ماحق وإذا جاء الحق فالباطل زاهق (وَرَب)، أي: مالك، (كُل مَربُوب) أي: مملوك.

قال في «القاموس»: ومربوب بين الربوبية مملوك (وَسَيد)- أي: مولى، يسود سيادة، والاسم: السؤود، وهو المجد والشرف،فهو سيد.

(كُل ذِي) أي: صاحب (سِيادَة) أي: مجد وشرف.

قال في «المختار»: وساد، والأنثى سيده بالهاء، ثم أطلق ذلك على الموالي؛ لشرفهم على الخدم، وإن لم يكن لهم في قومهم شرف، فقيل: سيد العبد وسيدته، والجمع سادات، وزوج المرأة يسمى سيدها، وسيد القوم رئيسهم وأكرمهم، والسيد المالك (وَغَايَة)- أي: منتهى (مَطْلَب)، أي: مطلب، (كُل طَالِب) أي: قاصد، والطلاب ثلاثة:

طالب دنيا، وآخرى، وطالب الله، وهو أعز الثلاثة، ولهذا لم يذكره الله، ولا أشار إليه؛ لعزة وجوده وعزته عليه.

(نَسْأَلُك) أي: نتوجه ونبتهل ونتضرع إليك بسر (بِأَهل):الأهل من كل شيء: خاصته، وفي «القاموس»: وأهل الأمر: ولاته، والبيت: سكانه، والمذهب: من يدين به، والرجل: زوجته، والنبي ﷺ: أزواجه وبناته، وأهل الله: سكان مكة والصوفية؛ لنسبتهم لطريق الله.

(عِنَايتك): الذين اعتنيت بشأنهم في السابقة، وأحسنت إليهم في الخاتمة واللاحقة، وخلعت عليهم خلع العناية، وأمرت جبريل عليه السلام بحبهم فأحبهم، ونادى بحبهم في السماء صريحًا لا كناية، فأحبهم أهل السماء والأرض قسرًا ليوم العرض والعناية، تستدعي هداية وحماية ورعاية وكفاية، فأهلها هم الفائزون بنفحاتهم، الحائزون قصب السبق في مرضاتك، وهم: (الذِي اختَطفتهُم): استلبتهم عنهم، وأخذتهم منهم، (بِد جَذباتك): جمع جذبة،

وهي كما قال القاشاني - رحمه الله تعالى: تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية؛ مهيأً له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه، انتهى.

والجذب في اللغة: المد، وتحويل الشيء عن موضعه، وناقة جاذب وجاذبة: قل لبنها والمراد المعنى الأول، فإن الجذب فيه مد، أي تكبير وتكثير للمجذوب؛ أي: تكبير حقائقه وتكثير رقائقه ودقائقه، وكذا المعنى الثاني، فإن له فيه تحويلاً من مقام إلى مقام، ومن حال إلى حال، بل من مقام إلى أعلى مقام ومن حال إلى أرفع حال.

فإن جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين، ولها علامات قلبية يجدها السالك دون معين؛ وهي: حصول انجذاب لقلبه بسلاسل اقتراب يحس بها السيار؛ فيرى قلبه مجذوبًا لسماء أواب تنهل بسحاب أغراب عن معاني أحباب، ويعاين ذلك بطريق الوجدان والذوق، فلا يسعه نكران ما شاهده قلبه بالعيان، فإنه لين في طوق من يأكل من فوق، وكان بعض الفقراء إذا عاين هذا الشوق إلى الجهة الفوقية يأخذه هيمان وشوق، ويتعجب من قلب طائر لا إلى حد محدود، وجسم واقف حائر موثق بقيود، ويتأيد ما يقع في اليقظة من هذا الحال بالروايات الصادقة من رؤية طيران السالك في عالم الخيال، ومن عروجه من سماء إلى سماء، ومن منابه مناب الشمس، وارتقاؤه إلى الكرسي والعرش إلى حيث مرتبة الهمس.

وهذا هو المعراج الروحي للمنهاج الموحي، والمدد القلم السبوحي.

واعلم أن أهل هذا الجذب على أقسام كما أن أهل السلوك كذلك؛ فمنهم مجذوب سالك ومجذوب دام له الجذب فإمداده غير مقتر، ومجذوب وقف بعد سيره وهذا هو الأشرف الأبتر:

فالأول: يصلح أن يكون هادٍ، **والثاني**: لا يمكنه السير في ذا الوادي، وكذلك الثالث والرابع؛ فإن الإرشاد يحتاج إلى كشف عين المراتع والمرابع، وكل من تقدم جذبه على سلوكه دلَّ على عناية المالك بمملوكه، لكن بشرط أن يصحب الجذبة السلوى؛ ليقف الصعلوك على سائر مقامات الملوك وتزول عنه فيها الشكوك، وبعض أهل الجذب - ممن خصه الله بعنايته ومنحه وافر هدايته - بكشف له بعد قطعه ميادين السلوك في لمحة عنها، ويشهده إياها فيدرك حقائق معناها، ويستمد منها، وهذا عبد اعتنى الحق به ليقيمه داعيًا

مجيبًا عباده إليها، منبهًا غافلاً لم ينتبه؛ فهو محبوب غير متعوب، ومحمول لا حامل ومقبول كامل، مسلوب الاختيار مسلوب لا يقر، له قدار ممد، وبالعطاء قبل الطلب مملوء بأنوار كشف الغطاء والوهب؛ إذ فيضه وهبي لا كسبي ومدده حقيقي لا نسبي، وقد بسطنا الكلام على أقسام أهل الجذب الكرام في رسالة «العيان المعني عن التهذيب في بيان سني أحوال المجاذيب».

وقلت في نتائج الجذبة الحلوة العذبة:

جذبة الحق ترقي الحبا ... وتنقي القلب مما اكتسبا

وله تدني فتفني حجبه ... ثم تغني حيث تعلي النسبا

وتريح الستر عن ناظره ... فيرى الكل ويلقى العجب

وتريح الصب عن كل عنا ... وتريه ما عليه وجبا

وبها يسلو العلوي عن قلبه ... إذ لمحبوب الحشا قد خطبا

قرَّ عينًا يا مجاذيب الحمى ... وتهنا بجمال سلبا

حبه فرض على عاشقه ... وسواه حسبه ما وجبا

إذ سواه عدم في نفسه ... هالك، مثل خيال وهبا

عز أن يدركه الغير فلم ... يره قلب سوى من نهبا

سار فيه عنه سيرًا باطنًا ... وتحلى بصفات الأدبا

وعليه قد تجلى جهرة ... بثبات النور، والنور نبا

وبه هام في بحر الهوى ... علم؛ إذ قد نال منه الإربا

وصلاة الله تستلي دائمًا ... وسلام ما تحب قد صبا

لنبي قد فاق كل القربا ... وعلى آل وصحب نُجَبا

وأما أقسام أهل السلوك ملوك الآنام:

فقد ذكرهم الإمام سيدي محيي الدين المقدام في فتحه المكي المبين، الخضيم الطاهر، فقال عليه الرحمة من السلام والسلام: السلوك عبارة عن انتقال من منزل عبادة إلى منزل عبادة بالمعنى، وانتقال بالصورة من عمل مشروع بطريق القربة إلى الله إلى عمل مشروع بطريق القربة إلى الله بفعل وترك، فمن فعل إليَّ فعل، ومن ترك إليَّ تركًا، له من فعل إلى ترك، أو من ترك إلى فعل، وما ثم خامس للصورة، وانتقال بالعلم من مقام إلى مقام ومن اسم إلى اسم، ومن تجلٍّ إلى تجلٍّ ومن نفس إلى نفس، والمنتقل هو السالك، والسالكون في سلوكهم **أربعة أقسام**:

- سالك يسلك بربه.
- وسالك يسلك بنفسه.
- وسالك يسلك بالمجموع.
- وسالك لا يسالك.

فيتنوع السلوك بحسب قصد السالك ورتبته في العلم بالله.

فأما السالك الذي يسلك بربه: فهو الذي يكون الحقُّ سمعَه وبصرَه، وجميعَ قواه.

والقسم الآخر **السالك بنفسه**: وهو الخير الإلهي، واعتقاده إيمانًا، ولكن ما حصل لهم هذا ذوقًا؛ فيكون الحق قوفهم؛ فهم السالكون بنفوسهم في جميع مراتب السلوك.

وأما **السالك بالمجموع**: فهو السالك بعد أن ذاق كون الحق سمعه وبصره، وعلم أن السامع بالسمع ما هو عين السمع، ورأى ثبوت هذا الضمير وعاين على من عاد، فعلم أن نفسه وعينه هي السميعة بالله والناطقة بالله، والمتحركة والساكنة بالله، وإنها المخاطبة بالسلوك والانتقال؛ فسلك بالمجموع.

وأما القسم الرابع وهو **سالك لا مسالك**: فهو أنه رأى نفسه لا يشتغل بالسلوك ما لم يكن الحق صفة لها، ولا تستقبل الصفة ما لم تكن نفس المكلف موجودة، وتكون كالمحل لها؛ فصدق أنه سالك بالمجموع، فإذا تبين له أن المجموع مظهر بالسلوك بان لدان المظهر لا وجود له عينًا، وإن الظاهر تقيد بحكم استعداد المظهر، ورأى الحق يقول: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]؛ فمن وقف على هذا العلم من نفسه علم أنه سالك لا مسالك.

ثم اعلم أن السالكين الذين ذكرناهم على مراتب:

فمنهم: السالك منه إليه؛ وهو المتنقل من تجلٍّ إلى تجلٍّ.

ومنهم: السالك منه إليه فيه؛ وهو السالك من اسم إلهي إلى اسم إلهي.

ومنهم: السالك منه لا فيه ولا إليه؛ وهو الذي خرج من عند الله في الكون إلى الكون.

ومنهم: السالك لا منه ولا فيه؛ وهو الفار إليه في السلوك من الكون، كفرار موسى عليه السلام.

ومنهم: السالك لا منه ولا فيه ولا إليه، وهو المتنقل من الأعمال الظاهرة من الدنيا والآخرة، وهو الزاهد، انتهى.

قال الإمام الجيلي - قدس الله سره - بعدما سرد هذه العبارة: والواصلون - أي من أهل السلوك - ثلاثة: واصل إلى الأسماء الذاتية، وواصل إلى الأسماء الصفاتية، وواصل إلى الأسماء الفعلية؛ فالوصول إلى الذات ممتنع، وإلى الأسماء والصفات واقع، انتهى.

والسالكون: هم المسافرون، والأسفار ثلاثة على ما ذهب إليه الإمام المحيوي، وسبعة على رأي غيره من أهل السير المعنوي، وقد ألف في الأسفار كتابًا جمع فيه لبابًا؛ فراجعه تظفر بالصراط السوي.

والكلام في هذا المقام يولد الكلام على المعاريج واختلافها، والأسرات الروحانية وعدم اتفاقها وائتلافها، فبوزك طولاً والاختصار أولى عند أهل المراتب الذوقية، وعدم أعرافها، وفي إسناد اليد إلى الجذبات استعارة بالكناية عند أهل العناية، (**نَسْأَلُكَ بِأَهْلِ عِنَايَتِكَ الَّذِينَ أَدْهَشْتَهُمْ**)، أي: حيرتهم وما حيرتهم، وحيرتهم وحيرتهم وحيرتهم (**سَنَاءُ**)، أي: رفعة بالمد، والرفع على أنه فاعل (أدهش).

(**تَجَلِّيَاتِكَ**): ومن شرحها، وعند فجاءتهم أنوار رفعتها وأسرار الموارد نعتها، غابوا عنهم لما تجلى لهم سحر غرتها وطابوا بذوق حلوتها ومرتها، في بر عريش برتها وريش غرتها؛ (**فَتَاهُوا**)، أي: ضلوا فلم يهتدوا، وهذا ضلال في عين الهداية وتيهان في بحر الولاية، وهذه الحيرة المحمودة التي تُطلب الزيادة منها، وسبق الإفصاح عنها.

(بسبب شهود هم عجيب): وهو الذي جاوز حد العجب، قال في «القاموس»: وأمر عجيب، وعجيب، وعجاب، وعجاب، وعجب، عاجب، وعجاب، والعجيب كالعجاب، والعجاب: ما جاوز العجب .. إلى آخره، فإن عجيب، على وزن فعيل: مبالغة في العجب، فكل أمر يتعجب منه فهو عجيب، وما أفرط في العجب: فهو عجيب، ألا ترى قوله ﷺ: « **عجبت وليس بالعجب، وعجبت وهو العجب العجيب، عجبت وليس بالعجب أني بعثت إليكم رجلاً منكم؛ فآمن بي من آمن بي منكم وصدقني من صدقني منكم، فإنه العجب وما هو بالعجب، ولكني عجبت وهو العجب العجيب لمن لم يرني وصدقني**»[1].

(كمالات): يجمع كمال، وهو في اللغة التمام، وفي الاصطلاح: التنزيه عن الصفات وآثارها، وعدم قبول الزيادة للغني المطلق، وأما كمال العبد فهو: قبول الزيادة؛ لأنه في مزيد علم دنيا وأخرى، وكل من قبل الزيادة فهو ناقص؛ فالنقص إذًا بنا منوط وحبله بحبلنا مربوط، وما ظهر في العالم كمال إلا من تجلي كماله، ولا جلال ولا جمال إلا من تجلي جلاله وجماله، والكمالات كلها مضافة إليه إضافة حقيقية، وإن أضيفت إلى الغير فبالنسبة المجازية.

قال سيدي محيي الدين عبد الكريم الجيلي - قدس الله سره - في الباب 135: إن كمال الله عبارة عن ماهية غير قابلة للإدراك والغاية، فليس بكماله غاية ولا نهاية، فهو سبحانه يدرك ماهيته ويدرك أنها تدرك، وأن لا غاية لها في حقه وفي حق غيره، انتهى.

أعني: يدركها بعد أن يدركها كبرياؤه وعدم انتهاته؛ لأنه لا يدرك إلى ما يتناهى.

وأما هو فليس له نهاية بحال، فإدراكه لماهيته حكمي لاستحقاقه شمول العلم وعدم الجهل بنفسه؛ لأنه قبلت ماهيته الإدراك بوجه من الوجوه، وهذه مسألة شديدة الغموض فإياك أن تزلق فيها، فإنها مقام الحيرة، وفي هذا قلت من قصيدة طويلة:

أحطت خبرًا جملةً ومفصلاً ... تجميع ذاتك يا جميع صفاته

أم جلَّ وجهك أن يحاط بكنهه ... فأحطته، أن لا يحاط بذاته

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 306).

حاشاك من غادٍ وحاشاك أن تكن بك جاهلاً وبلاه من حيراته

واعلم أن كماله سبحانه لا يشبهه كمال غيره؛ لأن كمال المخلوقات بمعان موجودة في ذواتهم وتلك المعاني مغايرة لذواتهم، وكماله - سبحانه وتعالى - بذاته لا بمعان زائدة عليه، فتعالى عن ذلك، فكماله عين ذاته وهذا صح له الكمال المطلق والكمال التام، فإنه سبحانه - ولو تعلقت به المعاني الكمالية - فإنها ليست غيره، فمعقولية الكمال المستوعب له أمر ذاتي لا زائد على ذلك ولا مغاير له، وليس هو بنفسه المعقولة، وليس لسواه هذا الحكم .. إلى آخر الباب.

ولما كان الكمال الإلهي له شمول واستيعاب لمرتبة الأفعال والأسماء والصفات والذات، قال: (بِعَجِيبِ كَمَالَاتِك)، أي: التي لا يحيط بها حد ولا يحصرها عد، والكاملون من كل الأنواع والأجناس مرايا كمال سيد الناس، والكمال المحمدي مرآة الكمال الإلهي السرمدي، فما تجلى الحق الكامل إلا من خلف الحجاب الكمال المحمدي؛ إذ هو الواسطة العظمى التي لا محيد عنها ولا وصول ولا حصول إلا منها، لكن ربما غفل عن شهودها مغلوب بحاله مسلوب الاختيار قد لبس ثوب الإذلال، فيظن أنه أخذ عن الحق بغير واسطة المقتفى وهو محال - على كل حال - عند أرباب الوفا.

قال الإمام الجيلي - قدس الله سره - ومنحه الصفاء في «الوامع البرق الموهن» الحضرة التاسعة والثلاثون، حضرة التكميل: اعلم - أيدك الله تعالى - أن العبد يعجز عن تحققه بمقام الكمال المطلق فيكاد أن يفر؛ لأنه يجد الطريق مصمتًا لا منفذ فيه، فيتجلى عليه النبي ﷺ بذلك الكمال الذي عجز هذا الولي عن التحقق به، فيعرف الولي الكلمة الحضرة إلى النبي ﷺ، ويشهده في ذلك الكمال فيقرب من قائليه وفيه من قابلية الولي؛ فيقوى بواسطتها على التحقق بذلك الكمال؛ فيكمله النبي ﷺ بأن يتصدق عليه بدوام بروز رقيقه بعد رقيقه؛ ليكمل في كل مقام ويتقوى به لما يستحقه من ذلك المقام، فالتكميل لكل كامل إنما يكون من الحضرة المحمدية، علم بذلك مَنْ علمه وجهل مَنْ جهله، انتهى.

(أن تسقينا): هذا وما بعده المسؤول، وجمع على إرادة الأمة أو الحُضَّار معه في الورد من روحاني وملك، ومن عمار الدار من مؤمني جن، وسكان الهواء من الملائكة الذين يحضرون عند الذاكر ويُؤَمِّنُون على دعائه ويصلون بصلاته، كما ذكره ابن أبي الدنيا في

كتاب «التهجد»، أو على إرادة الملائكة الذين يحفون بحلق الذكر لما في حديث رواه أبو الشيخ عن أبي هريرة: «**كل مجلس يُذكر اسم الله تعالى فيه تحفُّه الملائكة حتى أن الملائكة يقولون: زيدوا زادكم الله**»[1]، والذكر يصعد بينهم وهم ناشروا أجنحتهم، فكان المؤلف - غفر الله له زلله وستر خلله - لما علم بهؤلاء الجلساء الكرام عليهم السلام، قال: (**أَنْ تَسْقِينَا**): مشيرًا لقول بعض الأعلام أهل المجد والإكرام - حياه الله وافر الإنعام: لا تسقني وحدي، فما عودتني أني أشح بها على جلسائي، أنت الكريم وهل يليق تكرما أن تعدم الندما دور الكأس! (**شَرْبَةً**): مفعول تسقي، (**مِن صَافِي**)، أي: خالص، (**شَراب أَهْل مَوَدَتك**)، أي: أهل ودك الذين توددت إليهم في الأزل بلطائف الجود، وتوددوا إليك بك بدوام الإقبال والشهود، كنت أنت الساقي لهم من الشراب الطهور بعد رفع البراقع عن عيون الفؤاد والستور.

قلت: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[الإنسان: 21، 22]، ولما صحت النسبة الربانية في هذه الشربة الطهورية العيانية كانوا هم (**الرَّبَّانِيون**): والرفع على القطع، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: 79]، قال القاضي: و(الرباني) منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون، كاللحياني والرقباني، وهو الكامل في العمل والعلم، انتهى.

وقال سيدي سهل بن عبد الله ﷺ: الرباني هو العالم بالله والعالم بأمر الله، والكاشف له من العلم اللدني ما غاب عن غيره، وقال أيضًا: الرباني الذي لا يختار على ربه حالاً، وقال الخريري - رحمه الله: كونوا ربانيين، أي: سامعين من الله ناطقين بالله، وقال الفضل بن العباس الشكلي: كونوا كأبي بكر الصديق ﷺ، فإنه لما مات محمد ﷺ اضطربت الأسرار كلها لموته ولم يؤثر ذلك في سر أبي بكر؛ فقال: «**من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت**»[2].

وقيل: الرباني هو الذي لا تستفزه محنة ولا تهزه نعمة، فهو على حالة واحدة في اختلاف الطوارق.

---

(1) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (15/ 358).

(2) رواه البخاري (1/ 419).

وقال سيدي جعفر الصادق - رضي الله تعالى عنه: كونوا ربانيين مستمعين بسمع القلوب وناظرين ما عين العيوب؛ كذا في «عرائس البيان» للشيخ دوزبهان.

(وَعَرَائِسِ أَهْلِ حَضْرَتِك)، أي: ملاحها وصباحها الفائقين على الغير بزينة الظاهر والباطن لحسن السير، والفرح والسرور بالوصول لحضرة النور، والسكون للمحبوب والركون للمطلوب، والراقين على سرر الحضور في قصور ما لها من قصور، وهؤلاء العرائس هم أهل الخصائص والنفائس الذين تحلوا بأشرف حلي وحلل وتخلوا عن نعت خلي وخلل؛ فكانوا عرائس أحرف عاليات لم تقل إذ لكل شيء عروس مجمل مكمل، حتى الكلام المنزل فإن عروسه الرحمن كما جاء عن سيد الكمل، عروس الحضرة الصمدية، وأنعم به من عروس عروش قوم وتؤمل، وهؤلاء هم ضنائن الحق من خلقه ودعائم خزائن القبة الخضراء من أهل رتقه وفتقه، المشار إلى علاهم في الحديث - الشريف المقدار - الذي رواه عن أنس خادم المختار، العمدة العدة ابن النجار: «**إن لله عبادًا يضن بهم عن البلاء، يحييهم في عافية ويميتهم في عافية**»[1]، ومعنى يضن بهم: أي: يمنعهم، وعنه ﷺ: «**إن لله عبادًا يضن بهم عن القتل، ويطيل أعمارهم في حسن العمل، ويحسن أرزاقهم، ويحييهم في عافية ويقبض أرواحهم في عافية على العرش؛ فيعطيهم منازل الشهداء**»[2]، وفي رواية عنه ﷺ: «**إن لله تعالى ضنائن من خلقه يغذوهم في رحمة، يحييهم في عافية ويميتهم في عافية، وإذا توفاهم إلى جنته، أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية**»[3]، وهؤلاء العرائس الكرام لم يعرفهم إلا القليل من الأنام؛ كأصحاب الكهف والرقيم وحور المهدي عليه الصلاة والسلام بعد نزوله لقتل عدو الله، وأحياء ما اندرس من معالم الإسلام، وهم الحور المقصورات في الخيام؛ بل حاهم أغرب عند السادة الأعلام، وصفهم الذي يعرفه الخواص لا العوام لدى الأعلام، وشهادتهم فيهم سألتهم حين إذا واقفتهم بين يديك بأعلام (**الذين هُم فِي جَمَالِك مُهَيمُون**)، أي: وفي جلالك كذلك، وهؤلاء الأرواح المهيمة من الجلال والجمال هي

(1) رواه الرافعي في التدوين (4/ 87).

(2) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 182).

(3) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (6/ 265).

الطاهرة عن أنوار سبحات الكمال، وثم أرواح أنزل منهم فيض، خلقوا عن تجلٍّ ذاتي أيضًا، هائمون سكارى سائحون مسبحون في أرض بيضاء، لا يعرفون أن الله خلق سواهم لدهشتهم بسناء التجليات وهيمانهم بمن سواهم.

قال سيدي محيي الدين - قدس الله سره - في «عقلة المستوفز» بعد ذكر بعض ما تقدم: وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة، ولا يجوز عليها الانحلال ولا التبدل أبدًا، وللإنسان فيها مثال وله حظ فهيم، وله في الأرواح مثال آخر: وهو في كل عالم على مثال ذلك العالم، انتهى.

واعلم أن لله تعالى رجالاً على أقدام هؤلاء الملائكة العظام، الذين هم أعلى الملائكة في الرتبة والمقام، وهؤلاء الملائكة لم يخاطبوا بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم لا يعرفون سواه من الهيام، وربما تجرد هؤلاء الرجال عن هياكلهم وقتًا واتصلوا بعالمهم، وهاموا بهيمانهم وأقاموا عندهم أيامًا وأعوامًا، وهم غافلون عن تدبير أجسامهم، لا يدرون ماذا حصل بها إنعامًا وإكرامًا؛ فإذا امتن الحق سبحانه وتعالى عبده ناب عنه، فلم يفوته صلاة ولا صيامًا؛ كما وقع للحاتمي - قدس الله سره - ذلك، وأخبر: إنه أقام عنده عشر سنين، وسأل بعد ما ورد لهذا العالم أصحابه عن حاله، فقالوا: ما اختلف علينا شيء منه، فحمد ربه الذي حفظ عليه أوقاته، ومن جملة المقيمين في عالم الملائكة المهيمين الخضر العباس ﷺ ما طابت الأنفاس، ومن الناس من يكون معهم، وهذا ولي مقرب لم يدر بحاله، أكرمه الحق بستر الحال ليلاً، يحتجب بكماله ووصاله ولأمور يعلمها المالك من هذا السالك.

ولقد قلت مشيرًا لأهل الهيام من كل مالك، ناح ناح أحسن المسالك من المهالك:

هامت بنعمة جمالك الأحباب ... وتولهت بجلالك الخطاب

وتنعم المتهيمون بقربكم ... وتلذذوا بخطابكم؛ إذ طابوا

فهموا الرموز؛ لذا بها قد هيموا ... دخلوا القباب، ودقت الأطناب

رفعت لهم سجف الجمال فشاهدوا ... نور الكمال، ودارت الأكواب

فهم السكارى من شراب حبيبهم ... شهدوا، فلا حجب ولا حُجَّاب

غابــوا بــه عــنه بــستر ظهــوره … بــل عــن مغيــبهم بــه قــد غابــوا
قــوم، لقــد قامــوا عــلى قــدم الــوفا … وبهــم هــنا كملــت لــنا الآداب
وعلــيهم عقــد الدنــو خفــاض … فتــشير نحــو علاهــم الأقطــاب
أنــسابهم تــسموا عــلى كــل الــورى … إذ تذكــر الأنــساب والأحــساب
أســقاهم بأكــؤوس خمــرة قدســه … وآماهــا الوصــف الجمــيل حــباب
هــي خمــرة غيبــية تــا … هــت بحــسن شــعاعها الألــباب
مــن يحتــسي كأسًــا لهــا سُــلِب النهــى … إذ للقلــوب عبــيرها سُــلَّاب
لم يقــصد الطــلاب غــير كؤوســها … وبــشربها الطــلاب لا تــرتابوا
جلــت فــلا يخــشى الملامــة شــارب … مــنها، ولــيس عــلى المديــر حــساب
فاخلــع عــذارك والهُــا في شربهــا … فهــي العــباب، وغــيرها فــسراب
فلــيس قــوم أســكروا مــن دونهــا … وتداولــوا شرب المــدام، وشــابوا
قــوم إلى المــولى بــه أبــوا كــيما … تامــوا، وحــين دعــوا إلــيه أجابــوا
فــبهم توســلنا إلــيك بذلــة … وكابــة، إن الذلــيل يجــاب
إن تــسقنا كــأس الــشهود مــروقًا … فــبحار جــودك لم تــزل تنــساب
ثــم الــصلاة مــع الــسلام عــلى الــذي … ســعدت بــه النقــباء والأنجــاب
والآل والأصــحاب مــا وهــب الــصبا … ســحرًا، ومــا وهــب إلــينا وهــاب
أو مــا هــنا العــبد المتــيم مــصطفى … وعلــيه ثابــت بفــضله الــثواب
أو مــا رآه الهائمــون لــذي شــذًى … هامــت بــنعمة كمالــك الأحــباب

ووجه المناسبة بين هذا التوسل وما يليه أن المؤلف – سامحه مولاه الذي بنعمه موليه – لما سئل تحليه بجواهر بواهر تدليه وتجليه شربة من الشراب الخاص بأهل تحليه،

من أهل العناية الذي للكأس تمليه، بعدما طاش القلب وضمائمه من الحواس، عن الغير تخليه وللكرب بعد قوة الجذبات تجليه، متحققًا أن الأمر الخاص يحتاج لمدد خاص في وقت خاص، وربما كان في مكان خاص لشخص خاص بعدما يخص قلبه باتساع خاص، وارتفاع مع انتفاع وارتفاع خاص؛ ليستعد لقبول الأمر الخاص فلا يؤثر في مزاجه لاندراجه النقطة في بحر المصطفى ﷺ وامتزاجه، ولولا انقسام أبواب هذا الاختصاص في منهاجه وانقداح حجر الاستعداد على زناد معراجه بأيد فيض خصوصي، اطلع فجر ابتلاجه لانمحى أثر السالك في أول قدم من هذا السير وانطفأ نور سراجه، وحيث حقق أن لله خواص تذهب من العبد وافر أعراجه، ولها ظهور في الأمكنة والأزمنة والأشخاص تكشف تلصب عن اندماجه في سندس القرب وديباجه، وعرف أن له في كل حضرة اسمًا خاصًا يجلسه على منصة الحب، وفي كل عالم حياة خاصة تعظم له الشرب، وكان ممن يقول بعلم المناسبة، وهو من العلوم الخاصة الحق طلب الشراب الخاص بذكر الوقت الخاص.

فلهذا ناسب أن يقول المؤلف:

(حرف الهاء)

إِلهي هَذِه أُوَيقَاتُ تَجلياتِكَ وَمَحَلُّ تَنَزلاتِك.

قال شارح: (**إِلهي هَذِه أُوَيقَاتُ**): مصغر أوقات، وهو جمع تكسير، قال الأشموني - رحمه الله تعالى - في شرح «الألفية»: وكل اسم متمكن قُصد تصغيره فلا بد له من ضم أوله وفتح ثانيه وزيادة ياء ساكنة بعده، فإن كان ثلاثيًا لم يغير بأكثر من ذلك، وإن كان رباعيًا فصاعدًا كُسر ما بعد الياء؛ فالأمثلة ثلاثة: فعيل نحو: فليس، ومفعيل نحو: درهم، وفعيعيل نحو: دنينير.

ثم قال **تنبيهات**: للمصغر شرطان: **يكون اسمًا**، فلا يصغر الفعل ولا الحرف؛ لأن التصغير وصف في المعنى، وشذ تصغير فعل التعجب، **وأن يكون متمكنًا**، فلا تصغر المضمرات ولا من وكيف ونحوها، وشذَّ تصغير بعض اسم الإشارة والموصلان كما سيأتي، **وأن يكون قابلاً للتصغير**؛ فلا يصغر نحو كبير وجسيم، ولا الأسماء المعظمة، **وأن يكون خاليًا من صيغ التصغير وشبهها** فلا يصغر

يصغر نحو الكميت من الخيل والكفيت، وهو البريد، ولا نحو مسيطر ومهيمن.

الثاني: وزن المصغر بهذه الأمثلة الثلاثة اصطلاح خاص بهذا الباب، اعتبر فيه مجرد اللفظ تقريبًا، بتقليل الأبنية، وليس جاريًا على اصطلاح التصريف؛ لأن وزن أحيمر، ومكيرم، وسفيرج في التصغير: فعيعل، ووزنها الصرفي: أفيعل، ومفعيل، وفعيلل.

الثالث: فوائد التصغير عند البصريين أربع:

تصغير ما يتوهم أنه كبير نحو: جبيل، وتحقير ما يتوهم أنه عظيم نحو: سبيع، وتقليل ما يتوهم أنه كثير نحو: دريهمات، وتقريب ما يتوهم أنه بعيد زمنًا أو محلاً أو قدرًا نحو: قبيل العصر، وبعيد المغرب، وفويق هذا، ودوين ذاك، وأصيغر منك.

وزاد الكوفيون ـ يعني خامسًا ـ وهو: التعظيم، كقول عمر بن الخطاب ﷺ في ابن مسعود ﷺ: كنيف مُلأ علمًا.

قلت: هو تصغير كنف، وهو وعاء يكون فيه أداة الراعي، ثم قال: وقول بعض العرب: أنا جذيلها المحكك، وعديقها المرجب، وقوله: وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهية، تصغر منها الأنامل، وقوله: وفوق حبير مانح لم يكن فتى ليبلغه، حتى يكل ويعجل. وردَّ البصريون ذلك بالتأويل إلى تصغير التحقير ونحوه، انتهى.

وقال المصنف: فيقال في نحو: تمرة، وحبلى، وحمراء، وأجمال، وسكران: تميرة، وحبيلى، وحميراء، وأجيمال، وسكيران، انتهى.

وأنشد الفارضي ـ قدس الله سره:

وأويقـــات بـــواد، ســـلفت كـــان مـــنها راحتـــي

وإشارات التصغير للتحبيب لا التحقير، بقوله: ما قلت (حبيبي) من التحقير، بل يعظم اسم الحب بالتصغير، وأنشد الحريري في «شرح اللمحة»:

بـــزيا لـــك الـــوادي أهـــيم ولم أقـــل: بـــذيالك الـــوادي

وذيالك: من زهد، ولكن إذا ما حب شيئًا تولعت به أحرف التصغير من شدة الوجد، انتهى.

ويأتي للتقريب كقوله: أُخَي، وبني، وإنما أتى المؤلف- سامحه الله- بهذه اللفظة هنا مصغرة؛ لأنها قريبة منه؛ لما قيل: أقرب من كل قريب من يدنيك من الحبيب حبيبه لديه؛ لتقريبها إليه عظيمة الوقع في فؤاده؛ لأنها تدني من مراده، وصغرها؛ لأنها صغيرة دائرة

الإقامة؛ إذ تم كلمح البصر على أهل الكرامة.

وأنشدني بعض أهل الجذب ذو المنطق العذب مواليًا:

قـــم اســـهر الليـــل يـــا خـــال تـــنل الأجـــر
ســـهرت أنـــا الليـــل يـــا مـــصعب لـــيالي الهجـــر
ولـــيلة الوصـــل تـــذخرها الليالـــي زجـــر
مـــن قبـــل مـــا أذن للقـــرب يلـــوح الفجـــر

وقلـــت:

نـــعم إن ســـاعات الوصـــال قـــصيرة تمـــر كلمـــح الطـــرف، بـــل تلـــك أسرع
حـــلا كأســـها حتـــى لفـــرط حـــلاوة وطـــيب مـــذاق لم يكـــن بتجـــرع

وهي جسم وما تحمله روح، والأشباح صغيرة بالنسبة للأرواح، وإن كانت الأجساد مولدة للأرواح فلها مزية من هذا الوجه عليه.

وأنشد الأكبري ذو المنح الأكبرية:

ولا فخـــر إلا بالجـــسوم لأنهـــا مـــولدة الأرواح، وناهـــيك مـــن فخـــر

وأنشد الفارضي، ذو المدد الأصلي لا العارضي، قوله:

وحكـــم الأواني في الحقـــيقة تابـــع لحكـــم المعـــاني، والمعـــاني بهـــا تـــسمو

فالأوقات أوانٍ لحمل التجليات فيها، فكانت بحسبه لا بحسبها، أو يكون هو مقدرها؛ لأنها لا ترد على الطرف إلا بقدره، وعلى كل حال فهي تابعة، والتابع صغير بالنسبة للمتبوع.

قال في «القاموس»: الوقت: المقدار من الدهر، وأكثر ما يستعمل في الماضي كالميقات، وتحديد الإيقات كالتوقيت، و﴿كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾ [النساء: 103] أي: مفروضًا في الأوقات، وميقات الحجاج: موضع إحرامهم، وقرئ: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ [المرسلات: 11]، فوعلت من المواقتة، ووقت موقوت، وموقت: المحدود، والموقت: كمجلس مفصل منه، انتهى.

(تَجَلِياتِكَ): جمع تجلٍّ، والإشارة بهذه الأوقات السحرية؛ لأن التلاوة واقعة فيها، وقد خصها الله تعالى بالتجلي الخاص دون غيرها من الأوقات الليلية والنهارية، وإن كان لكل وقت تجلٍّ يخصه، لكن لوقت السحر تجلٍّ خاص غير الخاص به، وهذا التجلي خاص بنا معاشر الموحدين المستغفرين بالأسحار، وسبق بيانه عند قولنا: (إلهي، حلا لنا ذكرك في الأسحار، وهذا المنزل السحري محل القابلية واللياقة).

(تَنَزّلاتِك): الإلهية المشار إليها في حديث خير البرية:«ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك.. أنا الملك.. من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى تصلى الفجر»[1] رواه الترمذي عن أبي هريرة، وفي رواية مسلم عنه:«ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا لثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، أو يسألني فأعطيه، ثم يبسط يديه ويقول: من يقرض غير عديم ولا ظلوم»[2].

وعنه ﷺ «إن الله ﷻ يهبط من السماء العليا إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ هل من داعٍ؟ حتى إذا طلع الفجر ارتفع»[3] رواه الطبراني والبغوي عن عمر بن الخطاب.

وعنه ﷺ: «ينزل الله في كل ليلة إلى السماء الدنيا، حتى يبقى نصف الليل أو ثلث الليل الآخر، فيقول: من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتى ينصدع الفجر، وينصرف الغادي من صلاة الفجر»[4] رواه ابن النجار عن أبي هريرة.

وعنه ﷺ: «ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل، فيقول: ألا من عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له؟ ألا ظالم لنفسه يدعوني فأستجيب له؟ ألا مقتر رزقه؟ ألا مظلوم يدعوني فأنصره؟ ألا عان يدعوني فأفك عانه؟ فيكون كذلك حتى يصبح ثم يعلو ﷻ على كرسيه»[5] رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت.

---

(1) رواه البخاري (1/ 384)، ومسلم (1/ 521)، والترمذي (5/ 562).

(2) رواه مسلم (1/ 521). (3) رواه مسلم (1/ 523)، وأحمد (3/ 94).

(4) رواه الطبراني في «الكبير» (4/ 435).

(5) رواه البخاري (1/ 384)، ومسلم (1/ 521)، والطبراني في «الأوسط» (8/ 280).

وعنه ﷺ «إن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا في كل ليلة فيقول: هل من داع فاستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟»[1] رواه الطبراني عن عثمان بن العاص.

وعنه ﷺ: «إذا بقي ثلث الليل قال الله تعالى: من ذا الذي يستكشف الضر أكشفه؟ من ذا الذي يسترزقني أرزقه؟ من ذا الذي يسألني أعطيه؟»[2]، رواه أبو داود الطيالسي والبيهقي عن أبي هريرة.

وعنه ﷺ: «إذا بقي ثلث الليل الباقي نزل الرحمن ـ تبارك وتعالى ـ إلى سماء الدنيا، فبسط يده: ألا داع يدعوني فأستجيب له؟ ألا تائب يتوب فأتوب عليه؟ ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ حتى إذا طلع الفجر صعد على عرشه»[3]، رواه البغوي عن عبد الحميد بن أبي سلمة عن أبيه عن جده.

وعنه ﷺ: «ينزل الله في آخر ثلاث ساعات تبقى من الليل، فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنات عدن، وهي مسكنه الذي لا يسكن، لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء، والشهداء، والصديقون، وفيها ما لم يره أحد، ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل، فيقول: ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ ألا سائل يسألني فأعطيه؟ ألا داع يدعوني فأستجيب له؟ حتى يطلع الفجر»[4] وذلك قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:78]، فيشهده الله وملائكة الليل والنهار»[5]، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أبي الدرداء.

وعنه ﷺ: «إن الله تعالى يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الأخير»[6]، وأخرى: النصف، وجمع باختلاف الأحوال عند قوم، وتأخره عند آخرين: نزل.

---

(1) رواه الطبراني في «الكبير» (9/ 54).

(2) رواه البيهقي في «الشعب» (3/ 129).

(3) رواه البيهقي في «الشعب» (8/ 139)، والطبراني في «الأوسط» (8/ 280).

(4) رواه الطبراني في «الأوسط» (8/ 279).

(5) رواه الطبراني في «الأوسط» (8/ 280)، والهيثمي في «الزوائد» (10/ 155).

(6) رواه أحمد (3/ 94)، ومعمر في «الجامع» (10/ 444).

وفي رواية للبخاري: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»[1] قيل: المراد نزول الرحمة ومزيد لطف، وإجابة دعوة، وقبول معذرة، كما هو ديدن الملوك الكرماء، والسادة الرحماء إذا نزلوا بقرب قوم مستضعفين ملهوفين، لا نزول حركة وافتقار لاستحالته عليه تقدس، فهو نزول معنوي يمكن حمله على الحسن، ويكون راجعًا إلى أفعاله لا إلى ذاته، وقيل المراد بنزوله: نزول رحمته وانتقاله من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام، إلى مقتضى صفة الإكرام المقتضية للرحمة والإنعام- فنادى: **هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من سائل فيُعطى؟** - وفيه توبيخ لهم على غفلتهم عن السؤال ـ **هل من داع فأستجيب له؟ ولا يزال كذلك حتى ينفجر الفجر**»[2]، جمع بينهما للتأكيد إن كانتا بمعنى، وإلا المطلوب دفع ما لا يلائم أو جلب الملائم، وهو إما دنيوي أو ديني، فأشبه بالاستغفار إلى الأول، والسؤال إلى الثاني، وبالدعاء إلى الثالث، وخص آخر الليل؛ لأنه وقت التعرض لنفحات الرحمة، وزمن عبادة المخلصين، ولأنه وقت غفلة واستغراق نوم والتذاذ به، ومفارقة اللذة والدعوة صعب، لا سيما لأهل الرفاهية، فمن آثر القيام؛ لمناجاته والتفرغ دلَّ على خلوص نيته، وصحة رغبته فيما عند ربه، فلذلك خص ذلك الوقت بالقبول الإلهي والفيض الرحماني.

وفيه: «**إن الدعاء في الثلث الأخير مجاب، وتخلفه في البعض؛ لخلل في الداعي أو الدعاء**»[3]، رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد معًا، ورواه البخاري في مواضع من «صحيحه» بألفاظ متقاربة المعنى.

وقال في شرح الحديث الذي يلي هذا الحديث: ولفظه: «**إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ- يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْبٍ**»[4].

تنبيه: قال بعض العارفين ـ رضي الله تعالى عنهم: (ما من ليلة إلا وينزل من السماء في الثلث الآخير فتوح رباني، فيتلقطه أهل التسليم، ثم أهل التفويض، ثم تقع الإفاضة

(1) رواه البخاري (19/ 398).

(2) رواه مسلم (1/ 532)، وأحمد (4/ 22).

(3) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 401).

(4) رواه أحمد (52/ 482)، وابن ماجه (4/ 302).

من هو أعلى أهل الدوائر الفلتة، أقطاب الأفلاك الكلية، ثم تقع منهم على الحفظة والنواب وولاة الأمر، ثم منهم على السالكين والصالحين والعلماء العاملين ممن حضر الباب، وتنزل الإمداد، فإن الهداية لمن حضر).

قال: وأما القائمون في الثلث فنصيبهم عند أحد الرجال الخمس المعروفين بين الأولياء، **قلت**: وهم رجال الصلوات الخمس، المفيضين على أهلها إمدادها وإشعارها، وإرشادها، فإن ما من عدد في الوجود محصور إلا ولله رجال كعدده، يحفظونه عن أمر الغفور الشكور، ثم قال: أي رجل صلاة الصبح يأخذ لكل من غاب نصيبه، ويؤديه له عند صلاة الصبح، إما قبل فراغه أو معه، ومن تخلف عن اليقظة عند صلاة الصبح فإن نصيبه يعطيه في أسبابه الدنيوية، إذا رضي بإقامة الله له فيها، وما بقي بعد ذلك فهو حظ الأنعام وأمثالهم من العوام الغافلين عن الأسباب، انتهى.

وقد عقد الجيلي الأكبر - قدس الله سره - في «فتحه المكي» له أبوابًا، وكشف له حجابًا، فأرشف الألباب لبابًا، فمن أراد المزيد فعليه بذلك الوصل.

قال المصنف:

(حرف الواو)

وَنَحْنُ عَبِيدُكَ الوَاقِعُونَ عَلَى أَعْتَابِكَ الخَاضِعُونَ لِعِزةِ جَنَابِكَ الطَّامِعُونَ فِي سِنَى بَهِيِّ شَرَابِكَ فَلَا تَرُدنَا عَلى أَعْقَابِنَا بَعْدَ مَا قَصَدْنَاكَ مُتَذَلِّلِينَ يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ.

قال الشارح: (**وَنَحْنُ عَبِيدُكَ**) أي: والحال والشأن أنا عبيدك الذين عبَّدْتهم لجنابك، لما أوقعتهم ببابك، فشرفوا بانتسابهم، وأشرفوا على نداء خطابهم، حتى كأنهم الآن يسمعونه بالأذن، فعند ذلك أقبلوا عليك بقلبهم وجلهم وكلهم، فهم الآيبون لبابك، الناهون عنك في إيصال الإمداد لأحبائك، السالكون بمن أردت منازل اقترابك.

(**الوَاقِعُونَ عَلَى أَعْتَابِكَ**): بالترامي عليها، والسقوط لديها غاية العز والشرف والفخر والسؤود لمن عرف، ولهذا قال الإمام الشعراني في حزبه وورده الآتي:

(إلهي كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان؟ وكيف يطلب البر من غيرك وأنت ما غيرت عادة الامتنان؟ فقيِّدنا اللهم على أعتاب أبوابك يا كريم يا حنان يا منان).

وقد أحسن سيدي محمد البكري العرفان حيث قال:

(منها معرفًا برفعة الوقوف بباب الجنان؛ ليختار من يختار عزًّا، فإنني رضيت بذلي في منازل أحبائي، ويدخل من يقوى الدخول لحيهم، فغاية فخري أن أكون على الباب).

وقلت في تخميسها لحسن تأسيسها: أيا من عليه بعدما تهت دلني، يا من هواه باتباع أعلني، وحفظ ذلي في حماك أجلني؛ ليختار من يختار عزًّا، فإني رضيت بذلي في منازل أحبائي، أيا سعد إن بالحي جزت فيهم وصفا لهم نشر الهوى غب طيهم، وقنعي يلثم الباب، بل ترب حيهم، ويدخل من يقوى الدخول لحيهم، فغاية أن أكون على الباب.

ونظمت بيتين على وزنها، وذكرتها في الرحالة العراقية المسماة «كشط الصدأ وغسل الدان في زيادة العراق وما والاها من البلدان»، وذكرت سبب ورودهما فيها، ومما رضيت بفتح الباب من دون وصلها، فإني أرى أشتم من خارج الباب، وأقنع من حلو الحديث بقولها: أقمتك يا عبدي خديمًا لبوابي.

(**الخَاضِعُونَ**): سبق الكلام على الخضوع عند قولنا: وحسن لخضعنا على أعتابك (**لعِزةِ جَنَابِكَ**)، أي: منعة ورفعة اقتراب فنائك، وسطوة قوة اعتلائك، فإن من شاهد لمحة من عزة رب الأرباب، وكشف له عن حضرة كبرياء ذاك الجناب، أدرك ما لا يدرك من الأمر العجاب، وشاهد من الغيوب ما لا يشهده مشاهد عجاب في سائر الأحقاب، وكم من داخل حضرة العزة ذاب بلذة استغرقته، فأفنته حرارتها، ودفن في التراب، ورب ممكن في المقام بها، أنزل ماء الأصلاب؛ إذ عن حسه غاب، وإليه آب، والنادر مما يثبت لشرب صاف هذا الشراب، فلا يتغير حاله بمشاهدة تلك الحضرة المغيبة عن خير الاكتساب، ولا يقدر على حمل ثقيل هذا السر العزيز الاحتجاب إلا من أيده الله بألف ومائتي قوة صادرة من حضرة الوهاب، لا يحتمل الكون تسليط قوة منها عليه، وبها تتوفر لديه الأسباب، وإذا لم يتصف المحب لدى حبيبه العزيز بالذلة، لا يدركه وصله المستطاب، وأنشد بعض الأحباب:

إذا كـــان مـــــن تهـــــوى عزيـــزًا ولم تكـــن ذلـــيـــلا

فأقـــرأ الـــسلام عـــلى الوصـــل بـــل الـــذل والخـــضوع

لمحـــب الحبـــيب مطلـــوب مـــن كـــل صـــب دمعـــه صـــبيب

إذ المحـــب لمـــن يـــصافيه المحـــبوب مـــصاف
ولمـــن يجافـــيه معـــادٍ ولـــو كـــان هـــوله مـــوان

ولهذا وجب حب المقربين من القريب؛ لأنه تعالى يحب محبهم، ويفتح له بابًا، ونراه يحب، فمن أحب وليًا فقد أحب الله؛ لأنه ما أحب إلا لحب الله له، فحبه له.

وفي الحديث: "**من أكرم امرأً فكأنما أكرم الله تعالى**"(١)؛ ولذا استحب تقبيل يد العالم والصالح الكامل والشريف والوالد، والقيام لهم، والتوسعة في المجلس، وكان سيدي عيسى ابن الحجاج اليمني ـ قدس الله سره السني ـ كل من دخل عليه وخرج يقبل يده، فأنكر عليه بعض الناس فقال: (العبد المؤمن ريحانة الله في أرضه، ولا بأس بشم الريحان في الدخول والخروج).

وسبك هذا المعنى الشهاب الخفاجي – بلَّغه الله في عقباه ما هو راج في بيتهما وهما:

قـــبل يـــد الخـــيرة أهـــل الهـــدى ولا تخـــف طعـــن أعـــاديهم
ريحانـــة الـــرحمن عـــباده وشـــمها لـــثم أيـــاديهم

وقد قلت سابقًا وإن نفحته لاحقًا:

أيهـا الطالـب قـصبًا مـن قـصب في جـنانٍ مـا بهـا قـط نـصب
نحـــو أهـــل الله بـــادر إنهـــم أمـن جـان خـاف كالـشهر الأصـب
كـل نجـم مـنهم بـدر اهـتدى نفـسه للدفـع والـنفع، نـصب
نـورهم يهـدي الـذي قـدامهم في سراه لـيس يحـتاج الـنصب
هـم رياحـين حكـيم حكمـه نافـذ والمنكـر العـز حـصب
شـم ذي الـريحان مـن راحـاتهم تـستقي راحًـا بهـا تكفـي الوصـب
ولهـم سـلم وحـاذر تعـترض ودع الدعـوى فـذوا الدعـوى غضب

---

(١) ذكره المناوي في "فيض القدير" (٦/ ٨٣).

وقلت مواليًا:

قبل يد الأولياء، وانزل بناديهم ... وإن رُميت بسهم الضر ناديهم

هم الرياحين فاكسر من أياديهم ... أرواحها ثم عادى من يعاديهم

وقلت مرتجلاً:

لأهل الله طيب، ليس يخفى ... على المزكوم من أهل العناد

ونور ظاهر ما كان يُطفى ... به يُنفى الظلام عن العباد

فللطيب انتشق، يا ذا، بأيد ... والنور استبق تلقى الأيادي

وإذا كان التملق والخضوع لا الغيبة والحضور، وبالمجموع يورث وقد الشموع أفراح رجوع، وبسط بسط نجاح ارتقاء وطلوع، فكيف إذا كان لعزة مولى لديه الخير مجموع، وقد اجتمعت الأصول والفروع أن البر لخدامه مجموع، ولو أعزهم به مرفوع، وعنهم ثقل المشقات في الدارين مرفوع، فهنيئًا لمن تمكن منه الخضوع، وثار كمينه بين الضلوع، فأصبح ذا عرف بكل طيب يضوع، والبعض منهم يعم طيبه المنازل والربوع، وآخر من يعطر الكون فيشمه الولوع ذو القول المسموع، وآخر يستولي على العالم بحكم العالم، فعبيره غير مقطوع ولا ممنوع، وهذا الولي الذي في مقامه مطموع.

(الطَّامِعُونَ): جمع طامع، والطمع منه ما هو محمود ومذموم:

فمن الأول: الطمع في عفو الله، وفي نيل القرب إلى الله (فِي سِنَى بَهِيّ شَرَابِكَ)، المخصوص بمن تولاه، وهذا يوجب الذل والافتقار إليه، والتقويل عليه، والطمع: هو انبعاث هوى النفس إلى ما في أيدي الناس، وقيل: هو تعلق القلب بالشيء من غير تقديم سبب له، فإذا علق العبد أطماعه بما عند الله وقطعها بما سواه فهو القانع بتعلقه بمولاه؛ إذ قنع بعطائه، وهو صاحب الحياة الطيبة؛ لأنها القناعة - كما فسرها العالم علي المرتضى: العالم بالقضاء، والوافر بالشجاعة، وقد ورد في المذموم من عدة أحاديث منها قوله ﷺ: «**إياكم والطمع، فإنه الفقر الحاضر، وإياكم وما يتعذر منه**»[1].

(1) رواه الطبراني في «الأوسط» (7/ 370).

وعنه ﷺ: «عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصلِّ صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يتعذر منه»[1].

وعنه ﷺ: «الطمع يذهب الحكمة من قلوب الحكماء على غير ذلك»[2].

قال المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في «الشرح الكبير»: ولهذا لما سئل كعب الأحبار بحضرة عمر ﷺ: ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد أن حفظوه وعقلوه؟ قال: الطمع، وشره النفس، وطلب الحاجة إلى الناس.

قال الوراق: لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشك في المقدور، ولو قيل: ما حرفتك؟ قال: اكتساب الذل، ولو قيل: ما غايتك؟ قال: الحرمان، انتهى.

وقال بعضهم: الطمع أحرفه محرفة، فلذا كان صاحبه لا يشبع، وقد استعاذ رسول الله ﷺ: «من نفس لا تشبع»[3].

وعنه ﷺ: «منهومان لا يشبعان: منهوم في العلم لا يشبع، ومنهوم في الدنيا لا يشبع»[4]، رواه الحاكم عن قتادة وأنس وابن عدي عن الحسن، فرضاه.

فنهمة صاحب العلم محمودة، وطمعه في الاستكثار منه كذلك، والثاني: مذموم؛ لأنها تشغله عن المالك.

وعنه ﷺ: «الصفاء: الزلال الذي لا تثبت عليه أقدام العلماء الطمع»[5]، رواه ابن قانع، وابن المبارك عن سهل بن حسان الهلالي.

وعنه ﷺ: «تعوذوا من طمع يهدي إلى طمع، ومن طمع يهدي إلى غير مطمع»[6]، رواه الطبراني عن المقدام بن معديكرب، كذا في «الجامع الكبير»: ومن الطمع المحمود الطمع في نيل شهود المعبود هنا، وفي اليوم المشهود، وفي دار الخلود بالبصر لا بالبصيرة،

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (18/ 303).

(2) ذكره المناوي في «فيض القدير» (4/ 290).

(3) رواه أحمد (2/ 176)، والنسائي في «الكبرى» (4/ 445).

(4) رواه الحاكم في «المستدرك» (1/ 170)، والدارمي (1/ 98).

(5) رواه ابن قانع في «معجم الصحابة» (1/ 272)، والديلمي في «الفردوس» (1/ 201).

(6) رواه الهيثمي في «الزوائد» (10/ 144).

كما في دار الخلود، فإن الصبر عن منع شهوده مفقود.

وأنشد العارف المدود:

الـــصَّبْرُ يُحْمَـــدُ فِي المـــوَاطِنِ كُلِّهَـــا إِلَّا عَلَـــيْكَ فإنـــه مَذْمُـــومٌ

ومنه الطمع في (فِي سِنَى بَهِيَّ شَرَابِكَ)، أي: رفيع جميل شرابك الخاص بمن اصطفيته من الخواص، ويكون بواسطة، ودليله ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين: 25] الآية، وبدونها: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان:21]، وبوسائط عدة عليهم، يقول: لعدم احتمال الأخذ من الساقي الأول، وتقل وترتفع؛ إذ يرتفع الشارب الذي لا يتحول حتى يقبل الصرف الذي نقص، فتحير إسكاره مطول، ثم يرتقى بالعبد الذليل حتى يأخذ ما يأخذ عن الجليل، لكن بواسطة الروح الكليم الخليل صاحب التاج والمعراج والإكليل، وسلف الكلام عليه باختصار دون تطويل.

(فَلَا تَرُدْنَا) أي: فلا تفرقنا يا مولانا عن بابك الذي من قصده لا يرد، ومن رصده لنال من مطلوبه فلا يُصد.

(عَلَى أَعْقَابِنَا): جمع عقب بكسر القاف: مؤخر القدم، أو ناكئين على الأعقاب: ناقصي الحظ بلا بلوغ الآراب (بَعْدَ): منصوب على الظرفية الزمانية (مَا): مصدرية، (قَصَدْنَاكَ): بالفاقة والانكسار، متوجهين بكمال الافتقار، (مُتَذَلِّلِين): غير متدللين، فإن الإدلال: شيمة المغلوبين بالخال والتملق؛ والإذلال: وصف كمل الرجال، وحاشا القريب المجيب أن يخيب عبده، فلا يجيب، فامنح راجيك رجاه؛ لينال التقديم.

(يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ): ووجه المناسبة بين هذا التوسل والذي بعده أن المؤلف ـ سامحه مولاه، وأنجز له وعده ـ لما سأل القبول، وعدم الرد على الأعقاب، استشعر بطارق حتى فتح له في قلبه أعظم باب، إلى مشاهدة العلي الوهاب، وأمده بملائكة كرام، يشدون فؤاده؛ لئلا يطير من فرح رفع الحجاب.

جاء عن سيد الأحباب: «**إن العبد ليعطى على باب الجنة ما يكاد فؤاده يطير، لولا أن الله بعث ملكًا لشد فؤاده**»[1]، رواه الديلمي عن أنس، كذا في «الجامع الكبير»، فإذا كان

(1) ذكره المتقي الهندي في الكنز (14/ 486).

هذا في نعيم الجنة، فما بالك بالتجلي الإلهي الذي لا يماثله نعيم، بل ينسيه بما للقلب يكسبه ويحييه، واستمع الحق سره خطابًا أسره:

يا عبدي ماذا أنت قائل إذا منعتك رفدي؟ ولم أجب سؤالك وأحقق آمالك؟ وإلى أي جناب تقصد غير جنابي؟ ولأي باب تؤم غير بابي؟ فطرب الجناب وأعرب اللسان قائلاً والقلب مملوء بالأشجان وإن السر طافح بالهيمان.

قال المصنف:

(حرف اللام ألف)

اللَّهُمَّ لَا نَقْصِدُ إِلا إِيَّاكَ وَلَا نَتَشَوَّقُ إِلا لِشُرْبِ شَرَابِكَ وَبَدِيعِ حُمَيَّاكَ.

قال الشارح: (**اللَّهُمَّ**): أي يا الله، (**لَا نَقْصِدُ إِلا إِيَّاكَ**) أي: لا نقصد إلا أنت، وإياك: ضمير، فيستعمل مقدمًا على الفعل، فيقال: إياك أعني، وإياك أسأل، ولا يستعمل مؤخرًا إلا منفصلاً، فيقال: ما عبدت إلا إياك، وإنما لم يعلق العبد بالغير؛ لأن قصد الغير ضير في السير، ومنع خير؛ إذ المقصود الحق هو الحق لا غير، وكل من قصد سواه من جليل وحقير فقد تاه وضل عن السبيل المنير؛ لأنه لو شهد المقصود ما خطر له بباله غير بما أولاه، ولا طلب من مولاه سوى مولاه، لكن برعايته يتولاه.

يحكى أن الشبلي ـ قدس الله سره الجلي ـ أرسل لابن أبي برداليال آن: ابعث لنا شيئًا من دنياك، فكتب إليه ابن برداليال: سل دنياك مولاك، فكتب إليه الشبلي ﷺ: دنياك حقيرة، وأنت حقير، وإنما أطلب الحقير من الحقير، ولا أطلب من مولاي غير مولاي، انتهى.

ولما ابتدأ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ التوسلات بقوله:

(إلهي أنت المدعو بكل لسان، والمقصود في كل آن)، ناسب أن يختم التوسل بما يقارب هذا المعنى؛ ليتنبه التالي المعنى إلى التحقق، بأن المقصود في الظاهر والباطن، والأول والآخر هو الله ﷻ ثناؤه، وتقدست أسماؤه، فيخلص النية، ويخلص الطوية (**وَلَا نَتَشَوَّقُ**)، أي: ولا نبدي اشتياقًا وهيجانًا.

قال في «المختار»: والشوق والاشتياق: نزاع النفس إلى الشيء، يقال: شاقه الشيء من باب قال، فهو شائق، وذلك مشوق، وشوقه فتشوق، أي: هيج شوقه.

وقال الجيلي في «غنية أرباب السماع»: الشوق هو طلب القلب وجدان المحبوب عند فقدان الصبر عنه، وقيل: هو اسم لاضطراب القلب، وعدم سلوته عن المحبوب، والمشتاقون على أنواع:

فمنهم: من شوقه إلى مطالعة الجمال الإلهي، وهذا أول مراتب المبتدئ.

ومنهم: من شوقه إلى الله مطلقًا، لا لأجل مطالعة الجمال، ولكن لما تستحقه الصفات الإلهية.

ومنهم: من شوقه بضرورة حال المحبة، وهذا الشوق من لوازم نقص، وصاحبه في مشاهدة دائمة؛ لأن القوة الشوقية تستحضر له خيال المحبوب، والقوة العشقية تلزمه، فلا تفارق تلك الصورة الروحانية تعشقًا ذاتيًا، ولا تسمى عشقًا إلا إذا بلغ صاحبها فيها إلى هذا الحد.

ومنهم من شوقه إلى تحققه بالصفات الإلهية، وهذا الشوق لا يكون إلا بعد المشاهدة الحقيقية، وهو شوق الواصلين، انتهى.

وقال سيدي عبد الله الأنصاري الهروي في «منازل السائرين»:

الشوق: هبوب القلب إلى غائب، وفي مذهب هذه الطائفة علة الشوق عظيمة، فإن الشوق إنما يكون إلى غائب، ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة هذه، والعلة لم ينطق القرآن باسمه، ثم هو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: شوق العابد للجنة؛ ليأمن الخائف، ويفرح الحزين، ويظفر الأمل.

والدرجة الثانية: شوق إلى الله ﷻ، ذرعه الحب الذي ينبت على حافات المنن، فعلق قلبه بصفاته المقدسة، فاشتاق إلى معاينة كرمه، وآيات بره، وأعلام فضله، وهذا الشوق ينشؤه المبار، ويخالجه المسار، ويناويه الاصطبار.

والدرجة الثالثة: نار، أضرمها صفو المحبة، فنغص العيش، وسلبت السلوى، ولم ينهها معرض دون اللقاء، انتهى.

وقال الإمام القشيري ـ رحمه الله تعالى ـ في الرسالة: الشوق اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وعلى قدر المحبة يكون الشوق، سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ـ رحمه الله تعالى ـ يفرق بين: الشوق والاشتياق، ويقول: الشوق يسكن باللقاء والرؤية، والاشتياق لا يزول

باللقاء، وفي معناه أنشدوا:

وَأَمَّا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ الطَّرْفُ مُشْتَاقَا

وسرد في «ألباب اللباب»: وفي ذكر الشوق يزول باللقاء قول الإمام الأكبري ذو التقى: من الأوائل بالهوى فزتم، وشاركتموني في اسم حبي. والشوق للغياب، فإن قلت: يرد على هذا قول القائل:

وأبرح ما يكون الشوق يومًا إذا دنت الخيام من الخيام

قلنا: لا يلزم من الدنو اللقاء والرؤية، وإن سلم فيكون محمولاً على الشوق، والثاني على الاشتياق، فالمحب على كل حال شوقه دائم، وشوق شوقه قائم.

واعلم أن رياح الشوق إذا هبت وهبت، وإذا وهبت نهبت، وإذا نهبت أزعجت، ولقناديل الرضى أسرجت، وإذا حلت بقلب حلته بأنواع الحلل، وحلت وثاقه، فبعد عنه الخلل، وحلت له الصعاب، فأصاب الفرص، وانمحت العلل، وجلت عن التشبيه بأنوارها المذهبة للزلل، هو بحر لا يسمع لموجه غطيط، وغريقه لا يغرق بين المُرَكَّبِ والبسيط، ولو كان من الرفرف سقيط، ومن عام فيه عام بهيمان بين إفراط وتفريط، رياض بره مزهرة، وغياض سره مسفرة، أنوار أشجاره طالعة، وأنوار أزهاره ساطعة، ومياه جداوله سابحة، وفوق وجوه أراضيه سائحة، صائحة لهجر الوقوف، ويقتحم كل مخوف يركب الأخطار، وينفي الخواطر، ويخاطر بالروح، فما فاز إلا المخاطر، وللقوم في الشوق عبارات كثيرة، فلا نحتاج لسردها فإنها شهيرة.

(إِلا لِشُرْبِ شَرَابِكَ): القديم الذي به العالم بهيم، المعبر عنه بشراب الجمال عند أرباب الكمال، فمن شرب منه فهو السعيد، ومن خلا عنه فهو الطريد البعيد، ومن مات في طلبه عاش واهتدى، ومن أسرف في شربه كان من الشهداء، ومن أضاع في تحصيله عمرًا لم يكن، بل ليتًا نمرًا كان العداء وساقًا، فلهذا حضر القصد في مولاه سرمدًا، والشوق في شرب شرابه؛ لينجو من الردى، فإن زمان طاساته مطربة، وألحان سقامه معربة، وغلمانه سهارى، وندمائه سكارى، وخدام مزجه حيارى، وأعلام صرفه لكون عرفه تتجارى، فلهذا لم يتشوق لغيره؛ لشهوده، في سره سحائب خيرات ديره ثم عطف على الشراب الحميا، وهي من أسماء الخمرة عند اللغويين من كل ذي حيًا حيًا.

قال: (وَبَدِيعِ خُمَيَّاكَ): أي ولا نشوق إلا لخمرك البديع، الذي أوجدته على غير مثال سبق، وخصيته بما تقدم على أقرانه وسبق، وسيق لشيق مقام طيبه عبق، وعتق من رق هول طبق عن طبق، فإن قلت: زها قصد العبد غير مولاه في سره ونجواه؛ لأمر اقتضاه حكم البشرية وأمضاه، أو العادة أو العرف، أو لما الحال بيده، أو القدر قضاه.

قلنا: المراد من القصد التوجه القلبي الجناني، لغير الفيض السبحاني الرباني، وأما توجه الظاهر بدون اشتراك الظاهر، فلا يضر لا سيما إذا كان الغالب عليه شهود الأفعال، جميعها من الموجد الفعال، وتصرف السماء في الوجود السفلي والعلوي إلا سما وعاين آثار الصفات، فإنه ينجو بهذه المشاهدات من الآفات، فالمقصود الحقيقي الله لا سواه، وإن قصد الغير الأواه، فبطريق المجاز، والفرق ظاهر، ما به اشتباه، ووجه المناسبة بين هذا التوسل والذي يعقبه أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لما حكى عن لسان العوالم أنها لا تقصد إلا الخبير العالم، من حيث ذاتها وحقائقها وصفاتها ودقائقها، وإن قصدت غيره حينًا من الأحيان بظاهرها، أو بركن من الأركان، فبنية صالحة متينة، أو غفلة راجحة مكينة؛ إذ الغفلة والحجاب لا يرتفعان في هذه الدار؛ لوجود الأسباب، وعلم أن قصدها وشوقها لشرابه المقدس، وبديع خمره الأقدس لا يفيد إلا بعناية تبلغه غايات التجريد، ونهايات التفريد، وتوصله لتجريد التوحيد، وتفريد التجريد، فنحظى بالوصال من الولي الحميد، ويسلم من الانقطاع عن درج الالتياع للوحيد الأحد، وإن أغلب الخلق في تيه الجهالة تميد، وبذلك عن منازل السادة تحيد، إلا من حفظه الله تعالى، وخصه بحمايته، فإنه يرعى ويزيد بالكمال ويزيد، وحيث كان الوصل والفعل إليه، والرفع والوضع بيديه دون تعديد، نادى بلسان الرهب والرغب، بقلب كميد.

قال المصنف:

(حرف الياء)

اللَّهُمَّ يَا وَاصِلَ الْمُنقَطِعِينَ أَوْصِلنَا إِلَيكَ وَلَا تَقْطَعْنَا بِالأَغْيَارِ عَنْكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا اللهُ عَدَدَ 66 يَا وَاجِدُ عَدَدَ 14 يَا مَاجِد يَا وَاحِد يَا أَحَد يَا فَرْدُ يَا صَمَدُ لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيث فَأَغِثْنَا يَا مُغِيث أَغِثْنَا (ثلاثًا) الغُوثَ الغُوثَ مِن مَقْتِكَ وَطَرْدِكَ وَبُعْدِكَ يَا مُجِيرُ أَجِرْنَا (ثلاثًا) مِن خِزْيِكَ وَعِقَابِكَ وَمِنْ شَر عِبَادِك أَجْمَعِينَ يَا لَطِيفُ أَلطفْ

بِـنَا بِلُطْفِـكَ يَـا لَطِيفُ عَدَدَ 129 اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ عَدَدَ 10 مَرَّات.

قال الشارح: (اللَّهُمَّ يَا وَاصِلَ المُنْقَطِعِين): عنك بالجذبات الإلهية، والنفحات الربانية، والعنايات الأزلية، والإمدادات السرمدية، إذا توليت إرشادهم بفضلك، وتجليت عليهم فسعدوا بوصلك، وثبتهم بقولك الثابت في الدارين، فغابوا عن الأين والبين، وفتحت منهم العين المطموسة بسيول الغير، وساروا على صراط الحب كرمشة عين، ولم يشغلهم عرض ولا عين في الحضرتين، فخلصوا من الحين، وعاد وصف انقطاعهم إليك، وإعراضهم عما سواك، وإقبالهم عليك، ووقوفهم بين يديك، فبحقهم لديك (أَوْصِلْنَا إِلَيكَ) أي: إلى منازل الشهود؛ ليفوز بنا منازل الخدود، فتدنيه بك منك، وتغنيه بحولك وطولك عن سواك لا عنك، ومضى الكلام على معنى الوصل (وَلَا تَقْطَعْنَا) أي: ولا تقطعنا بسبب ملاحظة، (بِالأَغْيَارِ): جمع غير، وهو في الاصطلاح ما سوى الحق العزيز الجبار، فإن الالتفات إلى السوء من الآفات المتلفات، وفيه وبار الأسرار؛ إذ الحق يغار أن يميل عبده المختار لغيره في جميع الأطوار، فاسترنا عنهم يا ستار، حتى لا نجد إليهم سبيلاً، ولا يجدون لدينا مقيلاً، فيقر لنا لديك القرار، وتقر أعيننا بالثبات وعدم الفرار إلا إليك؛ إذ عليك المدار (عَنْكَ) أي: عن العثور على تجلياتك الذاتية، والحضور للحضرات الصفاتية، التي من دخلها استغرقته أنوارها، واستغرقته أسرارها، واستخلصته منه إليها، واستأصلته بجميع كله عليها، وأمدته بالفيض الأقدس، وأجلسته في المجلس الأنفس، وأرسلت عليه من سماء الأسرار أسرارًا، من بحار الأنوار بحارًا، فغدا بحرًا من نور يغور فلا يغور، وبر حبور تيور بالبر، فلا ببور تتساقط في بحره المعمور بأمواج رفع الستور والمعمور، والارتياح والسرور أهل الحضور، فيجدون من اللذة ما يورثهم العبور للقبور، فيموت الكثير بها، ويثبت القليل، الأمر في الكتاب مسطور، وهذا من العلم المستور في زوايا الصدور؛ لأنه علم ذوق لا نفي بالتنقيب عنه السطور، وهذه نقطة مصدور، وثبة مقهور تحث بين المقدور.

(بِرَحْمَتِكَ) أي: بحق رحمتك التي وسعت كل شيء، وتعلق بنيلها؛ لانسحاب ذيلها كل شيء، إن اللعين يؤمل أن يمطرها سحابها، ويقطره عبابها، وهو عنها بعيد؛ لأنه

طريد، ومن طرده الحق عن بابه، بنص كتابه: كيف ينجو من عذابه؟ ومن أغلق في وجهه مفتوح باب اقترابه، كيف يدنو لجنابه، وتدرك الرحمة العامة بأهل طاعة جنابه، أو الخاصة بأحبابه، فهو لا شك عنها بمعزل، لكنه بضيق الخناق ينسج آمالاً ويغزل، على أن ظاهر الآية عام بأهل طاعة جنابه، بلا ارتياب، لكن النصوص سدت في وجهه الباب، وقد جاء في عمومها، وسعة شمولها، أحاديث منها: «**إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة، لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب، لم يأمن من النار**»[1]. رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

وعنه ﷺ: «**إن الله خلق - يوم خلق السموات والأرض - مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماوات والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها، وأخَّر تسعًا وتسعين، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة**»[2] رواه أحمد ومسلم عن سلمان وأبي سعيد معًا.

وعنه ﷺ: «**الرحمة عند الله مائة جزء، فقسم بين الخلائق جزءاً، وأخَّر تسعًا وتسعين إلى يوم القيامة**»[3] رواه البزار عن ابن عباس.

(**يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ**): بعباده الراجين وافر إمداده، فإنه سبحانه أرحم بالعبد من نفسه، وأشفق عنه والديه وعرسه.

جاء في الحديث الشريف: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط عليه بعيره قد أضله بأرض فلاة**»[4] رواه الشيخان عن أنس.

وفي رواية: «**لله أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد، ومن الضال الواجد، ومن الظمآن الوارد**»[5]، رواه ابن عساكر في «أماليه» عن أبي هريرة.

---

(1) رواه البخاري (5/ 2374)، والمناوي في «فيض القدير» (2/ 234).

(2) رواه مسلم (4/ 2109)، وابن حبان (14/ 14)، والطبراني في «الكبير» (6/ 255).

(3) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (41/ 339).

(4) رواه مسلم (4/ 2105)، وأحمد (3/ 213).

(5) رواه الديلمي في «الفردوس» (1/ 165)، والدارقطني في «العلل» (7/ 269).

فهذا من رحمته بعباده، ورأفته به وحنانه عليه، وقد أمر عباده بالتراحم ودعاهم إليه، وهو أولى بذلك وأحق؛ لأنه السيد المالك، جاء عن زين المالك ﷺ: «**ما اشتاق لزورته سالك، الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن ابن عمر، وزاد أحمد والترمذي والحاكم: «**والرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله**»[1] وعنه ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[2] رواه الطبراني عن جرير.

وعنه ﷺ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه**»[3]، وفي رواية «**من لا يرحم لا يرحم**»[4]، وفي أخرى: «**لا يدخل الجنة إلا رحيم**»[5]، وفي أخرى: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»[6]، وقد سمى الله نبيه في كتابه الكريم بالرءوف الرحيم، فينبغي لمن حمل الله له سببًا إلى الرحمة أن يرحم أولاً نفسه، بأن يسلك بها هداها، ويصرفها عن هواها، ويرحم قلبه بتصفيته، ولبه بتنقيته، وبقية حواسه وأنفاسه بحفظ أنفاسه، وأن يرحم الصغير بلطفه، والكبير بعطفه، والقوي بحلمه، والضعيف بسلمه، والجاهل بعلمه، والذليل بجاهه وحاله، والفقير بماله، والعصاة بدعائه، والأمة برحمائه، والبهائم برفع الأذية وتفقدها في البكور والعشية، ففي الحديث: «**الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إليه أنفعهم لعياله**»[7].

قال المناوي: قال العسكري: هذا على المجاز والتوسع، فإنه تعالى لما كان المتضمن لأرزاق العباد، والكافل بها، كان الخلق كعياله، وأنشدوا:

عيال الخلق أكرمهم عليه أبشهم المكارم في عياله

(1) رواه أحمد (2/ 160)، والترمذي (4/ 323)، وأبو داود (4/ 285)، والحاكم في «المستدرك» (4/ 175).

(2) رواه البخاري (1/ 431)، ومسلم (2/ 635)، والطبراني في «الكبير» (2/ 324).

(3) رواه البخاري (6/ 2686)، ومسلم (4/ 1809).

(4) رواه البخاري (5/ 2235)، ومسلم (4/ 1808).

(5) رواه عبد بن حميد (1/ 424)، والهيثمي في «الزوائد» (8/ 155).

(6) رواه أحمد (2/ 301)، والترمذي (4/ 323)، وأبو داود (4/ 286).

(7) رواه الطبراني في «الكبير» (10/ 86)، والبيهقي في «الشعب» (6/ 42).

وفي الحديث: «**إن لله ملكًا موكلا بمن يقول: يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاثًا، قال له الملك: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك**»[1]، قيل: رواه الحاكم عن أبي أمامة.

وعنه ﷺ: «**ألحَّ رجل بـ(يا أرحم الراحمين) فنودي أن قد سمعتك، فماذا حاجتك**»[2] رواه أبو الشيخ في «الثواب» عن أبي هريرة، ووجه المناسبة بين يا أرحم الراحمين وبين يا الله، أن هذا اللفظ تقع فيه الإجابة بعد ثلاث، ولفظ يا الله بعد مرة، أخذًا من ظاهر آية:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: 186]، والإجابة للفظة رب تقع بينه مرتين، كما في حديث: «**إذا قال العبد: يا رب يا رب، قال الله: لبيك عبدي، سل تعطى**»[3] أو بعد ثلاث؛ لما في حديث: «**ما قال عبدي قط يا رب ثلاثًا إلا قال الله لبيك عبدي، فيعجل الله ما يشاء ويؤخر ما يشاء**»[4]، وربما تقع الإجابة في كل الأسماء مرة؛ لخلوص قلب الداعي من السوي بالمرة؛ لأن توجه المحمول غير توجه الحامل، وتوجه المعمول به غير توجه العامل، وربما تقع بمجرد توجه القلب، بدون حركة لسان أو إشارة، أو ذكر بالأسماء الظاهرة، أو أسماء الإشارة، وحيث جاءت الأخبار، كما نرى، وكان اسم الجلالة هو الجامع للأسماء، كما أن كل الصيد في جوف الفراء، صح للتالي الأواه أن يقول مراقبًا في ندائه: (**يَا اللهُ**): بمد صوت وحضور قلب؛ مخافة فوت، ومجانبة كلم إلهي، وتحقيق الهمزة مع الهاء، والعدد الذي يأتي به التالي؛ ليدرك به جلي المجالي ست.

قال في «القاموس»: الست بالكسر معلوم، وأصله السدس، فأبدل السين وأدغم فيه الدال، وبالفتح: الكلام القبيح والعيب، وستي للمرأة أي: يا ست جهاتي، لحن، والصواب سيدتي، انتهى.

والواو ست من حيث قواها الظاهرة، ومن حيث المجموع ثلاثة عشر، وهي عدد حروف اسمه تعالى: أحد، وهو ألف وحاء ودال، فتأخذ الألف بواحد، والحاء بتسع،

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (1/ 728)، والمناوي في «فيض القدير» (2/ 480).

(2) رواه الديلمي في «الفردوس» (1/ 421).

(3) رواه الهيثمي في «الزوائد» (10/ 159)، وابن حجر في «فتح الباري» (11/ 225).

(4) رواه الديلمي الفردوس (4/ 72).

والدال بخمس وثلاثين، فيجتمع خمس وأربعون، فيظهر عدد حروف آدم عليه السلام، فيكون، من حيث الباطن، مظهر هذا الاسم الذي هو علم على مرتبة الأحدية، ولهذا علم الأسماء كلها؛ لأن هذه المرتبة اهيمنة على غيرها من المراتب، ثم إذا أضفنا لعدد اسمه عدد حواء المخلوقة من ضلعه الأقصر، ثم العدد ستين، ثم إذا ألحقنا به حروف جسد الاسمين، وهي ست، فيكمل عدد اسم الجلالة، فكان هذا الاسم من حيث مجموعها ونعتها، وأما اسم محمد ﷺ فإنك إذا بسطت حروفه، وأضفت جسد الاسم إلى البسط، ولاحظت حرف الميم الثاني المشدد بحرفين، وأعددت التنوين بواحد، شهدت هذا الاسم في مرتبتي الظهور والبطون، وبتكرار ظهور حروفه الخمس فيها ظهرت العشرة الباقية من العدد، كما ظهرت العشرة المبشرة في الأول، وستظهر العشرة المبشرة في الآخر، وهم: المهدي، ووزراؤه الجامعون للمفاخر، وبهذا ظهر عدد هذا الاسم فيه خمس مرات؛ ليعم تجليه حواسه الخمس الظاهرة والباطنة، ولطائفه الخمس، وقد أطلعه الله تعالى على المغيبات الخمس التي لم يعطهن نبي قبله؛ لقوله ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يُعطهن نبي قبلي؛ أرسلت إلى الأبيض والأسود والأحمر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي، وأعطيت جوامع الكلم**»[1]، رواه العسكري في «الأمثال»، وبهذه الجمعية نال ما لم ينله أحد من البرية، وللواوية الجهات الست، وهي قوله: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 115]،وفي الحديث المناسب لها قوله ﷺ: «**اللهم إني أسألك العفو والعافية في دنياي ودِيني وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي، وآمن روعتي، واحفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بك أن أغتال من تحتي**»[2]، رواه البزاز عن ابن عباس، وهذا الحرف بدايته فيها أحد، ولا يغفل عن هذا الذكر المستطاب سيما بعد الصلوات، بحرقة واكتئاب، فإن الله تعالى ينيله مطلبه، ويبلغه الآراب، ويفتح له الأبواب، فيرى قباب الأنوار، ويسقى شراب الالتهاب، ويكشف له عن الملك والملكوت، ويقف على أسرار الكتاب، ومن نقش وفق اسم الجلالة الكريم في فضة خالصة يوم الجمعة، وتختم به، يسر الله عليه رزقه،

(1) رواه أحمد (1/ 301).

(2) رواه ابن ماجه (2/ 1273).

وما رآه أحد إلا أحبه وقضى حاجته، وهذه صورته، ومن جمعه مع اسمه تعالى الأحد في وفق سبعة، نال بحمله معه العز والجاه عند جميع الناس، وزال عنه الشك والوهم والالتباس، وهذه صورته.

واعلم أن من شرط تنزيل الأوفاق تسوية الزوايا والخطوط، وعدم طمس الحروف، وأن تقدم الخط الأعلى ثم الأيمن، وهو ما يقابل يسار الكاتب، ثم الأيسر، وهو ما يقابل يمينه، ثم الأسفل، وقس على ذلك بقية الخطوط، وأن يكون حال كتابته على طهارة، مستقبلاً القبلة، ويراعي الأوقات السعيدة، ويستعمل الإخلاص وحضور القلب، وتطيب المحل؛ ليتم له الرفق بالنتائج المفيدة، وهذا الاسم من الخواص ما لا يدركه إلا الخواص، كيف لا والجمهور على أن اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، فإن قلت إن اسم الله الأعظم الذي تتصرف به الأولياء، أهل المقام الأفخم، وبه ويطيرون في الهوى، ويمشون على الماء، وتطوى لهم به الأرض، فيجولون في طولها.

والفرض بالسريانية، وحروفه أربعة عشر. ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ وتمام الآية ﴿ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ [القيامة: 11 - 12]، قلنا: هذا أعظم الأسماء؛ لأن دلالته على الذات أعظم دلالة واسمًا، وذلك أعظم من حيث الخاصية التي أودعها الله تعالى فيه؛ لكمال البرية، فهو أعظم انفعالاً وهيمنة واستطالة، واسم الجلالة أعظم من غيره دلالة، وربما تستخرج حروف الاسم الأعظم منه، بعد كسر وبسط ولفظ، فيكون على هذا هو هو من وجه، وليس هو هو من وجه، وليس كل من عرف حروف الاسم الأعظم عرف كيفية تسكين الحروف وتحريكها؛ حتى ينطق به، وليس كل من عرف ذلك أذن له بالتصرف به، ولا من أذن له فيه كان تصرفه تامًّا، ولا من كان تصرفه تامًّا أمكنه أن يفيد الغير، فإنه موقوف على الإذن، إلا عند أهل السير، ومع ذلك فصاحبه حال تصرفه مقهور تحت مجاري المقدور، فلا يغفل عن الحضور، ولا يغفل إلا ما يأذن له به الشكور، وكم من علمت حقيقته هذا الاسم وتصرفت فيه، ونفسه لاهية غير عالمة بظواهره وخوافيه، وربما اندرج ونفسه غافلة؛ لأنها سافلة، وربما استيقظت لمَّا له الحقيقة أدركت، ووحدت لعلوه وما أشركت، وكم من حفظت حقيقته للقرآن، وهو عنه ساه غفلان، وربما دعيت في عالمها من الحفاظ، وهو لم يدر أغراب الألفاظ، وربما ما تصرفت في الأكوان، وهو بخمر

الغفلة نشوان، فإذا جاء ملحق عليه بالانتباه، زال عنه الاشتباه، وصار هو عين حقيقته بلا امتراء أدرك ما أدركته، فرأى بها كل ماله ترى، وهذا الاسم عوالم كثيرة، لا يستغلون بذكر سواه؛ لمناسبة بينهم وبين ما هذا الاسم الكريم حواه.

وأخبرني عارف أواه بما يجب ذكر الله جواره: إن الله تعالى أطلعه على عالم كبير، لا يحصون عددًا لعدهم، في الهوى، ويتلى الثاني عن السؤال يقول كل منهم: اذكروا الله، ولهم نعمة بهذا الذكر، وإيقاع مثله، فلا يكون، لا يفترون عن ذلك ولا يملون، ثم يقول التالي: (يَا وَاجِدُ): هو الذي يجد كل ما يريد، ولا يفوته شيء وصفه التقييد، أو هو بمعنى الغني، مأخوذ من الوجد، ومن عرف أنه الواجد لا يعجزه شيء، جعل اعتماده عليه دونه لا غير.

قال سيدي محمد القونوي ﷺ في «شرح الأسماء»: الواجد لما طلب، مشتق من الوجد، ومعناه الغني الذي استغنى عن الكل، ولا يستغني عنه الكل، فلا يفوته هارب، ولا يلحقه طالب.

اعلم أن ظهور آثار هذا الاسم يغلب في الخصوص، وذلك أنه تعالى يجد نفوذ أمر هو بلوغ حكمه في كل شيء، كذلك العارفون، ويجدونه ويرونه في كل شيء مع أحدية عين الوجود، بلا تميز، كما نشاهد عين أحدية عين زيد، فتعذر أنه لو لم يكن في الوجود إلا هو لم يتميز عن شيء؛ لأنه ما ثم شيء غيره، لكن مراتب أجزائه متميزة بعضها عن بعض، فإن يده متميزة عن رجله، ورأسه متميزة عن صدره، وأذنه من عينه، وكذا كل قوة من قواه الباطنة مختصة بحكم، ليس للأخرى ذلك الحكم، فتميزت الصور في عين واحدة لا تميز فيها، فكذلك مراتب أعيان الممكنات للوجود المطلق، كالأعضاء للواحد من الممكنات، أي: من حيث تعلق قدرته فيه، وإرادته له، وعلمه به: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:22]، وليس عين من أعيان النسب التي عبر الشارع عنها بالأسماء إلا وله معنى ليس للأخرى هو ذلك المعنى منسوبًا إلى ذات الحق، وهو المسمى صفة عند أهل الكلام، ونسبة عند المحققين من أهل التصرف، والنسب متميزة بعضها عن بعض، فأين الرحيم من القهار؟ وأين الكلام من الحياة وأنسب حقائق معقولة غير موجودة؟ والذات واحدة العين لا تتكثر إلا بالعيان الوجودية، لا بأحكام الإضافات

والنسب، والحق تعالى كبريائي في أحادية ذاته المقدسة، منزه عن التغيير والتكثير مع وجدان كثرة أهل الأسماء والصفات، ومن المحال أن يطلب الواجد أمرًا ما ولم يحصل، وما يتوهمه أهل الحجاب من خطابه تعالى للكفار بالإيمان ممن لم يؤمن، فعند المحقق أن المانع من إيمانهم أنها كان منه؛ إذ لم يعطهم التوفيق، فلو قال للإيمان: كن في محالهم، لكان الإيمان في محل المأمور به، ولكن ما تعلقت إرادة الواجب إلا بمجرد الأمر، لا بتكوين الإيمان في عين الكافر، وقد وجد المراد.

وقال الجيلي ـ قدس الله سره ـ «في الكمالات الإلهية»: الواجد: بالجيم هو الذي كمل بذاته، فلا يفقد شيئًا من كماله بوجه من الوجوه، ولا نسبة من النسب، بل هو واجد يجمع أسمائه وصفاته من جلاله وجماله وكماله، على أتم الوجوه وأكملها وأشملها، وهذا الاسم من أسماء الصفات، وصفته الوجود، وهو عبارة عن تحققه بالكمالات ظهورًا أو بطونًا، صورة ومعنى، غيبًا وشهادة عليها، علوًا وسفلاً، حقًا وخلقًا، حكمًا وعينًا، حيطة وشمولاً، قيدًا وإطلاقًا، انتهى.

(14) أي: ويقرره التالي، هذا العدد المعبر عنه بالجملة، وأما التفصيلي فهو مائتان واثنتا عشر، فمن ذكره عدده التفصيل، أو ألفين وتسعمائة وثمانية وستين، وهذا العدد ينشأ من ضرب الجملي في التفصيلي، ولازم على ذلك، وطلب شيئًا ناله، ومكنه الله من قضاء الحوائج، ومن لازم على ذكره لا يعجزه عن أمر يريده، ومن ذكره وهو يأكل طعامًا جعله الله نورًا في بطنه، ومن أكثر من ذكره لا يفقد شيئًا مما يريد وجوده، وبالإكثار من ذكره يعرف السالكون نفوسهم لغويتهم معرفة وجد، ومن واظب عليه إلى أن يغلب عليه، حال وجد ما في باطنه ما لم يكن يعهده قبل من العلوم والمعارف، ورسخت قدمه في الحكم الذوقية، وأوجد الله تعالى في قلبه الإيمان والتقوى، وهذا وفقه كما ترى، وهذا الاسم شرف، من حيث هو مركب من ضرب أول عدد زوج في أول عدد كامل، فهو مورود بالسبعة مرتين، وهو عدد الحروف النورانية، ولياليه زيادة النور؛ لأنها ليالي وجد، ولياليه النقص ليالي فقد، ولما كان هذا الاسم له مدخل في السلوك؛ لأن أهل السير يعرفون به لنفوسهم كما سلف، كرره دون الأسماء الآتية؛ لأن مبنى الطريق على وجد طريق، فمن وجد الحق فقد الخلق وبالعكس، ومن وفق ووجد فقد، وقلبه سجد إلى الأبد، ومن سجد

قلبه أشرق لبه، وتجلى عليه ربه، وعلى الحقيقة فالوجد موجود عند أهل الوجود، والفقد مشهود عند أهل الشهود، وأهل الجمع والفرقان هم أهل القرآن، خاصة الرحمن، آيتهم: ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ [الكهف: 49]، وجدوا الحق فلم يفتهم شيء، فلو فاتهم لفاتهم كل شيء، فأصبحوا بلا أمل ولا أمنية؛ لنيلهم بربهم كل جزئية وكلية، فكان التكرار لهذا الاسم منا لمؤلف «المختار في المختار»؛ للتنبيه على سر الوجد في الفقد، والفقد في الوجد، وفقد الفقد ووجد الوجد، وخمود الوجود، وجمود الخمود، وهذان الحالان يختلفان اختلاف أربابهما، ويكثر فيضهما ويقل باعتبار رفعة مقام أصحابها، فالمسالك وجد لأخلاقي الكريمة وفقد الصفات الزميمة، ووجد كرامة وفقد ندامة، ووجد ارتباط واغتباط، وفقد واختباط وانحطاط، وللمحب وجد أقداح أفراح، وفقد آتراح، وجد جد وافتضاح، وفقد هزل ومزاح، ووجد أشجان وفقد أحزان حال مواصلة حسان، ووجد نيران التهاب، حال اختيار وفقد اصطبار عند فقد طوالع أنوار، وللمجذوب وجد معارف وعلوم، وفقد متآلف وعموم غموم، ووجد تقريب وفقد تقريب عن منزل وحبيب، ووجد وصال وفقد انفصال، ووجد سعود وفقد كمود، ولأهل كل مقام وجد وفقد يبلغون بها المرام، ولأهل الفرق استمداد منها يوجب الفرق، وكذلك لأهل كل عالم من عوالم الأنوار، التي لا يحيط بها حد، ولا يتخبطها أسفار منها خط، وقسم محقق غير موهوم، وشرب معلوم عند أهل الفهوم.

ولليسار الطيار وجد لعالم الأنوار، وفقد لعوالم الأغيار، لكن لهذه العوالم مراتب، بعضها فوق بعض، فمن وجد الثاني فقد في جنبه الأول للوائح المعاني، وفواتح فوائح المغاني، ثم الثالث يغيبه عن الثاني، بقوارع أعواد المثالث والمثاني، وهكذا الأمر في التداني، فإن نور العالم الثاني بالنسبة للأول شمس، قابلها نجم شعشعاني، وكذلك بقية العوالم ذات النور الصبحاني، فلو ظهرت عزة عالم لكثير هذا العالم أفنته عنه، وسلبته منه، فإن من رأى شمسنا، لها ضعف ما لشمسنا من النور، وكل بصره عن رواياتها، وأدركه العي والفتور، فكيف لشمس لها أضعاف نوره مضاعفة، فهل يمكن أن يشهدها قوي البشر؟ أو يستطيع صحبه ومعارفه؟

واعلم أن لله تعالى عالمًا يقال له عالم مساوٍ به فيل لونه أغبر، يدعى فيل الكمال،

محسن قط ما أساء، وله من الأسماء مائة ألف اسم، وعلوم وأسرار، كاسيًا يحتبي، يُركبه الحق لمن أراد قربه، فيدرك عليه في لحظة ما لا يُدْرِكُ من في ألوف من السنين، ويقف به على حقيقة سر العظمة والتمكين، وهذا الفيل في العظمة والكبرياء لا يمكن وصفه، ولذا يُسمى بفيل العبر، فهو كالملك الذي ورد به الخبر عن سيد البشر: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى، من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة**»[1] رواه أبو نعيم عن جابر.

فمن وجد هذا العالم فقد فقد في جنبه عالم الضواحي، وكان كنقوش عروش، جمالها جماله ماح، ومن وجد عالم ديساء، وهو عالم الفيل الأحمر، ذو السر الأظهر، والنور الأبهر، فقد فقد في جنبه عالم ليساء، فإنه أرفع منه نورًا، وأعلى وأغلى ظهورًا، وهو بالنسبة للأول كبحر ممتد الجوانب مطول، وذاك كنقطة من هذا البحر الزاهر، الذي ليس له أول من آخر، ولهذا الفيل من الأسماء ما لا يحصيه نبيل، إذا ركَّب الحق عليه عبدًا، أدرك كل جميل، وحصل له في رمشة عين ما لا يدرك في الدهر الطويل، وله من العظم والكبر ما للملك عند سيد الأنام، أخبر: «**ألا أخبركم ببعض عظمة الله؟ إن لله ملكًا من حملة العرش، يقال له إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله، قد مرقت قدماه في الأرض السفلى ومرق رأسه من السماء السابعة العليا، في مثله من خليقة ربكم**»[2] رواه أبو نعيم في «الحلية»، عن ابن عباس، ومن وجد عالم سيساء - قدس الله سره - عن ملاحظة غير ربه تقديسًا، وفقد في جانبه سواه، ونال به دواءه، وهذا عالم الفيل الأخضر، والأوجه الأندر له من الأوصاف أضعاف ما لا تقدم، وهو عليها في كل مقدم، وهو من العظم الروحاني ما للملك، أخبر عنه الحبيب العدناني: «**أذن أن أحدث عن ملك من الملائكة من حملة العرش، ما بين عاتقه إلى شحمة أذنه مسيرة سبعمائة سنة خفقان الطير، قدماه في الأرض السابعة والعرش على قرنه، يقول: سبحانك حيث كنت**»[3]، كذا في «الجامع الكبير»، ورمز للخطيب في المتفق والمفترق عن عمر، وفيه أبو معشر المدني، وزاد زوائد الجامع

(1) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 401).

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (6/ 66).

(3) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (6/ 314).

الصغير: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، رجلاه في الأرض السابعة السفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير، سبعمائة عام، يقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت**»[1] رواه الطيالسي عن أنس ﷺ.

فمن كان بهذا العظم، وأمن بحمل بعض الخدم، والسير به في عوالم الكرم، بعد ما قوّاه وثبت منه القدم، بلغه في أقل قليل لأجل مقام جليل، يغتنم ليطلعه على سعة ملك أوجده من عدم، وأبدع فيه من بديع الحكم ما يحير لب مملك محكم بسر القدم، ويجلسه على موائد الأكرام، ويخلع عليه خلعة الإنعام، ويبلغه إلى مقام حيث لا مقام، ويرفعه على سرير الختام والتمام، فيكون ختام دائرة أهل عصره، بل ختام كل ختام، وهذا مقام المهدي عليه سلام السلام، ما دام نظام ليوم القيام، بلغه مني السلام، وهذه الأفيال الكرام، ومثالها من الملائكة العظام، منشأها عظمة ذي الجلال والإكرام، وفي كتاب العظمة العظمة ما يدهش العقول والأفهام، ويوقعها حائرة، فلا دخول لها إلا من باب الاستسلام والإذعان لما جاء به سيد الأنام، عليه أكمل صلاة وأجمل سلام، ومن ذلك حديث: «**إن لله ملائكة من بين شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته سبعمائة عام للطير السريع الطيران**»[2]، رواه أبو الشيخ في «العظمة» عن جابر، فإن قلت سلمنا وجود هذه الملائكة للدليل، فمن أين لك إثبات هذه الأفيال التي لم نسمع بها بعد سر طويل، قلنا: قد أدركها أهل السير للجليل، من كل خليل جليل، فإن كنت ممن يسلم لهم غريب، قال: وقيل: فافعل، ولا تبادر للإنكار، فإن التسليم لأهل الجميل وصف جميل.

وهؤلاء الأفيال الفخام من جملة الملائكة الكرام، الظاهرين بصورة كصورة الفيل، ولهم من التنزيل سورة الفيل، وحيث كانت القدرة صالحة فاغتنم التسليم، تفز بأجر جزيل، ويشتفي الفؤاد العليل والطرف الكليل منك النبيل.

ثم يقول الثاني: (**يَا مَاجِد**): هو بمعنى المجيد إلا أن المجيد أبلغ منه، ومعناه الواسع الكرم دون تحديد، قال المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في «الشرح الكبير»: المجيد ذو الشرف الكامل، والملك الواسع الذي لا غاية له، ولا تمكن الزيادة عليه، ولا الوصول لشيء منه،

---

(1) سبق تخريجه.

(2) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (9/ 233).

وخاصيته تحصيل الجلالة والمجد والطهارة، ظاهرًا أو باطنًا، حتى في عالم الأبدان والصور، فقد قالوا: لذا صام الأبرص الأيام البيض، وقرأه كل يوم عند الفطر كثيرًا، يرى بسبب أو بلا سبب، وقيل: إن البرص إذا جاوز خمسين سنة، لا يدرى لسريانه في كلية التركيب، فلا يزول إلا بتحول الذات، وهو متوقف على الموت، وقال سيدي عبد الكريم الجيلي ـ قدس الله سري به وسر أهل عصري وجيلي ـ في «كمالاته»: اسمه تعالى الماجد، هو الذي نظر إلى ذاته بالتعظيم، فأظهر لذاته بذاته ما لم يكن مستورًا عنه من المجد الشامخ والعز الباذخ، على مقتضى الكبرياء والعظمة والجلال والسناء، وهذا المعنى لا يعرفه إلا الغرباء.

واعلم أن هذا الاسم من أسماء الصفات، وصفته المجد، وهو عبارة عن نظره بما هو عليه من العظمة والكبرياء التي لا نهاية لها، والفرق بين المجد الذي صفة اسمه الماجد، وبين المجد الذي صفة اسمه المجيد، أن المجد الذي صفة اسمه المجيد عبارة عن ثبوت صفات العظمة والكبرياء كما هو عليه، والمجد الذي هو صفة اسمه الماجد عبارة عن نظره إلى ذاته بتلك الصفات، التي لم يزل ناظرًا إليه بها، فمن هذا الوجه تسمى بالماجد، ومن ذلك الوجه تسمى بالمجيد، فلا تتوهم أن هذا عين ذلك، فما في أسماء الله تعالى شيء مكرر، بل كل له معنى على حدته، وكذلك جميع آيات الله تعالى، ليس فيها تكرار، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا «حقيقة الحقائق»، الذي بين أيدينا، نسأل الله إتمامه بالخير، كما هو أهله.

وأما خواصه، فذكر أهل الخواص: إن من ذكره في خلوة حتى يغيب عن حسه، تظهر الأنوار في قلبه، ومن داوم على تلاوته اتسعت دائرته، ووسع الله عليه رزقه، والملك يتسع بالمداومة عليه ملكه، وتبعد كلمته، ويجمع قلوب رعيته على محبته، وقد وافق عدده حم، الذي اتخذه السيد العظيم يوم أحد ذكرًا، وهذا وفقه كما ترى، وله خواص كثيرة، يظهرها الإكثار، وإرفاق غير هذا تورث الإشفاق، والقصد تنبيه النبيه على بعض ما فيه.

ثم يقول التالي (يَا وَاحِد): ومعناه المنفرد في ذاته، المتوحد في صفاته، الذي لا تقبل ذاته التجزئ ولا الانقسام، ولا يتصف بشيء من صفات الأجرام، واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له ولا نظير في جلاله وجماله وكماله، ليس لوجوده أمد، ولا يجرى عليه حكم أحد.

قال الصدر شرح جنابه الصدر في «شرح الأسماء» عند الكلام على اسمية الواحد

الأحد:

اعلم أن في مضمون هذا الاسم رجاء للعموم وفتح للخصوص، وهو خطابه للكل بقوله:

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البقرة:163]، ومن عبد غيره قال:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر:3] فما أشرك من أشرك إلا بسببه، وإن وقع الخطأ فالوقوع من نظرهم ومن قصدك لأجل أمر، فذلك الأمر هو مقصده على الحقيقة، ومن أحبك لأمر ولي بانقضائه، ولهذا ذكر أنهم متبرؤون منهم، وما أخذوا إلا من كونهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم، لا أنهم جهلوا قدر الحق: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان:25]، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة:115]، فوجه الحق موجود في كل جهة يتولى العبد إليها، ومع هذا لو تولى في صلاته إلى غير الكعبة، مع علمه بالجهة، لم تقبل صلاته؛ لأن الله تعالى شرع له استقبال الكعبة في حال الصلاة خاصة، وإذا تولى عبادة أخرى غير الصلاة إلى أي جهة شاء فهي مقبولة، ومن خصائص الكون أن يقبل الأضداد من حيث أحدية عينه، وهي أحكام أعيان الممكنات في العالم، التي تظهر الأسماء الإلهية المتضادة بظهورها، ومن أهل الشهود من يرى كثرة الأسماء؛ لظهور كثرة الأحكام في أحدية عين الحق، فإذا علمت ذلك فاعلم أن الله تعالى واحد في كل شرع، لكن الأدلة العقلية تُكثر العقائدَ باختلافها فيه، وكلها حق، ومدلول الكل صدق، وبذلك تختلف مشارب أذواق أرباب القلوب وأهل الكشف؛ لكثرة اختلاف التجليات الصورية والمعنوية والطبيعية والروحانية، مع أحدية العين، ولما كان الأمر على هذا النمط لم يمكن المحقق أن يخطئ أحدًا من أهل النظر والشهود، وإنما الخطأ في إثبات الشريك، والمشرك قائل بما ليس له وجوده، ولذلك لا يغفره الحق؛ لأن الغفر ستر، ولا يستر إلا من له وجود، والشريك عدم، فأي شيء يستر؟ فإنه لا عين له هناك تتعلق به المغفرة.

واعلم أن الأحد: اسم لفرد لا يشاركه شيء في ذاته، والواحد: اسم لمن لا يشاركه شيء في صفاته، فتوحد الحق عن شأنه ليس بتوحيد موحد، ولا بتوحيده لنفسه، فتكون أحديته مجهولة، لكنه تعالى واحد بنعيته، واحديته ذاتية، وهو منفرد بالرتبة الإلهية وحده لا

شريك له، انتهى.

قال أبو العتاهية: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد، فكل شيء في حد ذاته وصفاته واحد، لا يماثله شيء من أبناء جنسه، وإذا كان المخلوق كذلك فما بالك بالخالق المالك؟ وقد يعود على الله في له وإنه، أي: موجد ذلك الشيء واحدٌ لا شريك له بكل وجه واعتبار، وواحدية الشيء ليست إلا من وجوهه عند المحققين والنظار، وقد دلت الآيات والعلامات على أحدية الذات، مع تكثر الأسماء والصفات، وكل اسم وصفة فلهما معنى يغاير ما عداهما من المعاني، على أن المسمى واحد، فتثبت أحدية الحق في عينه مع كثرة أسمائه وصفاته، والغلبة والسلطنة لا تكون في كل وقت ومرتبة، وجنس، ونوع، وعالم، إلا لاسم واحد، ويخفى حكم غيره لسر لو كان فيهما، إذ الألوهية الحاكمة واحدة وأمرها واحد، ومظهر ذلك الأمر لا يكون إلا واحدًا، ولهذا كان عند أهل الله العمل بالخاطر الأول عليه المعول، فما لحظوا إلا واحدًا، وكذلك أهل الطوالع الحاكمون بأول طالع، حال الشروع فيما يريدون، فاستندوا لمن له السلطنة في الوقت، ولم يكن غير واحد، وسرى حكم الواحدية في الخلافة، فلم تكن غلاة لواحد في الظاهر والباطن، فلقوله ﷺ: «**إذا بويع بالخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»[1] رواه أحمد ومسلم عن أبي سعيد.

وعنه ﷺ: «**إذا كان في الأرض خليفتان فاقتلوا أحدهما**»[2] رواه الطبراني عن عمر والبكالي.

وعنه ﷺ: «**إذا خرج عليكم خارج، وأنتم مع رجل جميعًا، ويريد أن يشق عصاء المسلمين، ويفرق جمعهم فاقتلوه**»[3] رواه الطبراني عن عبد الله بن عمير الأشجعي.

وأما في الباطن المراد به القطب الفوت، ولا يكون إلا واحدًا في وقت لا يشاركه في مرتبة أحد انفراد بجلوسه في المخدع، وخلوته بالحق الذي للخلق أبدع، وقد قال العارف السميع، القائم بحق الحق: وبه للمخالف يردع، بل جناب الحق لا يكون موردًا لكل واحد، ومصورًا لكل شارد، وإنما هو لواحد بعد واحد، ولهذا السبب المأمون الإشارة بحديث: «**في كل قرن من أمتي سابقون**»[4] رواه الحكيم عن أنس، والمجدد واحد لحديث:

---

(1) رواه مسلم (3/ 1480).
(2) رواه الطبراني (19/ 314).
(3) ذكره ابن حجر في الإصابة (4/ 199).
(4) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 140).

«**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»[1] رواه أبو داود، والحاكمي، والبيهقي في «المعرفة» عن أبي هريرة.

وخاتم الولاية المحمدية الباطنية واحد، كما أن خاتم الولاية المحمدية الظاهرة واحد، والبيت المعمور واحد، وفي الحديث: «**البيت المعمور في السماء، يقال له: الصراح، وهو على مثل البيت الحرام بحباله، لو سقط منه حجر لسقط عليه، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لم يره قط، وإن له في السماء حرمة على قدر حرمة البيت**»[2] رواه الطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس، وضعف: (والبيت واحد)، و(الحجر) كذلك.

وفي الحديث: «**يا كعبة ما أطيب ريحك، ويا حجر ما أعظم حقك، والله، لَلْمسلم أعظم حقًّا منكما**»[3] رواه العقيلي عن أبي هريرة.

وعنه ﷺ: «**مرحبًا بك من بيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك، وللمؤمن أعظم عند الله حرمة منك**»[4] رواه البيهقي وأبو داود عن ابن عباس.

وعنه ﷺ: «**لقد شرفك وكرمك وعظمك، وأعظم حرمتك، وَلَلْمؤمن أعظم عند الله حرمة منك**»[5] ـ يعني الكعبة ـ رواه الطبراني في «الأوسط».

وصخرة بيت المقدس واحدة، وفي الحديث: «**العجوة والصخرة والشجرة من الجنة**»[6] رواه أحمد وابن ماجه والحاكم، عن رافع بن عمر والمزني إلى غير ذلك.

ولما كان الحق واحدًا أحب الواحد، وبهذا جاء حديث: «**إن الله تعالى وتر يحب الوتر**»[7]، قال المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ: قال القاضي: وكلما يناسب الشيء أدنى مناسبة، كان أحب إليه مما لم تكن له تلك المناسبة.

قال ابن عربي ﷺ: فتعين عليك أن تكون من أهل الوتر في جميع أفعالك؛ حتى تطلب العدد والكمية، وقد أمرك الله تعالى بقوله في الخبر: إن الله وتر فأوتروا يا أهل القرآن، فإذا اكتحلت فاكتحل وترًا في كل عين واحدة، أو ثلاثة، فإن كل عين عضو

---

(1) رواه أبو داود (4/ 109).
(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 417).
(3) رواه ابن عدي في الكامل (2/ 143).
(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان (3/ 444).
(5) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (6/ 36).
(6) رواه الحاكم في المستدرك (4/ 226).
(7) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (2/ 93).

مستقل، وإذا طعمت فلا تنزع يدك إلا عن وتر، وإذا شربت الماء في حسواتك اجعله وترًا، حتى أنك إذا أخذك الغواق أشرب من الماء سبع حسوات ينقطع، هكذا جربته.

قال الحكيم الترمذي: خلق الله الأشياء على محبوب الوتر؛ واحدًا وثلاثًا وخمسًا وسبعًا، فالعرش والكرسي واحد، والقلم واحد، واللوح واحد، والدار واحدة، والسجن واحدة، وأبواب السبعة ثم نزيد واحدًا بمحمد ﷺ باب الرحمة والتوبة، وهو أصل الأبواب، وأبواب السجن سبعة، وعمال الله معصومون على سبعة أجزاء، وظلال الآدميين سبعة، وأرزاقهم سبعة، وعبادتهم على سبع جوارح، ثم افترض على العباد خمس صلوات، وهي وتر، وعدد ركعاتها سبع عشرة، وهي وتر، وأم القرآن آياتها وتر وأدنى القراءة واحد، وهي آية، وأدنى التسابيح واحد في الركوع والسجود، وفرض الحج في يوم تاسع الحجة، والزكاة في كل مائتين خمسة دراهم، والعشور من كل عشرة واحد، وافترض على العباد حفظ سبع جوارح، وجعل التقوى في سبعة، وأسماؤه تسعة وتسعون، والقلب وتر وخالقه، فأظهر الله محبوبه في عامة الأشياء، فلعبد في الوتر من النوال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فمن صلاه كان كمن دخل محل الملك من السر يعتذر إليه في عمل نهاره وتقصيره، انتهى.

وعنه ﷺ: «ما شئت أن أرى جبريل متعلقًا بأستار الكعبة، وهو يقول: يا واحد يا ماجد لا تزل نعمة عني أنعمت بها عليَّ إلا رأيته»[1]، رواه ابن عساكر عن علي.

وأما خواص هذا الاسم، فقد ذكر أهل الخواص: إن من قرأه ألف مرة خرج من قلبه خوف الخلق، ومن دهش فهيأ قلبه في الخلوة يقرأه العدد المذكور، يزول دهشه، ويحصل له القرب، ومن داوم على ذكره، اطمأن قلبه، وسكن روعه، وذاكره المكثر منه يستوحش من الكثرة، ومن رسمه في مربع من فضة وحمله لم تزل الملائكة تؤانسه في حضره وسفره وحياته، وموته في قبره إلى أن يبعثه الله آمنًا، وهذه صفته، ومن رسمه في مربع، واتخذه ذكرًا دائمًا، يرى من المهابة ما لا تصفه الألسن، وإذا بسط بلغ مائة وثمانية وستين، فمن وضعه في مربع وحمله، لم يؤثر فيه السحر، وإن كان به سحر زال بإذن الله

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (5/ 450).

تعالى، وهذه صورته.

ثم يقول التالي: (يَا أَحَد): سبق الكلام على هذا الاسم، والفرق بينه وبين الواحد في سورة الإخلاص، وهذا الاسم يصلح لأهل الغنى المستغرقين في عين الجمع، المستهلكين في بحار التفريد، والواحد لأهل الغنى في حضرة الجمع، فإنهم لا يشاهدون إلا واحدًا، وإذا ضربت حروفه في ثلاثة، كانت تسعًا وثلاثين، فإذا وضعته في مثلث في صحيفة من رصاص، وزحل في شرفه أو بيته، أمن به حامله من المعاند، وقوي به على جميع عوالمه المخالفة له بأدب الله تعالى، وهذه صورته، ومن وضعه بالقلم الهندي في حديه، والقمر في إحدى البروج الثابتة، أعانه الله على الجماع إعانة عظيمة، ومن أكثر من ذكره فتح الله عليه في التوحيد، ومن نقش الاسمين عند طلوع يوم الأحد في ورقة، وهو مستقبل القبلة على طهارة وذكر، وجعلها في عمامته، رزقه الله العز والهيبة والوقار عند الصغار والكبار، بحول الله العزيز الجبار، هذه صورته، ومن قرأه ألف مرة عاين الملائكة، وإذا أضيف إليه الاسم الجامع، كان من أعظم الأذكار وأجلها، ويصلح ذكرًا لمن كان اسمه أحمد.

ثم يقول: يقول التالي: (يَا فَرْدُ) ومعناه: المتفرد في ديمومته وبقائه، والحاكم على ما سواه بانعدامه وفنائه.

وقيل: هو الذي لا تشفع له من صاحبة أو ولد؛ لعلم الصديق الأكبر بالشيء الذي وقد في صدره فتدبر، من خواص هذا الاسم أن من لازم على تلاوته انفرد بالعلوم، واشتهر وامتد صيته وانتشر، ومن خواص ملازمته ظهور عالم القدرة وآثارها، حتى لو ذكره أحد في خلوة ألفًا، ظهرت له عجائب غرائبه، بحسب الذاكر قوة وضعفًا.

ثم يقول التالي: (يَا صَمَدُ)، مر الكلام عليه وعلى خواصه في سورة الإخلاص.

ويقول: (لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ)، فيقصد: ولا غيرك في الحوائج يصمد، جاء في الحديث الشريف عن من ظللته الغمامة: «**شعار المؤمنين يوم القيامة في ظلم القيامة: لا إله إلا أنت**»[1]، رواه الشيرازي عن ابن عمرو.

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 161).

وعنه ﷺ: «**شعار أمتي إذا حملوا على الصراط: لا إله إلا أنت**»[1]، رواه الطبراني عن ابن عمر، من دعائه: «**اللهم بك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، ولك أنبت، وبك خاصمت، اللهم أني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»[2] رواه مسلم عن ابن عباس إلى غير ذلك.

(**بِرَحْمَتِكَ**)، أي: بسر وسعها وشمولها وعمومها، (**نَسْتَغِيثُ**) أي: نطلب منك الإغاثة من عذاب دار غضبك وهمومها، وتناول رقومها، وفي الحديث: «**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم، برحمتك استغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**»[3] رواه الحكيم عن أنس.

(**فَأَغِثْنَا**): إغاثة ننجو بها من المتالف، ونسلم بها من شر عنيد عتيد مخالف، أو قامت علينا بغيث غيب مريح، في موقع ومرتع غير مريع، وينبغي أن يلحظ التالي هذا المعنى عند الاحتياج إلى منح السحاب؛ ليفتح منه مغلوق الرتاج، وأن يكثر من إنشاد بيتين، وهما لسيدي محمد البكري رفيع المنهاج، منبع سر وهاج ، وهما ينشدان في زمن المحل؛ لاستنزال الوابل الرتاج، صوح النبت فاسقه قطرة من سمائك، وأغثنا فإننا في ترجي مواهبك، ولله سبحانه وتعالى في ملكه عوالم، سحائبها الهطال الدائم، بكاء الخائف العارف الهائم العالم، فإذا قطرت من عيونه قطرة، أنشأ الله تعالى منها سحابًا ركامًا، وسح على من شاء الله تعالى من أهل تلك العوالم، فشربوه شربًا يندى اضطرامًا، ويبدي غرامًا، ويهدي مرامًا، وربما لم يبكِ أيامًا، فيستقون لبكائه أشهرًا وأعوامًا، وهذا الشرب المورث نيل القرب يرفعهم مقامًا مقامًا، ويشاهدون فيه من الأنعام والإكرام مما يوجب إلحاحًا في طلبه وإبرامًا، وهذا من الأمور الذوقية، التي لا تدرك إلا بالكشفة لأهلها، فيسلم محبهم القول إيمانًا واستسلامًا.

(**يَا مُغِيثُ**): قال الإمام الجيلي ـ قدس الله سره ـ في «كمالاته»: المغيث تعالى هو الذي يجود على الموجودات بإعطاء ما تقتضيه قوابلها، وهذا الاسم من أسماء صفات

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (1/ 57).

(2) رواه مسلم (17/ 363) بنحوه، رواه النسائي (4/ 339).

(3) رواه الحاكم في المستدرك (1/ 730).

الأفعال، وصفته الإغاثة، وهي عبارة عن سرعة إجابة كل مضطر بإيصاله إلى ما اضطر إليه، على ما تستحقه قابليته، والوسيلة مختلفة؛ فمنها ما يكون باطنًا، ومنها ما يكون ظاهرًا، ومنها ما يكون بلسان الحال، ومنها ما يكون بلسان المقال، وكل مضطر إلى ما لا بدَّ من وصوله ذلك الأمر إليه على الحقيقة، لا يكون إلا هكذا، وما يتصوره الجاهل في الفريق أنه مضطر إلى النجاة، من اقتضت قابلية هيكله بقاء في هذا العالم، والهالك إنما اقتضت قابليته الغنى من هذه الدار، فلم يكن مضطرًا على الحقيقة؛ إذ لو كان كذلك لم يهلك، وتلك الضرورة المتوهمة إنما هي باعتبار العادة لأمر، حيث ما هو الأمر عليه في الحقيقة، فكل مضطر على الحقيقة إلى أمر لا بُدّ من حصول ذلك الأمر له، وذلك معنى الإغاثة فلو لم يكن الأمر كذلك، لا نعدم أثر اسمه المغيث، تعالى سبحانه عن ذلك علوًّا كبيرًا، انتهى.

وقال الحاتمي ﷺ في «العبادلة»: الإغاثة لا تكون إلا لمن قارب الهلاك، إلا في حق الحق، فهي لمن قاها فهلاك، ومن هلك فإن بيده ملكوت كل شيء، فنسبت الإغاثة إلى الخالق بوجه لا ينسب إلى المخلوق، فبالاسم المغيث ينقذ الغرقى، وينجي من المهالك، وقد يكون الدعاء من الذي يطلب هذا الاسم بالقبول، أو بالحال، أو بهما معًا، وفي حق نفس الطالب وفي حق غيره، على حسب ما يكون الباعث على ذلك.

وقال المتحقق: لا يرى أن أحدًا أغاث أحدًا لعينه، وإنما أغاثه من أجل نفسه، فإنه قامت به الشفعة والألم لذلك المغاث، فأغاثه ليزيل الألم عن نفسه، وألحق كل ذلك، فافهم سر الحجاب، فإنه الله ما أغاث من استغاث به حالاً، أو قال: إلا لعين المستغيث به، وقد حرنا هنا حيرة شديدة، فإن العقل يقتضي هنا بدليله، بخلاف ما يعطيه الوضع الإلهي، ولا شك أن الله أعلم بنفسه من خلقه تعالى، فالرجوع إليه والفهم محجور عليه أن ينطق به صاحبه، وهكذا في أكثر الأسماء، أو في كلها، انتهى.

(أَغِثْنَا) أي: أعنا وانصرنا، واكشف برحمتك الشدة عنا، قال في «المصباح»: أغاثه إغاثة إذا أعانه ونصره، فهو مغيث، وباسم الفاعل، ومنه مغيث زوج بريرة اسم منه، واستغاث به فأغاثه، وأغاثهم الله برحمته: كشف شدتهم.. إلخ.

ويكرر التالي **(ثلاثًا)**، أي: يا مغيث أغثنا؛ لحديث التاجر الذي قال فيه: «**يا ودود،**

يا ذا العرش المجيد، يا مبدئ يا معيد، يا فعال لما يريد، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني»[1]، ذكره القشيري ﷺ في «الرسالة» في باب الدعاء.

ويقول (**الغوثَ الغوثَ**) أي: أسألك إغاثة بعد إغاثة؛ لأكون ممن له اسمك المغيث بإغاثة (نصب على المصدر)، كما في: لبيك اللهم لبيك، أي: إجابة بعد إجابة، وفي الحديث الشريف: «**من أغاث ملهوفًا كتب الله له ثلاثًا وسبعين مغفرة، واحدة منها في صلاح أمره، وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة**»[2]، رواه البخاري في «التاريخ»، والبيهقي عن أنس، ومن فوائده ﷺ قوله: «**إذا ضل أحدكم شيئًا، وأراد أحدكم غوثًا وهو بأرض ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد الله أغيثوني.. يا عباد الله أغيثوني.. فإن لله عباد لا يراهم**»[3] رواه الطبراني عن عتبة بن غزوان.

(**مِن مَقْتِكَ**) أي: من بغضك، قال في «المختار»: معناه: أبغضه، فهو مقيت وممقوت، انتهى.

والمعنى نطلب الإغاثة من فضلك، فإن من أبغضته هلك، ومن أحببته سار وسلك، جاء في الخبر، عن سيد البشر: «**إذا أحب الله عبدًا قذف حبه في قلوب الملائكة، وإذا أبغض عبدًا قذف بغضه في قلوب الملائكة،ثم يقذفه في قلوب الآدميين**»[4]، رواه أبو نعيم في «الحلية»، عن أنس.

وعنه ﷺ: «**إن الله تعالى يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة**»[5]، وفي رواية: «**إن الله تعالى يبغض الفاحش المتفحش**»[6]، وفي أخرى: «**إن الله يبغض العبس في وجوه إخوانه**»[7]، وكل ما نهى الحق تعالى عنه فهو مبغوض له، وكل ما أمر به فهو محبوب له، فكان المؤلف ـ سامحه الله تعالى ـ ومنحه حبورًا، استغاث من أن يأتي منهيًّا عنه، ويترك مأمورًا.

---

(1) وذكره حقي في تفسيره (17/ 154).
(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان (6/ 120).
(3) رواه الطبراني في المعجم الكبير (12/ 44).
(4) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (3/ 77).
(5) رواه البيهقي في سننه الكبرى (10/ 194).
(6) رواه الحميدي في مسنده (2/ 490).
(7) لم أقف عليه.

(وَطَرْدِكَ) أي: وأستغيث بك من طردك في غير بابك، وإقصائي عن رفيع منيع جنابك، فإنه عين الغضب والسخط، ومن غضبت عليه فقد هوى في لجة الجحيم سقط.

وفي الحديث: «**إن لم تكن ساخطًا علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات، وأشرقت له الظلمات، فَصَلُحَ لي أمر الدنيا والآخرة، أن تحل علي غضبك، أو تنزل علي سخطك، ولك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**»(1) رواه الطبراني عن عبد الله بن جعفر من حديث، فالطرد - نعوذ بالله منه - ضدُّ وردٌّ، ومن يقدر على رد من إليه المرد؟

ولقد قلت والعبرة تسقي الخد دون حد:

أتطردني عن باب برك سيدي ... إذ لم أكن أهلاً له أين أذهب
هل ملجأ إلاك يلجى ويرتجى؟ ... وحقك ما لي غير ذاتك مطلب
وحقك لو أقصيتني عنك لم أكن ... أمد يدي إلا إليك وأرغب
ولست السوي أخشى وأرهب إنما ... وحرمة عهد منك، أختبي وأذهب
إذا كنت لي ربًّا كفاني سؤددًا ... وإن كنتُ للأبواب لست أقرب
ذنوبي أقصتني، ولو شيءت محوها ... محوت فيهم العفو لا زال يسكب
تعذبني بالطرد عنك، وإنني ... أرى كل تعذيب من الحب يعزب
إذا شئت تعذيبي، فإنك قادر ... وإن شئت تعذيبي فعفوك أقرب
فإنك غفار غفور وغافر ... وإني خطَّاء جسور ومذنب
رضيت بما ترضاه في كل حالة ... وليس لما لا ترتضي أتطلب
فبالسيد المختار أكرم مرسل ... وبالآل والأصحاب من مَنَّك قربوا
أجرني من طرد، وبعد فإنني ... لجاه رسول الله مولاي أنسب
عليه صلاة الله، ثم سلامه ... كذا الآل والأصحاب، ما لاح كوكب

(وَبُعْدِكَ)، البعد: ضد القرب، وكذا القرب: الطرد، فيكون العطف عطف تغير،

---

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (6/ 35) بنحوه.

والمعنى: واستغيث بك من بعدك، أي: من بعدك، أي: من بعد رحمتك وتقريبك عني، وفيضك الأقدس الذي يغني ويدني.

ومن دعاء الإمام جعفر الصادق ﷺ: أنت يا إلهي صاحب كل وحيد ومؤنسه، وكاشف ضره، الغوث من طردك ومقتك وبعدك.

وقد حصلت موافقة هذا الإمام في دعائه من غير عثور على ابتدائه وانتهائه.

ومما كان يدعو به الجيلاني:

أمدنا الله بلحظه في مجالس وعظه، اللهم إنا نعوذ بوصلك من صدك، وبقربك من طردك، وبقبولك من ردك، واجعلنا من أهل طاعتك وودك، وأهّلنا لشكرك وحمدك.

(يَا مُجِيرُ): ومعناه الذي يؤمن من المخاوف، وينجي من المتألف، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ ﴾ [المؤمنون: 88].

قال القاضي - رحمه الله تعالى: يغيث من يشاء ويحرسه، ولا يُجار عليه ولا يُغاث أحد ولا يُمنع منه، وتعديته بعلى؛ لتضمنه معنى التفرد، انتهى.

وفي الحديث: «**أسألك يا قاضي الأمور، وشافي الصدور، كما تجير بين البحور، أن تجيرني من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور، ومن فتنة القبور**»(1).

(**أَجِرْنَا**) أي: انقذنا، (**ثلاثًا**) أي: تكرار ثلاث مرات، (**مِن خِزْيِكَ**) أي: من ذلك، وهو أنك لنا، قال في «المختار»: وأخزاه الله: أذله وأهانه، انتهى.

(**وَعِقَابِكَ**) أي: وأجرنا من عاقبتك على سوالف الذنوب، يا علام الغيوب، فإنا لا نقدر على العقاب، فضلاً عن العذاب، وإن كان العقاب عند أهل الاقتراب أشد من العذاب؛ لرفع الحجاب، وأجرنا (**وَمِنْ شَرٍ**) أي: ظلم، فإن الشر هو الفساد، والسوء والظلم، وجمعه شرور.

قال في «المصباح»: وقول النبي ﷺ: «**والشر ليس إلا إليك**»(2)، نفى الظلم والفساد؛ لأن أفعاله تعالى صادرة عن حكمة بالغة، والموجودات كلها ملكه، فهو يفعل في ملكه ما يشاء، فلا يوجد في فعله ظلم ولا فساد، ورجل شرير، أي: ذو شر، وهذا أشر من ذلك،

---

(1) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (35/ 452).

(2) لم أقف عليه.

والأصل أشر بالألف على أفعل، واستعمال الأصل لغة لبني عامر، وقرئ في الشاذ: ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [القمر: 26] على هذه اللغة.

(عِبَادِكَ أَجْمَعِينَ): كلمة يؤكد بها، يقال: جاء القوم أجمعون أكتعون أبصعون، فدخلت سائر الأجناس من يتأتى منه الشر، كالحيوانات والجن والناس، ولما طلب الإجارة من الشر ناسب طلب اللطف ليكفي الضر.

(يَا لَطِيفُ أَلْطُفْ بِنَا بِلُطْفِكَ يَا لَطِيفُ): قال صاحب «دقائق الإشارات»: ومنها اللطيف، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:103] ومعناه: الذي يريد لعباده الخير واليسر، ويفيض لهم أسباب الصلاح، وهذا للمؤمن من عند من لا يرى أن ما يعطيه الله تعالى للكفار نعمة، أو أراد للمؤمن خاصة في أسباب الدين، أو أراد المؤمن والكافر عامة في أسباب الدنيا عند من يراها في الجملة.

قال أبو سليمان: اللطيف: هو البر بعباده، الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون؛ لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الشورى:19]، وقيل: هو الذي يوصل إليك إربك في رفق، ويقال: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية، انتهى.

وقال سيدي محمد القونوي ـ قدس الله سره: اللطيف سبحانه في أفعاله الموجودات، أي باعتبار أنه الفاعل لها، واختفاء لطائف حكمته في مظاهر الكائنات، هو الذي ييسر كل عسير، ويجبر كل كسير.

اعلم أن حقائق هذا الاسم وأسراره عمّت مراتب الوجود، واللطيف مأخوذ من اللطف، وهو الخفاء، وأغرب أمثلته، خفيات ألطاف مد الظل وقبضه، فإن البصر لا يدرك غير امتداده وانقباضه، حالاً بعد حال، ولا قدرة له على شهود حركته المحسوسة على الدوام، فضلاً عن شهود حقيقة خروجه عن الأصل الحقيقي ورجوعه إليه، فإن الظل إذا أخذ في الامتداد، يخرج من ذات الشخص، وكذلك إذا انقبض لا ينقبض إلا ما منه خرج، هذا شهادة العين.

وقال الحق عز شأنه: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: 46]؛ إشارة إلى أن ما يخرج منه هو الحق سبحانه، ظهر من حيث تجليه بصورة فيه، فظل يبرزه تارة

ويقبضه أخرى، وكما أضاف القبض إلى نفسه، فكذلك أضاف الامتداد إليه بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [الفرقان: 45] الآية، وهذا من ألطف الإشارات، فإن العين تدركه، وتشهد حركة الامتداد وانقباضه من ذات، انكشف أنها هي حقيقة من لطائف تصرفات القوي اللطيف، وكذلك قوله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: 80]؛ إشارة إلى سريان هذا اللفظ الإلهي، الذي هو كسريان نور الشمس في أجزاء الجو؛ إذ امتزاجه بحيث لا تقع الإشارة إلى الضوء إلى النور، وكذلك سبب اختفاء الذات المتعالية سعة ظهوره واحتجابه عن الإدراكات بسبحات نوره. انتهى.

وقال الجيلي - قدس الله سره - في «الكمالات الإلهية»: اسمه اللطيف تعالى، هو الذي امتنع إدراكه بالأبصار، وتنزه عن المكان، فلا يتحيز في الجهات والأقطار، وتعالى عن الحد، فلا تعرفه العقول بالفهوم والأفكار، وهو مع ذلك أقرب إلى الأشياء من ذواتها، وأظهر عليها من صفاتها غاية الإظهار، وهذا الاسم اسم صفة إلهية بهذا الاعتبار، ولهذا الاسم اعتبار آخر، وهو أن اللطيف هو الذي يسرع بكشف الغمة عند حلول النقمة، ويضع بإزاء النعمة من حيث لا تتوقعها الغمة، وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: «إن لله في طرفة عين نظر لطف إلى خلقه»[1]، فبهذا الاعتبار اسمه اللطيف من أسماء صفات الأفعال، وصفته اللطف، وهو عبارة عن سريان الرحمة بأنواع الإعانة والنعمة من غير امتنان، وبالاعتبار الأول: أن اللطف عبارة عن غموض أعلم به من حيث تختص امتناع معرفته عن الحقيقة؛ للطافتها عن مدارك الفهوم، وتنزهها عن مبلغ غايات العلوم. اهـ.

قال البوني - رحمه الله تعالى - في «شمس المعارف»: وهذا الاسم حضرة جليلة تعطي لصاحبها الفكرة في لطف الله تعالى، بأنواع الموجودات مع دوام الفاتحة في الأدوات؛ لأن المتقرب إلى الله تعالى بهذا الاسم لا يكون إلا مريضًا يدعي رعي أنفسه، ومنقربًا إلى أولياء الله تعالى بحق المعاملة باللطف، وهذا الاسم إذا تلاه السالك في خلوة برياضة في العلائق لنفسه من خاطره وراء ظهره، وتلاوته عدده الكبير 7 2 9 9 مدة أربعين يومًا، حتى يحضر خادمه الملك فيقابل عنه وهو من علم إسرافيل عنه، ويأتي للذاكر بحسب

---

(1) لم أقف عليه.

استعداده في النوم أو اليقظة، ويجده بالمواهب، وينال المرتبة العليا.

واعلم أن هذا الاسم يحكم على الدور الأول وعوالم زحل، وهو يذكر لكل ما ينزلك من خير أو شر، أونفع أو ضر، أو جلب أو طرد، فمن ذلك إذا قرأه من تعسرت أموره العدد المذكور فرج الله عنه تمام التلاوة، وقد وقع لنا من الوقائع الغريبة مع الولد العزيز محمد بن المنذر، وذلك أنه توفي والده، وطلب السلوك، ودخوله إلى الأسماء ومرتبة السلوك، فأعطاني الكشف الرباني، والنظر الصحيح أنه يصلب، فلما جاءني، ونظرت إلى حاله، أنفت نفسي أن ألقن لمن هذه الحالة حالته، فاستخرت الله تعالى، وألقيت عليه هذا الاسم، وأن يتلوه في اليوم والليلة تسعين ألف مرة أربعين يومًا، فلما أتمها رأى في النوم أنه جاءه الوالي، وأخذه وصلبه، ومات وغسلوه ودفنوه، فاستفاق من نومه وهو مرعوب خائف، وجاء إلي فنظرت إلى وجهه، قد تلألأ نورًا، وزال الذي كنت أراه، وذكر لي قصته، فحمدت الله تعالى، ولقنته الذكر والأسماء، وصار من أرباب الولايات.

ومن خواص هذا الاسم تيسير الأمور، وبلوغ المآرب، فإذا كان الإنسان مهمومًا، أو طالب حاجة، وتلاه عدة قضى الله حاجته، وإذا كتب شكله المخصوص به، وأضاف إليه اسم الذات على ذهب أو فضة في وقت سعيد، وحمله إنسان، فتح الله تعالى عليه، وكان ملطوفًا به في سائر أحواله، وإذا أردت حضور روح من الأرواح فاتلوا هذا العدد والدعوة وأمر الخادم بأن يحضر الروح، فإنه يحضرها حالاً، وهذه صورته كما ترى، والدعوة تقول: (بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إني أسألك ياه 3 يا حنان يا منان يا لطيف، ياه ياه، يا ذا الجلال والإكرام3 يا لطيف، ياه ياه، سبحانك لا إله إلا أنت يا لطيف، لا إله إلا أنت ولا إله غيرك ولا معبود سواك، أنت الحق المبين يا لطيف، ياه ياه ياه ياه ياه ميا، أجب يا رومان بحق اسمه اللطيف الذي خفي، أجب بارك الله فيك وافعل كذا وكذا، فاظهر لي في خلوتي بأشمخ شماخ، أنت اللطيف العالي على كل براخ، يا لطيف ياه ياه، أنت الحاكم لا يحكم عليك حاكم، يا لطيف ياه ياه أنت السلطان لا شريك لك في ملكك، يا لطيف أنت الجبار المنتقم ممن ظلمني، أنت اللطيف ومدبر الأمور، يا لطيف أنت القوي لم يقو عليك قوي، يا لطيف يا من هو كل يوم في شأن، سخر لي خادم هذا الاسم يفعل لي كذا وكذا، بألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا إله إلا

أنت الحي القيوم الملك القدوس، كهيص حمعسق، أسألك باسمك العظيم الذي اختص به الأخصاص من خلقك أن تقضي حاجتي يا رب العالمين).

واعلم أن هذا الاسم يتصرف في أمور كثيرة، حتى في إقلاب [الكاغد][1]، والماء سمنًا، وقضاء الحوائج كلها، وكل ما تريد، وهذه الدعوة مخصوصة بالخلوة، والمكث فيها أربعين يومًا، واعلم أنك متى أردت حضور خدمة الملك رومان فاذكر الاسم عدده بشرط الرياضة وتلاوة الدعوة إحدى وأربعين مرة وفي ليلة الجمعة بعد أن تصلي ركعتين بسورة الكهف ويس، وبعد ذلك تتلو الاسم وتقول: أجب أيها الملك رومان فإنه يحضرنا هذه ويعطيك حجرًا أسودًا من سيح، وشيئًا من الدراهم، ثم يخبرك بما تريد والبخور حصى لبان، ثم تقول له: انصرف بحق ما أتيت به من الطاعة، فإنه يذهب، وكلما تريد حضوره تبخر وتقرب الحجر من النار فإنه يحضر ويقضي حاجتك وما تريد، وأما الذاكر القائم بهذا الاسم الشريف تقول:

(بسم الله الرحمن الرحيم:اللهم أنت اللطيف الخافي عن جملة نظر العيون، المنزه عن إدراك العقول والأفكار، العالم بإحاطة الموجودات، المتجلي على سرائر القلوب في خادمين من العالم الجليل، منهم والحقير، وبما تشاء من حسن التدبير والتحرير، أسألك بما بطن من غوامض خفايا الأسرار، وبما ظهر من حقائق التكوين في ظلم الظلمات من ضياء أشعة الأنوار، أن تجذب قلبي بلطيف الكشف الفاني عن شهود الباقي من لطائف الأسرار والمعاني، ليتنعم قلبي بك في تلك الرقائق واللطائف، وتزول عني شبه المشكلات بظهور تلك الحقائق، اللهم استرني بحق اسمك اللطيف من شر كل ذي شر وحاسد يا الله، يا لطيف يا خبير).

ما من عبد لازم على هذا الاسم الشريف مع الذكر القائم به، إلا صار من أرباب السلوك الواصلين، ونال سعادة الدنيا والآخرة، وشاهد في حال التلاوة أشياء كثيرة لا تدخل تحت حصر.

وقال في موضع آخر: هذا الاسم العظيم الشأن، العجيب البرهان، سريع الإجابة، يصلح لتفريج الكرب في أوقات الشدائد، ويصلح ذكرًا للمسجونين والمأسورين، ومن

(1) معرب عن أصل فارسي، وهو نوع من الجلود يكتب عليه.

اشتد به مرض، وكان مقهورًا تحت سلطان طبعه، وإحكام عاداته، وأكثر من ذكره، سهل الله تعالى عليه الخلاص من ذلك، ويصلح ذكرًا لمن كان اسمه صالحًا، وله من العدد 139، وهو عدد فرد مستطيل، بعدد الثلث بثلاث وأربعين، وهو من الأعداد الناقصة، أجزاؤه سبع وأربعون، تشير إلى اسمه تعالى الوالي؛ لما في اللطف من التوالي، وإلى اسمه مبدئ؛ لما فيه من الرجوع إلى حكم الفطرة.

واعلم ـ وفقني الله وإياك ـ أن هذا الاسم له خواص جليلة في تفريج الكرب عند الشدائد، ولا يضاف إليه غيره، يظهر من آثاره العجب العجاب، ولا يذكره من يولد شيء في نفسه أو بدنه، إلا أزاله الله تعالى في أثناء الذكر، ولا يذكر أحد في نفسه أمرًا عظيم قد هاله، ومثل ذلك الأمر في خلوة، وأقبل على الذكر، وهو يلاحظ تلك الكيفية، إلا وشاهد كيف ينحل ويضمحل، فلا يقوم من مقامه وبقي شيء يرهبه، وفي ذلك أسرار بديعة، وإما مريعة، فعلى هذه الصفة كما ترى.

وقال الشيخ محمد أبو بكر بن صالح الكتابي في رسالته «المنهج الحنيف في معنى اسمه لطيف»: من أراد أن يرى في منامه ما يحب ويختار، فليتوضأ ويصلي ركعتين بعد العشاء، ويستغفر الله تعالى ما أمكنه، ثم يقول: (يَا لَطِيفُ عَدَدَ 129): مرة ثم يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:14]، يا هادي يا مهدي يا لطيف يا خبير، اهدني وأرني وخبرني في منامي ما يكون من أمر كذا وكذا وكذا، وتذكر حاجتك بحق سرك المكنون، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: 25]، ثم ينام، فإنه يرى في منامه ما يطلبه، إما أول ليلة، أو في الثانية، أو في الثالثة، ومن أكثر من ذكره أحيا الله باطنه بنور المعارف، وظاهره بنور اللطائف، وحفظه في نفسه وأهله وكفاه ما يخافه، ومن أراد قضاء حاجته فليذكر الاسم سبعة آلاف، ثم ليقل بعدها: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الأنعام 63: 64]، مائة واثنتين وسبعين مرة، ولا يكلم أحدًا في أثناء ذلك، فإن الله يقضي حاجته في أسرع وقت، ومن عرف كيفية التوحد به ليستغني به عن كثير من الأسماء، فافهم الإشارات تغنيك عن صريح العبارات، ومن ذكره عدده بين يدي جبار وقت غضبه

سكن، ومن ذكره عدده الواقع، وهو مائة وثلاثة وثلاثون، وهو أعداد اسمه لطيف، مضافًا لها عدد حروفه الأربع، وسع الله تعالى عليه ما ضاق، وكان ملطوفًا به في جميع أموره، والخاصية في ملازمتها، إنها تقوي الجنان، وتشجع القلب، وتلقي الهيبة في قلوب العدو، ويكون مقبولاً عند جميع الناس، وإن كان ذاكره فقيرًا استغنى، أو مديونًا قضى الله دينه، أو خائفًا أو محبوسًا أمن وخلص، أو أسيرًا انفك، أو مهمومًا فرج الله همه وكشف غمه، وإن كان مسافرًا رجع إلى أهله سالمًا، أو خاصم أحدًا ظفر به، وإن قابل الحكام والجبابرة أجلوه وعظموه، وكانوا له عونًا في قضاء حوائجه.

قال: ومن المجربات أن من قدر عليه رزقه، وحصل له نكبة من نكب الدهر أو بلاياه، وتلاه مائة وتسعة وعشرين مرة، أو ألف مرة - بنية ذلك الشيء - إلا لطف الله به فيه، وصفة ذلك أن يصلي العصر، فإن كان عليه ورد ذكره، ثم يتلو الاسم بالعدد المذكور، ثم يسجد ويقول وهو ساجد: يا لطيف اللطفاء، وأرحم الرحماء، أذهب عني كذا وكذا - وتسمي حاجتك - إنك ألطف اللطفاء، وأرحم الرحماء، ثم ترفع رأسك وتقول الدعاء ست عشر مرة.

قال الربيع: كان من أدعية الإمام الشافعي ﷺ المشهور بالإجابة:

(اللهم إني أسألك اللطف فيما جرت به المقادير) من قاله في كل يوم 139 مرة، أمنه الله من شر الحوادث، ورزقه اللطف في سائر الأحوال، وتعطف العدو، وإذا كان ذا شوكة أن تأخذ من نوى الزيتون بعدده الصغير، وتتوضأ وتصلي ركعتين وتأخذه وعاء فيه ماء وتضعه بين يديك، وتتناول نواة وتقول:

يا لطيف بخلق السموات والأرض الطف بي، واطف عني غيظ فلان كما يطفئ الماء النار، إنك على كل شيء قدير، وترمي بها في الماء، وتفعل بالأخرى كذلك، إلى أن يفرغ النوى، فإن سبحانه يزيل تلك العداوة، وتصير محبة بقدرة الله تعالى، ويتداوى به لكل مرض، وصفته أن يكتب كل حرف عدده، فتكتب الألف مائة مرة، والطاء عشر مرات، والياء إحدى عشر مرة والفاء إحدى وثمانين مرة في إناء نظيف، ثم تقرأ عليه الاسم مائة وستين مرة، فتقول: اللطيف، وهي عدده، ويشربه من تحكمت عليه الأمراض يبرأ بإذن الله تعالى.

وقال بعض المشايخ من أهل الأسرار: من كتب الله اللطيف بعباده ست عشرة مرة في إنا نظيف، وقرأ عليها آيات الشفاء،ومحاه بماء النيل، وسقاه لمن به مرض، فإن قدر الله الحياة شفاه في أسرع وقت، وإن كتب له الموت سكن ألمه، ويهون الله عليه الموت، انتهى.

وقال البوني ـ رحمه الله تعالى ـ في «شمسه»: ومن كتب آيات اللطف التي في القرآن العظيم، وهي أربع آيات؛ الأولى: قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: 103] ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:14] هذه الآية نافعة، فمن كان خائفًا من ظالم أو جبار، فليذكر اسمه اللطيف صباحًا ومساء مائة مرة، مضروبة في نفسها، يخرج بالضرب العدد المتقدم، وهو العدد الكبير، ويقرأ بعدها الآية مائة مرة، فإنه يرى عجبًا من لطف الله تعالى، الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف:100] الآية خاصيتها لمن وقع في شدة أو محنة، أو ضيق أو كرب، أو هم أو غم وسجن ويرزقه ملكًا عظيمًا، الثالثة: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: 19] الآية خاصيتها لمن زالت عنه الدنيا، وافتقد إلى ما في أيدي الناس، فليقرأ اسمه اللطيف كما تقدم، ويقرأ الآية بعده تأتيه الدنيا وهي راغمة، ويرزقه الله من حيث لا يحتسب، الرابعة: قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:14]، خاصيتها لمن كان طالب تولية، مثل قاض، أو حاكم، أو ما أشبه ذلك، فليقرأ اسمه اللطيف صباحًا ومساء كما تقدم، ويقرأ الآية بعده، يحصل المطلوب، انتهى.

وقال الكرمي ـ رحمه تعالى: وأما اسمه اللطيف فإنه جليل القدر، وهو من أذكار جبريل عليه السلام، فمن ذكره كان ملطوفًا في جميع أموره، ووسع الله عليه الرزق المقسوم، ألا ترى أنه يناسب اسم معط 139، وذاكره عبد اللطيف، وأما حروفه تشير إلى اسم موسع، وله وفقه، وهذه صورته، انتهى.

وعن أبي الفضل البكري قال: وقعت في شدة، فعملت هذين البيتين، وعلقتهما تجاه العدلة، فكشف الله عني تلك الشدة، وهما:

يَـا رَبُّ مَـا زَالَ لُطْـفٌ مِـنْكَ يَـشْمَلُنِي ... وَقَــدْ تَجَــدَّدَ فِي مَـا أَنْـتَ تَعْلَمُــهُ

فَاصْرِفْـهُ عَنِّـي كَـمَا عَوَّدْتَنِـي كَـرَمًا ... فَمَــنْ سِــوَاكَ لِهَـذَا الْعَـبْدِ يَـرْحَمُهُ

ونقل العز بن جماعة: إنه حصل له فالج عظيم، وكنت أكررهما ليلاً ونهارًا، أثر ذلك تأثيرًا عظيمًا، وعوفيت بالكلية، انتهى.

وله خلوة - ذكرها البوني - سبعة أيام بصيام وقيام، واجتناب ما خرج من روح، وما فيه الروح، إلى ما بعد الإتمام، والمأكول: زبيب أو تمر أو جزء شعير معجون بزيت طيب، وابتداؤها يوم الأحد، والبخور: الحصى لبان، والجاوى والعود، والذكر للاسم: بعد كل صلاة عدده الكبير، والقسم بعده:

سيدي أدخلني في رياض أسمائك من بابك الخاص، الذي لا يحجب بنور ولا ظلمة، ولا بشيء داخل فيه ولا شيء خارج عنه، و[الخلق يرى] فواي في نيل نعمه، وألهمني تحقيق ذوق كلها ذوق منه، حتى أكون بك فيه منه إليك وبك، إنك لطيف عطوف رحمن رحيم.

وبتمامها يأتيك شابٌ معطر الثياب، حسن الصورة كالبدر ليلة تمامه، فيقول لك: السلام عليك أيها الرجل الصالح وما تريد؟ فتقول: أريد منك الخلوة، فإنه يعطيك العهد والميثاق في جميع ما تريد، ويشرط عليك أنك لا تقع في معصية الله تعالى.

ومن فوائده أنه يخفيك عن أعين الناظرين من الفاسقين، ويوصلك إلى أي محل أردت، ويجلب لك الدفين المباح للمؤمنين إلى غير ذلك من كل أمر فيه تمكين وتسكين.

وفوائد هذا الاسم كثيرة جدًا، فلنقتصر على هذه النبذة اليسيرة، فإنا لا نجد لغاية فوائده حدًّا.

(129) أي: ويكرره تاليه هذا العدد، وهو عدده الصغير، والخارج من ضرب هذا العدد في مثله، وهو عدده الكبير، ولكل خواص ولكن الكبير هو الترياق المجرب لكشف كل مهم ودفع كل ملم، عزَّ مَنْ به يتقرب.

ثم يقول التالي: ﴿اَللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:19] قال القاضي - رحمه الله تعالى: يرميهم بصنوف من البر، لا تبلغها الأفهام.

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الشورى:19] أي: يرزقه كما يشاء، فخص كلاً من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ [الشورى:19] الباهر القدرة، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى: 19]: المنيع الذي لا يُغلب، انتهى ومضى ذكره.

هو بعض فوائدها، ومنها: إن من داوم على تلاوة هذا الاسم دبر كل صلاة عدده الصغير، وقرأ بعده هذه الآية سبع مرات، وقال:

اللهم أدم نعمتك علينا، والطف بنا فيما قدرته علينا سبع مرات، رأى من اللطف والرزق والقوة والعز شيئًا عظيمًا.

(10 مَرَّات)، أي: يكررها التالي عشر مرات، لكل كلمة منها مرة، ولمجموع الآية مرة، وسيأتي الكلام على اسمه تعالى القوي والعزيز.

ثم يقول المصنف:

اللَّهُمَّ يَا لَطِيفًا بِخَلْقِهِ يَا عَلِيمًا بِخَلْقِه يَا خَبِيرًا بِخَلْقِهِ الطُفْ بِنَا يَا لَطِيفُ يَا عَلِيمُ يَا خَبِيرُ (ثَلَاثًا) يَا لَطِيفُ عَامِلْنَا بِخَفِيِّ وَفِيِّ بَهِيِّ سَنِيِّ عَلَى لُطْفِكَ يَا كَافِيَ الْمُهِمَّاتِ وَالْمُلِمَّاتِ اكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَالْمُسْلِمِينَ وَالْحَاضِرِينَ وَالْغَائِبِينَ وَالْمُنْتَقِلِينَ مِن إِخْوَانِنَا هُمُومَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ يَا كَرِيمُ يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ اللَّهُمَّ أَسْكِنْ وُدَّكَ فِي قُلُوبِنَا وَوِدَّنَا فِي قُلُوبِ أَحْبَابِكَ الْمُصْطَفِينَ وَأَهْلِ جَنَابِكَ الْمُقَرَّبِينَ آمِينَ يَا وَدُودُ عَدَد 100 يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدُ يَا فَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ نَسْأَلُكَ بِحُبِّكَ السَّابِقِ فِي مُحِبِّهِمْ وَبِحُبِّنَا اللَّاحِقِ فِي مُحِبُّونَهُ أَنْ تَجْعَلَ مَحَبَّتَكَ الْعُظْمَى وَوِدَّكَ الأَسْنَى شِعَارَنَا وَدِثَارَنَا يَا حَبِيبَ الْمُحِبِّينَ يَا أَنِيسَ الْمُنْقَطِعِينَ يَا جَلِيسَ الذَّاكِرِينَ وَيَا مَنْ هُوَ عِنْدَ قُلُوبِ الْمُنْكَسِرِينَ أَدِمْ لَنَا شُهُودَكَ أَجْمَعِينَ.

قال الشارح: (**اللَّهُمَّ يَا لَطِيفًا بِخَلْقِهِ يَا عَلِيمًا بِخَلْقِه يَا خَبِيرًا بِخَلْقِهِ أَلْطُفْ بِنَا يَا لَطِيفُ يَا عَلِيمُ يَا خَبِيرُ، ثَلَاثًا**)، أي: ثلاث مرات، لكل اسم مرة.

يحكى عن بعض الصالحين: إنه حصل له عطش شديد في بعض المغاور، حتى خاف على نفسه التلف، قال: فقعدت مستعدًّا للموت، فغلبتني عيني وأنا جالس، فقال لي قائل: قل: يا لطيف بخلقه، يا عليم بخلقه، يا خبير بخلقه، الطف بي، يا لطيف يا عليم يا خبير ثلاث مرات، وهذه تحفه الأيد، فإذا لحقتك ضائقة، أو نزلت بك نازلة، فقلها تكف وتنكشف، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الخضر. وفي رواية: يا لطيفًا بخلقه، وكل صحيح؛ لأنه من نداء الموصوف، أو وصف المنادى، ورواية الورد المستطاب بزيادة: اللهم دون ارتياب، كما رأيته منقولاً في غير ما كتاب، مرويًّا عن بعض الأحباب.

وأما اسمه تعالى (المنير الخبير): بمعنى العلم والخبرة، وهو الذي أخبر عن مَنْ شاء

بما شاء، لا تبديل لحكمه، ولا تحويل لقوله.

اعلم أن تعلق علم الخبرة تعلق خاص، وهو العليم الحاصل بعد الابتلاء بقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد:31] وهو يعلم ما يكون قبل كونه؛ لعلمه له في ثبوته، ولا يقع في مراتب الأكوان الوجودية إلا ما كان ثابتًا في الأعيان الثبوتية، ولكن أوجب الاختبار والابتلاء؛ لإقامة الحجة، والابتلاء نتيجة الدعوى وتحريها، وهي أصله، فحيث كانت الدعوى كان الاختبار، ومن وصف نفسه بأمر توجه إليه اختبار وابتلاء، والتكليف ابتلاء، وقد عم، وإن لم يعم الدعوى لحكمة مستورة به، كما أخبر الحق عنه بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال:25]، فعمت البلوى كما عمت الرحمة، ولكن لا يقاوم عمومها عموم الرحمة؛ لأنها عسيرة واقعة بين يسيرين؛ لكونها - موقعها - بين رحمة الامتنان ورحمة الغفران، وإنما قلنا بعموم رحمة لعموم البشارة، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:53]، ولما لم يكن للكرم المطلق ظهور، إلا بالمفسدين والمذنبين، عمت البلوى، انتهى.

وقيل: معناه العليم ببواطن الأمور من الخبرة، وهو العلم بالخفايا الباطنة، أو المتمكن من الأخبار عما علمه، وقيل: هو الذي علم بعلم الارتياب فيه، حتى ما الصدور تخفيه، ومعانيه كثيرة ذات إشهار واشتهار، يدركه النبيه، ومن خواصه: إن من ذكره سبعة أيام تأتيه الروحانية بكل خبر يريده من أخبار الستة، وأخبار الملوك والغائب، وهو يصلح لإخراج الخبايا، وللاطلاع على المغيبات، وذاكره لا يهمه أمر إلا رآه في منامه أو يقظته، بحسب حاله، ويكتب وفقه في كاغد، ويوضع تحت الرأس عند النوم بعد الصلاة ركعتين، ودعاء الاستخارة، فإنه يرى ما في ضميره، وهذه صورته، ومن رسمه في خاتم حديد يوم الجمعة، وتلا الاسم عدده معرّفا ونام، أخبر في منامه بما يروم إن شاء الله تعالى، ومن كتبه في إناء طاهر أربعين مرة، ومحاه بعسل وماء ورد، ولعق منه كل يوم ثلاث لعقات على الريق مدة سبعة أيام متوالية فإن الله ﷻ يؤتيه الحكمة، ويلهمه من العلوم اللادنية ما يعجز عنه أهل زمانه، ومن كان سيئ الخلق، وداوم على ذكر هذا الاسم، خلصه الله تعالى من سوء الأخلاق، وما واظب عليه أحد إلا وشاهد من عجائب صنع

الله ما لا يوصف.

(يَا لَطِيفُ عَامِلْنَا)، أي: قابلنا وواجهنا (بِخَفِيٍّ) أي: مستور مكتوم لطفك الذي لا يدركه إلا المكاشف، ولا يوقف على حقيقته إلا الذي يكون من المعرفة راشف (وَفِيٍّ) أي: الوافي الكثير من لطفك الكبير (بَهِيٍّ) أي: جميل لطفك الحسن الذي يسلب جماله كل ذي لسن، (سَنِيٍّ) أي: رفيع لطفك الخاص بأهل الاختصاص (عَلِي لُطْفِكَ): الشامخ وعطفك الباذخ، (يَا كَافِيَ الْمُهِمَّاتِ) أي: يا من يكفي عبده كل حاجة ومصيبة، ويقوم بكفايته، ويصرف عنه كل ريبة. والمهمات: جمع مهم، وهو لكل أمر شديد، وحيث جرى اسمه تعالى الكافي، ولو بالإضافة، فلنذكر بعض خواصه؛ لنُكفى شر ما نخافه.

قال أهل الخواص: من أكثر من ذكر اسمه تعالى: كافٍ كُفي شر ما يخافه، ورجع إليه ما فقد من حال صاف، ومن ذكره أيام الوباء (777) مرة كفاه الله طوارق الطاعون، ولا يذكره أحد وهو يتمنى شيئًا لم تبلغه أمنيته إلا بلّغه الله ذلك، ومن نقش مربعه العددي على خاتم فضة، والقمر في إحدى البروج المائية، كثر خيره، واتسع رزقه، ونزلت البركة في كل ما يحاوله بإذن الله تعالى، وهذا وضعه، ومن أكثر من ذكره مع رياضة، إلى أن يغلب عليه حال، وأمسك النار، لم تضره ولو تنفس على قدر يغلي سكن بإذن الله تعالى، ويضيف إليه الحليم الرؤوف المنان.

(وَالْمُلِمَّاتِ): جمع ملمة، وهي النازلة من نوازل الدنيا، (اكْفِنَا): بحولك وطولك.

(مَا): اسم موصول بمعنى الذي.

(أَهَمَّنَا)، أي: أحزننا من كل هفوة توجب غفوة وجفوة، ومن صبوة توجب كبوة، ومن حلة توجب خلة، ومن نزلة توجب علة، ومن قلة تربي غلة، ومن عيوب تمنع كشف غيوب، ومن كلام يوجب كلام، ومن حركة ما بها من حركة، ومن سكون ما به ركون، إلى غير ذلك من هموم بدنية، ظاهرية أو قلبية سرية باطنية.

(وَالْمُسْلِمِينَ): جمع مسلم، وهو لغة المؤمن المنقاد، وشرعًا: الآتي بالأركان الخمس: الشهادتين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصيام، والحج إن استطاع إليه سبيلاً، وهو كما في الحديث الذي: «**يسلم المسلمون من لسانه ويده**»[1].

(1) رواه البخاري (1/ 14)، ومسلم (1/ 148)، والبيهقي في الكبرى (10/ 243).

(وَالحَاضِرِينَ): جمع حاضر، وهو ضد الغائب من التائبين، والواردين عليهم من الروحانيين، ويحتمل أن يراد فيهم أهل الحضور مع الغفور، الحاضرين في منازل الإسعاد.

(وَالغَائِبِينَ): عن موطن الإبعاد، والغائبين عن الحضور أو عن غير المشكور، أو الغائبين بشهود نور النور عن النور.

(وَالمُنْتَقِلِينَ): لدور الحور والحبور والقصور، أو من مقام محصور لمقام مقصور على أهل الكمال لا القصور.

(مِن إِخْوَانِنَا): في الإيمان والعهد المصان، أو في النسب الدان، وأهل الصفا والمكانة والإحسان، والذين هم على سرر متقابلين من كل الحسان، وفي المراضعة من يرى المقامات الحسان.

(هُمُومَ): جمع هم، مفعول اكفنا، (الدُّنْيَا) قيل: سميت دنيا؛ لدنوها من الآخرة، وقيل: لدناءتها وخستها بالنسبة للآخرة، وهل هي ما على الأرض إلى قيام الساعة؟ أو كل موجود قبل الحشر؟ أو ما أدرك حسًا، والآخرة ما أدرك عقلاً أو ما فيه شهوة للناس؟رجح النووي الثاني، وبعض المحققين ما قبل الأخير، ذكره المناوي في «الشرح الكبير».

وقال فيه تنبيه: قال الحكيم: الدنيا هي الدار التي دورت أرضها بجبل ق، وأحيط عليها بالجبل، وتلك دار أخرى وهي الآخرة، وهذا أولى، وسميت دنيا؛ لأنها أدنيت إليك، الآخرة تعقبها، فسميت عاقبة:﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: 128].. إلخ.

(وَالآخِرَةِ) أي: واكفنا هموم الآخرة من عذاب وعتاب وحساب وحجاب، وهي ما قابل الأولى، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: 17]، ويقال: إن المواطن خمسة: (عدم، ودنيا، وبرزخ، وحشر، وجنة أو نار).

(يَا كَرِيمُ): ومعناه المتفضل الذي يعطي من غير مسألة ولا وسيلة، والمتجاوز الذي لا يستقضي في العقاب، والمتقدس عن النقائص والعيوب.

وقال سيدي محمد القونوي ﷺ في «شرح أسمائه»: الكريم الذي لا يحوج العبد إلى وسيلة لحصول رضائه، ويعطي الجزيل ولا يمن بعطائه.

اعلم أن الاسم الكريم يتبع الجليل من وجهين:

أحدهما: لما تقتضي حضرة الجلالة من الجمع بين الأضداد، كذلك آثار الكرم الإلهي يشمل البر والفاجر.

والثاني: لإنالة قنوط السامع وصف العظمة وتخيله، وعدم الوصول إلى العظيم بما عليه من الاحتقار والذل، فأزال الحق عنه ذلك بقوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: 27]، فأخبر أنه تعالى مع عظمته وكبريائه مكرم عباده بنظر العناية، وراحم رؤوف بهم بكمال جوده وكرمه، كما امتن عليهم بالوجود قبل كونهم موجودين ومذكورين، فلولا سريان كرمه وجوده، لبقيت الممكنات في ظلمة العدم، فكرامته بهم في إعطاء خلقه الوجود إياهم أجل وأعز عن كرامته بهم بعد وجودهم، بما يسرهم من نيل الأغراض.

وبنية هذا الاسم - وأمثاله مما هو على وزن (فعيل) - يقتضي الفاعل والمفعول عند أهل الكشف، فكما أنه تعالى كريم بما أكرم عبده بالوجود الذي هو الخير المحض، وحال بينهم وبين العدم الذي هو الشر المحض، وأعطاهم جزيل الهبات وغرائب المنح، كذلك مكرم ومتكرم عليه، يطلب منهم الفرض والصدقة، وقبول ذلك، وهو من سريان هذه الصفة في أجزاء مراتب العالم، ورجوعها إلى حضرته المتعالية؛ ليكون الأمر منه إليه.

ومن عموم آثار هذا الاسم أيضًا إحاطة الذات المقدسة بمراتب الأينات ومدارجها، مع اختلاف أحكامها، وتضاد جهاتها؛ لإزالة الحرج عنهم، وإطلاقهم في اختيارهم وتوجهاتهم، وتوليهم؛ لتكون وجهتهم إليه أينما توجهوا، وإن اتبعوا أهواءهم فلا يخلون عن وجه الحق: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ انتهى.

وأما خواص هذا الاسم الكريم فمنها: تيسير الرزق العميم، والنمو في كل حال جسيم، وذاكره عند المنام يقع في قلوب الأنام له الإكرام، ومن كتب وفقه يوم الجمعه في قشر إترنج على قاعدة التكبير، وبخَّر به مصروعًا أفاق، أو مغمومًا من وجع زال عنه، وهذه صفته، ومَنْ أكثر من تلاوته بعد وضعه وحمله، لم يدر كيف تسير عليه المطالب الحسان، ويأتيه الرزق من كل مكان، ويسلم ذاكره من الآفات وتحسن منه الصفات، ويرزق المحبة والقبول عند الخلائق، وإذا غلب على ذاكره منه حال سهل عليه قطع العلائق والعوائق، وخلوته ورياضته عدة طرائق وأقسام، تنكشف بها من الأمور الحقائق.

ويقول التالي: (يَا اللهُ): لا سواه مطلوبنا (يَا رَحْمَنُ): ينيلنا كل مرغوبنا (يَا رَحِيمُ): يصرف عنا جل كروبنا، ويروق حل مشروبنا، ويغفر برحمته جميع ذنوبنا، ويملأ بحبه ووده وسيع ذنوبنا، (اللَّهُمَّ أَسْكِنْ وُدَّكَ فِي قُلُوبِنَا) أي: أنزل مودتك في أواني قلوبنا؛ لنفوز بشراب ود من به فتق جيوبنا ورتق عيوبنا، والود يضم الواو وكسرها كما في «المختار»: المودة، ومتى سكن الود تمكن، والجد أمكن، وطاب السكن والمسكن، وأفصح ألا لكن والعذر كن، وقلت مرتجلاً:

كُلُّ أَمْرٍ سَكَنَ الْفُؤَادَ فُؤَادُهُ ... فَهُوَ الْمُرَادُ، لَهُ الْمُرِيدُ أَرَادَهُ

وله الحياة بما جناه تذللت ... ولقد حباه منه مراده

وفتى تقلبه أكف تلون ... عن وده، لم ينج يوم أعاده

ليس المحب بصادق في حبه ... إلا الذي جعل المحبة زاده

وجناح ود منه راش فطار من ... عشر الفراش الرياش فزاده

وهناك فخ الحب حين أراد لوط ... الحب في وادي المحبة صاده

فغدا مصانًا في الحياة من البقا ... عاد الولي خلي قلب كاده

كل له ورد وهذا ورده ... ود الودود وذا الورود أفاده

فاجعل .....

ثم الصلاة مع السلام على النبي ... وآله من أرشدوا إرشاده

وقلت سابقًا:

له الود مني إن تباعد ودنا ... ولست بسائل عنه مادمت في الدنا

ولي بعد موتي فيه حب مؤكد ... أنال به الإسعاد والفوز بالمنى

حبيب ودود سالب عز أجنتي ... شهود سواه مذ تجلببت بالفنا

يشير بألحاظ الجمال تفننًا ... فيصمت منا كل من كان خلسنا

كبير كثير الود فيمن يحبه ... قدير خبير يمنح الصب ماعنا

مجيد حميد واسع البر والعطا ... مريد معيد لم يزل ذلك محسنا

فلا تنهلني يا ذا الخلي فإنني ... جعلت هواه لي مد الدهر ديدنا

وعرفني فضلاً به فعرفته ... وغبت به عني فلم أدر من أنا

ودارت كؤوس الراح للروح فانجلت ... عيوم غيوم الفقر للغير بالفنا

وكم راحة راحت بفقد وجودها ... وكم راحة مدت فلم تحظ بالجنا

وكم فرحة فاحت بنشر عبيرها ... وكم نزحت راحت إذا بعد الفنا

وكم محيت بالود نقطة عيننا ... فأصبح سري بالخفيات معلنا

فمن عرف المحبوب أو نال وصله ... تنعم في أوقاته ولله الهنا

فسر بالخفا واترك دعاويك كلها ... وكن آخذًا بيت العبودة مسكنا

وصل وسلم سيدي كل لمحة ... على المصطفى ما مصطفى فيه ديدنا

وآل وأصحاب بود تقدموا ... فسادوا به أهل المغارم تمكنا

وأتباعهم والسالكين سبيلهم ... وما صرح الملتاع بالود ماكنا

(وَوِدَنَا) أي: وأنزل مودتنا، (فِي قُلُوبِ أَحْبَابِكَ): جمع حبيب، والأحباب كما قال الشيخ الأكبر - قدس الله سره الأزهر - في الباب 73 من فتحه الأبهر: عند عدة الرجال الأنجاب، ومنهم ﷺ الأحباب، ولا عدد لهم يحصرهم، بل يكثرون ويقلون.

قال الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:54]، فمن كونهم محبين ابتلاهم، ومن كونهم محبوبين اجتباهم واصطفاهم، أعني في هذه الدار، وفي يوم القيامة، وأما في الجنة فلا يعاملهم الحق إلا من كونهم محبوبين خاصة، ولا يتجلى لهم إلا في ذلك المقام، وهذه الطائفة على قسمين:

قسم أحبهم الله ابتداء، وقسم استعملهم في طاعة رسوله التي هي طاعة الله،

فأثمرت لهم تلك محبة الله إياهم، قال الله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: 80].

وقال تعالى لسيدنا محمد ﷺ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: 31]، فهذه محبة قد تنتجت، لم تكن ابتداء، وإن كانوا أحبابًا كلهم:

يَا قَوْمُ أُذْنِي لِبَعْضِ الحَيِّ عَاشِقَةٌ … وَالأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أَحْيَانَا

فلا خفاء فيما بينهم من المنازل، وما من مقام من المقامات إلا وأهله فيه بين فاضل ومفضول، وهو لا الأحباب علامتهم الصفاء، ولا يشوب ودهم كدر أصلاً، ولهم إثبات على هذا القدم مع الله، وهم مع الكون بحسب ما يقام فيه ذلك الكون، من محمود ومذموم شرعًا، فيعاملونه بما يقتضيه الأدب، فهم يوالون في الله ويعادون في الله، فالموالات من حيث وجود الكون في المعادات، والذم من حيث عين الكون لا من حيث ما اتصف به من الكون؛ لأن الكون كون الله، فهم الأدباء الجامعون للخيرات، يقول سبحانه فيمن ادعى هذا المقام: «**أيا عبدي، هل عملت لي عملاً قط؟ فيقول العبد: يارب صليت وجاهدت وفعلت وفعلت، ويصف من أحوال الخير فيقول الله له: ذلك لك، فيقول العبد: يارب فما هو العمل الذي لك فيقول الله سبحانه: هل واليت لي وليًا؟ أو عاديت فيّ عدوًّا؟**»(1)، وهذا هو إيثار المحبوب، قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ ﴾ [المجادلة: 22]، فهم أهل التأييد والقوة، ورد في الخبر الصحيح: «**وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتباذلين فيّ، والمتزاورين فيّ**»(2)، انتهى.

(**المُصْطَفِينَ**): ينعت للأحباب، أي: المختارين من أمثالهم، والمميزين عن أشكالهم، وأصله: «مصطفايين»، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، ووليت الفاء الفتحة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: 47].

---

(1) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (10/ 317) بنحوه.

(2) رواه أحمد (5/ 233).

جاء في الحديث الشريف: « **اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك، اللهم مارزقتني مما أحب، فاجعله فراغًا لي فيما تحب**»[1]، رواه الترمذي عن عبد الله بن يزيد الخطمي.

واعلم أن من علامة الحب الأزلي لمن تولاه العلي الولي أن ينزل وده في الأشياء؛ حتى لا يبغضه شيء من وجه، فذلك الوجه زاهق، فإنه لعلة في نفسه، وتلك العلة لا بقاء لها؛ لأن بظهور الحق زاهق؛ إذ هي باطلة، فما أحب الحق عبدًا إلا أحبته سائر الأكوان، فهذا لجذب الحق قلوبها إلى محبة ذلك الإنسان، سيما المسمى بين أهل العرفان بالإنسان الكامل المحمول على متن الأنوار، ومن هو للأسرار حامل، ومتى أحس الأحباب بنزول ود أحد في قلوبهم، علموا أن وده وحبه مطلوب مطلوبهم، فأحبوه لحب الله إياه، وحبوه وبيوه كما الله حياه وبيّاه، وتوجهوا إليه بقلوب مدنية جاذبة، صادقة غير كاذبة، فأثرت فيه هممهم فارتفع، وعنه حجاب الغفلة ارتفع، وأمده كل منهم بما في قوته أو بعضها، وأبرم الحق عزيمة توجهه إليه؛ حتى لا يطيق نقضها، فحصل له من جمعية هذا الإمداد ما يرقيه مرتبة مولاه له بما أراد، فأنتج له شكل هذه القضية بالتقدم على غيره من البرية، وربما زاد له الحق في المدد حتى انفرد بمرتبة في عصره عن كل أحد لمنازل الاقتراب، وهذا الذي مسح على ناصيته بيد قدرته رب الأرباب، ودليله: «**إن الله تعالى لما أراد أن يخلق خلقًا للخلافة مسح يده على ناصيته، فلا تقع عليه عين إلا أحبته**»[2] رواه الحاكم عن ابن عباس.

(**وَأَهْلَ جَنَابِكَ**) أي: وأنزل مودتك في قلوب أهل جنابك، (**الْمُقَرَّبِينَ**): جمع مقرب، والمقرب هو من مُنح القرب، وحقيقته: كل ما أعطي سعادة الدارين، وإنزال الأين والبين، ومحا رسوم الغين عن العين، ومن قربه الحبيب إليه، وأناله مما لديه، وأقبل بفضله عليه، فقد حوق على الخير بكلتا لديه، وجمع الكمال ضمن رداءيه، وصار الحق يغضب لغضبه، ويرضى لرضائه، وشاهده قوله ﷺ: «**إن الله ﷻ يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها**»[3] وفي رواية: «**يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك**»[4].

---

(1) رواه الترمذي (3159)، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (1/ 363).

(2) رواه الحاكم في المستدرك (3/ 373). (3) لم أقف عليه.

(4) رواه الحاكم في المستدرك (3/ 167).

وعنه ﷺ: «رضا الله رضا عمر، ورضا عمر رضا الله»[1] كذا في «الجامع»، وعلامة المقرب من الله المستهلك في شهود الله، المكسي جلباب الحب في الله، الداخل حرز أمان الله من شر أعداء الله، الهائم في جمال الله، القائم بباب القرب من الله، إنه متى رأى ذكر الله لما في الحديث: «**أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذكر الله**»[2]؛ لقيامهم بالله، وسيرهم إلى الله، وتوكلهم على الله، وأخذهم من الله، وحبهم في الله، وتلقيهم الموارد عن الله، واستقامتهم مع الله، فهذا حال أهل الله، فمن أحبوه فبحب الله، ومن أبغضوه فببغض الله؛ إذ ليس لهم إرادة مع الله، ومن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله، وفي الحديث: «**من أحب قومًا حشره الله في زمرتهم**»[3]، فهنيئًا لمحب أحباب الله، في الله، لله، ومن علامتهم أن يجد مجالسهم في مجالستهم رائحة رد القلب الإلهي عن الله، وتقل فيها الخواطر، وربما تنمحي بحول الله، ورب مجلس بعمرة وبغمره بمياه الانتباه إلى حضرات الله، وهو المشار إليه في حديث رسول الله صلى عليه كلما زال الاشتباه الصلاة والسلام من الله: «**خياركم من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، ورغبكم في الآخرة عمله**»[4] رواه الحكيم عن ابن عمرو.

(آمِينَ): سبق الكلام عليها.

(يَا وَدُودُ): قال في «دقائق الإشارات إلى معاني الأسماء والصفات» الملخص من كتاب الله أبي بكر أحمد البيهقي ـ رحمه الله تعالى: ومنها الودود، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾ [البروج: 14]

قيل: هو الوادُّ لأهل طاعته، أي: الرضيُّ عنهم بأعمالهم، والمحسن إليهم لأجلها، والمادح لهم بها.

قال الخطابي: وقد يكون معناه أن يوددهم إلى خلقه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96].

قيل: هو المودود الكثير إحسانه، أي: المستحق لأن يود، فيعبد ويحمد، فهو مفعول

---

(1) ذكره ابن حجر في الإصابة (7/ 64) بنحوه.

(2) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (4/ 80).

(3) رواه الطبراني في المعجم الكبير (3/ 19).

(4) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (2/ 39).

في محل مفعول، كما قيل: رجل هيوب بمعنى: مهيب، وفرس ركوب بمعنى: مركوب، وعن ابن عباس ﷺ: الودود الرحيم، وهو الذي يود أولياءه ويودونه، ويحبهم ويحبونه، الود شوك الحب، فلا يؤثر فيه سبق معاصيهم، وإنها ما نزلت بهم إلا بحكم القضاء والقدر السابق للطرد والبعد.

اعلم أن الود مرتبة من مراتب الحب، فإن المحبة لها أربعة أحوال، لكل حال اسم تعرف به: فأول سقوطه في القلب يُسمى **الورى**، ثم ثباته في القلب وهو **الود**، ثم خلاصه من تعلقات الغير وتصفيته وهو **الحب**، ثم التفافه عليه التفاف اللبلابة بالشجرة، حتى يعميه عن النظر إلى غير محبوبه، فهو **العشق**، فالودود هو ثابت الحب، فالحق ثابت المحبة لعباده، فإن الصانع يحب صنعته، والمحب يطلب الرحمة من المحبوب، فمقام صيانة الحب أول مرحوم، والصيانة رقة الشوق إلى لقاء المحبوب، ومن هذه الصيانة زيَّنه بزينة الشهود، وكساه خلعة الوجود، وأدار كؤوس الأفراح بين الشاهد والمشهود، فخاطبهم بإشارات لحاظ الجمال، ويخاطبونه بلسان التحقيق والأحوال، ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج:14]؛ ليكون الأمر مستويًا بين الحب والمحبوب، فهو سمع المحبوب وبصره، وغير فرد من أفراد الخلق منصة من منصات مجالي تجليات الحق، فمن المحبين من يعرف محبوبه في الدنيا معرفة شهود، فيتلذذ بلحظاته، فبان له أنه عين الغطاء، فالعالم إنسان، والإنسان عينه، والمحبوب من الإنسان إنسان العين من العين، انتهى.

وقال سيدي عبد الكريم الجيلي ـ قدس الله سره ـ في «الكمالات الإلهية»: اسمه الودود تعالى، هو الذي أحب تكثير الوحدة، فظهر بواحدنيته، أي: من حيث تجلي الصفات في كثرة الأكوان، فالكثرة هي الوحدة، ولا يقع التعريف بها، والكثرة هي الظهور، وبها وقع التعريف، وقد قال تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ: «**كنت كنزًا مخفيًّا**»[1] يعني الوحدة «**فأحببت أن أعرف**»[2] يعني: بأسمائي وصفاتي، وهذا أصل التكثير «**فخلقت الخلق**»[3]، يعني ظهوره في هذا الوجود على ما هو الوجود عليه، فهو سبحانه وتعالى أحب ظهوره، ولا يكون الظهور إلا في هذه المظاهر، فأحب مظاهره لذلك،

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (2/ 173).

(2) السابق. (3) السابق.

ومظاهره منها ما هو خفي وهو الأسماء والصفات التي لا يبلغها الإحصاء، ومنها ما هو خلقي، وهو هذا الوجود، فالأسماء الإلهية والصفات لهذا الوجود كالروح للصورة، فهذا الوجود مع الأسماء الإلهية، والصفات الربانية عين الذات للأحدية من حيث ظهورها بها، فباعتبار الأحدية لا تكثر، وباعتبار التكثر لا أحدية، وباعتبار الذات تكثر في أحدية وأحدية، وهذا الاسم من أسماء الصفات، وصفته الود، وهو عبارة عن التوجه الإرادي الحي، لا لعلة، بل لمقتضى الذات، فلولا المحبة ما كان هذا الظهور، ولولا الظهور ما عرف الله تعالى، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:54] بوجود أحديته في كثرتهم؛ ليعرفوه ويحبوه بوجود كثرتهم في واحديته، وليعرفهم بضد ما عرفوه، إنه عرفهم بالتكثر، وعرفوه بالوحدة، وعرفهم بالنقص، وعرفوه بالكمال، فهو الجامع بهذه الصفات المتضادة بكماله، والرابط بين الصفات بذاته، فله صفة الوحدة لما هو عليه في ذاته، وله صفة الكثرة لما هو عليه في صفاته، وصفاته تطلب الكثرة لمؤثراتها، وذاته على ما هي عليه من الوحدة التي لا تتغير، والكثرية التي لا تظهر بالتعريف، بل هي على ما هي عليه، مع زوال التكثير، فالمحبة هي الواسطة بين الكنزية والظهور، ولأجل ذلك كان الحبيب المخلوق منها ﷺ واسطة بين الله وبين خلقه، وتلك هي الوسيلة الكبرى التي لا تكون إلا لأجل واحد، وهو محمد ﷺ، انتهى.

وقال البوني ـ رحمه الله تعالى ـ في «شمسه»: هذا الاسم هو المغناطيس الجذاب، والياقوت الجلاب، مَنْ أكثر من ذكره كان محبوبًا عند الناس، ويثبت الله قلوب الخلائق على محبته، وهو من الأذكار الجليلة، ومن وضع اسمه تعالى ودود والحبيب في مثلث من كنزة جواد، ووضع المثلث في باطن مربع وحمله، لا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه، ومن وضع هذا الشكل في الأولى من يوم الجمعة في شرف الزهرة، وحمله ولازم على تلاوته، فإنه يرى العجب العجاب.

واعلم أن من كتب هذا الاسم في حريرة بيضاء، وحملها، رزق محبة في القلوب، وينبغي حملها على طهارة، وذكر بعضهم أن من أكثر ذكره إلى أن يغلب عليه حال منه، فكل من رآه مال إليه بطبعه، وأحبه، وأحيا الله تعالى باطنه بنور المحبة، وزين ظاهره بأسرار المودة، وقد وضعه بعضهم هكذا، ووضع حسيب ودود في مثلث من كنزة جواد،

هذه صورته، ومن خواص هذا الاسم أن من داوم عليه، وعلى ذكر اسمه تعالى الدائم، دامت نعمته، ومن أكثر من ذكره، عطفت عليه العوالم كلها، وكان مجاب الدعوة، وإن كان ملكًا رفع الله قدره، ومكنه من ملكه، ومن ذكره كل يوم ألف مرة، لا يطلب من أحد حاجة إلا قضاها له، ومن كتبه في ورقة مائة مرة ووضعها في منزل، فإنه لا يزال أهل ذلك المنزل عندهم الوداد، ومن قرأه على طعام أو شراب ألف مرة، وأطعمه أو سقاه لأحد أحبه، ومن كتب هذا الاسم وكتب معه محمد رسول الله 35 مرة، وأحمد رسول الله 35 مرة بعد صلاة الجمعة، رزق القوة على الطاعة، وكفي همزات الشياطين، وله مثلث جليل القدر، يوضع في شرف القمر في الأولى من يوم الجمعة، ويحمله ثم يذكره إلى الغروب، فإنه لا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه، وهذه صورته كما ترى، ولهذا الاسم خواص كثيرة وأدعية قائمة به شهيرة، فمن أراد الغاية الزائدة فعليه بكتب الخواص التي بالعوائد عائدة، ويكرره التالي 100 مرة، وكان القياس أن يكرر عدده، وهو عشرون، ولقد سألني الأخ في الله تعالى الشيخ مصطفى بن عمرو الخلوتي ـ حباه الله الصفاء ـ عن سبب هذا التكرار، توقع في بسط حروفه، فإذا هي ستة وتسعون، وإضافة الجسد لها، فتم العدد، فأخبرته، فسر بما وجد.

(يَا ذَا العَرْشِ) أي: صاحب، والعرش في الله سرير الملك، وفي الاصطلاح: مستوى الأسماء المقيدة.

وقال في «القاموس»: العرش عرش الله ولا يُحد، أو ياقوت أحمر يتلألأ من نور الجبار تعالى، وجمعه: (عروش، وعُرُش، وأعراش، وعرشة)، انتهى.

وقال الشيخ إبراهيم اللقاني ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح الجوهرة الصغير»: وهو جسم نوراني علوي، محيط بجميع الأجسام، قيل: هو أول المخلوقات، ولا قطع لنا بتعيين حقيقته؛ لعدم العلم بها، وفي بعض الآثار أن الله تعالى خلقه من نوره. والكرسي جسم عظيم نوراني بين يدي العرش ملتصق به، لا قطع لنا بتعيين حقيقته، والماء كله في جوف الكرسي على متن الريح، وليس العرش كرسيًّا كما يزعمه كثير من أهل الهيبة، وعند المتكلمين والمحدثين: قبة ذات قوائم تحمله في الدنيا أربعة أملاك، وفي الآخرة ثمانية، وحملة الكرسي أربعة، فأنت أقدامهم الأرض السابعة السفلى، مسيرة خمسمائة عام، وبين

حملة العرش وحملة الكرسي سبعون حجابًا من ظلمة، وسبعون حجابًا من نور، غلظ كل حجاب خمسمائة عام، لولا ذلك لأُحرقت حملة الكرسي من نور حملة العرش، وفي عطف الكرسي على العرش رد لقول الحسن: هو العرش، وفضل الكرسي على السموات السبع فضل النواة على الحلقة، وفضل العرش على الكرسي كذلك، وليسا متصلين بالسماء السابعة، وانظر أيهما أفضل من الآخر، والوصف بالعظم لا يستلزم، انتهى.

وقال سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره ـ في «فتوحاته»: اعلم أن العرش أحاط بالعالم؛ لاستدراته بما أحاط به من العالم، وكل ما أحاط به فيه؛ لاستدارة ظاهرة حتى في المولدات، وانظر التشبيه النبوي حيث قال: «**الكرسي في جوف العرش كحلقة في فلاة من الأرض**»[1]، فشبهه بشكل مستدير، وهي الحلقة في الأرض، وكذلك تشبيه السموات في الكرسي، وإلا كرة الأربعة في جوف الفلك الأدنى كذلك، ثم ما تولد عنها لا يكون أبدًا في صورته إلا مستديرًا، أو مائلاً إلى الاستدارة، معدنًا كان أو نباتًا أو حيوانًا، وذلك لأن الحركة دورية، فلا تعطي إلا ما شاكلها، فالعرش أعظم الأجسام من حيث الإحاطة جرمًا وقدرًا، فهو العرش العظيم، وبحركته أعطى ما في قوته لمن هو في حيطته وقبضته، فهو العرش الكريم، ونزاهته أن يحيط به جسم غيره، فشرف على سائر الأجسام، فهو العرش المجيد، ثم إنه استوى عليه، الاسم الرحمن، إلا من أجل أن له النفس، وذلك أن المحاط به في ضيق من علمه بأنه محاط به من حيث صورته، فأعطاه النفس الرحماني من أمره، فكان مجموع كل موجود في العالم صورته وروحه المدبر له، وجعل روحه لا داخل في الصورة ولا خارج عنها؛ لأنه لا يتخير، فانتفى الشرط، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط، فإن النفس التي صدرت عنه الأرواح لا داخل في العالم ولا خارج عنه، فإذا نظر الموجود في كونه محاطًا به، ضاق صدره من حيث روحانيته، نفَّس الله عنه ذلك الضيق بروحه؛ لما علم بأنه لا يوصف بأنه محاط به إحاطة العرش بالصور، فزال عنه، وأفرده ذلك الابتهاج والفرح والسرور بذاته، من حيث روحه، فلهذا وقع الاستواء بالاسم الرحمن، وإحاطة هذا العرش من الإحاطة الإلهية، كالعلم في قوله: ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: 12]، : ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ [البروج: 20]، وليس وراء الله

(1) ذكره البغوي في تفسيره (1/ 310).

مرمى، فهو المنتهى وماله انتهاء: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: 6]، والحكمة في أن العرش من النفس الرحماني وحده، وهو الأمر الإلهي لإيجاد الكائنات، فإن النفس سار إلى منتهى الخلاء فيه، حتى كل شيء، فإن العرش على الماء، فقبل الحياة بذاته، فخلق الله تعالى منه كل شيء، أفلا تؤمنون بما ترونه من حياة الأرض بالمطر؟ وحياة الأشجار بالسعي؟ حتى أن الهواء إذا لم يكن فيه مائية، وإلا أحرق.

فإن قلت: والملائكة الحافين من حول العرش، ما بقي لهم خلاء يتصرفون فيه،؛ إذ العرش قد عمر الخلاء، قلت: لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش، وبين الاستواء على العرش، فإن من لا يقبل التحيز لا يقبل الاتصال والانفصال، ثم إن الملائكة الحافين من حول العرش، فما هو هذا الجسم الذي عمر الخلاء، وإنما ذلك العرش الذي يؤتى به للفصل والقضاء يوم القيامة، وهذا العرش الذي استوى فيه هوعرش الاسم الرحمن، أما سمعته يقول: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزمر: 75]، عند الفراغ من القضاء، فذلك يوم القيامة، تحمله الثمانية أملاك، وذلك بأرض الحشر، ونسبة العرش إلى تلك الأرض نسبة الجنة إلى عرض الحائط، قبلة الرسول ﷺ، وهو في صلاة الكسوف، وهذا من مسائل ذي النون المصري في إيراد الواسع على الضيق، من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع، ومن عرف المواطن هان عليه الأمر، ثم أخبر أنه لو كشف ببعض الأسرار المختصة به، وقال: أعلم أن هذا العرش قد جعل الله له قوائم نورانية، لأدري كم هي، لكني أشهدتها، ونورها يشبه نور البرق.

قلت: ولقد حدثني والد الروح أبو الفتوح الممنوح شهود السبوح، السيد محمد بن السيد أحمد: لا زالت فواتح بوارق القرب عليه تلوح، وفوائح طوارق الشرب لديه تفوح، إن الله تعالى خلق ملكًا له ثلاثون ألف جناح، وأمره أن يطير ثلاثين ألف سنة، فطار فلم يبلغ عشر قائمة من قوائم العرش، ثم قال: وقوائمه ثمانية عشر ألف قائمة، عند كل قائمة قنديل، ضمن كل قنديل ثمانية عشر ألف عالم، فيكون مجموع عوالم تلك القناديل ثلاثة آلاف ألف عالم، فسبحان الواسع العليم القادر الحكيم، ثم قال الشيخ: ومع هذا فرأيته له ظلاً فيه من الراحة ما لا يقدر قدرها، وذلك الظل مقهر هذا العرش،

يحجب نور المستوي الذي هو الرحمن، ورأيت الكنز الذي تحت العرش الذي خرجت منه: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، فإذا الكنز آدم صلوات الله وسلامه عليه، ورأيت تحته كنوزًا كثيرة أعرفها.. إلخ.

وقال في «عقلة المستوفز»: ثم العروش خمسة عشر: الحياة، وهو عرش الهوية، وعرش الرحمانية، والعرش الكريم، والمجيد، والعظيم، فعرش الحياة هو عرش المشيئة، وهو مستوى الذات، وكان عرشه على الماء، وهذا هو عرش الحياة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: 30]، والعنصر الأعظم ـ أعني فلك الحياة ـ وهو اسم الأسماء ومعدمها، وبه كانت، والعرش المجيد هو العقل، والعظيم هو النفس، وهو اللوح المحفوظ، وعرش الرحمانية هو أول الأفلاك، والكريم هو الكرسي.

ثم فصل الشيخ بعد إجماله، وتكلم على كل واحد بما يستحق لكماله، وعدها البوني رحمه الله سبعة، وجعل أن مسمى الأول عرش الإطلاق، والثاني عرش الرحمانية، والثالث المجيد، والرابع الكريم، والخامس العظمة، والسادس التدبير، والسابع النزول، وتكلم على كل منها بما يطول ذكره، وعقد الجيلي ـ رحمه الله تعالى ـ في «الإنسان الكامل» بابًا للكلام عليه.

(المَجِيدُ) أي: القدس المنزه عن النقائص الكونية، والأحكام الخلقية، وقال القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [البروج: 15]: أي: خالقه، وقيل: المراد بالعرش الملك، وقرأ: ذي العرش صفةٌ لربك، المجيد، أي: العظيم في ذاته وصفاته، فإنه واجب الوجود، تام القدرة والحكمة، وجده حمزة والكسائي صفة لربك، أو للعرش، ومجده علوه وعظمته، انتهى.

(يَا فَعَّالُ): منادى مبني على الضم، (لِمَا يُرِيدُ): متعلق به بعد دخول (يا) عليه، ويجوز أن ينصب، إن اعتبر تعلق الجار والمجرور به قبل نداته، أي: يا من لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره، وهذه الآية شاهد حضور الإطلاق، التي يفعل منها الحق ما يشاء، وتسمى أيضًا غيبًا، وعبارتهم: وقد يبرز من غيب القرآن، ما لم يكن برز لحضرة العلم، ومن هذه الحضرة خوف أهل الكمال من الرجال، ومنها قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: 9] الآية، فتكون على ظاهره، وليست من باب

إرخاء العنان للخصم.

(نَسْأَلُكَ) أي: نتوجه إليك (بِحُبِّكَ)، أي: بسر حبك الأزلي عليك، (السَّابِقِ فِي علمك المطابق لحكمك، الذي نطق به كتابك، وصرح به خطابك) بقولك: (يُحِبُّهُمْ) قال القاضي ـ رحمه الله تعالى: ومحبة الله لعباده هي إرادة الهدى والتوفيق في الدنيا، وحسن الثواب في الآخرة، ومحبة العباد له إرادة طاعته والتحرر عن معاصيه (وَبِحُبِّنَا) أي: ونسألك بحبنا المسطور في رق منشور، اللاحق في الذكر والظهور؛ لتأخر أعياننا التي كانت في بحر العدم تفور، إلى آن أبرزتها يد القدرة لبر الوجود المغمور بالنور، وكستها حلة المحبة والحضور مع النور، وإلى هذا الحب اللاحق رنت عيون أرباب الستور؛ لتحظى بكشفها، وزوال القصور، وبه صرح ذكر الشكور في قوله: (يُحِبُّونَهُ)، قال القاضي ـ رحمه الله ـ : قيل: هم اليمن، أي: الذين نزلت فيهم الآية؛ لما روي أنه ﷺ أشار إلى أبي موسى وقال: «قوم هذا»[1]، وقيل: الفرس؛ لأنه يسأل عنهم، فضرب الله على عاتق سلمان، وقال: «هذا وذووه»[2]، وقيل: الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من التجمع، وخمسة آلاف من كندة، وثلاثة آلاف من أفناء الناس، انتهى.

وقال الواسطي ﷺ في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54]: كما بذاته يحبهم، كذلك يحبونه ذاته، قالها راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات.

وقال سيدي أحمد الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب «المجالس»: حكي أن الشيخ أبا الحسن ـ شيخ المشايخ ـ كان إذا سمع قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54]، يطرب ويقول: إلهي يقول: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ يكفينا قولك: يُحِبُّهُم، ولا نحتاج إلى قولك: وَيُحِبُّونَهُۥ، إذا نشرت محبتك لنا جناح وصافها، وأضفت علينا ملابس إلا بها أضرمت نيران الأعراض عن الموجودات في غابات القلوب، فأحرقتها، وأطلعت شموس المعارف في أفلاك العقول فنورتها، ونادى المحجوب بنورها عن منورها، والمشغول بصورها عن مصورها، ألا هل لنا يومًا من الدهر أتبر؟ وهل إلى أرض الحبيب رجوع؟ وهل بعد تفريق الحسب تواصل؟ وهل النجوم قد أفلن طلوع؟ فلا طلعت شمس بيوم تفرق، ولا كان

(1) ذكره الطبري في تفسيره (10/ 415).

(2) رواه ابن حبان في صحيحه (16/ 298) بنحوه.

للبين التجمع، نزول سعادتنا ما حصلت بقولك: يحبونه، إنما حصلت بقولك: يحبهم، إني أحببت أبا الحسن، وأحبك أبو الحسن، ولكن حبك لي أكبر من حبي لك؛ لأن حبك إياي صفة من صفاتك، فلا بُدّ ن تكون أكبر، لكن حبي لك أعجب من حبك لي؛ لأنك أحببتني، وقد رأيتني، وأنا أحببتك ولم أرك، فنودي في سره: يا أبا الحسن أنت غالط، نحن أحببناك قبل أن خلقناك:

أشـــتاقكم وإلى الـــترنم مفزعـــي ... وإلى الـــترنم يفـــزع الأدبـــاء

وإذا أصـــغت إلى الـــترنم عـــبرة ... فالجـــو نـــار والبـــسيطة مـــاء

ولـــربما اتبعـــتها بتـــنفس ... فـــيكاد يـــصرع قلبـــي الـــصعداء

يا أبا الحسن، صفاتنا غير مكتسبة ولا مستعارة، فهي باقية ببقائنا، وصفاتك مكتسبة ومستعارة، فلا جرم يتطرق إليها النقصان والزيادة، انتهى.

ويحكى أن ذا النون المصري ﷺ رأى رابعة العدوية وهي متعلقة بأستار الكعبة، وتقول: يحبك لي ألا ما غفرت لي؟ فقالت: إليك عني يا ذا النون، لولا أن حبه سبق حبي ما أحببت.

(أَنْ تَجْعَلَ): هذا وما بعده هو المسؤول، (مَحَبَّتَكَ) أي: يصير محبة ذاتك، (العُظْمَى) على وزن فعلى، أي: العظيمة في نفسها المعظمة عند غيرها.

(وَوِدَّكَ): أي: حبك، (الأَسْنَى)، أي: الأرفع، (شِعَارَنَا)، قال في «القاموس»: والشعار بالكسر: ما ولي الجسد من الثياب، وشاعرتها نمت معها في شعار واحد، قال في «القاموس»: ويفتح، وجمعه: أشعرة، انتهى.

وعنه ﷺ: «**يا معشر الأنصار أنتم الشعار والناس دثار، فلا آوتين من قبلكم**»[1]، وفي رواية: «**الناس دثار والأنصار شعار، الأنصار كرشي وعيبتي، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار**»[2]، قال سيدي وفاء ـ قدس الله سره: فكانوا شعارًا؛ لأن حبهم لا لعلة سوى التحقيق به، والناس دثار؛ لتعلقهم بالعلل الخارجة، انتهى.

(1) رواه الضياء في المختارة (8/ 245).

(2) ذكره ابن أبي شيبة في مصنفه (7/ 541).

(وَدِثَارَنَا): قال في «القاموس»: والدثار بالكسر: ما فوق الشعار من الثياب، انتهى.

والمعنى: اجعل محبتك وودك ملاصقين لقلوبنا، ومحيطين بها ملاصقة الشعار، وإحاطة الدثار.

(يَا حَبِيبَ)، أي: يا محبوب، وتطلق على المحب أيضًا، وشهده حديث: «والله لا يلقي الله حبيبه في النار، أو محبوبه»[1]، قال المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ: قال ذلك لما مر في نفر من أصحابه، وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني.. ابني، فأخذته، فقالوا: يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار، انتهى.

ورواية «البدر المنير» للشعراني الكبير: وجبت محبة الله لمن أغضب فحلم، ولا يلقي الله حبيبه في النار، انتهى.

وفي دعاء الفاتحة المسمى بـ«فتح البصائر» لسيدي عبد القادر قطب الدوائر:

(واجعلنا اللهم): فمن دعا محبوبه فأجابه وأعطاه ما تمناه عليه وما أحبه، وسئلت عمرة [الفرعانية] ـ وكانت من كبار العلويات ـ: ما الحكمة في أن الجنب والحائض ينهيان عن قراءة القرآن دون التسمية؟ فقالت: لأن التسمية اسم للحبيب، والمحب لا يمنع من ذكر الحبيب، كذا في «معادن الجواهر».

(الْمُحِبِّين): جمع محب، فهو الذي تيمه الجمال، وهيمه الكمال، ولم يبق الحب فيه للغير بقية، وأخرج يد شهوده من جيب وجوده بيضاء نقية، (يَا أَنِيسَ): زنة فعيل، من المؤانسة، وهي الملاطفة، قال في «المختار»: والأنيس: المؤانس، وكل ما يتونس به، انتهى.

وفي دعاء الحاجة المروي عن أنس ﷺ: اللهم يا مؤنس كل وحيد، ويا صاحب كل فريد. كذا في تذكرة السامعين على صلة أرزاق الخلق أجمعين.

(الْمُنْقَطِعِين): لمشاهدتك المتصلين بمواصلتك، المقبلين على محادثتك، المعرضين من غير مسامرتك، ولولا هذه المؤانسة ما قدر أهل التبتل والإقبال على الانفراد في رؤوس الجبال، والقناعة من الدنيا بالرشائش، والرضا بأكل الحشائش، لكن لذة الحال تنسيهم

(1) رواه الحاكم في المستدرك (4/ 195).

أنفسهم، فلا يلتفتون إليها، ولا يعرجون عليها، سيما إذا كان الانقطاع ناشئًا عن الحب، وقرن بخالص الشرب من عيون القرب في أرض لم تطأها إلا خيول العرب، ممن أعرب قلبه فأدرك لب اللب.

(يَا جَلِيسَ): قال في «المصباح»: والجليس من يجالسك، فقيل: بمعنى فاعل، (الذَّاكِرِينَ): يشير إلى الحديث الذي رواه الديلمي عن ثوبان، ومتنه كما في «الجامع الكبير»، قال موسى: «**يا رب أقريب أنت فأناجيك؟ أم بعيد فأناديك؟ فإني أحس حس صوتك، ولا أراك، فأين أنت؟ فقال الله: أنا خلفك وأمامك، وعن يمينك وعن شمالك، يا موسى أنا جليس عبدي حين يذكرني، وأنا معه إذا دعاني**»[1] وروى ابن شاهين في «الترغيب» في الذكر عن جابر: «**أوحى الله إلى موسى: أتحب أن أسكن معك في بيتك؟ فخرَّ لله ساجدًا، ثم قال: يا رب وكيف تسكن معي في بيتي؟ فقال: يا موسى أما علمت أني جليس من ذكرني؟ وحيث ما التمسني عبدي وجدني؟**»[2]، وقال الأكبري ـ قدس الله سره ـ في «فصوصه»: وما أحس ما قال رسول الله ﷺ: «**أنا أنبأتكم بما هو خير لكم، وأفضل من أن تلقوا عدوكم فتضربوا رقابهم، ويضربوا رقابكم، ذكر الله**»[3]، وذلك أنه لا يعلم قدر هذه النشأة الإنسانية إلا من ذكر الله الذكر المطلوب، فإنه تعالى جليس من ذكره، والجليس مشهود الذاكر، ومتى لم يشاهد الذاكر الحق الذي هو جليس، فليس بذاكر، فإن ذكر سار في جميع العبد، فينبغي أن يذكر بجميع أجزائه؛ إذ الشكر نعمة؛ لأن من ذكر بلسان خاصة، فإن الحق لا يكون في ذلك إلا جليس اللسان خاصة، فيراه اللسان من حيث لا يراه الإنسان بما هو رأى، فافهم هذا السر في ذكر الغافلين، فالذاكر من الغافل حاضر بلا شك، والمذكور جليسه، فهو يشاهده، والغافل من حيث غفلته ليس بذاكر، فما هو جليس الغافل، فإن الإنسان كثير، ما هو إحدى العين، والحق إحدى العين كثير بالأسماء الإلهية، كما أن الإنسان كثير بالأجزاء، وما يلزم من ذكر جزء آخر، فالحق جليس الجزء الذاكر منه، والآخر متصف بالغفلة عن الذكر، ولا بدَّ أن يكون في الإنسان جزء

(1) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (6/ 37) بنحوه.

(2) ذكره حقي في تفسيره (12/ 299).

(3) رواه أحمد (60/ 49) بنحوه، وذكره حقي في تفسيره (4/ 367).

يذكر ربه، ويكون الحق جليسه، ليحفظ باقي العناية ..إلخ.

(وَيَا مَنْ هُوَ عِنْدَ قُلُوبِ الْمُنْكَسِرِينَ): يشير لحديث أورده المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في «كنوز الحقائق»: ورمز للغزالي ومتنه، قال تعالى: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»، وسبق الكلام على الانكسار في أواخر الترجمة، (أَدِمْ لَنَا): معاشر المؤمنين أو الحاضرين، أولأجزائنا، وهو جواب النداء، أي: اجعل (شُهُودَكَ): المقصود لكل موجود مستمرًا متواصلاً، ومضى الكلام عليه، (أَجْمَعِينَ): توكيد.

ثم يقول المصنف:

[ثُمَّ يَقُولُ التَّالِي بِصَوْتٍ حَزِينٍ مَادًّا صَوْتَهُ يَا غَنِيُّ أَنْتَ الْغَنِيّ وَأَنَا الْفَقِير مَنْ لِلْفَقِيرِ سِوَاكَ يَا عَزِيز أَنْتَ الْعَزِيْز وَأَنَا الذَّلِيل مَنْ لِلذَّلِيلِ سِوَاكَ يَا قَوِيّ أَنْتَ الْقَوِيّ وَأَنَا الضَّعِيف مَن لِلْضَعِيف سِوَاكَ يَا قَادِر أَنْتَ الْقَادِر وَأَنَا الْعَاجِز مَنْ لِلْعَاجِزِينَ سِوَاكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ثَلَاثًا صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابه وَأَزْوَاجِه وَأَهْل بَيْته بُكرة وَأَصِيْلاً وَصَلِّ وَسَلِّم اللَّهُمَّ عَلَيْه وَعَلَى أَبِيه إِبْرَاهِيم خَلِيلك وَدَاوُد خَلِيفَتك وَمُوسَى كَلِيمِك وَعِيسَى رُوحِك وإِسْحَاق ذَبِيحِك وَعَلى جَمِيع إِخْوَانِهم مِن الأَنبِيَاءِ والمُرْسَلِين، وَالحَمْدُ لله ربِّ العَالَمِين].

وقال الشارح: (ثُمَّ يَقُولُ التَّالِي بِصَوْتٍ) أي: (حَزِينٍ)، أي: فيه ترقيق وتخشع وتباكي، وفي الحديث: «اقرؤوا القرآن بالحزن، فإنه نزل بالحزن»[1]، قال المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ : بالتحريك، أي: ترقيق الصوت والتخشع والتباكي، فإن لذلك تأثير في رقة القلب وجريان الدمع، (مَادًّا)، أي: مطولاً بما يقرأه من التوسلات الأربع الآتية، (صَوْتَهُ): لما جرب من تأثير هذه الكيفية في قلب التالي، وقد أفاد الشيخ الجامع سيدي يحيى الشاوي أن من استعمل هذه التوسلات كما ذكرنا سحرًا في بيت مظلم، فإنه يرى العجب، وقال غيره: من قرأها كذلك أمره الله بأوصافه، وحرسه بألطافه، ويعاين أثر الواردين من الملائكة الروحانيين.

(يَا غَنِيُّ): ومعناه الغنى عن كل شيء، وكل ما عداه، مفتقرًا إليه لاستغناء في ذاته وصفاته وأفعاله عن فقير نواله، وحقير فيض كماله، ومن عرف فقره لمولاه، وغناه أغناه

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 193).

وتولاه، وقال سيدي محمد القونوي ﷺ: اعلم أن الغنى على نوعين: غنى الحق، وغنى الخلق.

وأول درجة الغنى في مرتبة الخليقة القناعة، والاكتفاء بالموجود، وليس ما يتوهمه أهل إعجاب من كثرة المال مع طلب الزيادة، فإنه محكوم عليه بالفقر، وذلك الإنسان إنما يكون بالذات؛ لما تقتضي المرتبة الإمكانية، ولهذا قال: من قال إن الإنسان لا يكون وجيهًا عند الله، هذا حكم الإنسان الحيوان، وأما الكامل من هذا النوع فله وجهان: وجه الافتقار بالحق إلى الحق، ووجه الفناء إلى الكون باعتبار العارف عين افتخاره، فإنه جار المقام الأرفع لشهود سريان ألوهية الإلهية في أعيان مراتب العالم، فلا يتوجه الفقر من كل فقير، إلا إلى الغني الحميد، ولا تغيب حاجة محتاج عن إحاطه البصير الشهيد، فالعارف المستغني بالحق أغنى الأغنياء، مع أنه يحزن ويحرص على طلب مؤونة ما كلف به، فإن ذلك من آداب الكمال؛ لقوة معرفتهم بحدود الله تعالى، والكامل لا يطغى نور معرفته نور ورعه.

وأما غنى الحق عن العالمين من حيث ذاته المقدسة، ودوام إطلاقه الحقيقي لا يظهر إلا بهم؛ لأن كونه غنيًا إنما غناؤه عنهم، فإن لم يكن العالون هناك، فعن من لا بُدّ منهم؛ لثبوت الغنى نعتًا له، انتهى.

وأما خواصه فكثيرة، منها: أن من استدام على ذكره أغناه الله تعالى عن الناس، واتسعت عليه أسباب الرزق، ومن رسمه في مثلث على لوح من ذهب حرفيًا وعدديًا وحمله، لم يزل غني نفس ومال بحول الله تعالى، وهذه صورته، ومن أكثر من ذكره بعد تكسيره، فتح الله في سائر العلوم، وأغناه عن جميع الفهوم، ومن نزل وفق غنى مغني في مسدس فقد أخل، والشمس بالحمل، وثلث المشتري أو تسديسه، وبخره بالعود والميعة وحمله، وأدمن ذكرهما، أعزه الله تعالى وأغناه، وأعطاه ما تمناه، وكان قاهرًا لأعداه، ولا يتوجه لحاجة إلا قضاها الله، وصورته كما تراه.

(أَنْتَ الغَنِيُّ): الذي لا أغنى منك، ولا استغناء لأحد عنك، (وَأَنَا الفَقِير): الذي لا أفقر مني، بحسب يقيني لا ظني إليك، ولا أحوج مني لما في يديك، (مَنْ): استفهامية، (لِلفَقِير): الذي لا يملك شيئًا، (سِوَاكَ): فيغنيه ويدنيه ويعطيه ما يعينه، (يَا عَزِيز): سلف الكلام على معناه، وأما خواصه: فمن أكثر من ذكره كان مهابًا عند جميع الناس، آمنا بعد

خوفه، عزيزًا بعد ذله، ومن ذكره أربعين صباحًا كل يوم أربعين مرة، أغناه الله وأعزه، ولم يحوجه لأحد، ومن أضاف إليه العظيم ظهر عليه حال العز والتعظيم، ومن أكثر من ذكره بحضور قلب خلي عن الشواغل، وسأل أن يسخر له بعض عوالمه، عاين الإجابة، ومن وضعه في مربع متداخل، ورسمه في لوح فضة، والقمر في الميزان، أو الثور برءًا من النحوس، وبخره بالعود والذرنبة، وحمله وذكره في كل وقت 177 رقّاه الله إلى جنابه، ورفع قدره وأغنى فقره، ودفع عنه كل سوء بفضله وطوله، وهذه صورته.

(**أَنْتَ العَزِيْز**): الذي لا أعز منك في شهودي (**وَأَنَا الذَّلِيل**): الذي لا أذل مني إليك عند مقابلة عزك يا معبودي، (**مَنْ لِلذَّلِيل**): الذي لا عز له إلا بك ينفي عنه الذلة إلا لجنابك، (**سِوَاكَ**): إذ أنت الذي تعز من تشاء من أحبابك، وتذل من تشاء ممن حكمت عليه بالإعراض عن بابك، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، فإن الذل لغيرك حجاب وطرد عن الباب.

قال سيدي الشاذلي: سألت أستاذي عن قوله ﷺ: «**المؤمن من لا يذل نفسه**»[1]، فقال الهواة: بل يذلها لمولاه، وقال تلميذه المرسي ﷺ: والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلائق، وقال تلميذه سيدي أحمد بن عطاء الله ـ رحمه الله تعالى: يقال لك إذا استندت لغير الله ففقدته: انظر إلى إلاهك الذي طلبت عليه عاكفًا، وقال تلميذه سيدي داود بن باخلا ﷺ: ما ذل قلب لبارئه إلا أفاده نورًا وخيرًا.

(**يَا قَوِيّ**): ومعناه التام القدرة، الذي لا يلحقه ضعف، ولا يمسه نصب، وقيل: هو الذي لا يستولي عليه العجز بحال؛ إذ له القدرة التامة البالغة إلى الكمال، والفرق بين الحول والقوة والقدرة:

إن **الحول**: أول التوجه للفعل، **والقوة**: ظهور الإحساس بصورته، **والقدرة**: تناوله.

وقال سيدي محمد القونوي ﷺ: القوي بمعنى القادر، وهو القوي بما هو عليه من العزة والاقتدار بالجمع بين الأضداد.

اعلم أن آثار هذا الاسم لا تظهر إلا على العبد الجامع، وهو الإنسان الكامل، ولهذا

(1) ذكره محمد شمس الحق آبادي في عون المعبود (8/ 234).

ما سُمع قبل خلق آدم: لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي الخبر: «إن جبريل عليه السلام لما علَّم آدم آداب الطواف بالبيت، قال: أنا طفت بالبيت قبل أن تخلق بكذا وكذا ألف سنة، فقال له آدم: فما كنت تقول عند الطواف؟ قال: كنا نقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر، فقال آدم: وأزيدكم: لا حول ولا قوة إلا بالله»[1]، فاختص آدم بهذا الذكر، والكمل من ورثته الذين لم تبق صفة من الصفات الإلهية إلا وظهرت في مراتب وجودهم، ولما كان الممكن محل ظهور الاقتدار الإلهي حين ضعف إمكانه بقوة الوجود، فوقع الدعوى والتنازع ممن وقع، وظهر أثر الاقتدار فيمن ظهر، فأعاد إليهم الضعف الثاني؛ لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا، وذلك أن الدنيا كاملة بالإنسان، والهرم شهر ولادتها؛ لتقذفه من بطنها إلى البرزخ؛ فيرميه في بهو البرزخ؛ ليستعد بإنشاء الآخرة؛ لقبول القوة الصافية من شوائب النزاع، والدعوى بنداء حكم حقيقة باطن الاسم.

وأما ظاهره فهو ما ضوى في أجزاء مراتب الكون، حتى الضعف الذي هو ضد القوة، يقال للضعيف: قوي ضعفه، وقوي عليه الضعف، والضعف مانع قوي عن الحركة، فينسب القوة إلى الضعف، ووصف بضده، وهذا من سريان حكم القوة في الأشياء، وفيه إشارة لمن فهم، ولما غفل أكثر الناس عن سر عموم هذا الحكم، أمرهم أن يستعينوا به في الاقتدار، كما استعان بهم في القبول، فكما لا قوة للممكن على ما كلفه الحق من الأعمال إلا باستعانته له، كذلك لا ينفذ اقتدار الحق في أمر إلا بقبول وجود الممكن القابل، فما ثم قوة مطلقة دون مساعدة، وهذا سر قوله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي»[2]، فإن الصلاة الوجودية لا تتم إلا بالاقتدار والقبول، انتهى.

وأما خواص هذا الاسم فكثيرة منها:

إن من داوم على ذكره وجد في نفسه قوة لم يكن يعهدها، وإذا ذكرها المسافر لا يعيا، وإذا استعمله من يتعالج من حمل الأثقال وجد له تأثيرًا بليغًا، ومن تصرف بأنواع حقائقه العددية رزقه الله القوة على طرد العلة الربانية عن أي بلد شاء بقدرة الله تعالى، ومن أكثر من ذكره قويت روحه، وحكم به على كل شيء، ويصلح ذكرًا لمن كان اسمه

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه مسلم (1/ 296).

موسى ويونس، ومن كتبه بطريق التكسير وشربه على الريق مدة اثني عشر يومًا هون الله عليه، وفتح له أبواب القوة، وإذا كتب وفقه المربع في إناء وشرب منه صاحب العوْلنج والرياح، وعافاه الله تعالى، وهذه صورته، ومن ألقاه على رأس مريض بالتكسير الكبير بالعدد، وأخذ قوة كل حرف، وربطها باسمه، برئ من مرضه عن تجربة، ومن ذكره كل يوم ألف مرة أذهب الله عنه الأوهام والوساوس، وملك نفسه وغيره، ولا يخاصم أحدًا إلا قهره، ومن تلاه على ظالم هذا العدد أخذ وقد أفاد بعض الأمجاد، إن هذا الاسم إذا تلي على فنجان قهوة فإنه يعطي شاربه قوة ونشاطًا؛ إذ هو على عددها، فإن الاسم الإلهي إذا وافق اسمًا كونيًا، وذكر عليه لعدده أورثه من مدده، وكذلك قيل في فتاح: إن من ذكره على تفاح وأكل منه عاين في باطنه فتحًا جديدًا، وفيضًا مديدًا.

(**أَنْتَ القَوِيُّ**): على الإطلاق، والكل في قيد ووثاق، تنزهت أن يلحقك عجز أبدًا، ويدركك ضعف سرمدًا.

(**وَأَنَا الضَّعِيف**): عن حمل الأسرار، وموارد الأنوار، لاحول لي ولا قوة ولا نجدة ولا فتوة، إلا أن منت علي بالقوة من عندك، أو منحتني نجدة للغير، وفتوة في السير من رفدك، فإنك بالقوة التامة معروف، وأنا بالضعف الكلي موصوف، وإذا كان الأمر كذلك، (**مَن لِلْضَعِيف**): الذي يشكو إليك ضعف قوته، وقوة حيلته، وهوانه على الناس، (**سِوَاكَ**): يأخذ بيده، ويمده بمدده، فيقوى على حمل أعباء المملكة بأسرها، ويتصرف فيها عن أمرك في يسيرها وعسيرها، وربما قويت عزائمه؛ لحملها لحينه على شعرة من شعرات أجفان عينه، لمحو بينه و[أنية وعثه وعينه].

وعنه ﷺ: «**قل: اللهم إني ضعيف فقوني، وإني ذليل فأعزني، وإني فقير فارزقني**»[1] رواه الحاكم عن أبي هريرة.

(**يَا قَادِر**): ومعناه المتمكن من الفعل بلا معالجة، ولا واسطة، وهو من القدرة، وهي ظهور الأشياء في العيان والشهادة، قال الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة: 40]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج: 6]، وكان رسول

(1) رواه الحاكم في المستدرك (1/ 708).

الله ﷺ إذا قرأ: ﴿ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج:6] قال: «بلى»، وإذا قرأ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [التين:8] قال: «بلى، فهو القادر لا سواه» والممكن إنما له التمكن من قبول الأثر الإلهي به.

قال سيدي محمد القونوي ـ قدس الله سره: السوي القادر المقتدر، القادر بتقود الاقتدار في القوابل، والعمل يظهر منه، فكل يد عاملة فهي يد الحق من حيث اقتدارها بالحق.

واعلم أن الاسم القادر له آثار خفية في إعطاء الوجود للممكنات عند قوله: كن للممكن، فيسارع الممكن عن اقتدار إلهي إلى التكوين، فكان، وأظهر منه الامتثال في أول تكوينه، وهي روح الطاعة، فكانت الطاعة ذاتية له، وهي الأصل، والمعصية عارضة كما أن الرحمة والغضب نسبتان من النسب الإلهية، ولكن السبق للرحمة، والنهاية في الحركة الدورية هو الرجوع إلى البداية، وكذلك كان للخاتمة حكم السابقة، فإن حركة الوجود دورية، ولما كان السابق للرحمة، فلا بدَّ من المآل إليها؛ لأن العارض لا يقبل الأصل أصلاً، فكيف وقد زاده طاعة وزاده العبد على طاعة تكوينه، كما أشار إليه المترجم عن الله تعالى بقوله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[1]، هي الإقرار لله بالعبودية، فقد حصل له نور على نوره، فأي معصية تساوي هذين النورين؟ ولما كان الاقتدار روح الأمر وسره، ظهرت الأقوال واختفى الاقتدار فيه، فلذلك لم يطلع الممكن على اقتدار الحق عليه بإخراجه من خزانة الثبوت إلى حضرة الوجود، ولا يمكنه شهود صدوره؛ لكونه قابلاً للامتداد، فلا يظهر الاقتدار فيه إلا بعد حصوله، ولذلك ذهب بعض أهل العلم إلى أن الممكن ليس له اقتدار، ثم إن الحق تعالى أظهر بصيغة الأمر في القول؛ ليتصف الممكن بذلة الامتثال الموجبة لنظرات الرحمة الإلهية، وظهور تصرفات لمة الملك، والشيطان فيه هو سر الامتثال المفطور في أصل خلقته وتكوينه، فهذا حكم القادر.

واعلم أن القدرة لا تتعلق بغير المقدور، فعدم جريان القدرة على غير المقدور لا يسمى عجزاً، فإن العجز هو عبارة عن عدم القدرة عما من شأنه أن يكون مقدوراً، فإذا لم يكن المقدور، فبأي شيء تتعلق القدرة؟ فهذه نطيعة ذوقية مشيرة إلى سر من أسرار

---

(1) رواه البخاري (1/ 465).

القدرة، لا تنكشف إلا لأهل المعرفة، فهذا حكم القادر، وأما المقتدر فله حكم آخر، وهو قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ ﴾ [الأعراف: 54]، وهو كل ما يوجد بسبب أو عند سبب، والأمر وهو كل ما يوجد من غير سبب، فالخلق قادر من حيث الأمر، مقتدر من حيث الخلق: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ والأمر تبارك الله رب العالمين، انتهى.

وأما خواصه: فمن قرأه إثر الوضوء قهر أعداءه، ومن قرأه عند وضوئه على كل عضو، فإنه يقهر خصمه.

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ : من كتب الاسم الشريف في قطعة ديباج أبيض بعدده، وعلقها في مهب الريح، وأضاف إليه هذه الآية الشريفة، وهي قوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ﴾ [الشورى:33]، فإن الريح يسكن بإذن الله، انتهى.

ومن أراد الكشف عن الأرواح العلوية ومخاطبتها فليأخذ خاتمًا من الفضة وينقش في باطن الفص هذه الصورة (طلسم ص 200 مخطوط) وفي الوجه الآخر وفق قادر حرفيًا، ويكثر من ذكره، فإن الأرواح توافقه وتطيعه، فإن داوم عليه سبحت الملائكة معه، وقوي على ظهور ما يريد إظهاره، وهذا وفقه، ومن داوم عليه قويت روحه وبدنه واستقامت حياته.

وأما (القدير): فمن كتب وفقه المربع في خرقة حرير بيضاء، ونزله بالوضع الطبيعي وحمله، نال به الأسرار العالية، وهان عليه كل صعب، وهذه صفته، ومَنْ أكثر من ذكره مع اسم الملك، وكان ذي سلطان، ثبت الله ملكه وسلطانه.

وأما (المقتدر): فمن قرأه عند انتباهه من نومه، بلغه الله ما أراد من غير احتياج منه إلى تدبير نفسه، ومن كان كثير الغفلة، وأكثر من ذكره، أيقظه الله تعالى من غفلته، ومن أكثر من ذكره أشهده الله أن أفعاله بالحق، فلا يرى له فعلاً، ومن نقشه حرفيًا في لوح من فضة، والقمر في حرفه، وأكثر من ذكره، أمن من الطاعون بحول الله وقدرته، وهذه صورته، ومن خواص (القادر المقتدر) أنهما يؤثران في دفع الأسقام والأمراض والعلل عن الضعفاء، فمن أراد ذلك فليكتبهما في مربع، كل اسم على حدته، ويضع فوقهما عسلاً، ويذاب ويشرب منهما المريض، يعافيه مما فيه بحوله وطوله، وهذه صورة وفقهما إلى غير ذلك من المنافع، والخواص التي لا يدركها أهل الاختصاص.

(أَنْتَ القَادِر): على تبليغ كل أمنية، ودفع كل بلية (وَأَنَا العَاجِز): في ذاتي ناظرة عن ذكره، إلا أن تمد في كرة بعد كرة، بقدرتك التي ترفع عز من اسعفته المعزة، وتسكنه فوق منزلة المجرة، قال البكري - جعل الله في مستقر رحمته مقره -: ولن ترى عجزًا مني، فما لشدة أقوى ولا أحمل، ومن يستطع لنفسه جلب مسرة، ولا يقدر على دفع مضرة، فما له إلا إظهار العجز بين يدي من أحسن إليه وأبره، وإذا ظهرت من النفس دعوى قوة وقدرة، أله ذلك وأمره؛ لتحققه بنسبتها لها ما ليس لها، ورضاؤه عنها بذلك أضره، من للعاجز عن إصلاح نفسه، إلا إن أصلحتها بقدرتك، وفتحت لها الأبواب، وعافيتها من جميع الأمراض والأوصاب بقوتك، وذللتها لسطوة عزتك، وتحققت هناك بالعجز الأتم عن وصلتك، وعلمت أنها لا محالة آله، فطلبت الإقالة؛ رغبًا في رحمتك، ورهبًا من سطوتك؛ لإدراكها بالكشف الذي يطلق من الإشراك.

(أَنْ لَيس لِلْعَاجِزِ سِوَاكَ) فيبلغه المنازل الشاسعة، ويوصله لقياني التصافي الواسعة، التي بينها وبين جبل ق كما بيننا وبينه عدة عين أوقاف، ولو زار بعض الكبراء أحد الفقراء، فطرق عليه الباب حتى أعجزه الدق وآب، ثم جاء وأخبره بما جرى من كثرة الطرق والإياب بالتفصيل، فعجب ذلك الفقير، وقال: إن نومي ليس بالثقيل، فقال: لكنك معذور في هذه الكرة، فإنك كنت في مكان بينك وبينه كما بينك وبين جبل ق سبعين مرة، فسأل عن الدق بعد هذا العلم، فقال: لأنه هكذا سبق في العلم.

ثم يقول التالي: (لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ثَلَاثًا) أي: ثلاث مرات، وفضائل هذه الكلمات لا تحصر، وهي أشهر من أن تذكر، ولكن نذكر طرفًا منها؛ تبركًا؛ لئلا يخلو هذا التأليف عنها، فمن ذلك قوله ﷺ: «**مكتوب على العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا أُعَذِّب من قالها**»[1].

وعنه ﷺ: «**من لقي الله وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله دخل الجنة**»[2]، وفي رواية: «**وأن محمدًا عبده ورسوله، وآمن بالبعث والحساب دخل الجنة**»[3]،

(1) رواه الديلمي في الفردوس (4/ 122).

(2) رواه الحارث كما في زوائد الهيثمي (1/ 310).

(3) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (20/ 444).

وعنه ﷺ: «من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صادقًا من قلبه دخل الجنة»[1]، وعنه ﷺ: «إن الله ﷻ حرم النار على من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»[2]، وعنه ﷺ: «اعلم أنه من مات يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله دخل الجنة»[3]، وعنه ﷺ: «ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن إلا غفر الله له»[4].

وعنه ﷺ: «من سره أن يزحزح عن النار، وأن يدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يأتي إليه»[5].

وعنه ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، مخلصًا، دخل الجنة»[6].

وعنه ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله مخلصًا من قلبه وأن محمدًا عبده ورسوله دخل الجنة، ولم تمسه النار»[7]، وعنه ﷺ: «لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب مؤمن، إلا دخل الجنة»[8].

وعنه ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرم عليه النار»[9].

وعنه ﷺ: «لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه»[10].

وعنه ﷺ: «يا معاذ بن جبل ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟ قال: إذًا يتكلوا»[11].

---

(1) رواه أحمد (5/ 229). (2) رواه عبد بن حميد في مسنده (1/ 94).

(3) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (7/ 173).

(4) ذكره المزي في تهذيب الكمال (30/ 291).

(5) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (4/ 122).

(6) رواه النسائي (6/ 276). (7) رواه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 47) بنحوه.

(8) رواه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 45) بنحوه.

(9) رواه عبد بن حميد في مسنده (1/ 317) بنحوه. (10) رواه مسلم (1/ 61).

(11) رواه البخاري (1/ 230).

وعنه ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»(1).

وعنه ﷺ: «من جاء بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله حرم عليه النار»(2).

وعنه ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فدل بها لسانه، واطمأن بها قلبه، لم تطعمه النار»(3).

وعنه ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، لا يلقاه بها أحد يوم القيامة إلا دخل الجنة على ما كان منه»(4).

وعنه ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأشهد ألا يقولها عبد من حقيقة قلبه إلا وقاه الله حر النار»(5).

وقد تكلم العلماء الأعلام على معنى هذه الكلمة، وإعرابها، وفوائدها، ونتائجها كالإمام سيدي ابن عطاء الله الإسكندري ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «مفتاح الفلاح»، والسنوسي ـ رحمه الله تعالى ـ في «شروحه»، والشيخ يحيى الشناوي ـ رحمه الله تعالى ـ ألف في إعرابها كتابًا، وأبدى الشيخ إبراهيم الكوراني في «إنباء الأنباء» عجائبًا، ولنذكر في فضائلها لبابًا لكي نحظى بذكره اقترابًا، فمن ذلك قوله ﷺ: «ما قال عبد: لا إله إلا الله مخلصًا إلا صعدت لا يردها حجاب، فإذا وصلت إلى الله تعالى، نظر الله إلى قائلها وحق على الله أن لا ينظر إلى موحد إلا رحمه»(6).

وعنه ﷺ: «إذا قال العبد المسلم: لا إله إلا الله، خرقت السموات حتى تقف بين يدي الله تعالى فيقول: اسكني، فتقول: كيف أسكن ولم تغفر لقائلي؟ فيقول: ما أجريتك على لسانه إلا وقد غفرت له»(7).

---

(1) رواه مسلم (1/ 55).
(2) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (20/ 212).
(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 41).
(4) رواه النسائي (6/ 331) بنحوه.
(5) رواه البزار في مسنده (1/ 387).
(6) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (11/ 394).
(7) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 285).

وعنه ﷺ: «كما لا تلتقي الشفتان على قول لا إله إلا الله، كذلك لا يحجب عن سماء سماء حتى تنتهي إلى العرش، لها دوي كدوي النحل، تشفع لصاحبها»[1].

وعنه ﷺ: «لا إله إلا الله كلمة عظيمة كريمة على الله، من قالها مخلصًا استوجب الجنة، ومن قالها كاذبًا عصمت ماله ودمه، وكان مصيره إلى النار»[2].

وعنه ﷺ: «لا إله إلا الله كلمة كريمة، ولها عند الله مكان، جمعت وسؤلت من قالها صادقًا من قلبه دخل الجنة، ومن قالها كاذبًا حقنت دمه، وأحرزت ماله، ولقي الله ﷻ غدًا يحاسبه»[3].

وعنه ﷺ: «أوحى الله إلى موسى بن عمران إنّ في أمة محمد لرجالاً يقومون على شرف، ينادون بشهادة ألا إله إلا الله، جزاؤهم على جزاء الأنبياء»[4].

وعنه ﷺ: «قال موسى: يا رب علمني شيئًا أذكرك به، وأدعوك به، قال: يا موسى قل: لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنت يا رب، إنما أريد شيئًا تخصني به، قال: يا موسى لو أن السموات السبع، وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة، مالت بلا إله إلا الله»[5]، وفي رواية: «سأل موسى ربه حين أعطاه التوراة أن يعلمه دعوة يدعو بها، فأمره أن يدعو بلا إله إلا الله، فقال موسى: يا رب كل عبادك يدعون بها، وأنا أريد أن تخصني بدعوة أدعوك بها، فقال تعالى: يا موسى لو أن السموات وسكانها والبحار وما فيها وضعوا في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، لوزنت لا إله إلا الله»[6].

وعنه ﷺ: «أفضل العلم لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الاستغفار»[7]، وفي رواية:

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 304).

(2) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 8) بنحوه، ذكره المناوي (6/ 189) بنحوه.

(3) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 8).

(4) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 142) بنحوه.

(5) رواه أبو نعيم في الحلية (8/ 328).

(6) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (13/ 210).

(7) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 352).

«أفضل الدعاء لا إله إلا الله، وأفضل الذكر الحمد لله»[1].

وعنه ﷺ: «أفضل ما قلت والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»[2].

وعنه ﷺ: «جددوا إيمانكم، أكثروا من قول لا إله إلا الله»[3].

وعنه ﷺ: «لا إله إلا الله لا يسبقها عمل، ولا تترك ذنبًا»[4].

وعنه ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا مخلصًا من قلبه»[5].

وعنه ﷺ: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله، وآخر كلمة لا إله إلا الله، ثم عاش ألف سنة ما سئل عن ذنب واحد»[6].

وعنه ﷺ: «إن الله حرم النار على من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»[7].

وعنه ﷺ: «قلت: يا رب شفعني فيمن قال لا إله إلا الله، قال: ذاك إلي»[8]، هذه الكلمة هي المانعة والدافعة والنافعة والشافعة، فأما كونها مانعة فكقوله ﷺ: «لا إله إلا الله تمنع العباد من سخط الله، ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم، فإذا آثروا صفقة دنياهم على دينهم، ثم قالوا: لا إله إلا الله ردت إليهم، ويُقال: كذبتم»[9]، وفي رواية: «لا تزال لا إله إلا الله تحجب غضب الرب عن الناس ما لم يبالوا ما ذهب من دينهم إذا صلحت بهم دنياهم، فإذا قالوا، قال: كذبتم لستم من أهلها»[10].

وأما كونها دافعة فكقوله ﷺ: «لا إله إلا الله تدفع عن قائلها تسعة وتسعين بابًا من البلاء، أدناها الهم»[11]، وفي رواية: «لا يزال قول لا إله إلا الله يدفع سخط الله عن العباد حتى إذا نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم فقالوا: عند

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان (4/ 90).
(2) ذكره الأحوذي في تحفته (10/ 33).
(3) رواه الحاكم في المستدرك (4/ 285).
(4) رواه ابن ماجه (2/ 1248).
(5) رواه البخاري (1/ 49).
(6) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 71).
(7) رواه البخاري (1/ 164).
(8) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 225).
(9) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 7).
(10) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (16/ 126).
(11) رواه الرافعي في التدوين (1/ 429).

ذلك قال الله لهم: كذبتم»[1]، وأما كونها نافعة فلقوله ﷺ: «لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها حتى يستخفوا بها، والاستخفاف بحقها أن يظهر العمل بالمعاصي فلا ينكروه ولا يغيروه»[2]، وأما كونها شافعة كقوله ﷺ: «كما تلتقي الشفتان ..»[3] الحديث، وهي ثمن الجنة؛ لقوله ﷺ: «ثمن الجنة لا إله إلا الله، وثمن النعمة الحمد لله»[4]، ومفتاح السموات والأرض؛ لقوله ﷺ: «لكل شيء مفتاح، ومفتاح السموات والأرض لا إله إلا الله»[5]، وحصن الله؛ لقوله ﷺ: «قال الله: لا إله إلا الله حصني، من دخلها أمِن عذابي»[6]، وفي رواية: «يقول الله لا إله إلا الله حصني، فمن دخله أمن عذابي»[7]، وذاكِرُها محبوب الله؛ لقوله ﷺ: «يقول الله ﷻ: قربوا أهل لا إله إلا الله من ظل عرشي، فإني أحبهم»[8].

وقد عقد في «مفتاح الفلاح» لأسمائها فصلاً، وذكر أن **الأول**: كلمة التوحيد، **والثاني**: كلمة الإخلاص، **والثالث**: كلمة الإحسان، **والرابع**: دعوة الحق، **والخامس**: **كلمة العدل**»: كلمة العدل الثابتة، [**والاسم السادس**: «**الطيب من القول**»، **الاسم السابع**: **الكلمة الطيبة**»، **الاسم الثامن**: «**الكلمة الثابتة**»، **والتاسع**: التقوى، **والعاشر**: كلمة الباقية، **والحادي عشر**: الاستقامة، **والثاني عشر**: كلمة الله، **والثالث عشر**: المثل الأعلى، **والرابع عشر**: العهد، **والخامس عشر**: مقاليد السموات والأرض، **والسادس عشر**: كلمة الحق، **والسابع عشر**: العروة الوثقى، **والثامن عشر**: كلمة الصدق، **والتاسع عشر**: كلمة السواء.

واستدل لكل اسم بآية من الكتاب، ولها من المزايا والخصائص، ما لا يسعه كتاب[9]، منها:

---

(1) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (17/ 145).

(2) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 162).

(3) سبق تخريجه.

(4) رواه الديلمي في الفردوس (2/ 103).

(5) رواه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 215).

(6) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 251).

(6) رواه الشهاب في مسنده (2/ 323).

(8) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 236).

(9) ولنذكرها إتمامًا للفائدة: الاسم الأول: «كلمة التوحيد» لأنها تدل على نفي الشرك على الإطلاق،

ومعنى على الإطلاق أنه تعالى قال: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [البقرة:163]. فربما خطر ببال أحد أن يقول: هب أن إلهنا واحد لكن يمكن أن يكون لغيرنا إله معاند لإلهنا فأزال الله هذا التوهم بقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البقرة:163]. لأن قولنا: «لا رجل في الدار» يقتضي نفي الماهية، ومتى انتفت الماهية انتفت جميع أفرادها، إذ لو حصل فرد من أفراد تلك الماهية تحصلت تلك الماهية؛ لأن كل فرد من أفراد الماهية مشتمل على تلك الماهية، وإذا وجدت تلك الماهية فذلك يناقض نفي الماهية، فيثبت أن قولنا: «لا رجل في الدار» يفيد النفي العام الشامل، وإذا قيل بعد ذلك: «إلا زيد» أفاد التوحيد الكامل. ولهذه الكلمة ثمرتان: الأولى: أن جوهر الإنسان خلق في الأصل مشرفًا مكرمًا قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء:70]. وإذا كان الأصل فيه مكرمًا؛ كان كونه مطهرًا على وفق الأصل، وكونه متنجسًا على خلاف الأصل، ثم إنا إذا رأينا الإنسان متى أشرك صار نجسًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:28]. فالنجاسة على خلاف الأصل، وكونه موحدًا يقتضي الطهارة أولاً؛ لأنه على وفق الأصل، فالموحد من خواص الله لقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [النور:26]. الثمرة الثانية: أن الشرك سبب لخراب العالم، فالتوحيد سبب لعمارة العالم؛ لأن الضدين مختلفان في الحكم، وإذا كانت كلمة التوحيد سبب عمارة العالم فأولى أن تكون سببًا لعمارة القلب الذي هو محل الوحدانية، ولعمارة اللسان الذي هو محل ذكر الوحدانية، وذلك يناسب عفو الله تعالى عن أهل التوحيد. الاسم الثاني: «كلمة الإخلاص» سميت بذلك؛ لأن الأصل فيها عمل القلب، وهو كون الإنسان عارفًا بقلبه وحدانية الله تعالى، وهذه المعرفة الحاصلة في القلب يستحيل أن يأتي بها الإنسان لغرض آخر سوى طاعة الله وحبه وعبوديته، فهذه المعرفة طلبت لوجه الله لا لغرض آخر البتة، بخلاف سائر الطاعات البدنية فإنها كما يُؤتى بها لتعظيم الله تعالى، فقد يُؤتى بها لسائر الأغراض العاجلة من الرياء والمدح والثناء، فلذلك سميت كلمة الإخلاص. الاسم الثالث: «كلمة الإحسان» قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:60] أي: هل جزاء الإيمان.

واعلم يا هذا أن عليك عهد العبودية، وعلى كرمه عهد الربوبية، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة:40]، وعهد عبوديتك، أن تكون عبدًا له لا لغيره، وأن تعرف أن كل ما سوى الله هو عبد الله، كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:93]. وقول: «لا إله إلا الله» يدل على اعترافه بأن كل ما سواه ﷻ هو عبده، فثبت أن قول «لا إله إلا الله» إحسان من العبد، فقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن:60]. أي: هل جزاء من أتى بقول: «لا إله إلا الله» إلا أن أجعله في حماية «لا إله إلا الله»

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:26]. والمراد من قوله ﴿أَحْسَنُوا﴾ هو قول: «لا إله إلا الله» باتفاق أئمة التفسير؛ لأنه لو قال ذلك ومات دخل الجنة. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت:33]، اتفقوا أنها نزلت في فضيلة الأذان لاشتماله على «لا إله إلا الله» قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر:18]. وأحسن القول: «لا إله إلا الله». وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل:90]. قيل العدل: الإعراض عما سوى الله، والإحسان: الإقبال على الله، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء:7]، الإحسان: قول: لا إله إلا الله. وروي عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس:26]، أي: الذين قالوا: لا إله إلا الله».

الحسنى: هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم. وكلما كان الفعل أشد حسنًا كان فاعله أشد إحسانًا، وأحسن الأذكار «لا إله إلا الله»، وأحسن المعارف: معرفة «لا إله إلا الله» فتكون هذه المعرفة وهذا الذكر إحسانًا. الاسم الرابع: «دعوة الحق» قال تعالى في سورة الرعد: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد:14]، وهو يفيد الحصر أي: له هذه الدعوة لا لغيره، كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:6]، أي: لكم دينكم لا لغيركم، وجه إفادته الحصر أن الحق نقيض الباطل، والحق هو الموجود، والباطل هو المعدوم، ولما كان الحق سبحانه هو حقًّا في ذاته لذاته، ولصفاته، وكان ممتنع التغير في حقيقته كانت معرفته هي المعرفة الحقيقية، وذكره هو الذكر الحق، والدعوة إليه هي الدعوة الحقة، وأما ما سواه فهو ممكن لذاته، فلا تكون معرفته واجبة التحقيق ولا ذكره، ولا الدعوة إليه، ودعوة الحق تارة تكون من الحق للحق، وتارة تكون من الخلق للخلق إلى الحق.

أما أن دعوة الحق تكون من الحق؛ فلأنه هو الذي دعا القلوب على حضرته، فلولا دعوته إلى تلك الحضرة، وتوفيقه في ذلك الوصول، وإلا فمن أين يمكن العقل البشري الوصول إلى جلال حضرة الله تعالى؟ وأيضًا فبادئ الحركات وأوائل المحدثات تنتهي إلى قدرة الله تعالى وقضائه. قال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ [الروم:4]. وأما أن تلك دعوة الحق فقال الله تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر:16]. وأما الانتهاء إلى الحق فقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:42].

وأما أن دعوة الحق تارة تكون من الخلق فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:33]. وقال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران:193]. الاسم الخامس: «كلمة العدل» قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
=

وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل:90]. وفي الحديث: « إن جبريل عليه السلام قال: يا محمد، إن الله يأمر بالعدل والإحسان » وقال ابن عباس: العدل: شهادة «ألا إله إلا الله». والإحسان: القيام بالعبودية. وقيل: العدل: شهادة «ألا إله إلا الله»، والإحسان: الإخلاص فيها. وقيل: العدل مع الناس، والإحسان: مع نفسك بالطاعة، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [الإسراء:7]. وقيل: يأمر بالعدل مع الأعضاء، وبالإحسان مع القلب بأن يريبه بعدل التوحيد وشراب المحبة. وقيل: بالعدل: رؤية الافتقار إلى الحق، والإحسان مشاهدة إحسان الخالق على كل شيء في الخلق. وسبب تسمية هذه الكلمة بكلمة العدل وجوه: الأول: أن العدل في كل شيء تحصيل سبب اعتداله، وكمال حاله، وكمال حال القوى الحساسة في إدراك المحسوسات، وكمال الحالة النفسانية في طلب الأشياء النافعة الجسمانية، وكمال حال القوة الغضبية في دفع الأشياء المنافية للجسمانية، وأما القوة العقلية فكمال حالتها وغاية سعادتها أن تُرسم فيها صور الحقائق، وأشياء المعقولات كما هي، حتى تصير القوة العقلية كالمرآة التي تجلت فيها صور الوجوه بتمامها، وأشرف المعقولات وأعلاها معرفة: جلال الله وقدسه وعظمته، وعزته، فكان غاية العدل والاعتدال للأرواح البشرية والقوى العقلية، وكونها مقبلة على هذه الحالة مستغرقة فيها. السبب الثاني: أن معرفة الله متوسطة بين الإفراط الذي هو التشبيه، والتفريط الذي هو التعطيل، فمن بالغ في الإثبات وقع في التشبيه، ومن بالغ في النفي وقع في التعطيل، فالحق الاعتدال بين الطرفين. السبب الثالث: من ترك النظر والاستدلال في معرفة الله تعالى، وعدل إلى ما ألفه من الحس والخيال وقع في الضلال، وأما من توغل البحث وأراد الوصول إلى كنه العظمة تحير وتردد؛ بل عمي، فإن نور جلال الإلهية يعمي أحداق العقول البشرية فصار هذان الطرفان مذمومين. فأولاً البحث في الاعتدال وترك التعمق، فعنه ﷺ أنه قال: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق»، فأمر تعالى في التوحيد وقال: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء:129]، أظهر العجز عن الضعيف وأقدر على الشريف ليعلم أن الكل منه.

الاسم السادس: «الطيب من القول» قال تعالى ﴿وَهُدُوٓا إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: 24]، أي: إلى «لا إله إلا الله»، والألف واللام للاستغراق كأنه قال: «لا لذيذ ولا طيب إلا هذا»؛ لأن طيب غيره بالنسبة إلى طيبه كلا طيب، وأي كلمة أطيب وأطهر من كلمة التوحيد! والكفر سبب النجاسة سبعين سنة، وتزول النجاسة بذكر هذه الكلمة مرة واحدة، وذلك أن الطيب هو اللذيذ، واللذيذ إدراك الملائم والملائم للقوى الحساسة والمحسوسات والملائم للقوة العقلية إدراك جلال الله تعالى وقدسه، إدراك القوة الحساسة. أما مدرك القوى الحساسة فهي الأعراض القائمة بالأجسام الكائنة الفاسدة، ومدرك القوة العاقلة هو ذات الله تعالى وعظمته، وكلما كان الإدراك =

أقوى والمدرك أشرف، كانت اللذة الحاصلة بسبب ذلك الإدراك أشرف وأعلى، فعلى هذا نسبة اللذة العقلية للحسية في الشرف والقوة كنسبة الإدراك العقلي إلى الإدراك الحسي، كنسبة ذات الله تعالى في صفاته في الشرف والتعالي عن الأعراض القائمة والأجسام، وكما أنه لا نهاية للنسبة الحاصلة بين هذين الإدراكين وبين هذين المدركين، فكذلك لا نهاية للنسبة الحاصلة اللذات العقلية الحاصلة من إدراك جلال الله ومن اللذات الحاصلة بسبب إدراك الطعوم والروائح وسائر الحواس. فتبين أن الطيب المطلق: معرفة «لا إله إلا الله»، وذكر «لا إله إلا الله»، والاستغراق في نور جلال «لا إله إلا الله». الاسم السابع: «الكلمة الطيبة» قال الله تعالى: ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم:24] سميت بذلك: لأنها طاهرة عن التشبيه، والتعطيل؛ لكنها طريقة متوسطة بينهما مباينة لكل واحد منهما، كما أن اللبن خارج من بين فرث ودم، وهو مبرأ عن كل واحد منهما.

وقال المفسرون: الشجرة الطيبة: النخلة، وشبهت بكلمة التوحيد؛ لأنها تنبت في بعض البلاد، دون بعض، وكلمة التوحيد تجري على لسان بعض الناس دون بعض، ومعرفة التوحيد تحصل في قلب دون قلب، ولأن النخلة أطول الأشجار وكلمة التوحيد أعلا الكلمات، ولأن النخلة ثابتة في الأرض وفروعها في السماء، والكلمة الطيبة أصلها ثابت في القلب وهو المعرفة، وفروعها ثابتة في السماء، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:10]. الاسم الثامن: «الكلمة الثابتة». قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:27]. سميت بذلك؛ لأن المذكور والمعلوم واحد ثابت واجب الثبوت لذاته، ممتنع العدم لذاته، فالقول كذلك. الاسم التاسع: «كلمة التقوى» قال الله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح:26]، وسميت بذلك؛ لأن قائلها اتقى الكفر، ولأنها واقية لبدنك من السيف ولمالك من أن يغنم، ولأولادك عن الأسر، فإن انضاف إلى القلب اللسان صارت واقية لقلبك من الكفر، وإن وفقت صارت واقية لجوارحك من المعاصي. الاسم العاشر: «الكلمة الباقية». قال كثير من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف:28]: إنها قول «لا إله إلا الله» لقوله قبل ذلك: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:26،27].

ومعنى ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾: نفي الإلهية عن الأشياء التي كانوا يعبدونها، ثم قال: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾، فكان فيه إثبات الإلهية للذي فطره، ومجموع ذلك «لا إله إلا الله».

الاسم الحادي عشر: «الاستقامة» قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: 30] هو قول: «لا إله إلا الله»، وقولهم: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ إقرار بوجود الرب تعالى، ثم من المقرين من =

=

أثبت له ندًا وشريكًا -تعالى الله- ومنهم من نفى ذلك وهم الذين استقاموا على الصراط المستقيم، والاستقامة في القيامة بقدر الاستقامة في نفي الشركاء.

الاسم الثاني عشر: «كلمة الله العليا» قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:40]، وذلك أن القلب إذا تجلى فيه نور هذه الكلمة استعقب حصول القوة بالله. ولهذا صار العارفون المستغرقون في نور جلال الله يستحقرون الأحوال الدنيوية، وعظماء الملوك، ولا يبالون بالقتل، ولا يقيمون لطيبات الدنيا وزينتها وزنًا البتة. ألا ترى إلى سحرة فرعون لما تجلى لهم نور هذه الكلمة كيف لم يلتفتوا إلى قطع الأيدي والأرجل، وإلى سيدنا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- لما استغرق في هذا النور لم يلتفت إلى الملكوت، كما قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:17]، وهي مستعلية في الدنيا على سائر الأديان.

قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:33]، ومستعلية على جميع الذنوب، فإنها مزيلة جميع الذنوب ولا يزيلها ذنب. الاسم الثالث عشر: «المثل الأعلى». قال قتادة في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:60]. معناه: قول: «لا إله إلا الله»، ومعنى المثل هنا: الصفة، كذا قال أهل اللغة، ونظيره قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد:35] أي: صفتها.

الاسم الرابع عشر: «العهد». قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:87] العهد: قول «لا إله إلا الله». الاسم الخامس عشر: «مقاليد السماوات والأرض» قال ابن عباس: قول: «لا إله إلا الله»؛ لأن الشرك سبب لفساد العالم، قال الله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم:90]. وإذا كان كذلك كان التوحيد عمارة العالم، ولا تفتح أبواب السماء عند الدعاء إلا بقول: «لا إله إلا الله»، وأبواب الجنان لا تفتح إلا بهذا القول، وأبواب النيران لا تغلق إلا بهذا القول، وأبواب القلب لا تفتح إلا بهذه الكلمة، وأنواع الوساوس لا تندفع إلا بهذا القول، فهي أشرف مقاليد السموات والأرض وأعز مفاتيح الأرواح والنفوس الأجساد والعقول. الاسم السادس عشر: «كلمة الحق» لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:86]، أي: قول: «لا إله إلا الله». الاسم السابع عشر: «العروة الوثقى» قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: 256]. يعني قول: «لا إله إلا الله» الاسم الثامن عشر: «كلمة الصدق» لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر:33] الاسم التاسع عشر: «كلمة السواء». قال الله تعالى: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران:64]. [ص 134] بتحقيقنا.

حديث البطاقة، وحديث الرجل الذي حضره ملك الموت، فشق أعضاءه، فلم يجده عمل خيرًا، ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيرًا فيه، ففك لحبيبه، فوجد طرف لسانه لاصقًا بحنكه يقول: لا إله إلا الله، فغفر له بكلمة الإخلاص، وحديث التلقين لسيدنا علي ﷺ بها بعد ما طلب منه الدلالة على أقرب الطرق إلى الله ﷻ، وأسهلها على عباده، وأفضلها عند الله، وحديث مبايعة الصحابة بعد سؤاله: هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب، وأمره بغلق باب المسجد، وقوله ﷺ: «**ارفعوا أيديكم، فقولوا: لا إله إلا الله**»، وفعلهم ذلك، وقوله ﷺ: «**اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا، فإن الله قد غفر لكم**»[1] الذي رواه البزار في «مسنده».

وحديث إرشاد سيدنا موسى عليه السلام لما فيه دليلٌ على أنها أفضل الأذكار.

قال الشيخ إبراهيم الكوراني ـ رحمه الله: تضمن سؤال موسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام بقوله: «إنما أريد شيئًا تخصني به» أن يعلمه ذكرًا أفضل من الأذكار المتداولة بين العباد، ودل الجواب على أن الذي يطلبه من أفضل الأذكار هو المتداول بين العباد، فالمطلوب خصوصًا هو المبذول عمومًا، فوقع التخصيص في عين التعميم بتعظيم مرتبة لا إله إلا الله، والله أعلم.

ويشهد لأفضليتها على سائر الأذكار، حتى من الصلاة والتسليم على الحبيب المختار قوله ﷺ: «**رأيت حمزة وجعفر، وكان بين أيديهما طبق فيه نبق كالزبرجد، فأكلا منه نبقًا، ثم صار عنبًا فأكلا منه، ثم صار رطبًا فأكلا منه، فقلت لهما: ما وجدتما أفضل الأعمال؟ قالا: قول لا إله إلا الله، قلت: ثم ماذا؟ قالا: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، قلت: ثم ماذا؟ قالا: حب أبي بكر وعمر**»[2]، ولولا خشية الإطناب لأوردنا في خصائصها ونتائجها العجب العجاب، فإن سائر أصحاب الطرائق، أرباب الشراب الفائق من كل فائق ذائق أجمعوا على اتخاذها وردًا وذكرًا لكل مزيد شائق، ودل إجماعهم على أفضليتها على غيرها من الأذكار، وإن كان كل ذكر يبلغ الأوطار، ولنكتف بهذا

(1) رواه البزار في مسنده 4-9 (8/ 408)، ورواه الحاكم في المستدرك (1/ 679).

(2) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 399).

المقدار، فإن فيه كفاية لطلب رفيع الأطوار.

ثم يقول التالي كشف الله عنه الأستار: (صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِه)، سبق الكلام على الآل والأصحاب، (أَزْوَاجِه) جمع زوج، ويطلق على الرجل والمرأة، ويقال للمرأة أيضًا زوجة، والمراد نساؤه الأطهار، اللاتي اختارهن الله تعالى لنبيه سيد الأخيار، ورضي بهن له زوجات في هذه الدار، وفي تلك الدار، حتى استحققن أن يصلى عليهن؛ تبعًا له ﷺ، وأنزل الله في شأنهن أنهن لسن كأحد من النساء، وأنهن يؤتين أجرهن مرتين مرتين، وقد أفرد المحب الطبري لمناقبهن كتابًا، سماه «السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين»، ومعنى أمهات المؤمنين أي: في الاحترام والتوقير والتعظيم، وفيما عدا ذلك هن كالأجنبيات في غيره من الأحكام.

قال شارح «الدلائل» - رحمه الله: وهل من أمهات للمؤمنين أيضًا؟ فقيل: لا، وإلا حرم نكاحهن عليه، وقيل: نعم؛ لوجوب كرامهن لهن، وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيه جميع وجوه الشبه، وأزواجه ﷺ اللاتي دخل بهن بلا خلاف إحدى عشرة:

خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، وهي أولاهن، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، ثم سودة بنت زمعة القرشية العامرية، ثم عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية التميمية، ولم يتزوج بكرًا غيرها، ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية، ثم زينب بنت خزيمة الهلالية العامرية، وماتت في حياته مثل خزيمة، ثم أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية، ثم زينب بنت جحش الأسدية- أسد خزيمة، ثم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية، ثم أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب القرشية الأموية، ثم صفية بنت حُيَيّ بن أخطب الإسرائيلية النضرية من سبط هارون بن عمران عليه السلام، ثم ميمونة بنت الحارث الهلالية العامرية، واختلف في ريحانة القرظية، فقيل: زوجة نكحها بعد جويرية، وقيل: أم حبيبة، وقيل: سرية، واختلف هل ماتت في حياته ﷺ عند مرجعه من حجة الوداع، أم بقيت بعده؟ والتسع البواقي كلهن بقين بعده، وما تقدم في ترتيب أزواجه ﷺ هو الأشهر، وقيل فيه غير ذلك، وقد عقد ﷺ على نساء غير هؤلاء لم يبن في المشهور من أقاويل العلماء بواحدة منهن، فاستغنينا لذلك عن ذكرهن.

وأما سراريه ﷺ فقيل: إنهن أربع:

مارية بتخفيف الراء، أم إبراهيم ابنه ﷺ وريحانة المتقدمة، وأخرى أصابها في بعض السبي اسمها جميلة، وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنهن أجمعين.

(**وَأَهْلِ بَيْتِهِ**) قال السر المذكور أعظم الله له الأجور: قال في «المواهب»: وأما أهل بيته فقيل: من ناسبه إلى جده الأدنى، وقيل: من اجتمع معه في رحم، وقيل: من اتصل به بنسب أو سبب، انتهى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: 33]، قال سيدي شهاب الدين أحمد بن حجر ـ رحمه الله ـ في «شرح الهمزية»: وأكثر المفسرين أنها نزلت في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ وقيل: نزلت في نسائه، ونسب لابن عباس، وكان مولاه عكرمة ينادي بها في السوق، ورد بتذكير ضمير (عنكم) وما بعده، وقال جمعٌ: نزلت فيهما، ورجحه جمع بأنهن سبب النزول، فيدخلن قطعًا، ويدل له ما صح عن أم سلمة: «**قلت: يا رسول الله أنا من أهل البيت؟ قال: بلى، إن شاء الله تعالى**»[1]، ولدخول آل البيت خبر مسلم: إنه أدخل أولئك الأربعة تحت كسائه، وقرأ الآية، وصح أنه ﷺ جعل هؤلاء تحت كسائه.

وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**»[2].

وفي حديث حسن: أنه ﷺ اشتمل على القباس بملاءة، وقال: «**يا رب هذا عمي وصنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي، فاسترهم عن الناس كستري إياهم بملاءتي هذه، فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت: آمين ثلاثًا**»[3]، فعلم أن المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت مسكنه، وهم أمهات المؤمنين، وأهل بيت نسبه، وهم مؤمنوا بني هاشم وبني المطلب، وضح هذا عن زيد بن أرقم، والأشهر أن هؤلاء آله المذكورون في قوله: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**»[4]، وقيل: المراد بآله هنا كل مؤمن وخبر: «**آلي كل مؤمن تقي**» فضل

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير (23/ 286).

(2) رواه الترمذي (5/ 699).

(3) رواه الطبراني في المعجم الكبير (19/ 263).

(4) رواه البخاري (3/ 1233).

أهل البيت والآل وذوي القربى، وأولئك الأربعة في آية المباهلة، كما يصرح به ما صح عنه ﷺ فيها، انتهى.

(بُكرة) أي: في البكرة، وهو أول النهار من الإبكار المقابل العشي، وهو لفظ يدل على الوقت كما قال: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الأعراف: 25].

وفي الحديث: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»[1] قال المناوي في «شرح الجامع الصغير»: أول اليوم الفجر، وبعده الصباح، فالغداة، فالبكرة، فالضحى، فالضحوة، فالهجرة، فالظهر، فالرواح، فالمساء، فالعصر فالأصيل فالعشاء الأولى، فالعشا الأخيرة، وذلك عند مغيب الشفق، قال النووي في «رؤوس المسائل»: يُسن لمن له وظيفة من نحو قراءة أو علم شرعي، أو تسبيح، أو اعتكاف، أو صنعة فعله أول النهار، وكذا نحو سفر وعقد نكاح، وإنشاء أمر هذا الحديث.

(وَأَصِيلاً) قال في «المختار»: والأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه: أصل، وآصال، وأصايل، كأنه جمع أصيلة، وأصلان أيضًا، مثل: بعير وبعيران، وقد أصل: دخل في الأصيل، وجاء مؤصلاً، انتهى.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝﴾ [الإنسان: 25]، قال القاضي: وداوم على ذكره كالدوام على صلاة الفجر والظهر والعصر، فإن الأصيل يتناول وقتهما.

(وَصَلِّ وَسَلِّمِ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ): وإنما ألحق به ﷺ مع ما انضم إليه؛ لقوله صلوات الله وتسليماته عليه: «صلوا على أنبياء الله ورسله، فإن الله بعثهم كما بعثني»[2]، وفي رواية: «صلوا على النبيين إذا ذكرتموني فإنهم قد بعثوا كما بعثت»[3]، ذكرتهما في «الجامع الصغير»، والتعبير بالأبوة للتوقير ولنص الكتاب المنير، قال الله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: 78].

قال القاضي ـ رحمه الله تعالى: وإنما جعله أباهم؛ لأنه أبو رسول الله ﷺ، وهو

(1) رواه أبو داود (3/ 35).

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 149).

(3) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 96).

كالأب لأمته من حيث إنه سبب لحياتهم الأبدية، ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة، أو لأن أكثر العرب من ذريته فغلبوا على غيرهم، انتهى.

ويقال له: أبو الأنبياء؛ لأن أغلب أنبياء بني إسرائيل من قرابة إسحاق عليه السلام، والعرب من ذرية إسماعيل عليه السلام؛ لما في حديث: «**العرب كلها بنو إسماعيل بن إبراهيم إلا أربع قبائل: إلا السلق، والأوز، وحضرموت، وثقيف**»[1] رواه ابن عساكر عن ملك بن مخامر، وعنه ﷺ: «**أهل فارس من ولد إسحاق**»[2]، رواه الحاكم في «تاريخه» عن ابن عمر، وعنه ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة نوديت من بطنات العرش: يا محمد، نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي**»[3]، رواه الرافعي عن علي رضي الله عنه.

وعنه ﷺ: «**ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم**»[4]، رواه أحمد والشيخان وأبو داود عن أنس.

وإبراهيم اسم أعجمي جامد غير مشتق؛ لأن الاشتقاق مخصوص بالأسماء العربية، وليس في أسماء الأنبياء معرب حين شمله، وقال المناوي: أعجمي معرب، أصله إبراهيم، انتهى.

قال في «الصحاح»: وفيه لغات: إبراهام، وإبراهم، وإبراهيم، وتصغيره: أبيره؛ لأن الألف من إلا تحل؛ لأن بعدها أربعة أحرف أصول، والهمزة لا تلحق بنات الأربعة زائدة في أولها، وذلك يوجب حذف آخره كما يحذف من سفرجل، فيقال: سفيرج، وكذلك في إسماعيل، وإسرافيل، وهذا قول المبرد، ثم قال: ولا يعلم اشتقاقه، فتصغيره على بريهيم، وسميعيل، وسريفيل، وهذا قول سيبويه، وهو حسن، والأول قياس، ومعنى إبراهيم: أب رحيم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114]، وأما حليته عليه الصلاة والسلام، فحلية نبينا الرؤوف الرحيم؛ لما في حديث: «**رأيت موسى وعيسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد، عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبط، كأنه من**

---

(1) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (14/ 354).

(2) ذكره ابن حجر في لسان الميزان (1/ 64).

(3) رواه أحمد (2/ 663).

(4) رواه مسلم (4/ 1807).

رجال الفرط، وأما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم، وأما موسى فجعل أدم، كأني أنظر إليه أنحدر في الوادي، يلبي على جبل أحمد مخطوم تحليه»[1]، رواه أحمد والشيخان عن ابن عباس، وعنه ﷺ: «إن الأنبياء يوم القيامة كل اثنين منهم خليلان دون سائرهم، فخليلي منهم يومئذ خليل الله إبراهيم»[2]، رواه الطبراني عن سمرة.

وهو أول من حرم بيت الله وأمنه، وأول من أضاف الضيف، وأول من يكسى من الخلائق، وأول من قص شاربه، وأول من اتخذ الخبز الملبقس، وأول من عانق، وأول من عامل القسي.

وعنه ﷺ: «رأيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك السلام، وخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وغراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[3]، رواه الطبراني عن ابن مسعود.

وعنه ﷺ: «خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وعليهم أجمعين»[4]، رواه ابن عساكر عن أبي هريرة، وعنه ﷺ: «لما ألقي إبراهيم في النار قال: اللهم أنت في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك»[5]، وفي رواية: «لما ألقي إبراهيم الخليل في النار قال: حسبي الله ونعم الوكيل»[6]، وعنه ﷺ: «فما احترق منه إلا موضع الكتاف»[7]، وفي رواية «أوتي بإبراهيم يوم النار إلى النار فلما أبصرها قال: حسبنا الله ونعم الوكيل»[8]، وفي رواية: «آخر ما تكلم به إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل»[9]، وعنه ﷺ: «اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة، فيكون عمره مائتي سنة،

---

(1) رواه البخاري (3/ 1269) بنحوه، ورواه أحمد (1/ 296) بنحوه، ورواه الديلمي في الفردوس (2/ 256) بنحوه، رواه ابن منده (2/ 738) بنحوه.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (7/ 258).

(3) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 271).

(4) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 255).

(5) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 201).

(6) رواه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 30).

(7) ذكره المناوي في فيض القدير (1/ 44).

(8) رواه أبو نعيم في الحلية (1/ 19).

(9) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 269).

وأنزل الله عليه عشر صحائف»[1]، وأما نسبه الكريم فهو: إبراهيم خليل الرحمن بن تارخ بن نامور بن ساروع بن رعو بن قالع بن عامر، وهو هود عليه السلام بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام بن لاثك بن متوشلح بن أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام، بن يرد بن مهليل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام.

وقيل في نوح: إنه يُسمى نوحًا؛ لطول ما ناح على نفسه، وفيه نظر؛ لأنه اسم عجمي فلا اشتقاق، نقله شارح «الدلائل».

(خَليلك): الخليل بوزن فعيل اسم لمن صحت محبته لمحبوبه، مأخوذ من التخلل، وهو اشتباك البعض بالبعض، قال الشعار: قد تخللت مسلك الروح مني، وبذا سمي الخليل خليلاً، والإضافة للتشريف.

قال في «القاموس»: الخليل الصديق، أو من أصفى المودة وأصحبها، والخلة الصداقة المحضة، لا خلل فيها، والخلة بالفتح الحاجة، ولذا وصف بها إبراهيم عليه السلام لما قصر حاجته على ربه، كما جاء في بعض الأخبار: إن جبريل عرض له وهو في المنجنيق؛ ليُرمى به في النار، فقيل له: ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا، فقال: سل ربك، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

أو هي من الخلة بالضم، وهو تخلل مودة في القلب، لا تدع فيها خلاء إلا ملأته، لما خالله من أسرار الهيبة، ومكنون الغيوب والمعرفة؛ لاصطفائه عن أن يطرقه نظر لغيره، ومن ثم قال ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً»[2]، واختلفوا أيهما أرفع: مقام المحبة، أو الخلة؟ فقال قوم: المحبة أرفع؛ لخبر البيهقي: إنه تعالى قال ليلة الإسراء: يا محمد سل ربك تعطى، فقال: يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وموسى كليمًا، فقال: ألم أعطك خيرًا من هذا؟» إلى قوله: «واتخذتك حبيبًا؟»، أو ما في معناه، ولأن الحبيب يصل بلا واسطة بخلاف الخليل، قال تعالى: ـ في ذكر حق نبينا: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:9] وفي إبراهيم ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(1) ذكره المقدسي في المغني (1/ 63) بنحوه.

(2) رواه البخاري (1/ 177) بنحوه، ورواه الترمذي (5/ 609) بنحوه، ورواه ابن ماجه (1/ 36) بنحوه، ورواه مسلم (4/ 1854) بنحوه، ورواه أحمد (4/ 5) بنحوه.

وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 75]، والخليل قال له: ولا تحزن، والحبيب قيل له: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التحريم: 8]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: 64].

وقال بعضهم: الخلة أرفع، ورجحه جماعة كالبدر الزركشي وغيره؛ لأن الخلة أخص من المحبة؛ إذ هي توحيدها، فهي نهايتها، ومن ثم أخبر نبينا ﷺ بأن الله اتخذه خليلاً، ونفى أن يكون له خليل غير ربه، مع إخباره بحبه لجماعة من أصحابه، وأيضًا فإن الله تعالى يحب التوابين والمتطهرين والصابرين والمحسنين والمتقين والمقسطين، وخلته خاصة بالخليلي، قال ابن القيم: ومن ظن أن المحبة أرفع، وأن إبراهيم خليل، ومحمدًا حبيب غلط وجهل في رفعة ذات محمد ﷺ على إبراهيم عليه السلام، مع قطع النظر عن وصف الخلة والمحبة، وهذا لانزاع فيه، وإنما النزاع في الأفضلية المستندة إلى أحد الوصفية، والذي قامت عليه الأدلة إسناده على وصف الخلة الموجودة في كل من الخليلين؛ فخلة كل منهما أفضل من محبته، واختصاصها؛ لتوفر معناها السابق فيهما أكثر من بقية الأنبياء، ويكون هذا المتوفر في نبينا أكثر منه في إبراهيم؛ لأن خلته أرفع من خلة إبراهيم صلى الله عليهما وسلم.

كذا في «شرح الأربعين» لابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ ولقد قلت مشيرًا لمقام الخلة سابقًا:

يَا خَلِيلِي عَرِّجْ عَلَى حَيِّ سِلَعِ ... وَأَقْبِلْ يَا خَلِيلِيَ السَّلَامَا

ثُمَّ سَلْهُمْ عَطْفًا عَلَيَّ بِلُطْفٍ ... فَعَسَى يَسْمَحُونَ بِوَصْلِي مَنَامَا

سَادَةٌ سَكَنُوا بِوَادِي فُؤَادِي ... وَبِرُوحِي تَخَلَّلُوا اسْتِحْكَامَا

ثُمَّ لَمْ يَنْظُرُوا عَقْلِي مِحَلاً ... لِسِوَاهُ إِلَّا حَشْوَةُ عِرَامَا

مَعَهُمْ أُضْرِمَتْ نُوَيْرَةُ وَجْدٍ ... فِي الْحَشَاءِ أُخْفِيَتْ فَزَادَتْ ضَرَامَا

وَدَعُونِي لِوَصْلِهِمْ وَجَفُونِي ... فَعَلَامَ هَذَا التَّجَنِّي عَلَامَا

وَعُيُونِي مِنَ الْكَرَى مَنَعُوهَا ... ثُمَّ صَالُوا فِي الْهَجْرِ هَتْلاً لِزَامَا

وَتَخَلُّوا فِي الْحُبِّ عَنِّي لَمَّا ... أَنْ رَأَوْنِي صَبًّا بِهِمْ مُسْتَهَامَا

يَا آسَاتِي جِرَاحَتِي عَلِّلُوهَا بِوِصَالٍ مِنْكُمْ يُزِيلُ الأَوَامَا
فَتَجَلُّوا وَغِيمُ قَلْبِي جَلُو هُ بِنُورِهِ فَلَمْ يَرَ إِلَّا أَوْهَامَا
ثُمَّ قَالُوا مَاذَا تُرِيدُ فَقُلْنَا قَدْ كَشَفْنَا عَنَّا لِثَامًا تَسَامَا
فَتَفَانَيْتُ هَيبَةً وَجَلالاً بِالتَّجَلِّي لَا أَسْتَطِيعُ الْكَلَامَا
هَكَذَا الْحُبُّ فِي الْجَفَاءِ يَمْنَعُ الشُّرْ بَ، وَفِي الْقُرْبِ يُؤْثِرُ الاحْتِرَامَا
رَبِّ صَلِّ عَلَى الْحَبِيبِ التِّهَامِي وَالطَّبِيبِ الَّذِي أَزَالَ السَّقَامَا
الْجَلِيلِ الْكَلِيمِ، وَالرُّوحِ طَهَ الصَّفِيِّ الأَمِينِ عَوْنِ الْيَتَامَا
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبٍ كِرَامٍ مَنْ بدا سعة وَإِفْسَادِ مَقَامَا
وَعَلَى التَّابِعِينَ مَاسَحَ جَفْنٌ مِنْ مُحِبٍّ يُهْدِي إِلَيْهِمْ سَلَامَا
أَوْ تَلَاقَى مَعَ الأَحِبَّةِ صَبٌّ بَعْدَمَا أَنْحَلُوهُ فِيهِمْ كَلَامَا
أَوْ غَدَا مُصْطَفَى يَئِنُّ هُيَامًا نَحْوَ حُبٍّ قَدْ زَادَ فِيهِ غَرَامَا

وعنه ﷺ: «**إن الله بعث جبريل إلى إبراهيم، فقال له: يا إبراهيم إني لم أتخذك خليلاً، إنك أعبد عبادي، ولكن اطلعت في قلوب المؤمنين فلم أجد قلبًا أسخى من قلبك**»[1]، رواه أبو الشيخ في «الثواب» عن عمر.

وصل وسلم على (وَدَاوُد خَلِيفَتك): اسم أعجمي، لا يهمز كما في «الصحاح»، ويقال: هو ابن نبي من أبناء بني إسرائيل، قاله شارح «الدلائل»، وفي «المسامرات الأكبرية» هو ابن إياس بن غريال، وهو من يهود، أو هو ولد يعقوب عليهما السلام، وكان يقيم التوراة على اثنين وسبعين صوتًا، وكان له تسع وتسعون زوجة، وكان ملكه أربعين سنة، وشيع جنازته أربعين ألف راهب، وقيل: شرع في بناء بيت المقدس ولم يتمه، انتهى.

وإنما أتمه ولده سيدنا سليمان ﷺ من بعده، وقبره الشريف ظاهر القدس يزار،

(1) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 260).

وعليه من المهابة والأنوار ما يشهد له أنه بتلك البقعة قر منه القرار، ولكم بت في غيابه راجيًا فيه المدار، كما جاد الحق بزيادة سكان الغار أهل المجد والجد والفخار، وزيارة الكريم شمس الشموس وقمر الأقمار، وعاينت لديهم من البر كانت والرحمات الغزار ما لا يقع به أسفار، فعليهم جميعًا صلاة وسلام العزيز الغفار، ما كرّ الليل على النهار.

وعنه ﷺ: «**كان داود أشد البشر**» قال المناوي- رحمه الله تعالى: وفي رواية: «**أعبد**»[1]، أي: أكثرهم عبادة في زمانه، أو مطلقًا، والمراد: أشكركم، قال تعالى: اعملوا آل داود شكرًا، أي: بالغ في شكري، وابذل وسعك فيه، قيل: جزءًا، أي: قسم داود عليه السلام ساعات الليل والنهار على أهله، فما من ساعة إلا وإنسان منهم قائم يصلي.

وعنه ﷺ: «**كان الناس يعودون داود، يظنون أن به مرضًا، وما به إلا شدة الخوف من الله**»[2]، قال المناوي: وفي رواية بدله: «**الفرق**»[3]، زاد أبو نعيم في رواية: «**والحياء**»[4]، وذلك لما غلب على قلبه من الهيبة الجلالية، عاين القلب سلطانًا عظيمًا، فما يتمالك؛ لأنه لزمه الرجل حتى كاد يتلف كيده، فظهرت العزة على جوارحه الظاهرة.

قال يزيد الرقاشي: خرج داود في أربعين ألفًا، يعظهم ويخوفهم، فمات منهم ثلاثون ألفًا، ورجع في عشرة آلاف، وكان له جاريتان، اتخذهما إذا جاءه الخوف، وسقط فاضطرب قعدًا على رجليه وصدره؛ مخافة أن تتفرق مفاصله فيموت، رواه ابن عساكر في «ترجمة داود عليه السلام»، وكذا أبو نعيم باللفظ المزمور، ثم قال: والديلمي، فاقتصار المؤلف على ابن عساكر غير جيد.

وعنه ﷺ: «**إن داود سأل ربه مسألة، فقال: اجعلني مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فأوحى الله إليه: إني ابتليت إبراهيم بالنار فصبر، وإسحاق بالذبح فصبر، ويعقوب بفقد يوسف فصبر**»[5]، رواه ابن عساكر والديلمي، عن أبي سعيد.

---

(1) رواه الترمذي (5/ 522).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 544).

(3) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 544).

(4) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 544).

(5) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (9/ 10) بنحوه.

وعنه ﷺ: «بعث داود وهو راعي غنم، وبعث موسى وهو راعي غنم، وبعثت أنا وأنا أرعى غنمًا لأهلي بجياد»[1]، وعنه ﷺ: «خفف على داود القرآن، فكان يأمر بدوابه، فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يده»[2].

قال المناوي: وقد دل الحديث على أنه سبحانه يطوي الزمان لمن شاء من عباده، كما يطوي لهم المكان، وذلك لا يدرك إلا بفيض سبحاني، قال القسطلاني: قال ابن أبي شريف: إن أبا طاهر المقدسي ـ وكان من معاصريه ـ كان يقرأ في اليوم والليلة خمس عشرة ختمة، قلت، ونقل الشعراني ﷺ: أن أحد تلامذة أبي مدين ﷺ أنه ورده كان في كل درجة ألف ختمة، وعنه ﷺ: «لقد قبض داود من بين أصحابه، فما فتنوا وما بدلوا، ولقد مكث أصحاب المسيح من بعده على سنته وهديه مائتي سنة»[3].

وعنه ﷺ: «كان داود فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب، فلم يدخل إلى أهله أحد حتى يرجع، فخرج ذات يوم وغلقت الأبواب، فأقبلت امرأة، تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقه لتفضحني بداود؟ فإذا الرجل قائم في وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: الذي لا أهاب الملوك، ولا يمنع مني الحجاب، قال داود: أنت إذًا والله ملك الموت، من جاء بأمر الله فزمل داود مكانه حيث قبضت نفسه، حتى فرغ من شأنه، فطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهم الأرض، فقال سليمان: اقبضي جناحًا جناحًا، يومئذ المصرحية»[4] رواه أحمد عن أبي هريرة، كذا في «الجامع الكبير».

وعنه ﷺ: «إن داود قارئ أهل الجنة»[5]، كذا في «كنوز الحقائق» للمناوي -رحمه الله ـ وفيه: «كانت صلاة الضحى أكثر صلاة داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفر إذا لاقى»[6] وسبق في الكلام على الترجمة: «أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود»[7]

(1) رواه أحمد (3/ 96)، والطيالسي في مسنده (1/ 185).
(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى (6/ 127). (3) رواه ابن عدي في الكامل (6/ 269).
(4) رواه أحمد (2/ 419). (5) لم أقف عليه.
(6) رواه البخاري (2/ 698) بنحوه. (7) رواه البخاري (1/ 380).

الحديث، وعنه ﷺ: «قال داود: يا زارع السيئات، أنت تحصد شوكها وحسكها»[1].

وعنه ﷺ: «قال داود: إدخالك يدك في فم التنين إلى أن تبلغ المرفق، فيقضمها، خير لك من أن تسأل من لم يكن له شيء»[2]، ثم فإن خلفناك، قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص:26]، قال القاضي ـ رحمه الله تعالى: استخلفناك على الملك فيها، أو جعلناك خليفة من قبلك من الأنبياء القائمين بالحق، اهـ.

وقال عند قوله تعالى: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:30]، فخليفة: من يخلف غيره، وينوب منابه، والهاء فيه للمبالغة، والمراد به آدم عليه السلام، وكذلك كل نبي استخلفه في عمارة الأرض، وسياسة الناس، وتكميل نفوسهم، وتنفيذ أمره فيهم، لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه؛ لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه، وتلقي أمره بغير واسطة، ولذلك لم يستخلفوا ملكًا كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ [الأنعام:9]، ألا ترى أن الأنبياء لما فاقت قوتهم، وأشعلت قريحتهم بحيث: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ [النور:35]، أرسل إليهم الملائكة، ومن كان منهم أعلا رتبة كلَّمه بلا واسطة، كما كلم موسى عليه السلام، ومحمدًا ﷺ ليلة المعراج، انتهى.

وصل وسلم (وَمُوسَى): اسم غير متصرف للعلمية والعجمة، قال الحاتمي ـ رحمه الله ـ في «مسامراته»: ولما وجد التابوت في الماء عند الشجر سمَّاه فرعون: موسى، مركب من ماء وشجر، فإن الماء بلغتهم: «المو» والشجر «الساء»، فسمي بصفة المكان الذي وجد فيه، ذكر ذلك شيخنا أبو زيد السهيلي في «المعارف والأعلام»، وقيل القبطي: وهو سنه أربعون، وأقام تسعًا وثلاثين سنة، ثم رجع إلى مصر بزوجته صفور ابنة شعيب، ثم بعثه الله تعالى إلى فرعون، فأقام يدعوه إحدى عشر شهرًا، ثم سار ببني إسرائيل، وتبعه فرعون، فأغرقه الله تعالى، ومات عليه السلام في التيه، وله مائة وعشرون سنة، بعد أن استخلف يوشع بن نون.

قال ابن إسحاق: حولت النبوة إلى يوشع بن نون في حياة موسى عليه السلام، وأما نسبه عليه السلام فإنه: موسى بن عمران بن يصمت بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 502).

(2) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (4/ 87).

إبراهيم عليه السلام، واسم أمه أناخيت، وقيل: بوخانيت، وقال ابن إسحاق: لخيت، انتهى.

ولما دنت وفاته سأل الله تعالى أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، كما جاء في الخبر عن سيد البشر: «أرسل ملك الموت إلى موسى، فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه، وقال: ارجع وقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي يا رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فلو كنت ثم، لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»[1] رواه البخاري ومسلم والنسائي، عن أبي هريرة، وفي رواية للشيخين وأحمد عنه: «جاء ملك الموت إلى موسى، فقال: أجب ربك، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: أرسلتني إلى عبد لك يريد الحياة، ففقأ عيني، فرد الله عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت بيدك من شعرة، فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم ماذا؟ قال: تموت، قال: فالآن من قريب، قال: رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر، والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»[2]، وفي رواية لابن عساكر عنه: «إن ملك الموت كان يأتي الناس عيانًا، فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه، فعرج ملك الموت، فقال: يا رب إن عبدك موسى فعل بي كذا، ولولا كرامته عليك لتعسفت عليه، فقال الله: ائت عبدي موسى، فخيره بين أن يضع يده على متن ثور فله بكل شعره وارتها كفه سنة، وبين أن يموت الآن، فخيره، فقال موسى: فما بعد ذلك؟ قال: الموت، قال: فالآن، فشمه شمة، فقبض روحه، ورد الله عينه، فكان بعد يأتي الناس في خفية»[3]، وعنه ﷺ: «مررت بموسى ليلة أسري بي، وهو قائم في قبره بين عائلة وعويلية»[4]، رواه أبو نعيم في «الحلية» عن أنس، وفي رواية: «مررت ليلة أسري بي على موسى عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره».

---

(1) رواه البخاري (3/ 1250)، ورواه مسلم (4/ 1842).

(2) رواه البخاري (1/ 449)، ورواه مسلم (4/ 1842)، ورواه أحمد (2/ 269).

(3) رواه الحاكم في المستدرك (2/ 632).

(4) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (8/ 333).

وعنه ﷺ: «ما اطلع على قبر موسى إلا الرحمة، نزع الله عقلها لكي لا تدل عليه» رواه ابن عساكر عن محمد بن إسحاق يرفعه.

وعنه ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي موسى، رجلاً آدم طويلاً، جعدًا، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، ورأيت مالكًا خازن النار والدجال»[1]، رواه أحمد والشيخان عن ابن عباس.

وعنه ﷺ: «سمعت كلامًا في السماء، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا موسى، قلت: ومن يناجي؟ قال: ربه تعالى، قلت: ويرفع صوته على ربه؟ قال: إن الله ﷻ قد عرف له حدته»[2]، رواه أبو نعيم في «الحلية» عن ابن مسعود.

وعنه ﷺ: «إن الأنبياء يتكاثرون بأممهم، وقد كثر بهم إلا موسى بن عمران، وإني لأرجو أن أكثر، وقد أعطي موسى بن عمران خصلتان لم يعطهن نبي، إنه مكث يناجي ربه أربعين يومًا، ولا ينبغي لمتناجيين أن يتناجيا أطول من نجواهما، وإن ربك توحد بدفنه فلم يطلع أحد، وهو يوم يصعق الناس قائم عند العرش، لا يصعق معهم»[3]، رواه الطبراني وابن عساكر عن عوف بن مالك، وعنه ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى»[4]، رواه أحمد ومسلم عن أبي سعيد ﷺ. وفي رواية الشيخين عن أبي هريرة: «لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور، يصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث، فإذا موسى أخذ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور؟ أم بعث قبلي؟ ولا أقول أن أحدًا أفضل من يونس بن متى»[5]، وفي رواية لهما ولأحمد وأبي داود وابن ماجه عنه: «لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى بالحشر بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن

(1) رواه البخاري (3/ 1182).
(2) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (10/ 386).
(3) رواه ابن حبان في الثقات (4/ 111)، وذكره الذهبي في السير (17/ 587).
(4) رواه مسلم (12/ 78)، وأحمد (22/ 380).
(5) رواه البخاري (11/ 222)، ومسلم (12/ 76).

صعق فأفاق قبل؟ أو كان مما استثنى الله؟»[1].

وعنه ﷺ: «موسى بن عمران صفي الله»[2]، رواه الحاكم عن أنس.

وعنه ﷺ: «أكثروا من الصلاة على موسى؛ فما رأيت أحدًا من الأنبياء أحوط على أمتي منه»[3]، رواه ابن عساكر عن أنس، وفي «كنوز الحقائق»: قال الله تعالى: «يا موسى كما تدين تدان»[4]، وفيه قال موسى: «يا رب، من أعز عبيدك عندك؟ قال: الذي إذا قدر عفا».

وعنه ﷺ: «إن موسى كان حييًّا سترًا لا يرى من جلده شيء؛ استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده، إما برص، وإما آدرة، وإما آفة، وإن الله ﷻ أراد أن يبرءه مما قالوا، فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذ ثيابه، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ بني إسرائيل، فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضاربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثًا، أو أربعًا، أو خمسًا، فذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب:69]»[5]، رواه البخاري والترمذي عن أبي هريرة، وعنه ﷺ: «رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى، لَوْ صَبَرَ لَرَأَى مِنْ صَاحِبِهِ الْعَجَبَ»[6]، رواه أبو داود والنسائي والحاكم عن أبي ذر ﷺ.

وحكى الشيخ الأكبر ـ قدس الله سره الأنور ـ أنه اجتمع بأبي العباس الخضر ـ صلوات الله عليه ـ فقال له: كنت أعددت لموسى بن عمران ألف مسألة مما جرى عليه من أول ما ولد إلى زمان اجتماعي به، فلم يصبر على ثلاث مسائل منها، انتهى.

---

(1) رواه البخاري (2/ 849)، ومسلم (4/ 1844)، وأحمد (2/ 264).

(2) رواه الحاكم (2/ 629).

(3) ذكره المناوي في «فيض القدير» (2/ 88).

(4) ذكره ابن حجر في اللسان (3/ 44).

(5) رواه البخاري (3/ 1249)، ومسلم (1/ 276)، وابن حبان (14/ 94).

(6) رواه أبو داود (4/ 33).

(**كَلِيمك**): قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:164]، وقال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:144].

وعنه ﷺ: «**إن الله اصطفى موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة**»(1)، رواه الحاكم عن ابن عباس.

وعنه ﷺ: «**كلم الله موسى ببيت لحم**»(2) رواه ابن عساكر عن أنس.

وعنه ﷺ: «**لما كلم الله موسى، كان يبصر دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ**»(3)، رواه الطبراني وأبو الشيخ في «تفسيره» عن أبي هريرة.

وعنه ﷺ: «**كان على موسى يوم كلم ربه كساء صوف، وجبة صوف، وكمه صوف، وسراويل صوف، وكانت نعلاه من جلد حمار ميت**»(4)، رواه الترمذي عن ابن مسعود ﷺ.

ويروى أن الرب تعالى قال له: «**أتدري لِمَ اصطفيك على الناس برسالاتي وبكلامي؟ قال: يا رب أنت أعلم، قال: إني نظرت في القلوب فما رأيت قلبًا أكثر منك تواضعًا لي**»(5).

وروي أن موسى ﷺ لما كلمه الله تعالى أشرق وجهه بالنور، حتى كان من نظر إلى وجهه عمي، فتبرقع؛ لئلا تذهب أبصار الناس عن رؤيته، وبقي البرقع على وجهه إلى أن مات، وقيل: مكث أربعين ليلة لا يراه أحد إلا مات؛ لما غشي وجهه من نور رب العالمين، حتى اتخذ لنفسه برنسًا وعليه برقع؛ لئلا يبدو وجهه لكل أحد فيموت، وقيل: إن الله تعالى أوحى إلى الملائكة: «**إني أتجلى للجبل ولموسى بن عمران، قال: فارتعدت السماوات والأرض والجبال والبحار والنجوم والشمس والقمر، وخروا كلهم سجدًا لله رب العالمين**»، ولما تجلى للجبل طارت لعظمته ستة أجبل، وصار جبل التجلي في الأرض: فهو يذهب حتى الآن، قالوا: وإنما ظهر للجبل من عظمة الله تعالى قدر خرم الإبرة، ولما أراد أن يخاطب موسى أنزل إلى الأرض ظلمة قدر سبعة فراسخ، وطردت الملائكة الهوام على مسيرة سبعة فراسخ، ونزلت الملائكة المقربون، فأحدقوا بالجبل على مرائيهم، ثم وقف

---

(1) رواه الحاكم (2/ 629).
(2) ذكره المناوي في «فيض القدير» (5/ 40).
(3) رواه الطبراني في «الصغير» (1/ 65).
(4) رواه الترمذي (4/ 224).
(5) رواه أبو نعيم في «الحلية» (6/ 130).

موسى، وقد أحدقت به الملائكة صفوفًا، ثم تخلى عنه شيطانه وملكاه، وخاطبه الله تعالى، وجبريل إلى جانبه، لا يسمع الخطاب، وذكر أن الرب تعالى لما تجلى للجبل لم يبق على وجه الأرض من ماء إلا عذب، ولا أعمى إلا أبصر، ولا مجنون إلا أفاق، ولا ذو عاهة إلا برئ من بركات التجلي. نقله حجة الإسلام الإمام الغزالي في بعض كتبه «الغوالي»، وقال في شأنه الولي الغني: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ [طه آية: 39].

قال القاضي ـ رحمه الله تعالى: أي: محبة كائنة مني، قد رعتها في القلوب، بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك، فلذلك أحبك فرعون، ويجوز أن يتعلق مني بألقيت، أي: أحببتك، ومن أحبه الله أحبته القلوب، انتهى.

وقد ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع كثيرة، تنبئ عن رفعة كمال اقترابه، حتى قال بعض من ذاق من تكرار ذكره كؤوسًا: كاد القرآن أن يكون موسى، ولقد كنت تطفلت على عليّ جنابه بقصيدة، جاءت بمدحه الشريف فريدة، ومطلعها:

صِلْ لِصَبٍّ قَدْ أَتْخَنُوهُ كَلَامَا وَصِلْ مَنْ نَالَ مِنْ مُنَاهُ الْكَلَامَا

سَيِّدٌ مُنْجِدٌ وَفِي صِفَتِي يُبْدِي شَيْخًا فِي أَرْضِهِ وَحُزَامَا

..إلخ.

واتفق أني أنشدتها مرة في أرض السفساعة، فلما قلت المصراع الثاني من البيت الثاني فاحت رائحة الشيخ والحزام معًا، تلك ومما يدل على أنه ﷺ في مقامة المشهود به، ولا كلام وجود إلا من في ساحته والبسط والسرور الظاهر من سماحته، وألفة القلوب إلى حضرته، والراحة الجنانية في التملي بنظرته، ومواقع كثيرة دلت على وجوده في ذلك المكان، حتى آن الآن لا ينكر ذلك إلا مكابر أو منكر للعيان.

وصل وسلم على (وَعِيسَى) قال في «المختار»: وعيسى اسم عبراني، أو سرياني، والجمع: العيسيون بفتح السين، ورأيت العيسين، ومررت بالعيسين، وأجاز الكوفيون ضم السين قبل الواو، وكسرها قبل الياء، ولم يجوزه البصريون، وكذا القول في: موسى، والنسبة إليهما: عيسوي، وموسوي، انتهى.

وقال الخفاجي ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح الشفاء»: وعيسى ليس بمشتق من العيس بمعنى البياض؛ لأنه اسم عجمي معرب، والاشتقاق مختص بكلام العرب، وإن

كانوا إذا أعربوه ألحقوه بكلامهم وتصرفوا فيه، فقد يفرضون اشتقاقهم لبيان وزنه وحكمه، وعيسى عليه السلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، أو أربع وثلاثين، وهو الأشهر عند المفسرين والمحدثين، وقيل: ثمانين سنة، وقيل: مائة وعشرون سنة، كما نقله ابن حجر في «الإمامة»، واختلف أيضًا في مكثه في الدنيا بعد نزوله من السماء، فقيل: سبع سنين، وقيل: أربعين، وقيل غير ذلك، انتهى.

وقال سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره ـ في «مسامراته»: وأما عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ قوله: بعد قيام الإسكندر بثلاثمائة سنة وثلاث سنين، وقيل: بثلاثمائة وتسع عشرة سنة، وذكر الحسن: إن مريم حملت عيسى تسع ساعات، ووضعته من يومها، وقيل: حملت به على العادة، ومولده بيت لحم، وهربت به إلى مصر، فأقام بها اثنتي عشرة سنة، ثم رجعت به إلى الشام، وجاءه الوحي وهو ابن ثلاثين سنة، وكانت نبوته ثلاثين سنة، وقيل: تكلم في المهد ثلاث مرات، ثم لم يتكلم حتى بلغ المعتاد، انتهى.

وأما حليته المجموعة من الأحاديث: «**أنه أحمر جعد، عريض الصدر، آدم كأحسن ما أنت راءٍ من آدم الرجال، سبط الشعر، ينطف** ـ بكسر الطاء أي: يقطر ـ **له لمة كأحسن ما أنت راءٍ من اللمم، قد رجلها، أي: سرحها**»[1]، وفي رواية: «**لمته بين منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسه ماء**»[2]، وفي رواية: «**مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، كأنما خرج من ديماس، أي: حمام**»[3]، وفي رواية: «**أبيض مبطن كأنه السيف**»[4]، وفي أخرى: «**ربعة، أبيض، يضرب إلى الحمرة، شبهه بعروة بن مسعود الثقفي**»[5]، لا يجد ريح نفسه ـ بفتح الفاء ـ كافر إلا مات.

وأما دليل نزوله في الكتاب والسنة؛ أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: 159]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ

(1) رواه البخاري (5/ 2211)، ومسلم (1/ 154).

(2) رواه البخاري (3/ 1269)، ومسلم (1/ 155).

(3) رواه البخاري (3/ 1182)، ومسلم (1/ 151).

(4) لم أقف عليه.

(5) رواه الهيثمي في «الزوائد» (1/ 75).

بها﴾ [الزخرف: 61]، وقرئ في الشواذ: وإنه لعَلم بفتح العين واللام، أي: العلامة.

وأما السنة فلقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»[1]، وفي رواية: «والله لينزلن ابن مريم حكمًا عدلاً...»[2] بنحوه، «ونزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، ويصلي بالمسلمين العصر، ويكون المتنحى له فيه أمر المهدي؛ لأنه إذ ذاك في القدس، وبذا يجمع بين رواية التقدم والتنحي ويخرج في طلب الدجال، والأرض تقبض له إلى أن يأتي بيت المقدس، فيجده مغلقًا قد حصره الدجال، فيصادف ذلك صلاة الصبح، وقد أحرم المهدي والناس كلهم - أو بعضهم - لم يحرموا بعد، فيخرج إليه بعض من لم يحرم الصلاة، فيأتي والمهدي في الصلاة فيتقهقر، ويقول بعض الناس لعيسى: تقدم لما رأى تقهقر المهدي، فيضع يده على كتف المهدي: أن تقدم، ويقول للقائل: ليتقدم أمامكم، فيجيب المهدي بالفعل، والقائل بالقول؛ ليكون جواب كل على طبق قوله، ثم إذا أصبحوا شرد الدجال، فتضيق عليهم الأرض، فيدركهم عند باب لدّ، فيصادف صلاة الظهر، فيتحيل اللعين إلى الخلاص منه بإقامة الصلاة، فلما عرف أنه لا يتخلص منه بذلك، ذاب خوفًا منه كما يذوب الملح في الماء، فأدركه فقتله، أو أنه ينشئ صلاة في غير وقتها، وهو أذل على ضلالته وجهالته بالله».

وأما سيرته عليه السلام فإنه يدق الصليب، ويقتل الخنزير والقردة، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام، ويوحد الدين، فلا يعبد إلا الله رب العالمين، ويظهر الكنوز في زمنه، ويفيض المال فلا يوجد من يقبل الزكاة، وتزول رغبة الجمع للمال؛ لقرب الحال، وتزول الشحناء والبغضاء، وينزع سم كل ذي سم، حتى تلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم، ويرعى الذيب الغنم، وتنبت الأرض نبتها؛ لعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، وكذا الرمانة، وتملأ الأرض سلمًا، ولا قتال، فترخص الخيل لذلك، ويغلو الثور؛ لخرث الأرض كلها، ويكون مقررًا للشريعة لا ناصحًا ولا رسولاً لهذه الأمة، وهو نبي وصحابي؛ لاجتماعه برسول الله ﷺ في السماء بجسده المعهود، وهو أفضلهم.

وألغز التاج السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ فيه، فقال:

---

(1) رواه البخاري (3/ 1272)، والبيهقي (9/ 180).

(2) رواه أبو نعيم في «المسند المستخرج» (1/ 220).

مَنْ بِاتِّفَاقِ جَمِيعِ الخَلْقِ أَفْضَلُ مِنْ خَيْرِ الصَّحَابِ، أَبِي بَكْرٍ وَمِنْ عُمَرِ
وَمِنْ عَلِيٍّ وَمِنْ عُثْمَانَ، وَهْوَ فَتَى مِنْ أُمَّةِ المُصْطَفَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرِ

وذكر سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره المتين: إن له بسبب هذا الأمر حشرين: فيحشر معنا - أمة محمد ﷺ - ويحشر في قومه، انتهى.

بمعناه: ومدة مكثه في الأرض، فقيل: يمكث أربعين سنة، وقيل: خمسًا وأربعين، وفي رواية: سبع سنين، ثم يتوفاه الله عند حجه وزيارته النبي ﷺ، ويدفن في السهوة الشرقية كما في «متن الدلائل»، الذي أورد بصيغة التمريض، فقال: يقال - والله أعلم - أن عيسى ابن مريم يدفن فيه، قال شارحها: بعد نزوله إلى الأرض وموته.

وفي «العارضة» لابن العربي: روي أن عيسى عليه السلام ينكح امرأة من بني غسان، اسمها راضية، ويدفن مع النبي ﷺ في البيت، وهناك موضع قبر، يقال: إنما بقي له، انتهى.

وفي «الإشاعة» ورد أنه يتزوج بعدما ينزل، ويولد له، ثم قال: وأخرج الترمذي وحسنه، وابن عساكر عن عبد الله بن سلام قال: «**مكتوب في التوراة صفة محمد ﷺ، وعيسى ابن مريم يدفن معه**»[1].

وأخرج البخاري في «تاريخه»، والطبراني وابن عساكر عنه، قال: «**يدفن عيسى ابن مريم عليه السلام مع رسول الله ﷺ وصاحبيه ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فيكون قبره رابعًا**»[2]، انتهى.

ثم قال صاحب «الدلائل» وكذلك جاء في الخبر عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض، فيتزوج ويولد له، ويمكث خمسًا وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري، وأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد، بين أبي بكر وعمر**»[3]، ذكره في «المواهب»، وقال: كذا ذكره في «تحقيق النصرة»، والله أعلم، انتهى.

ونحوها لابن الجوزي وللقرطبي في «تذكرته»، وفي «فتاوى» السيوطي ورد في الحديث: «**إن عيسى عليه السلام يمكث سبع سنين**»[4]، وفي رواية: «**أربعين، وأنه يتزوج ويولد**

(1) رواه الترمذي (5/ 588). (2) ذكره ابن حجر في اللسان (13/ 308).
(3) ذكره الذهبي في «الميزان» (4/ 281).
(4) رواه ابن حبان (15/ 159).

له، ويدفن عند النبي ﷺ»[1]، ثم قال: قال الجلال السيوطي في «تكميله لتفسير الجلال المحلي»: فيحتمل أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده، انتهى.

وقد روي: «إنه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة»[2]، وضعف ابن حجر دفن عيسى عليه السلام مع نبينا ﷺ، انتهى.

ومن خصائصه: إن الشيطان لم يطعنه كأمه؛ لحديث: «كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه، إلا مريم وابنها»[3]، رواه مسلم عن أبي هريرة، وفي رواية: «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعيه حين يولد، غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب»[4]، رواه البخاري عن أبي هريرة، وعنه ﷺ: «لم يتكلم في المهد إلا عيسى، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وابن ماشطة فرعون»[5]، رواه الحاكم عنه، وعنه ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولاد علات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»[6]، رواه أحمد والشيخان وأبو داود عنه.

وعنه ﷺ: «من أدرك منكم عيسى ابن مريم فليقرئه مني السلام»[7]، وعنه ﷺ: «تلقى عيسى حجته في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: 116]، فلقنه الله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: 116] الآية كلها»[8]، رواه الترمذي عنه.

(روحة الموجود): بأمر منك، قال القاضي ﷺ: عند قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [التحريم: 12]: من الحلال والحرام، يعني مريم، فنفخنا، أي: عيسى عليه السلام، أي: أحييناه في جوفها، وقيل: ففعلنا النفخ فيها من روحنا، (رُوحِك): من الروح الذي بأمرنا وحده، أو من جهة روحنا جبريل، انتهى.

(وإسْحَاق): بن إبراهيم عليهما السلام، وهذا الاسم أعجمي، قال في «المختار»:

(1) ذكره ابن كثير في تفسيره (1/ 584).
(2) ذكره ابن كثير في تفسيره (1/ 584).
(3) رواه البخاري (4/ 1655).
(4) رواه البخاري (11/ 64).
(5) رواه مسلم (4/ 1977) بنحوه، رواه أحمد (1/ 303).
(6) رواه البخاري (3/ 1270) بنحوه.
(7) رواه الحاكم في المستدرك (4/ 587).
(8) رواه الترمذي (5/ 260).

إسحاق اسم رجل، فإن أردت به الاسم الأعجمي لم تصرفه في المعرفة؛ لأنه غير عن جهته، فوقع في كلام العرب غير معروف المذهب، وإن أردت المصدر من قولك: أسحقه السفر إسحاقًا صرفته؛ لأنه لم يتغير، انتهى.

(ذَبِيحِك): جاء في الحديث: «**الذَّبيح إسحاق**»[1]، قال المناوي ـ رحمه الله تعالى: أخذ به الأكثر، وأجمع عليه أهل الكتابين، وعزي لثلاثين من الصحب وتابعيهم أو يزيدون، واختاره ابن جرير وجزم به في «الشفاء»، لكن سياق الآية شاهد لكونه إسماعيل؛ إذ هو الذي كان بمكة، ولم يُنقل أن إسحاق كان بها، ورجحه معظم المحدثين.

قال الحليمي: إنه الأظهر، وأبو حاتم: إنه الصحيح، والبيضاوي: الأظهر، وابن القيم: الصواب، قال: والقول بأنه إسحاق باطل من نيف وعشرين وجهًا.

قال بعضهم: ويدل لكونه إسماعيل أنه سبحانه **وصفه بالصبر** دون إسحاق، فدل على أنه الصبر على الذبح، **ويصدق الوعد** فدل على أن المراد به وعد بالصبر على ذبح نفسه، ومن ثم قيل لرسول الله ﷺ: ابن الذبيحين، انتهى.

وقال الشيخ علي السخاوي ـ رحمه الله الباري ـ في «الكوكب: شرح الجامع الكبير»: ولم يرد في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة ما يدل على أن الذبيح إسحاق أو إسماعيل، وأما ما يروى من قوله ﷺ: «**أنا ابن الذبيحين**»[2] فخارج عن الأخبار الصحيحة، وفي التوراة: إن الذبيح إسحاق.

ثم أورد بعض أقوال بعض العلماء على أن الذبيح إسماعيل، ونقل سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره ـ في نصوصه: إن الذبيح إسحاق، وقال في «مسامراته»: وأما إسحاق عليه السلام فأصح الروايات أنه الذبيح، ولما عرضه للذبح كان ابن سبع سنين، وكان مذبحه في بيت إيليا، ولما علمت سارة بما أراد إبراهيم عليه السلام بإسحاق من الذبح أخذها البَطن من الجزع يومين، وماتت في الثالث، وقيل: كان ابن ست وعشرين سنة، ولما بلغ عمر إسحاق ستين سنة ولد له العيص ويعقوب، وكانا توأمين، فولد العيص الروم، وكل بني الأصفر من ولده، وقيل: إنما سموا بني الأصفر لأن العيص كان أصفر، وولد

(1) رواه الحاكم في المستدرك (2/ 609).

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 230).

يعقوب الأسباط، وعاش عليه السلام مائة وثمانين سنة، وكان ضريرًا، وكانت وفاته في السنة التي استوزر فيها يوسف بمصر، ودفن عند قبر أبيه عليه السلام، انتهى.

وعنه ﷺ: «**أكرم الناس يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**»(1).

قال المناوي في «شرحه الكبير»، ورواه الطبراني عن أبي الأحوص، وزاد بعد إسحاق: ذبيح الله، وبعد إبراهيم: خليل الله، انتهى.

(**وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِم**) أي: إخوان هؤلاء المذكورين، (**مِنَ الأَنْبِيَاءِ والْمُرْسَلِين**): المختلف في عدتهم؛ لما في حديث الأمين: «**كان فيمن خلا من أخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي، ثم كان عيسى ابن مريم، ثم كنت أنا بعده**»(2)، رواه الحاكم، وتعقب عن أنس، وعنه ﷺ: «**النبيون مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، والمرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر، وآدم نبي مكلم**»(3)، رواه الحاكم والبيهقي عن أبي ذر، ومن رواية أحمد والطبراني وابن حبان والحاكم وابن مردويه والبيهقي، عن أبي أمامة قال: قلت يا رسول كم عدة الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربع وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًا غفيرًا**»(4).

(**وَالحَمْدُ لله ربِّ العَالَمِين**): على نعمة مناجاته بالأذكار والدعوات اللسانية، ومنه مناجاته بالأنوار والأسرار الجنانيَّة للأطوار الجنانية، جاء في الحديث الشريف: «**الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبده لا يحمده**»(5) رواه عبد الرزاق في «الجامع»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمر، وعنه ﷺ: «**ما أنعم الله تعالى على عبد نعمة فقال: الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ**»(6)، رواه ابن ماجه عن أنس، وفي رواية: «**ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها، إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة، وإن عظمت**»(7)، رواه الطبراني عن أبي أمامة، وعنه ﷺ: «**لو أن الدنيا كلها بحذافيرها بيد رجل من أمتي، ثم قال: الحمد لله، لكان الحمد أفضل من ذلك كله**»(8)، رواه ابن عساكر

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 90).
(2) رواه الحاكم في المستدرك (2/ 653).
(3) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (11/ 482).
(4) رواه أحمد (5/ 265).
(5) رواه البيهقي في شعب الإيمان (4/ 97).
(6) رواه ابن ماجه (2/ 1250).
(7) رواه البيهقي في شعب الإيمان (4/ 98).
(8) ذكره المناوي في فيض القدير (5/ 304) بنحوه.

عن أنس ﷺ.

وعنه ﷺ: «ما أنعم الله على عبد من نعمة فقال: الحمد لله، إلا أدى شكرها، فإن قالها الثانية جدد الله له ثوابها، فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه»(1)، رواه الحاكم والبيهقي عن جابر، ووجه مناسبة هذا الختام للأقسام، والدعاء المسطر في أول النظام أن:

الحمد رأس الشكر، وأهل الذكر هم أرفع أقسام طوائف المقربين للملك العلام؛ لأن الله تعالى جعلهم ختام آية: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ [الأحزاب: 35] إلى التمام، فناسب إلحاق الذكر المطلق للذكر المقيد للسر الأجمع الأوفق، والحمد الجميل: هو الثناء الجميل على الجميل، وأهل الذكر للوكيل لا يفترون عن الثناء الموجب لهم التكميل، وهذا الختام آية من القرآن، والذكر: القرآن، وأهل القرآن أهل الله، فحصلت المناسبة، ولنشرع الآن في التكلم على القصيدة الميمية بعون رب البرية، وهي:

ثُمَّ يَشْرَعُ فِي قِرَاءَةِ القَصِيدَةِ المِيمِيَّةِ لِلْمُؤَلِّفِ وَهِيَ هَذِهِ:

إِلَهِي بِأَهْلِ الذِّكْرِ وَالمَشْهَدِ الأَسْمَى ... بِمَنْ عَرَفُوا فِيكَ المَظَاهِرَ بِالأَسْمَا

بِنُورٍ بَدَا فِي غَيْهَبِ الوَهْمِ فَانْجَلَى الـ ... ـظَلَامُ وَذَاكَ النُّورُ مَا خَلْفَهُ مَرْامَى

بِسِرٍّ مَقَامَاتٍ يَجِلُّ لِعُظْمِهَا ... عَنِ الوَصْفِ إِذْ فِي وَصْفِهَا حُيِّرَ الفَهْمَا

بِكُلِّ خَلِيلٍ قَدْ خَلَا عَنْ شَوَائِبٍ ... وَكُلِّ جَلِيلٍ قَدْ جَلَا نُورُهُ الظَّلَمَا

بِعَرْشٍ بِفَرْشٍ بِالسَّمَاوَاتِ بِالعُلَا ... بِمَا قَدْ حَوَى قَلْبُ المُحَقَّقِ مِنْ رُحْمَا

بِأَسْرَارِكَ الَّلاتِي سَتَرْتَ جَمَالَهَا ... فَلَمْ يَرَهَا إِلَّا فَتًى فِي الهَوَى تَمَّا

بِبَدْرٍ أَتَى يَهْدِي الأَنَامَ لِحَيِّكُمْ ... فَكَمْ فَازَ بِالخَيْرَاتِ مَنْ رَكْبُهُ أَمَّا

بِأَهْلِ الفَنَا وَالسُّكْرِ وَالصَّحْوِ وَالبَقَا ... بِكُلِّ مُحِبٍّ فِي مَحَبَّتِكُمْ هَمَّا

بِكُلِّ مُرِيدٍ طَالِبٍ لِجَنَابِكُمْ ... فَلَمْ يَعْرِفِ الأَحْزَانَ فِيكُمْ وَلَا الهَمَّا

(1) رواه الحاكم في المستدرك (1/ 688).

هذه القصيدة من بحر الطويل، وهو أول بحر من الدائرة المختلفة، وهذا البحر له عروض واحدة وثلاثة أضرب، وأجزاؤه ثمانية، قال شارح «الخزرجية» الشيخ محمد المخزومي الدماميني ـ رحمه الله تعالى: أقول: سُمِّي طويلاً؛ لأنه تام الأجزاء، سالم من الجذ والشطر والنهك.

قال الخليل: ومعناه أنه طال بسبب تمام الأجزاء، وقال الزجاج: لأن أكثر الشعر عدد حروفه؛ لمجيئه على أصله، وثمانين، وأربعين حرفًا؛ لوقوع الأوتاد أول أجزائه، وهي أطول من الإبـاب، ونقضه الصفاقسي بالوافر والهزج والمضارع، وجوابه: إن القياس في الأعـلام في اللغـة ممتنع اتفاقًا على ما قرر في أصول اللغة، وهذا البحر مبني في الدائرة على هذه الصورة:

فَعُـولُنْ مَفَاعِـيلُنْ فَعُـولُ مَفَاعِـيلُنْ فَعُـولُنْ مَفَاعِـيلُنْ فَعُـولُ مَفَاعِـيلُنْ

انتهى.

ولْنُقَطِّع هذا البيت؛ ليقاس عليه غيره، وصورته:

إِلَهِي/ بِأَهْـلِ الذِّكْ/ رِ وَالمَشْ/ هَدِ الأَسْمَى مَـنْ عَ/ رَفُـوا فِـيكَ الـ/ مَظَـاهِ/ رَ بِالأَسْـمَا

فعولن/ مفـاعيـلن/ فعـولن/ مفـاعيـلـن فعـولُ / مفـاعيـلن / فعولُ / مفـاعيـلن

أي: أتوسل إليك بأهل الذكر عليك، فإنه لا يُقْسَمُ عليه تعالى إلا بصفاته، وجوز البعض القسم بمحمد ﷺ خير مخلوقاته، والذكر: إما أن يُراد به القرآن، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ [الحجر: 9]، وفي الحديث: «**أهل القرآن أهل الله وخاصته**»(1)، وفي رواية: «**أهل القرآن عرفاء أهل الجنة**»(2)؛ ولذا لن يراد به مطلق الذكر، فيعم كل تسبيح واستغفار وصلاة على النبي ﷺ، وقرآن ودرس علم وحُلُقُ ذِكْرٍ بأي اسم كان، فيُستحب التوسل إذًا بكل ملك؛ لأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وبكل نبي وولي فإنهم لا يغفلون، وهو في اللغة: الصيت والثناء، قال الله تعالى: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ [ص: 1].

---

(1) رواه ابن ماجه (1/ 78).

(2) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (2/ 87).

أي: ذي الشرف، فيقع التوسل بكل من ذكر؛ لأنهم أهل الشرف الأكمل، ويصدق على كل ذي عرف أجل وغرف أشمل، وهؤلاء القوم هم الذين رؤيتهم توقظ القلب من النوم، وهؤلاء أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله، كما رواه الحكيم عن ابن عباس، وفي رواية له عن أنس: «**أفضلكم الذين إذا رُؤوا ذكر الله لرؤيتهم**»[1]، وفي أخرى له عن ابن عمر: «**وخياركم من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، ورغبكم في الآخرة عمله**»[2]، وعنه ﷺ: «**خياركم الذين إذا رؤوا ذُكر الله بهم، وشراركم الماشون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون البراء العنت**»[3]، رواه البيهقي عن ابن عمر، وفي رواية: «**خيار أمتي الذين إذا رؤوا ذكر الله، وشرار أمتي..**»[4] الحديث.

قال المناوي ـ رحمه الله تعالى: إذا نظر الناس إليهم ذُكِرَ برؤيتهم، يعني أن رؤيتهم مذكرة بالله وبذكره مما يعلوهم من البهاء والإشراق والهيبة وحسن السمت، وفي النهاية العنت: المشقة والفساد والهلاك والإثم والغلط والرياء، والحديث يحتمل كلها، والبرء: جمع بريء، وهو العنت، منصوبان مفعولان للباغون، وبغيت الشيء: طلبت، وقال عند الكلام على الحديث الذي قبل هذا: زاد أبو الشيخ في روايته في «التوبيخ»: يحشرهم الله في وجوه الكلاب، انتهى، أي: في وجوه كوجوه الكلاب، أوحى الله إلى موسى: «**إن في بلدك ساعيًا بالنميمة، ولست أمطرك وهو في أرضك، فقال: يا رب دُلَّني أُخرجه، قال: يا موسى إني أكره النميمة، وأنم! فأقبح بخصلة تفضي إلى حبس قطر السماء**»[5]، انتهى.

وقد أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بسؤال أهل الذكر، أي: العلم، وهو على قسمين: كسبي، ووهبي:

وأهل العلم الوهبي: أعلى؛ لأن الله هو المتولي تعليمهم؛ لقوله: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾[البقرة: 282]، ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف: 65]، فسؤالهم

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 138) بنحوه، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (2/ 41).

(2) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (2/ 39).

(3) رواه ابن عبد حميد في مسنده (1/ 457).

(4) رواه البزار في مسنده 4-9(7/ 158).

(5) ذكره المناوي في فيض القدير (3/ 465).

لأنهم بتعليم الله أعلم من غيرهم؛ لتنور قلوبهم بنور قلبه وحبه ومشاهدته، وذكره بالمجموع، دون تخلل، مع استصحاب الذكر والخضوع.

قال الهمام بن العربي: بلغني الله به إربي، وإذا شعر الإنسان - قلبه - ذكر الله دائمًا في كل حال لا بدَّ أن يستنير قلبه بنور الذكر، فيرزقه ذلك النور الكشف، فإن بالنور يقع الكشف.

وقال: الذاكرون أعلى الطوائف مطلقًا، ولهذا ختم الله بذكرهم صفات المقربين من الله، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ [الأحزاب:35] إلى أن ختم بقوله: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب:35]، وما ذكر بعد الذاكر شيئًا، والذكر من نعوت كونه متكلمًا، وهو نفس الرحمن الذي ظهرت فيه حقائق حروف الكائنات، والذكر لله تعالى على أقسام: وأول من يكون باللسان، ثم بالجنان، ثم بالأركان، ويقع في النفس، ثم في الروح، ثم يكون بالعقل، ثم بالسر، ثم بالخفي، ثم بالأخفى بالمجموع، وما عدا الذكر اللساني فبالملاحظة من غير حركة ظاهرة، ويصدق على ما عداه بأنه ذكر خفي، وفي الحديث: «**خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي**»[1]، رواه أحمد وابن حبان والبيهقي عن سعد، وعنه ﷺ: «**الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذي تسمعه الحفظة بسبعين ضعف أو تمامه**»[2] كما ذكره المناوي رحمه الله، فإذا جمع الله تعالى الخلق، وجاءت الحفظة بما كتبوا وحفظوا، يقول: «**انظروا هل بقي من شيء؟ فيقولون: ربنا ما تركنا شيئًا إلا أحصيناه وكتبناه، فيقول اللسان: لك عندي خبيء لا يعلم به أحد غيري، وأنا أجزيك به، وهو الذكر الخفي**»[3] رواه أبو يعلى والبيهقي والديلمي وغيرهم، ومن جملة أقسام ذكر الله: ذكر أحباب الله؛ لما جاء عن رسول الله ﷺ: «**ذكر علي عبادة**»[4] رواه الديلمي عن عائشة، ويقاس عليه بقية الصحابة والسادة.

والعبادة ذكرًا: هو أن يتناول لكل تهليل وتكبير وتوحيد وتمجيد وصلاة وتلاوة وتدريس، وكل قربة من عمل سري أو جهري، وعنه ﷺ: «**ذكر الأنبياء من العبادة، وذكر**

---

(1) رواه أحمد (1/ 172).
(2) ذكره المناوي في فيض القدير (3/ 570).
(3) لم أقف عليه.
(4) رواه الديلمي في الفردوس (2/ 244).

الصالحين كفارة، وذكر الموت صدقة، وذكر القبر يقربكم من الجنة»[1]، رواه الديلمي عن معاذ، وحقيقة الذكر دوام الحضور من غير تخلل غفلة وقصور، فإن تخلله سمي تذكرًا.

وأنشد سيدي وإمامي أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي ـ قدس الله سره:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَقُولُ: ذَكَرْتُ رَبِّي ... وَهَلْ أَنْسَى فَأَذْكُرُ مَا نَسِيتُهْ؟!

شَرِبْتُ الْحُبَّ كَأْسًا بَعْدَ كَأْسٍ ... فَمَا نَفِدَ الشَّرَابُ وَلَا رُوِيتُ

وأنشد أبو جحفة رديف الشبلي ـ قدس الله سره:

ذَكَرْتُكَ لَا أَنِّي نَسِيتُكَ لمحبَّةٍ ... وَأَيْسَرُ مَا فِي الذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَانِي

وَكُنْتُ بِلَا وَجْدٍ أَمُوتُ مِنَ الْهَوَى ... وَهَامَ عَلَيَّ الْقَلْبُ بِالخَفَقَانِ

لَمَّا أَرَانِي الْوَجْدُ أَنَّكَ حَاضِرِي ... شَاهَدْتُكَ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانِ

فَخَاطَبْتُ مَوْجُودًا بِغَيْرِ تَكَلُّمٍ ... وَلَاحَظْتُ مَعْلُومًا بِغَيْرِ عِيَانِ

ومن خصائص أهله: إنهم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، وإن أهله معانون على كل ما يطلبون من الحوائج؛ لقوله ﷺ: «أكثر ذكر الله؛ فإنه عون لك على ما تطلب»[2] رواه عن عطاء بن أبي مسلم مرسلاً، وإنهم يردون الغنيمة خفافًا لوضع الذكر أثقالهم، وإنهم إذا رؤوا ذكر الله، وإنهم إذا اجتمعوا عليه وتفرقوا عنه قيل لهم: قوموا مغفورًا لكم، وإنهم أهل الطاعة لله والحب في الله، المبرؤون من النفاق، تنزل على مساكنهم السكينة، وتحف بهم الملائكة، وتغشاهم الرحمة، ويذكرهم الله فيمن عنده، وفي رواية: «على عرشه»، وإن بقعهم تفتخر عن غيرها من البقاع، وتستبشر بذكر الله إلى منتهى سبع أرضين، وإنهم أهل الكرم؛ لحديث: «يقول الرب ﷻ يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم، قيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر في المساجد»[3]، وإن الصواعق والبلايا تتخطاهم، وبهم تصرف، وإنهم يعطون فوق ما يعطى السائلون؛ لاشتغالهم

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (3/ 564).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (1/ 456).

(3) رواه أحمد (3/ 68).

بالذكر عن المسألة، وإن الأذكار لها صور ذات أنوار يتعاطفهن حول العرش، لها دوي كدوي النحل، يذكرن بصاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن لا يزال له عند العرش شيء يذكر به، كما جاء في «الجامع الكبير»، وإن الله تعالى يذكرهم بذكرهم إياه، وفي الخبر على ما نقله صاحب «الرسالة»: إن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: «**إن الله يقول: أعطيت لأمتك ما لم أُعط أمة من الأمم، فقال: وما ذاك يا جبريل؟ قال قوله: (اذكروني أذكركم)، لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة**»(1)، وقال فيها: وقيل: «**إن الملك يستأمر الذاكر في قبض روحه**»(2)، وفي بعض الكتب: إن موسى عليه السلام قال: يا رب أين تسكن؟ فأوحى الله تعالى إليه: «**في قلب عبدي المؤمن**»(3)، ومعناه: سكون الذكر في القلب، فإن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ منزه عن كل سكون وحلول، وإنما هو إثبات ذكر وتحصيل علم.

ثم قال مسندًا إلى الجنيد: سمعت السري يقول: مكتوب في بعض الكتب التي أنزل الله: إذا كان الغالب على عبدي ذكري عشقني وعشقته، ثم قال: وقيل: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صُرِع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فتجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟! فيقول: قدسه الإنسي بالذكر، انتهى.

ومن **خصائص أهل الذكر**: إن الساعة لا تقوم وهم على وجه الأرض، يقولون: الله.. الله، وهم لا وحشة عليهم عند الموت، ولا عند النشر، وإنهم في الغافلين بمنزلة الصابرين في الغازين، وهم فيهم كالمصباح في البيت المظلم، والذاكر فيهم يُعرف له مقعده، ولا يعذب بعده، وله من الأجر بعدد كل فصيح وأعجمي، وينظر الله إليه نظرة لا يعذبه بعدها أبدًا، وللذكر خصائص كثيرة، ونتائج كبيرة، منها:

إنه منور الولاية وقوت أرواح الهداية، والنار المحرقة وللأغيار والمذهبة للآثار، وهو مطردة للشيطان ومرضاة للرحمن، يذهب النيح ويجلب الفرح، يهج القلب والوجه بنوره، ويسهل الرزق ويسره، ويكسو المهابة ويدني الإصابة، ويورث المراقبة والإنابة، ويفتح باب القرب والإجابة، ويحيط الذنوب ويرفع الحجب عن المحجوب، وينفي

(1) لم أقف عليه.

(2) ذكره القشيري في الرسالة القشيرية (1/ 102).

(3) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 174) بنحوه.

الحسرة والندامة، ويدفع الحجب يوم القيامة، وهو سبب للعتق من النيران والأمان، وذكر الرحمن، ويعدل عتق الرقاب ويوجب الاقتراب من رب الأرباب، وينوب عن سائر الأعمال، ويقوي الجوارح ويخفف الأثقال، وهو يُذهب الأجزاء النابتة من تناول الشبهات أو الحرام، ولا وقت له، ولم يرد النص إلا بالإكثار منه، وصاحبه جليس السلام، وله من اللذات ما يفوق على المطعومات والمشروبات، ووجه الذاكر وقلبه يكسى في الدنيا نضرة وسرورًا، وفي الآخرة وجهه أشد بياضًا من القمر نورًا، والذاكر حي وإن مات، وبضده الغافل فإنه من جملة الأموات، والذكر يورث الري من العطش عند الموت، والأمن عند خوف الفوت، وله فوائد شتى توجب النجاح، انتهى.

ملخصًا من «مفتاح الفلاح وقواعده» شيخ مشايخ طريقنا العلية الجنيد البغدادي ـ قدس الله سره الزكية : وكنا من أركان الطريق الثمانية، وذكرتهم في «الأرجوزة» التي سميناها بلغة المريد، ومشتهى موقف سعيد، وكذلك آدابه العشرين.

واعلم أن ليس كل ذاكر حاضرًا، ولا كل حاضر مقرب لسنى المحاضر، ولا كل مقرب محبوب، ولا كل محبوب موهوب، ولا كل موهوب مكلم، ولا كل مكلم معلم، ولا كل معلم على أهل عصره مقدم، ولا كل مقدم له مقاليد المملكة تُسَلَّم، ولا كل مُسَلَّم له العوالم عن أمر تستخدم، ومن خدمته العوالم فهو الخليفة الأعظم.

وأول ما يكون الذكر باللسان؛ لأنه طريق الذكر الشهودي، فإذا حصل استغنى به، كالمدلول إذا حصل استغنى به عن الدليل، ولا يترك الذكر اللساني جملة لأجل تنوير الجوارح الظاهرة، ولإقامة العدل، ولإعطاء كل ذي حق حقه، لا سيما إن كان الذاكر ممن يُقتدى به، ولو في بعض الأحيان، فإن المشاهد إذا ذكر الله تعالى ذكر من خلف حجاب العزة، الذي لا يرتفع دنيا وآخرة، وقد ذكرنا طريقة الذكر القلبي على طريق السادة النقشبندية في الألفية، والذكر الجهري عندهم رخصة، والخفي عزيمة، وعندنا في الأول: الجهري هو العزيمة، ثم بعد تمكينه من القلب يصير رخصة، ويلقنون المريد اسمين: الأول والثاني، إن كان يحتاج إلى مجاهدة، وإلا لقنوه الثاني فقط، وربما لقن بعض فرقهم الثالث، وأهل طريقتنا يلقنون المريد سبعة أسماء، وخلوصة الشام اثنا عشر، ويعيدونها له دورًا أولاً وثانيًا وثالثًا، ونحن نقتصر على الدور الأول، وعلامة تمكنه أن يجري على اللسان من

غير قصد في حال الغفلة.

وعلامة ذكر القلب سماع ذكره أحيانًا بأذن الجسم، وسماع ذكر الجماد؛ لأنها تذكر مع ذكر القلب، وعلامة ذكر الروح حصول فتوح، يحقق في معنى، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ويحقق في توحيد الأفعال، وعلامة ذكر السر انجذاب القلب إلى حضرات الرب، جذبًا مدركًا لصاحبه من طريق الذوق والوجدان، ويحقق في توحيد الأسماء، وعلامة ذكر الخفاء تحقق صاحبه بمقام الفناء، وتوحيد الصفات ليبلغ المنى، وعلامة ذكر الإخفاء التحقق بالفناء عن الفناء، وتوحيد الذات لتكمل له اللذات، وعلامة ذكر الجملة التحقق بالبقاء مع الفناء، وببقاء البقاء بعد الفناء، والعثور على كنز معرفة ذات الذات بعد معرفةالصفات، وأسماء الذات المشهد الأسماء، ولكل ذكر من هذه الأذكار عوالم تذكر مع صاحبها بأمر القهار، ومن الذاكرين من يذكر بنفسه، وهو المحجوب، ومنهم من به وهو المرغوب، ومنهم من يذكر ربه امتثالاً لأمره في: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾[الأنعام:91]، فاعلم أنه لا إله خطابًا لمن أقسم بعمره، وإذا قوي الذكر القلبي تضرر من اللساني، فيغنى بتركه إلا في المفروضات، فإن الذاكر لا يتركه فيها، وقال شيخ شيخنا قرة باش علي آفندي ـ قدس الله سره ـ في «رسالته» التي جعلها في جواز الدورات في الذكر: فالصوفي بعد الذكر الجهري يصل إلى مقام فيه ينسى ما سواه، فيحفر له سلطان القهر من حضرة اسمه تعالى القهار، فينعقد نفسه، فلا يبقى مشهودًا له إلا هو، بحسب ما يتجلى له، فما يقدر شيئًا، أي: وجود شيء من المحسوسات والمعلومات والجزئيات والكليات، ويقال لذلك المقام: الغيبة والحضور، أي: عن غير الله، والحضور مع الله، فكيف يذكر الغائب عن وجوده بمشهوده اللسان؟ لا يكون هذا؛ لأن اللسان فان، وإذًا فهذا ذكر خفي، ممدوح عند الله والناس، لا يعرفه ملك ولا مخلوق، أي: لأن ما ثَمَّ غير الله، فلا يعرفه إلا الله، والخليقة الأعظم المحمول، ولكامل الإنسان الكامل، فالنتيجة أول ماتكون منه، أي: من الذكر الجهري اللساني هذا، أي: الذكر السري الخفي هو المطلوب، لا هذا اللساني، بل هذا، أي: الظاهر الجهري هوالمرغوب؛ إذ لا يتم هذا بدون هذا، بل هذا الجناني نشأ عن هذا اللسان الأركاني، يا من كلامه بلا لسان؛ لحديث: «فبي ينطق»[1]، أسمع الكلام ممن ليس له

(1) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (3/ أ 8).

لسان؛ لتجلي مقام الإحسان، فمن كان يشهد ذلك، أي: إنه لا لسان له، فلا ذكر له، فأين الجهر والخفاء واللسان؟ انتهى، مع بيان بعض ألفاظ.

وقد تكلمنا على الذكر وتركه في رسالة، وسميناها المدام: «المدام البكر في بيان أقسام الذكر»، و«ترك الذكر» وغيرها من الرسائل.

وقلت:

للذكر سر عجيب ... فيه المحب حبيب
أذواقه ليس تحصى ... للبعض ذات اللبيب
من حل يومًا فناه ... عنه المنى لا يغيب
له الجليس أنيس ... له المقام المهيب
من يترك الذكر هذا ... من دائه لا يطيب
وتارك الذكر حالا ... ل المشهود ذاك يصيب
فارجع لربك، واعمل ... بقوله: وأنيبوا
ومن ينادي لقرب ... أجب؛ لأمر: أجيبوا
واذكره سرًّا وجهرًا ... فهو القريب المجيب
واترك سواه تراه ... قلبًا، وليس تخيب
واقبل عليه، لترقى ... هذا الأدب الأديب

وقلت:

عَجَبًا تَدَّعِي بُدُونَ تَنَاهٍ ... حُبَّ فَرْدٍ وَالْقَلْبُ بِالْغَيْرِ لَاهٍ
لَازَمَ الذِّكْرِ عَلِيَّ بِذِكْرِكَ الحَقُّ ... فَتُسَمَّى مُسْتَيْقِظًا لَسْتَ سَاهٍ
سعد صب قَدْ أَسْعَدُوهُ بِذِكْرٍ ... فَغَدَا أَمْرٌ بِهَذَا الْكَوْنِ نَاهٍ
وَبِجِدٍّ سَفِينَةٍ قَدْ أَغْرَقَ ... حَتَّى أَفْنَى جَمِيعَ المَلَاهِي

وبعـزم غـلام خـط ولحـظ للـسوي ... قــد أبــاد دون الملاهــي

وَجِـدَارُ الْفُـؤَادِ مِـنْ فَـوْقَ كَنْـزٍ ... بِاحْـتِكَامِ لِقَامَــةٍ لأَكْوَاهــي

وَغَـدَا دَاخِـلاً حَظَائِـرَ ذِكْـرِ الـذِّكْـ ... ـرِ وَيُسْقَى مِـنْ أَكْـؤُوسِ الانْتِبَاهِ

يـتهادى فِي رَوْضَـةِ الْقُـدْسِ تِـيهًا ... بِافْـتِخَارٍ مَـا بَـيْنَ رَاهٍ وَمَـاهٍ

غَـيْرُ نَـاسٍ ذِكْـرَ الأَحِـبَّةِ ... صَرْفًـا بِجَمِيـعِ الأَجْـزَاءِ لا بِالـشِّفَاهِ

كَـيْفَ يَنْسَـى الكَئِـيبُ ذِكْـرَ قَـرِيبٍ ... خَـضَعَتْ فِي حِمَـاهُ شُـمُّ الجِـبَاه

وَبِـنُورِ الأَنْـوَارِ أَفْـنَاهُ عَـنْهُ ... ثُـمَّ أَبْقَـى لَـهُ فَمَـنْ ذَا يُبَاهِـي

وَتَــلأْلأْ نُـورُ الـتَّجَلِّي عَلَـيْهِ ... فَمَحَـى الـنُّورُ ظُلْمَـةَ الاشْـتِبَاهِ

وَحَمَـاهُ مِـنْ طَارِقَـاتِ اللَّـيَالِي ... وَدَعَـاهُ لَـهُ بِعِـزٍّ وَجَـاه

إِنَّ هَـذَا لَغَايَـةُ الْفَخْـرِ قُلُّـوا ... يَـا وُشَـاةً لَـنَا، فَعِـنْدَ التَّنَاهِـي

والْـزَمْ وَاهْـزِمِ الفِكْـرَ تَرْقَـى ... يَـا نَدِيمِـي وَتُقْـكُ كُـلَّ الدَّوَاهِـي

واسـتقم مـثل مَـا أُمِـرْتَ بِحَـقٍّ ... ثُـمَّ كُـنْ وَاهًـا بِحُسْبِ الإِلَـهِ

وَصَـلاَةٌ مَـعَ الـسَّلاَمِ عَـلَى مَـنْ ... شَرَفُ الْمَـدْحِ فِـيهِ لِلأَفْـوَاهِ

وَعَـلَى آلِـهِ الْكِـرَامِ وَصَـحْبٍ ... مَـا مُحِـبٌّ أَبْـدَلاهُ فَـاه

وَعَـلَى التَّابِعِـينَ مَـا صَـاحَ دَاعٍ ... مِـنْ بَعِـيدٍ يَـوْمًا بِـيَاهٍ وَيَـاه

(وَالْمَشْهَدِ الأَسْمَى)، أي: وبأهل المحضر الأرفع، فتشفع الذي يخص أهل الطراز الأخضر الأرفع، أرباب المشهد الذاتي الأجمع الأنفع، الذي مُدت لهم موائد الشهود فلا ترتفع، وقصرت الأيدي عن تطاول ثريا مقامهم فلا ترتفع، وإن رفعت ترفع (بِمَنْ عَرَفُوا)، أي: بالذين علموا، (فِيكَ)، أي: في حال شهودك وتجليك، وتعريفك لهم وتوليك وإسعادك، وقد يقال أن (في) بمعنى الباء، أي: بسبب، أو إمدادك بالتعريف وإسعادك بالتصريف.

(المَظَاهِرَ): مفعول، جمع مظهر، على وزن مفعل كمذهب، وهو نفس الظهور، أو زمن الظهور ومحله، كما قيل في مذهب، والظاهر من الممكنات وأمثال الأعيان الثابتة، ويُعَبَّر عنه بالمحالي والظلال.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [الفرقان: 45]، أي: الوجود الإضافي على الممكنات، قال السيد الشريف في «التعاريف»: والمظهر محل الظهور القابل لتجلي الرشيد الصبور، قال العارف الفارضي - قدس الله سره:

بَـدَتْ باحْـتِجابٍ واخْـتَفَتْ بِمَظاهِـرٍ ... عـلى صِبَغِ الـتَّلْوِينِ في كـلّ بَـرْزَةِ

وقال شيخنا الشيخ عبد الغني ـ منحه الله الفيض السني:

لـذاتي بـذاتي لا لكـم أنـا ظاهـرٌ ... ومـا هـذه الأكـوان إلا مظاهـرُ

وقلت في هذا المقام:

مِنَ النِّظَامِ بَدَتِ الحَقِيقَةُ بِالجَمَالِ الظَّاهِرِ ... تَجَـلَّى عَلَيْـنَا فِي بَدِيـعِ مَظَاهِـرِه

فَغَـدَا الْغَـوَاةُ طَـيْفَ وَجْـدٍ شَـاهِرٍ ... وَالدَّمْـعُ يَسْقِي أَرْضَ جَفْـنٍ سَاهِرِ

قَـدَرُ أُمِّ كِـتْمَانِ الْغَـرَامِ فَلَـمْ يطِـقْ ... وَيَحِـقُّ أَنْ يُـسَمَّى الهَـوَى بِالْقَاهِـرِ

بَاغِـي الـتَّدَانِي مِـنْ حِمـى مِـنْ جِنْسِهَا ... نَـادَاهُ بَاهِـي الحُـسْنِ: إِنَّـكَ بَاهِـرٌ

طهر لَهَا الأَحْشَاءَ لِكَي يمحى الْغِشَاءُ ... فَلَعَلَّهَـا تُجْـلَى لِقَلْـبٍ طَاهِـرِ

تَهَـتِ النُّهَـيَ تُنْهِـي غَـرِيبَ حَدِيـثِهَا ... إِلَّا إِذَا لَمْ يُـدرِكْ ذَلِـكَ ظَاهِـرِ

وَلَقَـدْرِهَا كُـلِّي بِقُـرْبِ بِقُـرْبِ خِـيَامِهَا ... لَمَّـا انْتَـشَقَت مِـنْهَا عَبِـيرُ عَبَاهِـرِي

مَـنْ كَـانَ يَـدْرِي مَـا الْمُـرَادُ بِوَصْـلِهَا ... وَطَـرِيقَةٌ تَهْـدِي مَقَـامَ الماهِـرِي

وَيسْرِ لِلـسِّرُّ الخَفِـيِّ سِرُّهُ ... فَالسِّرُّ عَـنْ جَهْـرِي سِرِّي نَاهِـرِي

وَيَـضن بِـالأَسْرَارِ ضِـنَّةَ جَوْهَـرِي ... هُـوَ عَـارِفٌ بِلَآلِـي وَجَوَاهِـرِ

يُـبْدِي المَعَـارِفَ عِـنْدَ كُـلِّ مُحقِّـقٍ ... وَلَـدَى الـسَّوِيِّ يَأْتِي بِعِلْمِ الظَّاهِرِي

ثُمَّ الصَّلَاةُ مَعَ السَّلَامِ عَلَى الَّذِي ... ود جاءنا بِزَوَاهِرِ وَزَوَاهِرِ

والآلِ وَالأَصْحَابُ والأَتْبَاعُ مَنْ ... نَالُوا بِرُؤْيَتِهِ شُهُودَ الظَّاهِرِي

(بِالأَسْمَاء): جمع اسم، أي: بمن علموا فيك المكنونات، باستعمال الأسماء الإلهية حتى تنورت بها قلوبهم، وأشرقت سرائرهم، فانفتقت جيوبهم، فعرفوا مبدأ الوجود ومنتهى القيود، وعلموا ما احتوى عليه الكون وانكشف لهم عن منازل الصون، أو أنهم علموا ما فيها وظهرت لهم ظواهرها وخوافيها بتجليات الأسماء فبالعليم علموا أسرارها، وبالظاهر ظهرت لهم أنوارها، وبالبصير شاهدوا أطوارها، وبالنور انجلت لهم شموسها وأقمارها.

ومن العارفين من عرف الجزء، ومنهم الكل، ومنهم العالم والاثنين، ومنهم الألف والألفين، ومنهم الذي يحوطه الله على عوالمه، ويكرمه بشهود سائر معالمه، وهو النادر القليل والفذ الذي ليس له مثيل.

ولما تنوعت الأسماء تنوعت آثارها، فأثر اسمه تعالى الرحمن غير اسمه المنتقم، وباختلافها تنوعت الثمار، فكل اسم له ثمرة ليست لغيره، وله أنوار وأسرار وتجليات رفيعة المنار، تكون بسبب استعداد الذاكر وصدقه، وقوة عوالمه الباطنية، وتوجهها في خلاصه، وها اختلاف بحسب الطبائع، بل الحروف لها ذلك لسر حسنه رائع، وكذا استعمال اسمه القهار يورث وهجًا وحرارة، تظهر في الجسد خراجًا، واسم الجليل يقمع العطش ويروي العليل، وذكر الصمد بعد أن تنقطع من الذاكر بذكره أنفاس سبعة، يكسب صرف حرارة الجوع، فاعرف لكل اسم طبعه.

ومن أخذ من الأسماء ما يناسبه من حيث طبيعته، ووافق عدده عدد اسمه كان اسم الله الأعظم في حقه وسهل باستعماله فتق رتقه، ورتق فتقه، ومن لم يجد ذلك في اسم، فليطلب في اسمين أو أكثر ليظهر بهذا السر الأكبر، ويحكى أن بعض مشايخ الطريق من أهل المعرفة والتحقيق، كان إذا جاء مريد إليه أجلسه بين يديه، وتلا الأسماء الحسنى عليه، وهو ينظر إلى وجهه، فأي اسم رآه أثر في وجوده انفعالاً لقنه له، ولو تعددت الأسماء لموافقتها له، فتورثه اعتدالاً وتمنحه كمالاً، ولما كان الذكر نورًا يحبو سرورًا، ويربو سره طهورًا، ناسب أن يتوسل المؤلف بالنور، ولذا قال أعظم الله له الأجور.

(بِنُورِ)، أي: بسر نور، وهو ضد الظلام، قال في «القاموس»: النور بالضم: الضوء أيًا كان شعاعه، جمعه أنوار ونيران، وقد نار نورًا، وأنار واستنار، ونور وتنور، ومحمد ﷺ، والذي يبين الأشياء، انتهى.

وهو اسم إلهي، ومعناه: الظاهر بنفسه المظهر لغيره، وقيل: مظهر الظاهر، المبين لذات كل شيء على أتم ما من شأنه أن يبين ويظهر.

قال القاضي ـ رحمه الله تعالى: النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً، وبواسطتها سائر المبصرات، كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما، وهو بهذا لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا بتقدير مضاف، كقولك: زيد كرم، بمعنى: ذو كرم، أو على تجوز بمعنى: منور السموات والأرض، وقد قرئ به، فإنه تعالى منورها بالكواكب، وما يُفيض عليها من الأنوار، وبالملائكة والأنبياء، أو مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم؛ لأنهم يهتدون به في الأمور، أو موجدهما، فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره.

وأصل الظهور هو الوجود، كما أن أصل الخفاء هو العدم، والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه، والذي به يدرك، أو يدرك، أصلها الباهرة لنقلها به، أو لمشاركتها له في توقف الإدراك عليه، ثم على البصيرة؛ لأنها أقوى إدراكًا، فإنها تدرك نفسها وغيرها، من الكليات والجزئيات، الموجودات والمعدومات، وتفوض في بواطنها، وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل.

ثم إن هذه الإدراكات ليست لذاتها، ولا لمفارقتها، فهي إذًا من سبب يفيضها عليه الله تعالى ابتداء، أو بتوسط من الملائكة والأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ، ولذلك سموا نورًا، ويقرب منه قول ابن عباس ﷺ: «معناه هادٍ من فيهما، فهم بنوره يهدون، وإضافته إليها؛ لدلالته على سعة إشرافه، ولاشتمالها على الأنوار الحسية والعقلية، وقصورًا لإدركات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما، والمدلول لهما»، انتهى.

وقال سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره المتين ـ في «فتوحاته» عند الكلام على حضرة اسمه تعالى النور:

النور نوران: نور العلم والعمل ... من نور مُوجِدِنَا الموصوف بالأزل

طلبت شخصًا عسى أحظى برؤيته ... من حضرتي صاعد العلة العلل

ولم أُعَرِّج على كون أمر به ... جثا، ولا كان ذا الكون من أملي

حتى مررت بشخص لست أعرفه ... فلم يزل مؤنسي فيه، ولم يزل

فقلت: ماذا؟ فقالوا: الحق؟ قلت لهم ... هذا الذي كنت أبغيه مع النحل

يدعي صاحبها عبد النور، قال الله: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: 35]، وقال في معرض الامتنان: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام: 122]، وما يمشي إلا بذاته، فعين وجوده عين نوره، وليس وجوده - أي: الذي به قيامه وقعوده - سوى الوجود الحق، فإنه قيامه وشهيده، وهو سبحانه النور، فهو يمشي في الناس بربه، أي: بتجليه عليه وندائه إليه، وهم لا يشعرون، أي: لغفلتهم عن شهود أنهم على الدوام بين يديه، كما قال: «إذا أحب عبدًا كان سمعه الذي يسمع به»، وذكر في الخبر جميع قواه وأعضاؤه، إلى أن قال: «ورجله التي يمشي بها»[1]، وما مشى في الناس سواه برجله في حال مشيه بربه؛ إذ لا حول ولا قوة إلا بالله، فهو الحق، أي: الممد لعبده في كل حركة وسكون، ليس غيره يقول للشيء: كن فيكون، وإن قال فبإذنه وأمره، قال: فما قال غيره فأزال بنوره ظلمة حدوث الكون، فإنه ما حدث شيء، أي: من حيث إن الأعيان الثابتة في العلم ما شمت رائحة الوجود في العين ولا عين الممكن، ما زال في مشيته ثبوت ما له وجود، وإنما ذلك حكم عينه في الوجود الحق، فقال تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: 9] هو قوله فيمن لا يعلم: ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: 122] وهو ما لقي من مشيته ثبوتها، لا حكم في الوجود الحق، فهو في الظلمات حتى يظهر، فيبقى غيرها كذلك ممن لا يعلم حتى يعلم، فيلحق بأصحاب النور، ولا به أن ينفر من لا يعلم، فنور الوجود ينفر ظلمة العدم، ونور العلم ينفر ظلمة الجهل.

ثم تعلم أن الأنوار - وإن اجتمعت في الإضاءات والتنفير - فإن لها درجات في

(1) رواه البخاري (5/ 2384).

الفضيلة، كما أن لها أعيان محسوسة، كنور الشمس والقمر، والسراج والنار والبرق، فكل نور محسوس ومنور، أو أعيان معقولة: كنور العلم ونور الكشف، وهذه أنوار البصائر والأبصار، وهذه الأنوار المحسوسة والمعنوية على طبقات، يفضل بعضها بعضًا، فيقول: عالم وأعْلَم، ومدرك وأدْرَك، كما تقول في المحسوسات: نيِّر وأنور، وأين نور الشمس من نور السراج؟! كما يتفاضل في الإحراق، فإن الإضاءة محرقة مذهبة على قدر قوة النور وضعفه، وقد ورد حديث السبحات، والسبحات والأنوار الوجهية هنا، يقول: إنه بالحجب، قيل: هذا العالم، فإذا ارتفعت الحجب لاحت سبحات الوجه، فذهب اسم العالم، وقيل: هذا هو الحق، وهذا لا يرتفع عمومًا، فلا يرتفع اسم العالم، لكن قد يرتفع خصوصًا في حق قوم، ولكن لا يرتفع دائمًا في السر؛ لما عليه من جمعية الوجود، وما ارتفع إلا في حق العالمين، وهم المهيمون الكرويون، وهذا في الشر في أوقات:

إذا كان عين العبد فالعبد ناظر ... وإن كان سمع الحق فالحق سامع

فما الأمر إلا بين فرض ونفلة ... واقت، وعين الله للحق جامع

فحق وخلق لا يزال مؤيدًا ... فغطي وجود العين وقتًا، ومانع

إذا كان عين العبد، فالليل حالك ... وإن كان عين الحق، فالنور ساطع

فما أنت إلا بين مشرق ومغرب ... فشمسك ما غرب وبدرك طالع

وأما (النور على النور): فهو النور المجهول على النور الذاتي، فالنور على النور هو قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۖ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ [النور:35]، وهو أحد النورين، والنور الواحد من النورين مجعول، يجعله الله على النور الآخر، فهو حاكم عليه، والنور المجعول عليه هذا النور ملتبس به، مندرج فيه، فما حكم إلا للنور المجعول، وهو الظاهر، وهذا حكم نور الشرع على العقل، فليس له سوى التسليم فيه، وليس له سوى ما يصطفيه، فإن أولته لم تحظ منه بعلم في القيمة ترتضيه، فتحشر في ظلمة جهلك، ما لك نور تمشي به ولا يسعى بين يديك، لترى أين تضع قدميك ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40] ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:52]،

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام:122]، جعلنا الله من أهل الأنوار المجعولة، آمين، انتهى.

واعلم أن الأنوار مطايا القلوب إلى علام الغيوب، ومطايا الأسرار إلى حضرات الجبار، وهي التجليات العرفانية والواردات الربانية، وكلها دالة على الله هادية إليه، وأعظم الأنوار دلالة على العزيز الجبار أشرف داع مختار البشير النذير السراج المصباح المنير المعلوم الشهير، ومن أسمائه: نور، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾ [المائدة:15]، قال شارح «الدلائل» قيل: محمد ﷺ، وقيل: القرآن، فهو ﷺ نور الله الذي لا يطع يطفأ، ويأبى الله إلا أن يتم الله نوره، ولا يشكل على تفسيره بالنبي ﷺ إفراد الضمير بعده في قوله: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[المائدة:16] مع تغايرهما عطفهما بالواو، أو كما قيل، أو كما قيل؛ لأن الضمير راجع إليهما معًا باعتبار المذكور، أو لأنهما كالشيء الواحد، وهداية أحدهما عين هداية الآخر، قد صرح القرافي بجواز مثله جوازًا مطردًا، وبه ورد القرآن في آيات كثيرة، وقال الله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ [النور: 35] الآية، وقال كعب وابن جبير وسهل بن عبدالله: المراد بالنور الثاني هو محمد ﷺ، انتهى.

ومن أسمائه ﷺ: النجم الثاقب، والماحي ظلام الكفر بنوره، والعاقب وأول ما يحمل التوسل في هذا البيت عليه؛ إذ هو المصباح نور الوجود.

(بَدَا)، أي: ظهر، قال في «القاموس»: بدا بدوًا وبدو، وبداة، وبدوًّا: ظهر وأبديته، وبدواة الشيء: أول ما يبدأ منه، وبادي الرأي: ظاهره، وبدا له في الأمر بدوًا وبدوًّا، وبداة: نشأ له فيه رأي، انتهى.

(فِي غَيْهَبِ) أي: الظلمة، قال في «القاموس»: الغيهب: الظلمة كالغيهبات، واغتهب صار فيه، انتهى.

(الْوَهْمِ): حيث غاب الفهم من كل فهيم، وتوعر سلوك السبيل القويم، وقام سلطان الوهم على قدم وساق، ونام يقظان الفهم والآنام لحضرته ساق، فغلبت ظلمة الغفلة على أهل الأرض، وعمتهم بحكمها، وامتدت في طولها والعرض، ولم يبق على ظهرها من يوحد الجليل توحيدًا ينجي من عذاب الكفيل، لظهور التغير والتبديل في

الكتب المنزلة من الجليل، وصارت الناس في هرج ومرج وضيق وحرج، سيما حتى جاء عزهم، فأزال الكرب عنهم وعن الخلق أجمعين، فإنه الرحمة المرسلة للعالمين، لكن العرب قبله ﷺ كانوا في ضنك عيش وطيش، ولهذا كان من أسمائه ﷺ: عز العرب.

قال شارح «الدلائل»: فإن العرب كانوا قبله ﷺ في جهد وبؤس وضيق، يحصون النوى من الجوع، ويأكلون الجلود والميتة، ويعبدون الشجر والحجر، مشتتة آراؤهم متفرقة أهواؤهم، لا يدينون بدين ولا ينقادون لملك، ولا يتسعون في بلاد، يغير بعضهم على بعض، ويسفك بعضهم دماء بعض، ويسبون نساءهم وأبناءهم، ويستحيون حريمهم ويهتكون حرمتهم، ويأسرون رجالهم، قد عمتهم الجهالة وأعمتهم الضلالة، لا يعرفون نبوة ولا كتابًا منذ زمان إسماعيل ﷺ، وكان غيرهم من الأمم يستضعفونهم ويحتقرونهم، ولا يقيمون لهم وزنًا، ويتطاولون عليهم بالنبوة والكتاب، والملك والظهور، وكثرة الأموال، فجاءهم الله بسيد أهل النبوات والرسالات، وخير أهل الأرض والسماوات ـ عليه أفضل الصلوات وأزكى التجليات ـ رسولاً من أنفسهم، فصلح به حالهم، واستقام دينهم، وظهروا به على سائر العباد والبلاد، واستولوا على الأمم وشرفوا عليهم، وانقادوا لهم، ودانوا دينهم، وحازوا ملك كسرى وقيصر وغيرهما، وظفروا بعز الدنيا والآخرة، وصار الناس يحجون بلادهم ويتعلمون لغتهم، ويأخذون بلسانهم ويروون أشعارهم، ويحفظون أمثالهم ويتصرفون عن سيرهم وأيامهم، ويتنافسون في ذلك، ويتعبدون الله ﷻ به، انتهى.

وجميع الخلق قبل ظهور النور المحمدي في تيه الجهالة، يمرحون في الضلال والغيّ، وهم يحسبون أنهم على شيء، حتى آن أوان ظهور نور من بعثه الله، رحمة مهداة، وبعثه برفع قوم وخفض آخرين، وبعثه رحمة ولم يبعثه عذابًا، ومبلغًا لا متعنتاً، فبمجرد ظهوره (فَانْجَلَى)، أي: انكشف وانقشع، (الظَّلَامُ): الناشئ عن الوهم، أو مطلق الظلام، فيدخل تحته ظلام الجهل والكفر والبعد، وظلام النفوس والأهواء، وغير ذلك.

(وَذَاكَ النُّورُ): الماحي كل فجور، الدافع للستور عن كل مستور، (مَا خَلْفَهُ)، أي: ما وراءه، (مَرْمَى)، أي: مطلب عظيم لطالب، فإن النور المحمدي ما فوقه نور يقصد، إلا الواحد؛ إذ هو نور الأنوار، ويعسوب الأرواح والأسرار، الذي يعجز عقول الألباب

وأفكار الأذكياء الأطباء عن تصور ذاته، بل عن صفة من على صفاته، وشاهد هذا الكلام قوله ﷺ: «**يا أبا بكر، والذي بعثني بالحق لم يعلمني حقيقتة غير ربي**»[1]، فهو الأب الأول الذي عليه المعول، وقد آخبركما في حديث رواه الديلمي عن ابن عباس: «**أتاني جبريل فقال: يا محمد، يقول الله لولاك ما خلقت الجنة، ولولاك ما خلقت النار**»[2]، وقد جاء في حديث: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**»[3]، وفي رواية: «**أنا سيد النبيين ولا فخر**»[4]، وفي أخرى: «**المرسلين إذا بعثوا، وسائقهم أنا، وردوا ومبشرهم أنا، أبلسوا وإمامهم أنا، سجدوا وأنا أقربهم مجلسًا، إذا اجتمعوا أتكلم فيصدقني، وأشفع فيشفعني، وأسأل فيعطيني**»[5]، رواه ابن النجار عن أبي كرز، إلى غير ذلك من الروايات الدالة على أنه غاية الغايات، ونهاية النهايات، ليس فوقه واسطة؛ إذ هو واسطة الوسائط، والفاتح الخاتم الذي كمل بظهوره بناء الحائط، فكما أن ليس وراء الله مرمى، كما جاء في الخبر، وإليه المنتهى، فكذلك ليس وراء مقام رسول الله مقام إليه يُنتهى، ولا منظر على إحاطتي كلي إجمالي تفصيلي يُشتهى، وفي أول «الشفاء» : ليس دونه منتهى، ولا ورءاه مرمى.

قال الخفاجي في شرحه «نسيم الرياض»: مرمى بميمين مفتوحتين، بينهما راء مهملة، وهو مقصور، مفعل: من الرمي، وقد ورد استعمال هذا اللفظ بعينه وإطلاقه في حق الله تعالى في الحديث، فروى المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ في «مشارقه»، وابن الأثير في «نهايته»: ليس وراء الله مرمى، وتكلمت به العرب العرباء، وبها هو معناه قديمًا، كقول النابغة:

حَلَفْتَ فَلَمْ تَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ

قال في «النهاية»: ليس بعد الله لطالب وطلب؛ لأن العقول وقفت ثمة، فليس وراء الله، ولا وراء معرفته والإيمان به غاية تقصد، انتهى.

وفي «المشارق»: ليس وراء الله مرمى في أي مطلب لطالب، والمرمى: الغرض الذي يرمى به، وإليه ينتهي سهم الرامي، ويجوز لسواكما، إلى الله انتهت العقول ووقفت، فليس

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 227) بنحوه، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 46).

(3) رواه الترمذي (5/ 308). (4) تقدم تخريجه.

(5) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (7/ 17).

وراء معرفته والإيمان به ملتمس، ولا غاية يرمى إليها، انتهى.

وأنشد المحيوي البالغ رتبة السها:

لَيْسَ وَرَاءَ اللهِ مَرْمَى لِرَامِ	هَذَا هُوَ الحَقُّ الَّذِي لَا يُرَامُ
هَذَا مَقَامُ الحَقِّ لَا تَعْتَدُوا	تُحْرَمْ فِي هَذَا المَقَامِ المَقَامُ

إلى آخر الأبيات، وحيث كان سدرة منتهى الطالب، وغاية قصوى كل راغب، وطالب ليس وراءه بعد الله مرمى، والسيد: السند الأعز الأحمى والأرفع الأسمى، لزمنا أن نتوسل بجنابه، ونتشفع بمنيع اقترابه، ورفيع أنسابه وأحسابه، على سقي صرف أكوابه في أبوابه، ونأمن من عقاب الله وعذابه، فلهذا قلت والقلب طامع في شرب شرابه في رحابه، بين ندمائه وأحبابه:

إِلَيْكَ رَسُولَ اللهِ أَشْرَحُ قِصَّتِي	وَأَنْتَ بِهَا أَدْرَى وَأَنْتَ المُؤَمَّلُ
وَأَنْتَ وَجِيهٌ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ	رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وَأَصْلٌ مُتَوَكِّلٌ
شفيق كريم صادق ومصدق	ومدثر يس طه مزمل
كفيل وكيل سيد عاقب بلى	أمين ومأمون مطلع مفضل
فكن راغبًا في دفع ضر أصابتي	وتقريب حاجات بها القلب يشغل
فإنك أعلى من يرجى ويلتجى	إليه وأغلى من به متوسل
وأفخم مطلوب وأشرف خاطب	وأعرف موهوب له يترحل
وأحمد خلق الله أسعد من بها	وأرشد أهل الكون عقلاً وأكمل
وأعلمهم قلبًا وأكرمهم يدًا	وأعظمهم سرًّا وجهرًا وأجمل
وأعربهم لفظًا وأقربهم يدًا	وأعذبهم نطقًا وأحلى وأشمل
لولاه ما كانت علوم ولا بدت	فهوم ولا لاحت نجوم تحول
ولا زخرفت جنات عدن لأهلها	ولا بنيت دورٌ بها لا تسشمل

ولا طلعت شمس ولا قمر سرى ولا فاح في الأكوان ندو مندل
ولا حركة أيدي الصبا زهرة الربى ولا أقبلت يومًا قبول وشمال

وقلت:

وأعطى خمسًا لم ينلها قبله نبي وجاز الفضل وهو الفضل
وقد جاء مهداة إلينا ورحمةً بلى وهدى للعالمين يكمل
وأسري به الرب الجليل لقربه وأدناه منه حيث لا حيث يعقل
فكان كقاب القوس من حضرة اللقا ومن ذاك أدنى ضمن نص يرتل
أغشى أغشى سيدي سنرى فقد تطاول عهد القرب والأمر مفصل
وكن لعبيد أفقدته ذنوبه فأصبح موثوقاً بها يتململ
وخلصه من أيدي الهوى وقرينه ومن شر نفس بالشرور تفعل
ومن عمدتي تبدي الضواحي لعينه لعل بمداها فؤادي يغسل
وتجلى لنا منا منادي صيحتي فأسلم من جهل لعقل يذهل
وأغلب نفسًا قد دهت شهواتها وأقهر شيطانًا بسوءٍ يسوّل
ويبدو الذي غاب عني لناظري بشدة ضعف فالقوي ليس يحمل
فكن صاحب الإكليل والتاج للذي بآثامه بين العوالم يهمل
عليك صلاة الله ثم سلامه مدى الدهر ما قلب بذكرٍ يعلل
كذا الآل والأصحاب ثم وتابع لأتباعهم ما الدمع بالفقد يهمل
وما مصطفى البكري زاد اتباعه إلى القرب من دارٍ بها الحب ينزل

وأصل التوسل في هذا البيت وذاك: النور قد لاح من أسماء على طريق الكفاية في الدلالة؛ كما هو مصطلح أهل الطريق أُولي المهابة، والجلالة من التغزل بسلمى وليلى

وسعدى وعلوى، وللكنايات وقع في النفوس لا محالة، وقد توسعت العرب في ذلك وعدوه من المحسنات، والنبالة، والصوفية من الغيرة، وسترًا عن العُزال أهل التدالة، وهذه الأسماء وغيرها إذا أطلقت في عرف أهل الغزل؛ فمرادهم التغزل فيه علا أو نزل، وأهل السلوك يريدون بها ما يتجلى لهم من عوارف الأسرار، وطوارق الأنوار، وتارة غير ذلك من تجليات ينعم بها المالك، وأهل المحبة يعنون بها محبوبهم، وأهل القربة مطلوبهم ومرغوبهم، وأهل العرفان معروفهم المحسان إذا الكناية والإشارة تقع على ما كني، أو أشار به المشير في العبارة، قال العارف: إشارتنا شيء، وحسنك واحد، وكل إلى ذلك الحال يشير.

وكنا صرحنا في هذه القصيدة بذكر سلمى وليلى، وأجرينا في ميادين الكنايات خيلاً، ولما وردنا - بمعونة الله- ورد حلب تُشفى من مياه مدين الحب بأقداح أقراح الطلب، تنبه بعض من لهم طلب، ورغب في نيل كل مطلب، وقال: إن هذا الورد يقرأه القارئ، والغازي البالغ الأدب الذي يفهم مصادر الكلام وموارده، فيحصل له الطرب، وربما ما غاب الغبي عن فهم ما هو الأحب الأوجب؛ فالمقصود تغيير هذه الألفاظ بمفهوم الظاهر بمعلوم المشرب لكل من يشرب، فأجبت لذلك، وعدلت إلى ما هنا عما هنالك، وهنا نكتة ينبه عليها السالك في هذه المسالك، وتلك: أن كل شيء يرجع إلى مقره الأول، ومحله الذي عنه يتحول، ودليل ذلك من طريق الإشارة كما بدأكم تعودون، وإليه يرجع الأمر كله منها، وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى.

والأوراد والألقاب النازلة على القلوب من حضرة علام الغيوب تتسع بحسب اتساع دائرة صاحبها، وتعلوا بحسب الحضرة التي تنزلت منها؛ فمن كانت مادة تنزلاته وفيوضاته عرشية، أو كرسية، أو لوحية، أو قلمية كان لها من الأنوار ما لتلك الحضرة العلوية النورية؛ فإذا تنزلت تلك العلوم، والمعاني، والفهوم الغريبة التداني من تلك الحضرات العالية، والنظرات الغالبة لفظتها: حواضن الكون، واتخذتها قلائد أجياد معاريج صون، وربما ظهر لها فيها حدائق تحقيقات ذات بهجة، فنهج أحدهم بها أعظم نهج، وهم أفخم لهجة، هذا حال تدليها، وكذلك في حال عروجها وتعليها، وإذا مرت بين أولئك الصفوف تلقتها بالقبول صنوف وألوف ممن أذن له المالك بذلك من أهالي العالم السبحاني، والرحماني، والرباني، والروحاني، والجناتي؛ فإذا بدل المؤلف أو غير أحد

هاتيك المعاني، وأجابه وارد عقلي أو نفساني؛ فقد يقبل ذلك أهل تلك العوالم، ويرضاها، وقد لا يقبل ذلك؛ لحكم اللفظ الأول اقتضاها.

فافهم هذا الخطاب فإنه من اللباب عند الخطاب، ولما توسل المؤلف بأهل الذكر والنور الآتي بالذكر، وهما يورثان توارد الأحوال على قلوب الرجال من أرباب المحال، ناسب أن يتوسل بالمقامات العوال، فقال: عفى عنه المتعال بسر مقامات جمع مقام؛ كحمام وحمامات، وإسطبل وإسطبلات؛ فيجمع بألف وتاء، وإن كان مذكرًا، قال سيدي عبد الكريم الجيلي ـ قدس الله سره ـ في كتابه «غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوه الاستماع»: اعلم ـ وفقك الله ـ أن للطائفة اختلافًا كثيرًا في تعريف الحال والمقام:

فمنهم: من ذهب إلى أن الحال متى دام لشخص صار مقامًا.

ومنهم: من ينفي دوام الحال، ويقول: إنه لا دوام لذي المقام، عنده بعكسه، وهو ما لا يفارق الشخص كالتوبة، والتوكل، والزهد، وأمثال ذلك؛ وهذا هو المختار عندنا.

فإن الشخص ولو ارتقى من مقام التوبة، فإنها لا تفارقه بخلاف الأحوال، فإن الشخص من موطن لابسه فيه حال فارق ذلك الحال، وفارقه الحال عند ترقية من الموطن، فلا يرد عليه ذلك الحال بعد الترقي؛ لأنه ترقي من الموطن، فلو كان فيه؛ لورد عليه مثل ذلك الحال الأول لا عينه، ولا تزال الأحوال واردة صادرة غير مستقرة، فعلى هذا التقرير المقام ما يلزم ثبوته العبد، والحال ما لا يدوم زمانين، فإن تصور عندك حال له دوام؛ فإنما ذلك مثل أعقب المثل، فاتك التمييز لرقة الحجاب، وفيما ذكرناه للقوم فيه اختلافات كثيرة، اقتصرنا منها على ما وقع الإخبار فيه، بحسب علمنا واجتهادنا ـ والله الموفق لا رب غيره ـ انتهى.

(يَجِلُّ) أي: تعظم في نفس السامع، ويعلوا ويغلوا لديه نورها اللامع، قال في «تهذيب الصحاح»: وقد جل فلان، يجل بالكسر، جلالة؛ أي: عظم قدره، فهو جليل، انتهى.

(لِعُظْمِهَا) بتضمينها اللام تعليلية؛ أي: لكبرها، ورفعة شأنها وكثرتها، قال في «التهذيب»: عظم الشيء عظمًا كبر؛ فهو عظيم، وعظم الشيء بوزن فضل أكثره ومعظمه، انتهى.

(عَنِ الوَصْفِ) أي: النعت، فإن ناعتها، بل ناعت مقام منها لا يمكن استيعاب ما

فيه على وجه الإحاطة والشمول؛ لخوافيه، فإن مقام الزهد مثلاً يصدق على ترك الدنيا، وما لوفاتها الآخرة ولذاتها، وعلى ترك السوي، وكل ما بالسالك هوي، وعلى ترك الوقوف على ما يحوق، ويحوف من أنوار، وأسرار، وعوارف أبكار، وغير ذلك من أوطار، ويختلف باختلاف السيار قوة التخلق فيه وضعفًا، وله بداية وتوسط ونهاية، ولكل مقام مقال، ولكل مزام رجال؛ فلذا علل، فقال: (إِذْ فِي وَصْفِهَا) أي: وصف المقامات (حُيِّرَ) الحق سبحانه وتعالى، وهذا من باب الالتفات من الخطاب للغيبة، قال في «القاموس»: حار يحار حيرة، وحيرى وحيرانًا، وتحير واستحار نظرًا إلى الشيء فغشي، ولم يهتد لسبيله فهو حيران، وحايروهم حيروهم حيارى، ويضم، انتهى. ألفها مفعول حير، وتقدم الكلام على الحيرة.

(الْفَهْمَا) أي: غشي الله على فهم من يريد أن يعرفها معرفة تامة؛ لما أودعه فيها من العظم والكبر، والأذواق المختلفة تدركها من حين، فأي فهم يدرك البحور الزواخر التي ماؤها أول من أخر؛ إلا إن كان من طريق الكشف الإلهي المخصوص بأهل الدوائر الكبرى.

حال تجلي العليم بصفة العلم، وكشف لهم سترًا فسترا، فيعرفون عند ذلك كل مجهول لديهم، ويكدفون أطياب غائبات عنهم بوصولها إليهم، وهنا يقوم بهم وصف العلم الكلي؛ لأنه ألي، وإذا ستر عليهم الحق يضطر أن يثبت وجودهم، ورجع إليهم الجهل الكلي، لكن حق هؤلاء الأخيار من يكون في ستر حاله بالخيار؛ فإذا أراد كشف له كل مستور، وإذا شاء غفل عما في جيبه بادلاً الستور، ومنهم من يكون له ذلك بحكم اسمه القهار، فليس إرادة في رفع الإستار، ولا إبقائها؛ لأنه مجبور غير مختار، ولكل فرد من هؤلاء الأطهار خليل جليل، خلا عن شوائب الأكدار - وجليل مقدار خلا نوره ظلمات الأغيار، والألف في الفهم للإطلاق، وهذا وجه المناسبة بين هذا البيت، وبين البيت الذي يليه أيها النبيه، وله مناسبات أُخر تظهر للطالب في تعليه، وتدليه دون تنبيه فافهم.

(بِكُلِّ خَلِيلٍ) الباء للقسم، وكل لاستغراق الأفراد والأجزاء، وسلف الكلام على كل أوائل التوسلات، وخليل زنة فعيل، ووقع هنا نكرة موصوفة؛ كجليل الآتي بعده، فيدخل المعموم تحتها كل مَنْ أتصف بهذين الوصفين من خلة وجلالة؛ والخلة عند أهل الطريق: أول درجات القربة، وانتهاء مقامها ابتداء مقام الحبيب؛ لأن الحبيب من ظهر

المحبوب بصفاته، وهو بصفات محبوبه، وإلى مقام الحبيب الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:80] قال الإمام القشيري؛ رضي الله تعالى عنه: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله اعذرني فإن محبة الله شغلتني عن محبتك، فقال: يا مبارك، ومن أحب الله فقد آحبني، انتهى.

والخليل هو من أصفى المودة، وقصر حاجته على مولاه في كل شدة؛ كما قال الخليل لجبريل: أما إليك فلا، وسكت هذا المعنى في أبيات على:

لـــان محـــبٍ أديـــق بـــلا ... مـــن عهـــد بـــلا وهـــي خلـــيلاً مـــلا

فـــؤاده حـــبًا ووجـــدًا ... لا كمـــثل الفـــؤاد مـــنه خـــلا

لـــو نـــار النمـــرود وضـــعوا ... ثـــم حلـــوا جـــسمي بكـــل بـــلا

وتخلـــوا عنـــي ولي مـــنعوا ... رؤيـــة في الخـــلا لهـــم ومـــلا

لم أمـــل عـــنهم ولـــو جمعـــوا ... لي اســـاهم فـــإن ذاك حـــلا

إذ عـــذاب الحبـــيب عـــذب مـــذاق ... لديـــنا يفـــوق كـــلا طـــلا

مـــا خلـــيلي عـــندي أراه معـــي ... غـــير مـــولا لـــه عـــليَّ ولا

معـــه لي يـــا ذي الخـــلي منـــي ... ارتجـــيه أمـــا إلـــيك فـــلا

كـــيف أرجـــو الـــورى ولـــست أرى ... غـــيره وأصـــلي بـــدون قـــلا

وهـــداه بكـــل كـــلي سرى ... وبهـــذا سري الـــسلو ســـلا

وأقـــام الجـــوى لمقعـــد وجـــدي ... فأمـــسيت في الهـــوى مـــثلا

وجفـــوني فـــيه جفـــوني وقـــد ... مـــنعوني الكـــرا وعهـــد بـــلا

كـــل حـــب غـــير الحبـــيب هـــبا ... كـــل شيء ســـوى القـــريب كـــلا

واســـتمتع قـــول شـــاعر للبـــيد ... لـــصديق أتـــى فقـــال ألا

ثـم حقـق قـرب الـوريد تجـد ... كـأس قـرب مـنه علـيك جـلا

وصـلاة ثـم الـسلام عـلى مـن ... سـماء رفعـه وعـزا عـالا

وعـلى الآل والـصحابة مـا ... نـال خـلٌ مـن خلـه أمـلا

وقد مضى الكلام على الخلة قريبًا عند قولنا وإبراهيم خليلك؛ (قَدْ) للتحقيق، (خَلَا) أي: فدع قلبًا وقالبًا، فنال إربًا ومطالبًا. (عَنْ شَوَائِبِ) جمع شائبه؛ وهي الأقذار والأدناس، وبخلوه عنها يحصل له الارتقاء، والبقاء في منازل المواصلة واللقاء، والخليل للجليل لا يكون إلا من محبتي منتفي؛ ولهذا استقى من دنان العرفان وسقي.

(وَكُلُّ جَلِيلٍ) معطوف قال في «التهذيب»: وقد جل فلان يجل ـ بالكسر ـ جلالة؛ أي: عظم قدره، فهو جليل، انتهى.

أي: وأسألك بكل عظيم قدر لديك له حرمة عندك؛ لانتسابه إليك، وإقباله عليك، وقيامه بين يديك، (قَدْ جَلَا) أي: أذهب، وكشف (نُورُهُ) أي: نور إيمانه، وعرفانه، وإذعانه، وإيقانه، وطاعاته، وإحسانه، نقل المرسي عن شيخه الشاذلي ـ عمهما الله بامتنانه ـ أنه قال: لو كشف للناس عن نور المؤمن العاصي؛ لطبق ما بين السماء والأرض، فكيف بالطائع؟ انتهى.

وكان سيدي داود بن باخلا يقول: لو كشف للعبد المؤمن، أو العارف علي في طي قلبه؛ لأشرقت منه الأكوان، انتهى.

(الظُّلَمَا) قال في «القاموس»: والظلمة بالضم وبضمتين، والظلماء والظلام: ذهاب النور، وليلة ظلمة على طرح الزائد، فظلما شديدة الظلام، وليل ظلماء شاذ، انتهى.

ونور الجليل عند الجليل يجلو ظلام القلوب، ويمحي الكروب، ويذهب نيل الافتتان، وعشق الأحزان، ولنور الجليل العارف المعان تشعشع وتلألأ ولمعان، وظهور في الزمان والمكان والإنسان؛ فمن الأول، والثاني قول شيخنا المصان؛ احله الله بحبوحة الجنان: وتباهي زمني بي، وتسامت بي دمشق؛ لتنويره لها بأنواره، وتحليها بفيوضات أسراره، وتعطي مما بطيبه الوارد عليه من حضرات جليه، الذي لا يشمه من كرم، ولا يكرف عرفه محروم، ومن الثاني؛ ما ذكره سيدي الخواص المعدود من الخواص: أن

روحانية الولي إذا دخل مكانًا، أو مشي فيه تبقى ستة أشهر كما يشهده أرباب القلوب، فكيف بمكان سكنه، وهذا بعكس بيوت الظلمة والعصاة تجدها موحشة لا أنس بها، ولا روحانية، انتهى.

ومن ذلك ما ذكره المحيوي: الفريد عن بيت أبي يزيد، إن كل من دخله، وأراد أن يعصي فيه خرجت عليه نار؛ فأحرقت أثوابه، وهي أثر عن الروحانية التي تعلقت بالمكان النادي، وكذلك ما يحكى عن الإنس الذي يوجد في بيت الجنيد البغدادي، وقد ادركنا شيئًا من هذا الإنس المحقق، لا الموهوم في دار شيخنا المرحوم، وكان سيدي داود بن باخلا ﷺ يقول: لو تنفس عارف في بلدة ثبت إيمان كل عبد فيها؛ وهذا من ظهور نور العارف في الإنسان، وقال: ليس العارف من يصف لك دواءً تستعمله، بل من داواك في حضرته؛ أي: لظهور نوره في جنانه، وإنسحابه على أركانه، وكلما كبرت دائرة العارف واتسعت، وعلت أنوار حقيقته، وإرتفعت؛ عمت بركاتها أهل زمانه، وإنتفعت به اشكاله من أقرانه، وربما تعدت لمن قبله؛ فانتفعوا بذلك، وربما ارتفعوا بها، واتضحت لهم المسالك، ومن وقف على تجليات الخاتمي أدرك ما هنالك، فثبتت له المشيخة على كل منتفع به شعرًا، ولا بحكم المالك.

وفي البيت الجناس المصحف بين خليل وجليل، وخلا وجلا وجناس بالتضاد بين الظلام والنور، ووجه المناسبة بين هذا البيت، والذي يليه أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لما توسل بالإخلاء والإجلاء، وهم عرشيون عليون الأرواح، والأشرار فرشيون الأشباح بأدوارها، والأقطار ناسب ذكر العرش، والفرش وما علا، وقلب المحقق الذي هو كالعرش محل تجلي العلي الأعلى، ولذا قال: (بِعَرْشٍ بِفَرْشٍ) قال في «القاموس»: والعرش المفروش من متاع البيت، والزرع لدى قريش، والفضاء الواسع.... إلخ.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ۝﴾ [الذاريات: 48] (بِالسَّمَاوَاتِ) جمع سماء: وهي الجرم المعهود، يُطلق لغةً على كل ما ارتفع، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 12] أي: وأسألك بسر السموات التي جعلتها مهبط الوحي، ومسكن الملائكة فلا يسكنها غيرهم من إنس وجن إلا ما تحقق لعيسى ﷺ، ومحل عروج الأنبياء إليها، أرواحهم فيها، وطهارتها عن صدور المعاصي عليها، ونزول

القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي منها، ورفعها وقدمها في الذكر في أكثر الآيات، وجعلها محل التجلي الإلهي، وهذه أوجه تفضيل السماء على الأرض، الذي ذهب إليه البعض، ومن عكس علل بأن الأرض منشأ النوع الإنساني، وخلق الأنبياء، ودفنهم فيهم، وهم أفضل من الملائكة، والأشرف إنما يكون بأشرف المحال، وحكى بعضهم هذا عن الأكثرين، ونسب النووي الأول للجمهور، والله اعلم.

وفي «الشجرة المفرعة في المسائل المتنوعة» للشيخ أبي عبد الله الغمري المرصفي: السماء أفضل من الأرض، إلا بقعة في الأرض ضمت أعضاء النبي ﷺ فهو أفضل منها حتى من العرش والكرسي؛ ثم علل وجه أفضلية السماء على الأرض.

فقال: لأن السماء بها العرش، والكرسي، والجنة، واللوح، والقلم، والبيت المعلوم، ومنازل الملائكة المكرمين المعصومين الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ومنها يتنزل أمر ربنا وأسري بالنبي ﷺ إليها، واجتمع فيها بإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، وإدريس، وغيرهم من الأنبياء ـ صلى الله عليهم أجمعين ـ وأوحى إليه فيها ما أوحى، ودنا من ربه فتدلى، فكان كقاب قوسين أو أدنى، وفرضت عليه الصلاة خمسين صلاة في كل يوم وليلة، وتداركه الله بلطف المنة حتى صارت خمسًا، وفي الأجر خمسين، وجاء في الحديث الشريف «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا**»[1] أي: أمره، «**فيقول: ألا من تائب فأتوب عليه، ألا من مستغفر فاغفر له، ألا كذا وكذا حتى يطلع الفجر**»[2]، انتهى.

ملخصًا من شرح «الدلائل»، وحكى المرصفي ـ رحمه الله تعالى ـ من خصوص البقعة المباركة التي عزت ـ لفضلها بساكنها ـ عن المشاركة مسألة جرت على ألسنة أقلام أعلام أعلام من أرباب أفهام، وأصحاب أخبار وإلهام، لكن لما لم يرد النص الصريح الصحيح في ذلك؛ تعسر على السالك سلوك هذه المسالك؛ إن التفضيل بدون دليل غير جميل، وللنسبة اعتبار عند ولي الأبصار، وأما كونها أفضل بقاع الأرض في طولها والعرض، فمجمع عليه بلا نكران ولا اعتراض، وممن حكى الإجماع القاضي عياض،

(1) رواه أبو داود (4/ 234).

(2) رواه أحمد (2/ 433) وابن أبي عاصم في السنة (1/ 219) بنحوه.

وأنشد بعض الأفراد يبتغي المراد قوله:

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحواها

ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكا مأواها

قال الزركشي: «إعلام المساجد بأحكام المساجد»، بعد ما نقل حكاية الإجماع عن القاضي عياض الواجد وغيره عن كل ماجد، وحكمة التفضيل المجاورة؛ كما قيل: وللمجاورة تأثير؛ ولهذا يحرم على المحدث مس المصحف، قال القرافي: ولما خفي هذا المعنى على بعض الفضلاء أنكر الإجماع في ذلك، وقال التفضيل إنما هو بكثرة الثواب على الأعمال، والعمل على قبره ﷺ محرم، وإذا تعذر الثواب هناك على عمل العامل، مع أن التفضيل إنما يكون باعتباره كيف يحكي الإجماع في أفضلية تلك البقعة على سائر البقاع؟ انتهى.

ولم يعلم أن أسباب التفضيل أعم من الثواب، والإجماع منعقد على التفضيل بهذا الوجه؛ لكثرة الثواب على الأعمال، ويلزم أن لا يكون جلد المصحف، ولا المصحف نفسه أفضل من غيره؛ لتعذر العمل فيه، وهو خرق للإجماع، انتهى.

وألف بعض أهل العصر رسالة في هذه المسألة، وهي ما ذكره المرصفي وغيره وما نقله؛ لما أسلفنا من عدم ورد ذلك في أحاديث دين المهالك، لكن قال الخفاجي ـ رحمه الله ـ عند قول صاحب «الشفاء»: ولا خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض كلها، بل أفضل من السموات، والعرش، والكعبة؛ كما نقله السبكي لشرفه ﷺ، وعلو قدره، ثم قال: وقال ابن عبد السلام: التفضيل يكون لأمور العمل، فقبره ﷺ أفضل الأمكنة؛ لتجلي الله تعالى بما ينزل من الرحمة، والرضوان، والملائكة، ولا حاجة إلى قيل من أنه ﷺ: حي في قبره، له أعمال فيه مضاعفة -وإن كان صحيحًا- وإن سلمنا أن المكان لا فضل له في ذاته كفى أنه؛ لأجل ما حل فيه.

وقول السروجي من الحنفية: لم نجد من تعرض لهذا في مذهبنا، ليس للتوقف بل فيه، بل لعدم قومه عليه، ويكفي لفضله ما اشتهر أن أحدًا يدفن في التربة التي خلق منها، قال: قلت: وفي هذا فضل لضجيعه وفخر، كفى شرفًا لهما كما مر، حتى قال في «عوارف المعارف»: روى ابن عباس: إن أصل طينته ﷺ من سرة الأرض، وهو موضع الكعبة بمكة، فأول ما أجاب درته ﷺ؛ أي: عند قول الله تعالى: ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا

طائعين﴾ [فصلت: 12]، ومنها دحيت الأرض وهو أصل التكوين، والكائنات تبع له، ولما تموج الطوفان أتى بطينته إلى محل دفنه، ففي الحقيقة لم يدفن إلا في أصل الكعبة الذي منه خلق ﷺ، انتهى.

وهو غريب لا يعلم مثله إلا بالنقل، وهو ثقة، انتهى.

وقد نالت هذه البقعة الشريفة من المجد والفخار ما لم تنله بقعة في سائر الأقطار، كيف لا، وعليها وقع اختيار الجبار لنبيه نزل قرار، واختارها لنفسه المختار؟! ففي الحديث: «**ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه**»[1]، ولها رشحات تفيض من رشحات الفيوضات الذاتية التي توافيهم، على حد قول القائل من الأوائل:

شربنا وأهرقنا على الأرض جرعةً ... وللأرض من كأس الكرام نصيب

وعنه ﷺ: «**وضعت منبري على ترعة من تراع الجنة**»[2]، والترعة: هي الباب من أبواب الجنة، وفي رواية بزيادة: «**وما بين منبري وبيتي روضه من رياض الجنة**»[3].

قال الزركشي في «إعلام المساجد»: وإذا كان منبره ﷺ قد بلغه، بجلوسه فيه وقيامه عليه هذه المنزلة، فقبره الذي تضمن بدنه وصار له مثوى أولى بأن يكون في روضة من الجنة، أرفع منها وأحرى، وهو بذلك منه أولى، وقد يكون قبره في روضة منها غير الروضة المذكورة في الحديث، وقد يكون منها فيما يجمع الروضة وغيرها مما شرفه الله به، وأبان منزلته به عن الناس، انتهى.

وقال الخفاجي ـ أعظم الله له الأجور ـ في الشرح المذكور: وفي كلام شيخنا ابن قاسم مقتضى ما تقرر: إن فضل البقعة التي ضمنت أعضاؤه عليه الصلاة والسلام ثابت قبل دفنه فيها، بل وقبل موته، بل وقبل هجرته، نعم قد يقال تفضيلها على الكعبة والعرش والكرسي إنما يثبت بعد دفنه فيها لشرفها به لا قبله؛ لأنها حينئذ ليس فيها، إلا أنها جزء من الكعبة، فلا تزيد على بقية الأجزاء قبل دفنه فيها، وهل البقعة المذكورة أفضل من منزلة عليه الصلاة والسلام في الجنة، أو منزلة أفضل كما يسبق إلى الفهم؟ وقد يقال:

(1) رواه الترمذي (3/ 338).

(2) رواه الضياء في المختارة (1/ 304).

(3) رواه أحمد (2/ 534).

هذه أفضل ما دام فيها، فإذا صار في الجنة صار منزلة أفضل، وقد يقال: يجوز أن تكون هذه منقولة من منزلة في الجنة أو ينقل إليها، فلها حكمه، فليتأمل.

(بِالعُلَا): جمع عليا، مقابلة سفلى من العلو الذي هو الارتفاع، ويحتمل للحسي والمعنوي، والتوسل بالأجرام العلوية أو بسكانها من خواص البرية، وعطف العلا على ما قبله إن حمل على كل ما سما، فعُطف تفسيرًا، وخُصَّ بالأجرام، فمن عطف الخاص على العام (بِمَا) أي: وأسألك بالذي (قَدْ حَوَى) أي: جمع وأحرز.

(قَلْبُ المحَقِّقِ) أي: فؤاد صاحب التحقيق، وهو الذي يحقق المسألة بدليلها، والمدقق به، وبأدلة أخر، والمراد به هنا: كل من قام به هذا الوصف حتى قيل به محقق فتكون (أل) فيه للاستغراق، ويصح أن تكون للجنس، وكذلك العهد، ويخص بأكمل واف بالعهد.

(مِنْ رُحْمَا): مؤنث رحم، بالضم الرحمة؛ إذ هو المتخلق بأخلاق الله، ومنها الرحمة، وفي الحديث: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»[1]، وفي رواية بزيادة: «**ومن لا يَغفر لا يُغفر له**»[2]، وزاد على هذه في أخرى: «**ومن لا يتب، لا يتب عليه**»[3]، وفي رواية: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**»[4]، وأول ما يلزم الإنسان أن يرحم نفسه بترك المعاصي؛ خوفًا من عذابها يوم الأخذ بالنواصي، ثم قلبه وروحه وسره وعقله، فلا يصرف شيئًا من ذاته إلا فيما خُلق لأجله؛ ثم يعم أهله وجيرانه وأصحابه وخلانه، ويوسع: إرادات الرحمة حتى يعم بها الخلق؛ لأجل الحق من حيث هم عبيده.

ولا يتحقق بهذه الرحمة العامة إلا من شرب من عين العرش الطامة؛ فإنه محل تجلي الرحمن، فالشارب من عينه يعم برحمته الأكوان، ولما كان ﷺ عين تلك العين كان رحمةً مهداة لكل عين، ومن أسمائه ﷺ: رؤوف رحيم، رسول الرحمة، نبي الرحمة، مفتاح الرحمة فما حوى قلبه محقق من الرحمة، ما حوى قلبه الشريف إذا كان محقق على مشرعها ومحتدها المنيف.

(بِأَسْرَارِكَ): جمع سر، ومر الكلام عليه، والضمير فيه راجع للمناجي المتوجه إليه،

---

(1) رواه البخاري (5/ 2235).
(2) رواه أحمد (4/ 365).
(3) رواه الطبراني في المعجم الكبير (2/ 351).
(4) رواه الترمذي (4/ 323).

(اللَّاتِي): اسم موصول يؤتى به لجمع المؤنث عاقلاً أو غير عاقل، وربما حذفت منه الياء، فيقال: اللات. (سَتَرْتَ) أي: أخفيتَ يا مولاي عن غير أهلها (جَمَالَهَا)، أي: جمال تلك الأسرار، أي: حسنها، وسبق أوائل التوسلات الكلام على الجمال.

واعلم أن سبر ستر الحبيب أسرار التقريب، عن غير من تم تدريبًا وتذهيبًا في محبة المجيب، عدم قبوضم لها؛ لعدم الاهلية، وغيرة عليها أن تذاع بين الخمر الأهلية، وقد ورد النهي عن أعطاء الحكمة غير أهلها من أهل القصور، وبثها عند آكفائها الراقين على تلك القصور، وقد قال العمري - ذوا السر المعمور: من تكلم بالأسرار لدى الأغيار كان كمن قدم فائدة الحياة لأهل القبور.

ومن النصيحة التي تأمن صاحبها من الفضيحة: التنزل لعقول المخاطبين من أرباب الستور، والتكلم معهم بالنقول الصحيحة والاستدلالات الرجيحة الظهور، فهذا أوقف لكل مهجور، خوفًا عليهم من الوقوع في مهابة الدعاوى وقول الزور؛ فإن فهمهم قاصر عن إدراكها، فيخشى عليهم من العلوق في آشراكها؛ وأما من تم من أهل النور فإنهم يكشفون به عن حقائق الأمور، فلا يجدون في سراهم ضلال، ولا يعترينهم فيه كلال، فضيق الفطن إذا تكلم أهلك، والواسع ملِك وملَك، وهذا هو العامل بقول الأمين المأمون: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذب الله ورسوله؟»[1]، فإذا تكلم هذا بين جمع فيهم النائل والمحروم، أتى بعبارة يفهمها العموم مجملة محتملة المفهوم، فيأخذ منها كل حاضر نصيبه المقسوم وحظه المعلوم، وكلما كتم العارف أسراره تشعشع نورها؛ فحمد أطواره، وإذا برزت بوادر غيبة أو دهشة بقي محلها فارغًا، فأورث وحشة، وليس ثم من يكتم الأسرار في هذا النوع كالملامية الأمناء الأخيار، فإنهم ورثة الأنبياء في هذا الكتم الرفيع المنار.

قال المحيوي، حاوي الفخار، في كتاب «العباد له الأحجار»: مواطن الأسرار، ومنابع الحياة والأرواح، فمن كتم سره منهم اتخذه الله أمينًا، ودونهم في الكتمان النبات، ولكن لا يبلغ في حفظ السر مبلغ الأحجار، ألا ترى الأزهار تنم بما فيها؟! ودونهم في الكتمان الحيوان، ألا تراهم ينبهون بحركاتهم وأصواتهم على ما في نفوسهم؟! فهولاء

(1) رواه البخاري (1/ 59).

الأصناف كلهم أمناء الله على ما يؤول الأمر إليه، ودونهم في الكتمان الإنسان، وقليلٌ ما هم، وما في نوع الإنسان من يكتم ما لم يَرِدْ إذن بإفشائه؛ إلا أن الأنبياء والملاميتة وهم أعلاء صنف هذا النوع، وعليهم يدور الأمر، وهم العرائس والضنائن، والمقصورات في الخيام، ومنهم الذين يقال فيهم: عدا أن لله أمناء، انتهى.

(فَلَمْ يَرَهَا) أي: فلم يشهدها على الكمال، ولا تحقق في حقائق ذلك الجمال.

(إِلَّا فَتًى): منصوب بإلا، كما في قوله ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:249] إذ هي مختصة على الأصح، وهو مذهب المبرد والزجاج وابن مالك، ووجهه ما قاله الرضي: إن إلا مقوية لمعنى الاستثناء ومحصلة له، والعامل: ما به يتقوى المعنى المقتضي، وإن إلا نائبة عن استثنى كما أن حرف النداء نائب عن أُنادي، وقال البصريون: العامل الفعل، وقد جاء بعد تمام الكلام فشاء به المفعول، قال في «المغني»: ولها أربعة وجوه:

فتكون للاستثناء كما هنا، وتكون بمنزلة (غير) فيوصف بها جمع منكر أو شبهه، وتكون عاطفة، وتكون زائدة، انتهى.

و(الفَتَى): هو الشاب السخي الكريم، قال القشيري ـ رحمه الله تعالى ـ في الفتوة، وقال أبو بكر الوراق: الفتى من لا خصم له، وقال محمد بن علي الترمذي: الفتوى أن تكون خصمًا لربك على نفسك؛ سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: سمعت النضربادي يقول: سمي أصحاب الكهف فتية؛ لأنهم آمنوا بالله تعالى بلا واسطة.

قلت: وبسبب هذا الإيمان أورثهم اليقظة والانتباه، أكرمهم الله تعالى بتلك النومة التي خلصتهم من الافتتان بعد الإذعان وزوال الاشتباه، وأكرمهم ثانيًا بنومة أخرى طويلة ذيل نيل وأمان، إلى نزول روح الله فيوقظهم الله عنده، ويكونون وزراءه، ويبلغ كل منهم بصحبته مناه، ويعضده غيرهم عصابة من المحمدين المقتبسين من نور سناه، وإليهم الإشارة بقوله – من قربه الله وأدناه: «**عصابتين من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تقروا الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم**»[1] رواه أحمد والنسائي والضياء، عن ثوبان، وقيل يكونون مع المهدي أولاً ثم مع الروح الممنوح باعًا أطولاً.

ثم قال: وقيل: الفتي مَنْ كسر الصنم، قال الله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ

(1) رواه النسائي (3/ 28)، ورواه أحمد (5/ 278).

إِبْرَاهِيمُ ﴾ [الأنبياء:60]، وقال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ [الأنبياء:58]، وصنم كل إنسان نفسه، فمن خالف هواه فتي على الحقيقة، وأتى في الباب بالعجب العجاب، وأنشد الأكبري المهاب في أول هذا الباب - في الباب الذي بعده المعقود في مقام ترك الفتوة، المستطاب من فتحه المكي المناسب - قوله:

إن الفتوة ما ينفك صاحبها ... مقدمًا عند رب الناس والناس

إن الفتي من له الإيثار تكرمة ... فحيث ما كان فمحمول على الرأس

ما إن تزله الأهواء بقوتها ... لكونه ثابتًا كالشامخ الرآسي

لآخذن بحكمة: لا خوف يشغله ... من المكارم حال الحرب والبأس

انظر إلى كرة الأصنام منفردًا ... بلا معين فذاك اللين الناسي

وقال في الباب الذي بعده: المعقود في مقام ترك الفتوة بعدما ذكر صاحب السفرة التي تركها للنمل، وقول شيخه له: لقد دققت هذا الفعل من باب التدقيق في الفتوة، ونعم ما قاله، ونعم ما فاته؛ فلو قال أحد هذا الشيخ: كيف تشهد له بالتدقيق في الفتوة على جهة المدح، والأضياف متألمون بالتأخير، وهو أفضل من النمل، ومراعاتهم أولى من مراعات النمل؟ فإن قال الشيخ: النمل أقرب إلى الله - من حيث طاعتهم لله - من الإنسان؛ لما يوجد من المخالفة وكراهة بعض الأمور التي هي غير مستلذة، قلنا: وجلد الإنسان وجوارحه وشعره وبشره ناطق بتسبيح الله تعالى كالنمل؛ وهذا يشهد يوم القيامة على النفس الناطقة الكافرة الجاحدة؛ ثم قال: فكان الأولى مراعاة الأضياف الذين أمر الشارع ﷺ بتعجيل تقديم الطعام لهم، فلو تفتي هذا الخاتم وترك السفرة للنمل، واستأذن الشيخ وعرفه القضية، ونظر من تقديم أمر آخر للأضياف كان أولى، وأرق في باب الفتوة... إلخ.

(فِي الهَوَى): مقصود العشق؛ ومعناه: ميل الطباع بشهوة، وإنه بمعنى المحبة، غير أن معناه أعم منها؛ لاستعماله في الخير والشر، والمحبة خاصة بالخير، والمراد به هنا المحبة وسلف بعض التنبيه عليها.

(تَمَّا) أي: كمل، والألف للإطلاق، والمعنى: لسالك بأسرارك اللاتي أخفيت

جمالها على من ليس من أهلها، فلم يشهد كمالها، ولم يباين سنا أنوارها حال رفع أستارها، إلا الذي بلغت بك مقام الكمال في الغرام، وأوصلته درجة التفضيل بعد الإجمال لأذواق الهيام، فنال رتبة في الحب لا تنال إلا عنه ذي الجلال والإكرام، وعرَّفته بمنصاته وأذواقه، فطال الأحوال الجسام، ولم يحتجب بها عن شهود المآل، ولزم الإذلال، واعتزل الإدلال في المقام كحجبة الرجال أرباب المجال عن عبوديتهم، بسد المسام عن كرف عرف المدام.

فإن له نقطة فيها يحار فيها العالم التحرير، وهي نقطة الأكوان إن جاوزتها كنت الحكيم، وعلمك الإكسير، وكمل من تم هواه، فقد تم عليه جوّاه، فهذا الذي إذا أمده الله تعالى وقواه، يُعطيه من الحب الذي رفعت ألواه، ما لو وضع جزء منه على الكون لذاب مع ما حواه، وهذا حال من شرب قطرة من بحار الحب فطواه وكواه، ثم من يشرب كأسًا وكوبًا على قدر ما خصه الذي سواه، ولم يشرب هذا البحر على الكمال إلا سيد أهل الكمال، فرد الجمال من إليه أواه، حتى اطلع على أسرار الحب، المغيبات في سرادقات الشرب من بحر الغرب، فإذا المراد في هذا البيت هو ﷺ لا سواه، وإن قصد غيره، فعلى المجاز عنه مجاز نال به داوه، ومقام تمام الحب هو مقام الكمال المطلق، هو عبارة لدى أهل القرب.

قال الجيلي، ذو الإبداع في «غنية أرباب السماع»: الكمال المطلق هو عبارة عن مقام إلى فيه يعطي الكامل حقائق الأشياء حقها بالتمام والكمال؛ فيتصف بسائر صفات الربوبية ويتصف بجميع أوصاف العبودية، ويعطي كل صفة من الصفات الكمالية، والصفات النقصية، حقها من ذاته بغير إخلال ولا إضلال، بشأن إلهي عن شأن خلقي عن شأن حقي، وصاحب هذا المقام هو الفرد الجامع، انتهى.

ولما توسل بالأسرار الباطنة المستورة، ناسب أن يتوسل بالبدر الأعظم ذي الأنوار الظاهرة المنظورة؛ فلذا قال، سامحه الكبير المتعال: (بِبَدْرٍ) قال في «القاموس»: البدر: القمر الممتلئ، ثم قال: وجمعه بدور وبُدُرٌ، وقال في «تهذيب الصحاح»: وابتدروا السلاح: تسارعوا إلى أخذه، ومنه شمس البدرة؛ لمبادرته الشمس بالطلوع، وقيل: سمي به تمامه، انتهى.

والهلال: غرة القمر، والقمر يكون في الليلة الثالثة، أو لليلتين أو إلى ثلاث أو إلى سبع، والبدر: القمر الممتلئ الذي قابل الشمس مقابلة تامة، ولا يقابلها على التمام إلا ليلة

الرابع عشر، وبعض ليلة الخامس عشر؛ والمراد به هنا السيد الذي بادر قمر ظهوره شمس التوحيد بالظهور والطلوع، وامتلأ وجوده بالنور الإلهي الذي من سائر حضرات الأسماء مجموع، فهدى نوره كل ضال من الأصول والفروع، واتصل به المقطوع وارتفع به الوضيع وربح التاجر الموضوع وانخفض لواء الشرك والظلام المرفوع، وانجبر به المكسور، فهو باتباعه مرفوع السند المبدع المجهذ البحر الخضم ﷺ، ووجه شبهه بالبدر، إنه نور محض يعم بإشراقه القاصي والداني، ويهدي به الجائر الحائر العاصي، والجاهل الجاني.

يروى أن بعض الصحابة قال: نظرت إلى وجه رسول الله ﷺ وإلى القمر ليلة البدر، فكان وجهه ﷺ أنور منه، قال شارح «الدلائل»: قال أبو الخطاب بن دحية على تشبيه البراء بن عازب وجه رسول الله ﷺ بالقمر: أبدع من غير تشبيهه بالشمس؛ لأن القمر يملأ الأرض بنوره ويؤنس من يشاهده، ونوره من غير حر يفزع ولا كلل ينزع، والناظر إلى القمر يتمكن من النظر، بخلاف الشمس فإنها تغشي البصر، وتجلب للناظر الضرر، انتهى.

وقال أبو هريرة ﷺ: ما رأيت أحسن وجهًا من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، فإذا ضحك يتلألأ في الجو، وقال جابر بن سمرة: كان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف، قال: لا، بل مثل الشمس والقمر، وكان مستديرًا، وكان البراء بن عازب يقول: ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله من رسول الله ﷺ.

وقال عليٌّ كرم الله وجهه: «**ما بعث الله نبيًا إلا حسن الوجه حسن الصوت، وكان نبيكم أحسنهم وجهًا وأحسنهم صوتًا**»[1] رواه الدارقطني عن قتادة، وحكاه الترمذي عنه أيضًا.

وقال عليٌّ كرم الله وجهه في أمره وشأنه: «**من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه**»[2]، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله، وهذا كقول عبد الله بن أُبي ﷺ:

«**لو لم تكن فيها آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر**»[3]، والحاصل أن البدر

(1) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (1/ 376)، وذكره الحافظ في فتح الباري (7/ 210).

(2) رواه الترمذي (5/ 599).

(3) ذكره ابن حجر في الإصابة (4/ 85).

مكتسب من أنواره الحسية؛ إذ هو النور السَّاري في الحقائق النورانية، والتخلص من الأجسام الظلمانية؛ إذ هو نور كله، عُرِفَ ذلك من عدم وجود ظل له ﷺ على الأرض.

وأشار البوصيري ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله:

فإذا ما مشى محا نوره الظل وقد يثبت الظلال الضحى

وكذا الجيلي ـ رحمه الله تعالى ـ في تائيته التي نظم فيها المعجزات، فقال:

لقد نزه الرحمن ظلك أن يُرى على الأرض ملقىً، فانطوى لمزيه

وأثر في الأحجار مشيك، ثم لم يدنس برمل حل بطحاء مكه

قال شارحها رحمه الله تعالى: قيل: إنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان لا يقع ظله على الأرض: لأنه نور روحاني، بيت:

ما لِطَه رأى البرية ظلاً هو روح، وليس للروح ظل

والنور لا ظل له، وكذا الروحانيات كالملائكة؛ لأنها أنوار مجردة، وقيل: هذا أظهر الأمية لئلا يقع ظل يده على اسم الله لو كتبه، ولا يخفى ما فيه، وقيل: لم ير ظله؛ لأن الغمام يظله، وقيل: إنه تكريم له لئلا ظله على الأرض فيوطئ، ونقل أن بعض اليهود كان يطأ على ظل المسلمين إهانة لهم، فَصِينَ؛ لئلا يُمتهن، وقيل غير ذلك، انتهى.

وأنشد الخفاجي ـ رحمه الله تعالى ـ في رباعيته:

ما حد لظل أحمد أذيال في الأرض كرامة؛ كما قد قالوا

هذا عجب، وكم به من عجب والناس بظله جميعًا، قالوا

(أتى) جاء، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة: 128].

(يَهْدِي)، أي: يرشد ويدعو إلى الحق على بصيرة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: 52]، أي: بنا ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: 56]؛ أي: بك، فإن الهداية بنا لمن أردنا، على يد من أردنا، وأصل الهداية البيان والدلالة، ويوصف بها الحق سبحانه ونبيه، ويطلق على خلق الاهتداء، وهذا خاص به تعالى، وعلى

الدعاء ومنه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:7]، ولا تستعمل إلا في الخير، وقوله: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:23] تهكم، ومن أسمائه ﷺ: (هدي)؛ لأنه عين الهداية، و(مهدي)؛ لأنه هدى الأنام نهاية وبداية، أو بضم الميم، بما أسداه وأهداه من الدراية والرواية، والتفريد الذي هو أجل عطية تمحق غواية، وهدايته عليه الصلاة والسلام تكون لظواهر الأحكام، وإلى بواطنها تكون بإتقان وإحكام، والأول عامة، طامة الأنعام، والثانية: خاصة بآل عمران الاختصاص والإكرام، ممن مدت لهم مائدة الإفهام؛ لإفهام سورة الأنعام؛ وثم نوع خاص بخاصة الخاصة من خاصة الأصحاب الأفخام - لشيخي الإسلام - المعمرين.

وأول من لقبها به رابع الخلفاء الأعلام، ولما كان الصديق الأكبر ﷺ أوسع من الفاروق بطانًا، بتصديق وتحقيق وإقدام، خصَّه المصطفى - حبيب العلام - بصب ما صب في صدره، فكان غيبة سره، فإن من هدايته الخاصة وليلة قدره، ووافر استعداده، كان الخليفة من بعده، وبسابق تخصيص أزلي من مولاه وسابق وعده، وتقربه من باطنه وسره العلي قدَّمه على عمه العباس، وابن عمه عليٍّ، واتضح بعبير هذه الأرواح أن قرب الأرواح مقدم على قرب الأشباح، وهذا القرب هو الذي قدم سلمان، وأخر بالطبة فحرم الأمان، وحيث كان باب الهداية لم يفتح إلا بواسطته، وبسببه ختم بالهدى رجل من أمته، وعلى قدمه ومن خدمه وأهل نسبه؛ ليكون به الفتح والختام ومرح الزمان، به يلتئم.

(الأَنَامَ) أي: الخلق، قال في «القاموس»: الأنام كسحاب، والأنام بالمد، والأنيم: الأمير، أو الجن والإنس، أو جميع ما على الأرض، انتهى.

(لِحَيِّكُمْ): والحي: واحد أحياء العرب؛ كما في «التهذيب»، أو البطن من بطونهم، وجمعه أحياء؛ كما في «القاموس»، أي: لنزل كرامتكم ودار سلامتكم، والميم للتعظيم، والمراد به هنا: حصن الأمان، وركن الإذعان لشهود العيان، وحمى الأوامر والنواهي التي تجلب لمهملها الدواهي، وتجلب إلباث الشفاء لملازمها، فإن الدواهي ومنزل القرب الذي حله له أن يباهي؛ إذ القريب فيه بعيدي، والكثيب يناجي يا إلهي، وهو مقر اللقاء وموطن البقاء، ونادي الأفراح ووادي الانشراح، وبيت الصغار ومسكن الوفاء، ودار الأماني وخباء التهاني، ومكان الأمكان ومنزل الإحسان.

وكان هذا البدر المصان الذي جاء بالأمن والإيمان؛ لما عرفه الشبه بمقاصده وما يطلبه من مقاصده، وأطلعه على المقرب إليه والمقبول لديه، أخذ بهدي الأنام لذلك ويحجزهم عن الوقوع في المهالك، وطرح زين المهالك بها هنالك، فقال: «**مثلي ومثلكم، كمثل رجل أوقد نارًا، فجعل الفراش والجنادب يقضي فيها، وهو يذهن عنها، وأنا أجد بحجزكم عن النار تفلتون من يدي**»[1] رواه أحمد ومسلم عن جابر (فَكَمْ) الفاء للتفريع وكم للتكثير.

(فَازَ) أي: ظفر، قال في «القاموس»: الفوز النجاة والظفر بالخير، والهلاك ضد النجاة: فاز مات، وبه ظفر ومنه نجا، انتهى.

(بِالخَيْرَاتِ): جمع خير، وهي الفاضلة من كل شيء، قال الله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ﴾ [التوبة:88]، قال القاضي: منافع الدارين: النصر والغنيمة في الدنيا، والجنة والكرامة في الآخرة، وقيل: الحور، بقوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن: 70]، وهي جمع خيرة، تخفيف خَيِّرَة، انتهى.

وقال ابن عباس: «**لا يعلم معنى الخيرات إلا الله**»[2]، نقله الكواشي، والخير ضد الشر، قال الخفاجي- رحمه الله تعالى- في شرح «الشفاء»: وهو النفع الذي يرغب فيه، ويكون صفة مشبهة، وخيِّر: أفعل تفضيل من أخير؛ كشر من أشر، وهو ينطلق من أصله إلا نادرًا؛ كقوله: بلال خير الناس، وابن الأخير، وقرئ في الشواذ: سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر شر، ويكون صفة؛ كالخير بالتشديد، انتهى.

(مَنْ) أي: الذي (رَكْبُهُ) أي: ركب ذلك البدر المنير البشير النذير، وركبه: كناية عن شيعته وأنصاره وأحزابه المهتدين؛ كأنواره السائرين بسيره، الطائرين ببركاته وخيره، وكل تابع ليوم القيامة فهو مندرج في ركبه المصحوب بالسلامة، غير أن الأولية لها مزية، والمصدقون أولاً من الأصحاب لهم امتياز عن غيرهم عند رب الأرباب، وقد جعلهم نوابه في الاقتداء؛ ليهتدي بهم طالب الاهتداء، سيما الخلفاء من بعده الحافظين حرمة عهده.

---

(1) رواه مسلم (4/ 1790)، ورواه أحمد (3/ 392).

(2) في التبصرة للكواشي (2/ 295/ ق).

فقال فيهم: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**»[1]، ثم عمم وأباح للطلاب سلوك سبيل أي من كان من الأصحاب، فقال: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[2]، وأي فوز أعظم من فوز اتباعه؛ وأي: جوز أجسم من جوز اتباعه، فهنيئًا لمن لاحقه ذلك الركب، (**أَمَّا**): أي قصه، والألف للإطلاق، فإن من قصده فباب الله قصد، ومن رصده التماس بركاته وإمداداته فبفيض الله رصد، ومن أتى الباب دخل، ومن دخل ارتقى، ومن ارتقى استقى، ومن استقى استعد للقاء، ومن استعد تلقى، ومن تلقى نال البقاء، ومن بقي وصل، ومن وصل حصل وحصل، ولقين الفضل، أفتدرك بلقيه ما لا يدرك ولا يترك ولا يرتقى، كيف وطاعة هذا البدر التمام طاعة الله القدوس السلام، ومحبته محبته، ومبايعته مبايعته؛ لرفعة الجاه والمقام، ولما كان سبيل المحبة فني مراد المحب في مراد الحبيب؛ ليحصل له المرام، ناسب أن يلحق هذا البيت المنتقى بالتوسل بأهل الفناء، والسكر والصحو والبقاء؛ فلذا قال بعد ما جال في مجال المحو، وبعد مشيه فيه عنتًا، (**بِأَهْلِ الْفَنَا**)، أي: أتوسل بسر أهل الفناء عليك.

قال الإمام القشيري -رحمه الله تعالى: أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف الذميمة، وأشاروا بالبقاء إلى الأوصاف المحمودة، وإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين، فمن المعلوم: أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان القسم الآخر لا محالة، فمن فني عن أوصافه المذمومة استترت عليه الصفات المحمودة.

واعلم: أن الذي خص به العبد أفعال وأخلاق وأحوال؛ **فالأفعال** تصرفاته باختياره، **والأخلاق** جبلة فيه، ولكن تتغير بمعالجته على مستمر العادة، **والأحوال** ترد على العبد على وجه الابتداء؛ لكن صفاؤها تقدر بها الأعمال، فهي الأخلاق من هذا الوجه؛ لأن العبد إذا نازل الأخلاق بقلبه، ونفى بجهده سفسافها، مَنَّ الله تعالى عليه بتحسين أخلاقه، وكذلك إذا واظب على تزكية أعماله ببذل وسعه من الله تعالى عليه بتصفية أحواله؛ بل بتقوية أحواله، فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة، يقال: إنه فني عن شهوته، وإذا فني عن شهوته بقي بنسبة إخلاصه في عبوديته، ومن زهد في دنياه بقلبه

(1) رواه المروزي في السنة (1/ 27).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (6/ 297).

فني عن رغبته، وإذا فني عن رغبته بقي بصدق أمانته، ومن عالج أخلاقه ينفي عن قلبه الحسد، والحقد، والبخل، والشح، والغضب أكبر، وأمثال هذا من رعونات النفس.

يقال عن سوء الخلق: فإذا فني عن سوء الخلق بقي بالفتوة بصدق، ومن شاهد جريان القدرة في تصاريف حكام، يقال: فني عن حسبان الحدثان من الخلق، فإذا عن توهم الآثام من الأغيار بقي الحق، ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينًا، ولا أثرًا، ولا رسمًا، ولا طللاً، يقال: إنه فني عن الخلق، وبقي بالحق ففني العبد عن أفعاله الذميمة، وأحواله الخبيثة بعدم هذه الأفعال، وفناؤه عن نفسه وعن الخلق بزوال إحساسه بنفسه وبهم، فإذا فني عن الأفعال، والأخلاق، والأحوال فني عن نفسه وعن الخلق، فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين، ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق، غير محس بنفسه وبالخلق، وقد يرى الرجل يدخل على ذي سلطان، أو محتشم، فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه، وربما يذهل ذلك المحتشم، حتى إذا سئل بعد خروجه من عنده عن أهل مجلسه، وهيأت ذلك الصدر، وهيأت نفسه، لم يمكن الإخبار عن شيء، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف:31]، لم يحدث عند لقاء يوسف عليه الصلاة والسلام – على الوهلة – إلا قطع الأيدي، وهن أضعف الناس، وقلن: ﴿ مَا هَـٰذَا بَشَرًا ﴾ [يوسف:31]، ولقد كان بشرًا، وقلن: ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف:31]، ولم يكن ملكًا، فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق، فما ظنك بمن يكاشف بشهود الحق سبحانه وتعالى؛ فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وأبناء جنسه، فأي أعجوبة فيه، فمن فني عن شهوته بقي بأنانيته، ومن فني عن رغبته بقي بزيادته، ومن فني أمنيته بقي بإرادته، وكذلك القول في جميع صفاته، فإذا فني العبد عن صفته بما جرى ذكره يرتقي بذلك عن فنائه، وعن رؤية فنائه، وإلى هذا أشار قائلهم ﷺ:

وقـــــوم تــــاه في أرض بقفـــــر ... وقـــــوم تــــاه في مــــيدان حــــبه

فأفـــنوا؛ ثــم أفـــنوا؛ ثــم أفـــنوا ... وأبقـــوا بالــــبقاء مــــن قــــرب قــــربه

والأول فناء عن نفسه بفنائه بصفات الحق؛ ثم فناؤه عن صفات الخلق بشهود الحق، وفناؤه واستهلاكه في وجود الحق. انتهى.

قال الجيلي –رحمه الله تعالى– في «غنية أرباب السماع»: الفناء: هو عبارة عن فقدان

لوازم البشرية؛ إما ذهولاً عن علمه به، أو علمًا بانعدامه، أوحالاً حقيقيًا؛ والفناء على تسعة مراتب لكل مرتبة منها اسم مخصوص:

المرتبة الأولى: الذهول: هو عبارة عن عدم شعور العبد بنفسه عند الاستغراق في ذكر الحق لأهل الحجاب، أو عند بروز أنوار الجمال لأهل الكشف.

المرتبة الثانية: فالذهاب: هو عبارة عن فناء العبد عن أفعاله بسيره، وذهابه في الحق، فتكون أفعاله جميعًا أفعال الله، ويكون العبد في هذه المرتبة؛ كمثل القلم بيد الكاتب تقلبه الأصابع كيف شاءت في اليد؛ فالكتابة ولو كانت صادرة عن القلم إنما هي فعل الكاتب لا فعل القلم، وهذا معنى الذهاب؛ لأن العبد ذهب عن فعله لشهود فعل الله به، وقد يطلق اسم الذهاب على الترقي مطلقًا، سواء كان في سيره إلى الله، أو في الله.

المرتبة الثالثة: السلب: هو عبارة عن فناء صفات الخلق بظهور صفات الحق، فتسلب في هذا المشهد جميع أوصاف العبد، وتكون صفات الله تعالى عوضًا عنها، فيكون سمعه، وبصره، وعمله، وحياته، وقدرته، وإرادته لله تعالى. ويكون العبد نسبته نسبة المرآة ينسبه إليها ما ظهر من حليتها الصورة فيها؛ بل الحسن، والجمال للصورة المتجلية للمالك، فتكون تلك الصفات الظاهرة في العبد غير منسوبة إليه؛ بل هي منسوبة إلى الله تعالى؛ إذ هو المتجلي بصفاته في مرآة الكون، فالعبد في هذه المرتبة مرآة ظهور الحق فيها بصفاته؛ فالصفات صفات الله، والعبد مجلي ظهورها.

المرتبة الرابعة: الاصطدام: هو عبارة عن فناء العبد في ذاته لوجود ذات الحق، فينقل العبد من حكم الوجود، فلا يكون له وجود؛ بل الوجود لله والعدم للعبد، فلا يخطر بباله أنه موجود بحال؛ لعلمه بعدمه ذاتًا وصفات.

المرتبة الخامسة: الانعدام: هو عبارة عن فناء العبد عن فنائه، فلا يبقى عنده شعور بأنه فانٍ، بل تفنى عنده جميع صفاته وأحكامه، وذاته [وأفعاله]، فلا يبقى عنده عندية فيتحقق بمقام الانعدام، وفي هذه المرتبة يقال فيه واجد، ومن هذا المشهد ينتقل إلى مقام البقاء، وسيأتي بيان البقاء في محله.

واعلم أنه لا يلزم من تحققه بالانعدام أن لا يبقى فيه أحكام البشرية؛ بل يجوز أن يتحقق بمقام الانعدام، وفيه البقاء؛ لأن هذا التحقق إنما هو من حيث علمه، وعنديته لا من حيث لا هو عليه في الظاهر؛ لأن جسمانيته باقية على حالها، وإنما هو محجوب بالله عن

البشرية وأحكامها، والذي تزول عنه البشرية بسائر أحكامها إنما هو في مقام الطمس والمحو، وسيأتي بيانهما في هذا المحل إن شاء الله تعالى.

المرتبة السادسة: السحق: هو عبارة عن زوال الحسن من نفس العبد؛ فيقبل الأوصاف الإلهية من غير تعمل، ولا تقفل، ولا استحضار؛ بل يقبل صفات الحق؛ كما يقبل صفات نفسه؛ لا يبقى عنده بينهما فرق، وهذه المرتبة من أول مقامات التحقيق، فيه يلحق العبد بالله، أو من حيث تجليه عليه، وتوليه له، وتقريبه إليه، وهو مقام عزيز؛ لأن القلوب مجبولة على الأوصاف الخلقية من العجز، والذل، والحقارة، والجد، والحصر، وأمثال ذلك مما هو طبع البشر، ولازم المخلوقية؛ فإذا نسب إليها بشيء من صفات القدرة، والغر، والكبرياء، والعظمة، والألوهية بالطبع، والضرورة، وإن قلت شيئًا من ذلك فعن تعمل، وتصنع، وبعد استحضار لأصليته، أو بإيمان يؤمن به، ولم تطمئن له النفس، ولم يستكن، ويشتبه ذلك على كثير من العارفين، إذا وجد فيه شيء من صفات الله تعالى، فيظن أن الحسر قد زال عن نفسه بالكلية، وليس الأمر كذلك، اللهم إذا صار في مقام الانعدام، فعلامته **ثلاثة أشياء:**

أحدها: أن يقبل بذاته سائر الأوصاف الإلهية.

الثاني: أن لا يجد فرقًا بين قبول صفات الله، وبين قبوله صفات نفسه؛ بل يقبل هذا كما يقبل هذا بالسواء من حيث الوجدان.

الثالث: أن لا يحتاج في قبوله صفات الله إلى استحضار اسم، ولا إلى تعقل معنى؛ بل بمجرد ما هو عليه، يقبل ما يعلمه الله بذاته سبحانه وتعالى.

المرتبة السابعة: المحق: هو عبارة عن زوال الحد والحصر من جسمانية العبد، وروحانيته معًا؛ فإن اليد مثلاً ليس في جبلتها الطبيعي أن يكون فيها قوة المشي على الهوى، على أن القابلية الإنسانية فيها جميع ذلك، وإنما تقييد النفس بالعادات سفه، وحصرها عن ذلك وحصرها على حد لا تتعداه الجوارح، فإذا زال الحصر عن الجارحة ظاهرًا، أو عن النفس باطنًا، فقد محق هذا العبد، وتحقق بهذه المرتبة الشريفة، ومنها ينتقل إلى مقام الطمس.

المرتبة الثانية: الطمس: هو عبارة عن ذهاب أحكام البشرية مطلقًا من طبعه، وعاداته، وظاهره، وباطنه فلا يغيره الجوع المفرط، ولا السهر الدائم، ولا الزلازل

العظام؛ بحيث إن لا تدعوه نفسه في ذلك إلى غيره؛ فإذا سهر لا تدعوه نفسه إلى النوم، وإذا جاع لا تدعوه نفسه إلى الأكل، وكذلك في سائر أحواله، وأموره العادية والطبيعية مع زوال الحصر عنه؛ كما سبق في المرتبة الأولى التي هي قبل هذه المرتبة، والفرق بين المحق، والطمس أن المحوق، ولو زالت عنه أحكام الحد والحصر المتعلقين بالأجسام؛ فإنه لا يشترط؛ فإنه تزول عنه أحكام البشرية، والمطموس شرطه أن يزول عنه أحكامها.

المرتبة التاسعة: المحو: هو كمال الفناء؛ لزوال سائر الآثار الخلقية بظهور الآثار الخفية؛ فإن المحو شرطه ظهور آثار الحق على هيكل الإنسان؛ لأنها - أعني آثار الحق - لا ينشأ ظهورها على جوارح العبد إلا لوجود بقية فيه، وعلامة زوال ظهور أثر الحق على جميع الجوارح.

واعلم: أن هذه المراتب الأربع التي هي: السحق، والمحق، والطمس، والمحو مخصوصة بأهل مقام البقاء دون المراتب الخمس الأول، فإنها مخصوصة بأهل مقام الفناء؛ لأن الباقي بصفته من صفات الله لا يظهر عليه أثرها إلا بعد التحقق بمقام المحو، وهو نهاية الفناء عن الكيفيات، والحدود الخلقي، وأما قبل التحقق بهذا المقام لا يظهر الآثار كلها على جوارحه بحكم الاختيار، ولو كان في مقام البقاء، وهذا لا يعرف بطريق العقل والفكر، ولعل طائفة من المتصفين المتشدقين بعلوم الحقيقة لا يسلمون في ذلك؛ لزعمهم أن الباقي من شرطه أن يكون متصفًا بسائر أوصاف الكمالات، وليس الأمر كذلك؛ بل الناس في مقامات البقاء على درجات، والله أعلم، انتهى.

وقال اللقاني قدس الله سره: وأكثر العارفين أضافوا معرفة الله إلى فناء الوجود، وفناء الفناء، وذلك غلط، وسهو واضح؛ فإن معرفة الله لا تحتاج إلى فناء الوجود ولا فناء الفناء؛ لأن الأشياء وجود لها، وما لا وجود له لا فناء له، وفي إضافة معرفة الله تعالى إلى فناء الوجود وفناء الفناء إثبات الشرك؛ لأنك إذا أضفت معرفة الله تعالى إلى فناء الوجود، وفناء الفناء كان الوجود لغير الله تعالى ونقيضه، وهذا شرك واضح؛ لأن النبي ﷺ قال: «**من عرف نفسه، فقد عرف ربه**»[1]، ولم يقل من أفنى نفسه فقد عرف ربه؛ فإن إثبات الغير يناقض فناؤه، وما لا يجوز ثبوته لا يجوز فناؤه، ووجودك لا شيء، والشيء لا يضاف

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٢٠٨).

إلى الشيء، لا فان ولا غير فان، ولا موجود ولا معدوم، انتهى.

لكن القوم إنما ذكروا الفناء وأثبتوه، أولاً: لوروده في الكتاب والسنة، وثانيًا: فقد أدرك أهل السير ذوقًا من عين المنة، فإن الوجه الخلقي غير منتق بالكلية للنصوص القطعية، فمن نظر لمقام الجمع، وهو شهود حق من غير خلق نفاه، ومن نظر للعرف الثاني، وهو شهود حق وخلق أثبته، وهذا مقام الكمال، وأنشد العارف من بحر الجلال، والجمال:

لا بد من عين عبد، وهي ثابتة ... حتى تصح محاكاة من الحاكمي

وقول: حتى تفنى ما لم يكن أي من القيود الرسمية، والحدود الوهمية، ويبقى سالمًا يزول، وهي الآثار الخفية، والصفات الربية، وأنشد الجيلي في إنسانه، منحه الله وافر امتنانه:

ما الخليقة إلا اسم الوجود على ... حكم المجاز وفي التحقيق ما أحد

فعندما ظهرت أنواره سلبوا ... ذاك التسمي فلا كانوا ولا فقدوا

أفناهم وهم، وفي عينهم عدم ... وفي الفناء فهم باقون ما جحدوا

فعندما عدموه صار الوجود له ... وكان ذا حكمها من قبل ما وجدوا

فالعبد صار كما أن لم يكن أبدًا ... والحق كان، كما أن لم يكن أحد

لكنه عندما أبدى ملاحته ... كسى الخليقة ثوب الحق فاتحدوا

أفنى، وكان عن الفاني به عوضًا ... وقام عنهم، وفي التحقيق ما فقدوا

كالموج حكمهم في بحر وحدته ... والمسوج في كثرة بالبحر متحد

فإن تحرك، فالأمواج أجمعها ... وإن تكثر لا موج ولا عدد

(وَالسُّكْرِ) أي: وأسألك بأهل السكر الذين غيبهم الوارد القوي عن سلوك سبيل الصحو السوي، والوارد ما أن يكون أقوى من المحل الوارد عليه، فيظهر الضعف بسببه قوة الوارد لديه، أو يكون المحل آقوى فلا يظهر له حكيم، أو مستويات قوة وضعف؛ فلذلك قال الإمام القشيري - رحمه الله تعالى: الصحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة،

والسكر غيبة تورد قوى، والسكر زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطًا إذا لم يكن مستوفيًا في سكره، وقد يسقط اختار الأشياء وعن قلبه حال سكره، وتلك حالة الساكر الذي لم يستوفه الوارد؛ فيكون للإحساس فيه سائح، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة، وربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذا قوي سكره، وربما يكون صاحب الغيبة آتم في الغيبة من صاحب السكر، إذا كان شاكرًا غير مستوفٍ، والغيبة قد تكون للعباد بما يغلب على قواهم مما يوجب الرغبة والرهبة، ومقتضيات الخوف، والرجاء، والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد؛ فإن كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر، وطرب الروح، وهام القلب، وفي معناه أنشدوا:

فصحوك من لفظي هو الوصل كله ... وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا

فما مل ساقيها، وما مل شارب ... عتاد لحاظ، كأسه يسكر اللبا

فأسكر القوم دور كأس ... وكان سكري من المدير

وأنشدوا:

لي سكرتان وللندمان واحدة ... شيء خصصت به من فيهم وحدي

سكران سكر هوى وسكر مدامة ... فما مني فتى به سكرات

قال الأستاذ - رحمه الله تعالى: واعلم أن الصحو على حسب حال السكر، فكل من كان سكره بحق كان صحوه بحق، ومن كان سكره بحظ مشوبًا كان صحوه بحظ مصحوبًا، ومن كان محقًا في حاله كان محفوظًا في سكره، والسكر والصحو يشيران إلى طرف من التفرقة، فإذا ظهر من سلطان الحقيقة علم؛ فصفة العبد البثور القهر، وفي معناه أنشدوا قولهم:

إذا طلع الصباح بنجم راح ... تساوي فيه سكران وصاحِ

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف:143]، هذا مع رسالته خرَّ صعقًا، وهذا مع صلابة وقوة الجبل ظل دكًّا متكسرًا، والعبد في حال سكره يشاهد الحال، وفي حال صحوه بشرط العلم؛ إلا أنه في

حالة سكره مخفوضًا بتصرفه لا بتكلفه، وفي صحوه محفوظًا بتصرفه، والصحو والسكر بعد الذوق والشرب، انتهى.

وقال الإمام السهروردي ﷺ في «عوارف المعارف»: والسكر استيلاء سلطان الحال، والصحو العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال، قال محمد بن خفيف: السكر غليان القلب عن معارضات الذكر المحبوب.

وقال الواسطي: مقامات الواجدين أربعة: الذهول، ثم الحيرة، ثم السكر، ثم الصحو، كمن سمع بالبحر ثم دنى منه ثم دخل فيه، ثم أخذته الأمواج، ومن بقي عليه أثر من سريان الحال؛ فعليه أثر من السكر، ومن عاد كل شيء منه إلى مستقره فهو صاحٍ؛ فالسكر لأرباب القلوب، والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب، انتهى.

قال الملائي -رحمه الله تعالى- في «جنة المعارف»: والسكر نظر القلب إلى الصفات والتنعم بما يرد عليه مع سقوط التمالك، ومتى تبرأ من هذه الأمور، وبقي به تعلق فصحو، انتهى.

وقال الخروي -رحمه الله تعالى في باب السكر: رب أرني النظر إليك، السكر في هذا الباب اسم يشار به إلى سقوط التمالك في الطرب، وهذا من مقامات المحبين خاصة، فإن عيون الفناء لا تقبله، ومنازل العلماء لا تبلغه، وللسكر ثلاثة علامات: الضيق من الاشتغال بالخير والتعظيم قائم، واقتحام لجة الشوق والتمكين دائم، والفرق في بحر السرور والصبر هائم، وما سوى ذلك فحيرة تنحل اسم السكر إليه جهلاً، أو هيمانًا يتسمى باسمه جورًا، وما سوى ذلك فكله نقائص؛ كسكر الحرص، وسكر الجهل، وسكر الشهوة، انتهى.

قلت: وأنشد بعض من أرشد لسكران نقص ينبغي اجتنابها، فقال:

سكرات خمس، إذا منى المرء بها ... صار خلسة للزمان

سكرة المال والحداثة والعش ... ق، وسكر الشراب والسلطان

وقال سيدي محيي الدين - قدس الله سره - في (الباب في معرفة مقام الفتوة وأسرارها) بعد كلام طويل: فالتوفيق في الإطلاق، و(ألم)، أي: إطلاق أسماء لم يُسم الحق بها نفسه، وما فعل هذا سبحانه كله إلا ليُعلم الخلق الأدب منه؛ إذ قد علم أن من أهل الله من له

شطحات، ليتأدبوا فلا يشطحوا؛ فإن الشطح نقص بالإنسان؛ لأنه يلحق نفسه فيه بالرتبة الإلهية، ويخرج عن حقيقته؛ أي: لأن الشطح إطلاق من وثاق قيود، وخروج عن دائرة حدود، وبذا يخرج عن حقيقة عبوديته، ويغفل عن شهود نقصه وكمال سيده، وأحديته، فيلحقه الشطح بالجهل بالله وبنفسه، وقد وقع من الأكابر، ولا أسميهم؛ لأنه صفة نقص، وأما رعاع الناس فلا كلام لنا معهم؛ لأنهم رعاع بالنسبة إلى هؤلاء السادة، وإذا وقع مثل هذا من السادة، فعليهم يقع العتب منا، وقد شطح الأدنى على الأعلى؛ كمثل الشطحات على مراتب الأنبياء، وهي أعظم عند الله في المؤاخذة من شطحهم؛ فإن مرتبة الإله تكذبهم عند السامع؛ وأما شطحهم على الأنبياء فموضع شبهة، يمكن أن تقبل الصحة في نفس الأمر فيعتبر السامع الحَسَنِ الظن به الذي لا معرفة له بمراتب أصناف الخلق عند الله، فيغار الله لذلك، من حيث هو حق للغير، وما يؤثر من الضلال في الناس والنفس، فيؤاخذ صاحب الشطحة بها، ولا سيما إن ظهرت منه في حال صحو، وكذلك الشطحات المنقولة عن السادة من رؤية فضيلة جنسها من البشر عن الملائكة جهلاً منهم، وهم مسؤولون، أو مؤاخذون بذلك عند الله، والعالم بالله المكمل هو الذي يحمي نفسه أن يجعل الله عليه حجة من الوهب، زاد من زال أن يسلم من ذلك، فليتق عند الأمر والنهي، وليرتقب الموت ويلزم الصمت إلا عن ذكر الله من القرآن خاصة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبًا، ولا من الشر مهربًا، وقد استبرأ لنفسه، وأعطى كل ذي حق حقه؛ كما أعطى الله كل شيء خلقه، وهذا هو العاقل مقصود الحق من العالم، وما فوق هذه المرتبة مرتبة المخلوق أصلاً، انتهى.

ولنذكر عبارة أجراها على القلم الوارد، فأثبتناها في جميع الموارد، وهي السكر شأن من هيمهم الجمال، فلا يقوم بأهل الكمال، إذ أهله ما لكون الموارد رادون كل شارد، حالهم المحو في الصحو، والصحو في المحو، السكران لا يلام لأنه مغلوب، والتسليم له مطلوب عند أهل القلوب، الذائق بعذر والضائق يغدركم أغرق بحر السكر من عابر وكم سلب له كل متجرد صابر، يا عجبا! كيف يلام من سكر من خمر المحبة، وهام في تناول عتيق مدام هاتيك الشربة، حتى أذهله سكره عن كل مألوف، وغيبه عنه؛ إذ كان مخطوفًا عن كل مشغوف المعروف، لا يدري شمالاً من اليمين، ولا يشهد سوى محبوبه ونجبه، لا يمين لا يطلب من الرق عتقًا، ولا يشرب إلا بالذق خمرًا عبقًا، لو عرضت له

النار في سكره عبرها، أو البحار الزوافر شقها، ولأسرار الأطوار عبرها، إذا عارضته العوارض بسيف غرمه قطعها؛ وإن نازعته براري الأمل خلفها خلفه وقطعها، وإن فجاءته الفتوحات الإلهية، وتمكن في كتمها أخفاها، وإلا أبداها لطلابها، وعن غيوار بابها أخفاها.

قال أبو مدين الغوث- رزقنا الله به الغياث والغوث-: إن السكران في حال سكره،فقد يرتفع التكليف في سكره عنه؛ فإنه منوط بالعقل حسبما صح به النقل، والسكران عقله مستور وبحاله مجبور مقهور، وأنشد لسان الحال في هذا المقام من المقال:

أيها السكران من شرب الرحيق ... قل متى تصحو متى أنت تفيق

فأجاب الحب عنه قائلاً: ... من بنا يسكر هذا لا يفيق

كيف يصحو من سقى من أكؤوس ... لم تشب بل هي من صرف العتيق

أذاقها أحبابنا من قديم ... وبها هام أبو بكر العتيق

وكذلك الصحب جمعًا قد سقوا ... فأسير منهم فيها طليق

أيها اللاجئ متى تضيق بها ... ما لو تذقها لم تلم أهل الطريق

بل لهم كنت تصافي أبدًا ... وتوافي حانَهم في كل ضيق

هذه الخمرة من ذاق لها ... فهو للحضرة والوصل يليق

والذي يصحو بعيد السكر من ... ها فذا بالقرب والشرب حقيق

فلها يتم وفي بحر الهوى ... خف، وكن في وسطه أنت الغريق

السكران غائب عن الإحساس بموارد أطايب عجائب الإيناس ما سور سلطان بجمال مطلق في ميدان الاحتمال، أدهشه بحق بعظيم تجلياته وأنسه بقديم إمداد أسمائه، وصفاته؛ ولتلونه كما لو لون في الأنباء إذا تجلى عليه المقصود بالذات، قال: أنا، فيجري بحق على لسانه ما يريد، وهو غائب عن وجوده وعيانه، فمن سمع منه، ولم يكن مكاشفًا بما هو الأمر عليه نسب ما صدر من قول، وفعل إليه، ومن حقق ودقق النظر عرف أنه مجبور فيما على وجوده خطر، كيف ينطق من لا نطق له، أو يدعي قوة وحولاً ولا قوة له.

فإن قلت: كل الخلق بالنسبة لوجود الحي الذي لا يموت أموات غير أحياء لا نطق عندهم، ولا سكوت، قلنا: نعم، لكن ما فاز بشهود هذا المشهد على سبيل الذوق، والوجدان إلا السالك في معالم السلوك، والمتدرج في درج العرفان، وإما مجرد الدعوى بغير ثبوت؛ فواهية الأركان؛ كبيت العنكبوت:

عرج على وادي العقيق نصيب ... واد لكل فتى لديه نصيب
وترى الندامى أسكروا بعبيره ... لقلوبهم بين الرحاب وجيب
لا يعرفون سوى بنور عمهم ... لما تجلى في الظلام قريب
ولهم سقا كأس اللقا كي يدركوا ... سر البقاء فيعظم التقريب
فتوجهوا بجميعهم لحبيبهم ... وتحققوا أن المحب حبيب
ولقد صحوا من بعد ما سكروا به ... وأتاهم التدريب والتهذيب
فسروا على نهج السورة لم يفت ... ترغيبهم بتفرد ترهيب
أنعم بهم من معشر كل امرئ ... منهم بعلم شفاء النفوس طبيب
رضا الإله عليهم ما إن سرى ... لحمى النداء في واله وكئيب
أو ما توجه نحو طيبة قاصد ... قربًا ودمع العين سنة صبيب

(وَالصَّحْوِ) أي: وأسألك بأهل الصحو الذين رجعوا للإحساس بعد الغيبة بوارد قوي يعمر الأنفاس، وهو فوق السكر؛ إذ هذا مقدمته، فمقام السكر لأهل البداية والصحو لأهل النهاية، فكل سكران صاحٍ في سكره، وكل صاحٍ سكران في صحوه، ينكره أي: فإنه ينكر على السكران بما يبديه في شطحاته، ويقبل إنكاره عليه؛ لذوقه مقامه، وترقيه بنفحاته، ومن السكارى من يسكر شهرًا، ويصحو دهرًا، ومنهم من يسكر أيامًا، ولا يفيق أعوامًا، وفيهم من يسكر ساعة، ولا يصحو ليوم الساعة، ومنهم من يسكر مدة عمره الطويل، ولا يفيق إلا قبل موته بقليل، ومنهم الذي يسكر، ولا يدري بسكره، وغيبته، ويظن أنه صاح، وهو ماح أسطر الصحو من رق غيبته، ومنهم السكران بعوالمه

السرية الصاحي بعالم نفس المجيئة، ومنهم السكران الصاحي في سكره، والصاحي السكران في ذكره، وسببه اختلاف الاستعداد، والتهيئة لبلوغ المراد، فإن من شرب أقداحًا ليس كمن غيب الأكوان طفاحًا، فبعد صحوه لقرب مفرط سكره، وفي محوه لقيامه بواجب شكره، وغر صحوه إذا كان سكره أغر، وهز جزع نخلة الهيام للقيام، وثبت فما اهتز، ولبس الخز من الوجدان، وغيره لبس بالفقد البز، وأنشد العالم الجيلي - رفع الله أعلام قربه ولجنابه أعز:

فـؤاد بـه شـمس المحـبة طالـع ... ولـيس لـنجم العـذل فـيه مواقـع

صحا الناس من سكر الغرام وما صحا ... وأفـرق كـل، وهـو في الحـان جامـع

ومنهم من شرب كأس خمر الحب الذي رقا، ولا يصحو من سكرته إلا ليوم اللقاء.

نقل القشيري الإمام، بسنده إلى السري المقدام أنه: رأى معروفًا الكرخي في المنام كأنه تحت العرش، يقول الله تعالى لملائكته الكرام: من هذا، فيقولون: أنت أعلم يا ربنا؛ فيقول هذا معروف الكرخي، سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي، انتهى.

ومنهم الشارب بكأس الهيام من خمر أولي الهيمان من أهل الاصطلام، ويسرح بروحه في عالمهم الأعلى، وشرح صدود صدور بحال أعلى ومجال أغلى، ويحفظ الله جسمه من طوارق النقص والخلل، ويلحظه بنسيات بوارق الأزل، ويسأل ويجيب ويحكم فيصيب، وهو غير دار بحقيقة ما هو فيه، اللهم إلا أن يشرف على مقامه صاحب كشف لمقامه يوافيه فيخبره بحاله فيصافيه، وربما لإحساسه بعد طول غيبة؛ فأدرك ما حصله فيها، وأزال الله شكه وريبه، ولقد قلت من قصيدة مخاطبًا للنفس الغافلة، التي في أثواب الزهو واللهو وآفلة:

ومـع الهـيام هيمـي وتنـشقي ... زاكـي العـرف، وبالـوجد اشـطحي

واسرحـي مـا بيـنهم إن أذن الحـق ... في ذلـك يـومًا، وامرحـي

وقلت من قصيدة:

نحـن الـسكارى بخـمار الـشهود فلـو ... يمـسنا صـاح بالـسكر يفتـضح

واعلم أن أهل الصحو هم المحققون المخلصون من ورطة السكر والمحو، القائمون في مركز مقام الكمال الإحاطي، الجمعي، الأحدي، الوسطي، النقلي، السمعي، آياتهم من الكتاب المبين عنه من رزق فيه، فهما: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:114]، صاحبه مقبول القول مقتول عن شهود القوة والحول، يعطي كل ذي حق حقه ويبلغ كل طالب ما استحقه، له السير السوي والمنهج القوي، لا يجيب من ناداه من خلف وهو الواحد المعدود بألف، ثابت القدم إذ الصحو مثبت، ناظر نجحد، والمقدم والولي في سره الأسرار ينبت، سكر الحلاج، فلم يكن من أهل الاحتجاج، وصحا أبو دلف فكان مرضي القول عند السلف، إذا سار ركب أهل سلوك إلى ملك الملوك لاحت لهم اللوائح وفاحت عطريات الروائح؛ فجذبوا بأعنة الشوق إلى عالم الوجدان والذوق، وأشرفوا على وادي القرب، واغترفوا من بحر الحب، اعتراهم بالشرب هيمان وطرب، وجلسوا على منصاته فبلغوا الأرب، ثم إذا تمكن منهم لاعج الغرام سكروا بتجليات الحبيب على الدوام، وقَلَّ من يثبت عندها فلا يغيب، ويصبر لصدماتها ولداعيها يجيب، وأنشدوا:

لكـــلٍ إلى شـــأو العـــلي حـــركات ولكـــن قلـــيل في الـــرجاء ثـــبات

وأما الصاحي بعد غيبته، الماحي نقوش السُّكْر من زق فكرته، الراجع من تلوُّنه لمقام تمكينه والقائم في مقام الإرشاد نيابة عن أمينه، فهو نادر قليل؛ لأنه حال جليل ومنال جميل، لا يستطيع الصبر إلا بالصبور مشاهدةً، ولا تحمل القوى البشرية إلا به حمل أعبائه إذا بدت معاهدة، والتجلي مفني مدهش والحجاب مبقٍ منعش، كما أن المشاهدة فناء لا لذة فيها؛ لأنها تذهب بمصافيها وموافيها، فالصاحي وهو في بحر التجليات غريق غريق، بشرب العتيق عتيق، باقٍ بحبيبه مطلق وثيق، لوجهه بريق، يكاد من يراه يغص بريقًا.

(وَالْبَقَا)، أي: وأسألك بأهل البقاء الذين منحتهم الارتقاء، وهو في الاصطلاح: رؤية العبد قيام الله على كل شيء.

قال الجيلي قدس الله سره في «غنية أرباب السماع»: البقاء هو عبارة عن صفة إلهية يتصف بها العبد بعد فنائه عن نفسه، وقد تقرر أن الفاني محجوب بالله عن وجود نفسه، فالباقي حينئذ كاشف غير محجوب، يرى نفسه ويرى ربه والناس في مقام البقاء على

درجات، فمنهم من هو مع الله بصفة أو صفتين، ومنهم من هو معه بالكمال، ومنهم من هو معه بأسماء المراتب، ومنهم من هو معه بالجمال، ومنهم من هو معه بالجلال، ومنهم من هو معه بالكمال، فمن كان معه بصفة أو صفتين لا يشترط فيه زوال أحكام البشرية من كل جهة؛ بل يكفي ذلك إذا أفنى هو عنها بغيبوبته في الله، فإنه إذا تحققت بتجلي الله له فيها، ويشهده عينه، فيرجع إلى نفسه بالله ويعرف نفسه بغير تلك المعرفة التي كان يعرفها بها في مقام الفناء؛ لأنه كان يعرف نفسه بالعدم، فصار يعرفها بالوجود المطلق، وسببه ظهور الحق له فيها من غير حلول؛ فلأجل ذلك يبقى ببقاء الله؛ لأن أمره إذ ذاك منسوب إلى الله، فهو الباقي.

وأما من يكون مع الله بالكمالات الإلهية فشرطه: زوال أحكام البشرية وآثارها، كما سبق بيانه، وقال في كتاب «المناظر الإلهية»، منظر البقاء: يبقيك الله تعالى- في هذا المشهد بنوره الذاتي، فيرد عليك وجودك كما كان أولاً، فتشهد سمعك وبصرك وعلمك وقدرتك وقوتك وحياتك وكلامك وفعلك وحالك كلها منسوبة إليك، وتعلم حقيقة أن حياة الله وعلمه وسمعه وبصره وإرادته وقدرته وكلامه، غير علمك وحياتك وقدرتك وأمثال ذلك، وتميز صفة الله من صفاتك، فتلحق الكمالات به وتلحق بك ما هو منسوب إليك من الكمال والنقص، فتشهد الحق حقًا فتتبعه، والباطل باطلاً فتتجنبه، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**أصدق بيت قالته العرب:**

ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[1]

ثم علمنا في قوله: «**اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه**»[2]، واتباع الحق في هذا المشهد أن تنسب إليه ما يستحقه من الكمالات، وتنزهه عما لا يليق لكبريائه تعالى، ومن هذا المشهد تكون بداية أهل حق اليقين في إعطائهم الحق حقه، ومن هو دون هذا المشهد فليس هو من أهل اليقين؛ بل من أهل عين اليقين أو علم اليقين.

آفة هذا المنظر اشتغالك بذات الله عن صفاته، فأنت إذا محجوب عنه؛ أي عن

---

(1) رواه البخاري (3552).

(2) رواه ابن راهويه (1/ 9).

صفاته، ومن هذا المشهد يُرْتَقَى إلى التلوين، أي: في التمكين، انتهى.

وقال الشيخ عبد الله الأنصاري- رحمه الله تعالى- في «منازل السائرين»: البقاء والله خير وأبقى، اسم لما بقي بعد فناء الشواهد، وذلك عام في سائر أنواع ما بقي العبد متصفًا به مدركًا له بعد فناء الشواهد، يعني الأدلة والآثار، لاختلاف أحوال السالكين، وما يغنيهم الحق عنه ويبقيهم معه، وهو على ثلاث درجات:

الأولى: بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عينًا لا علمًا.

والثانية: بقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجودًا لا نعتًا.

والثالثة: بقاء ما لم يزل حقًّا بإسقاط ما لم يكن - محوًا - التحقيق: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:260]، والتخليص قلبي، والتلخيص من الخق وبالحق وفي الحق، **فالأول**: أن لا يخالج علمك علمه، **والثاني**: أن لا ينازع شهودك شهوده، **والثالث**: أن لا يناسم رسمك رسمه، فسقطت العبارة والإشارة، انتهى ملخصًا.

وقال الشيخ يوسف العجمي الكوراني في «شرح ما وحد الواحد من وحد»: وقال العارف أبو محمد روزبهان: بقاء البقاء حضور القلب في مشاهدة بقاء الحق، بعد اتصافه ببقائه، فإن قلت: هل يكون بعد البقاء فناء؟ فإن قلت: نعم، فيشكل عليك؛ لأن الفناء مورده الوجود الأول الظلماني أو النوراني، وذلك قد انعدم عنه، وإلا فهذا قائم بالحق بوجود بقائي، وذلك الوجود لا يزاحمه الفناء، وإن قلت: لا يشكل عليك أنه يكون لأهل البقاء تلوينات، والتلوين لا يمكن إلا في فناء صفة وثبوت أخرى، ثم قال: قلت: اخترنا جواز الفناء بعد البقاء، ولكن مورد الفناء في حالة البقاء وجوه مشهودة بالوجه الذي تجلى له، فإنه إذا تجلى عليه مشهود بوجه آخر أكمل وأقوى من الوجه الأول، فلا شك أن الوجه الأول ونوره يندرج في نور الوجه الثاني، وكذا الثاني في الثالث إلى ما لا يتناهى، بحيث لا يتجلى لأحد بوجه واحد مرتين، ولا بوجه واحد على عبدين، لقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:88]، أي: كل شيء يتناهى وينعدم إلا وجه الله، أراد وجوه أسمائه وصفاته وكمالات ذاته، فإنها لا تتناهى أبد الأبد كما قلنا.

وفي قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:115].

إشارة: إلى أن الباقي وغيره كلها حول وجه من وجوه الله فيتراءى، ثم وجه أعلى

علاء من الأول، فالباقي في تلك التحولات الوجوهية الذاتية والأسمائية لا يتغير، وجوده البقاء في ذاته؛ ولكن لا ينوره من حيث تعلقه بمشهود آخر الذي هو وجه آخر من الوجوه الإلهية، وذلك لا ينافي بقاء الوجود البقائي على حالة في نفسه، فهو كما يشبهه في النور الوجهي الذاتي الأسمي، قائمًا به [ومقومًا لما دونه، فالآن يشاهد بدله نور الوجه الثاني]، مسترًا الوجه الأول مقومًا لما دونه من الأشياء، فيعبر عن هذه الحالة بالتلوين بعد التمكين وبالفناء بعد البقاء، وهذا من دقيق العلم الذي انكشف لكلبهم الباسط ذراعي جسمانيته وروحانيته بوصيد أصحاب كهف الفناء، وفناء أرباب كن البقاء الذين فروا بدينهم من دقيانوس، الوجود الحاجب عن الحق وارد بحصول فناء الفناء، وأكناف بقاء البقاء، وقد اندرس كثير من دقيق علمهم؛ أي: الطائفة العلية، كما انطمس كثير من حقائق رسومهم.

وقد قال سيد الطائفة، الجنيد بن محمد البغدادي- رحمه الله تعالى: علمنا هذى قد طُوِيَ بساطه ونحن نتكلم في حواشيه، وما أنشد فيهم قولهم:

هم القوم، هاموا فاستقاموا على السرى	**بـأنهم هـمـم تـسـموا إلى العلـم الفـرد**
بحياءالحياء والعلم والحلم والنفـ	**ـي دار السخاء والعـز والشكر والحمد**
كنوز الـصفاء والعشق والصدق والـ	**ـولاء هم من بحار الغيب ورد على ورد**
عليهم سـلام الله مـا هب الضياء قبـ	**ـل ابتـسام الـصبح في طالـع سـعد**

(بِكُلِّ مُحِبٍ)، أي: وأسألك بكل محب قام به وصف الحب، وصفى بشرب شرابه من العقل واللب، تيمة الجمال وهيمة الكمال، حتى أسقاه من خمار الخمار وأزاحت له حسنًا بها ونهاره الخمار، وكشفت له ما وراء حجابها وجعلته من حجابها، ومنحته بديع خطابها إذ رأته مطيع خطابها، أمها على أم رأسه، وله ولهٌ بها زائد، وفا بها عن غيرها وله ماها به رائد، عقار شيمه واسمه واختفاء حظه وقسمه، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون، يعملون بما يعملون، فورثوا علم ما لا يعلمون، أحبوا الله وأحبوا من أحب الله أو أحبه الله؛ لأنهم أهل الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: 31].

لطيفة: سحاب سمائها ماطر، ورضاب بغر عطائها عاطر، مسكوب حبها ليس له

راقٍ، ومسلوب صبها بيد صبها للعلا راقٍ، وأورد وردها لهفان، وواجد وجدها، فإن يشهد العذاب عذبًا والصائب شهدًا، فلا يعرف سلوىً؛ إذ ذاق حلاوة في الحب تفوق على المن والسلوى، يشتهون الحزن ويراه بجواه سهلاً، ويستقبل فرحًا بأهلاً وسهلاً، يستحسن الموت ويستقبح الفوت؛ إذ المهات في أحبابه عين حياته، بل هو من أطيب طيباته، وقد أحسن من سما بسماته في قول الفائق على البدر في هلاله:

أفهددون محبكم بمماته ... ومماته في الحب عين حياته

لو أنهم شربوا مدامة وجده ... علموا أن الذي جهلوه من راحاته

أنتم وجود محبكم، فبقاؤه ... فيكم مع التجريد من آفاته

من كان قد عرف الحبيب بوصفه ... فإذا الذي عرف الحبيب بذاته

عني خذوا حكم الغرام لأنني ... مُبْدٍ حقائقه وذات صفاته

وبي اشهدوا وجه الحبيب فناظري ... أبدًا يراه من جميع جهاته

محلها القلب، ولا يمكن صاحبها قلب، وتنتشر في الجوارح بعد ظهورها فيه؛ فتستغرقه جملة بظواهره وخوافيه، هي منزل تدور عليه المنازل، ورتبة يحتاجها الصاعد والنازل، لولاها ما سار سار سالك، ولا طار للأوطان مَنْ لحاه مالك.

وقلت في معنى ذلك: وقلت في معنى ذاك:

لولا المحبة لم يسر نحو العلا ... سار ولا رحلت إليه الطُّلَّبُ

و وحقها لولا دموع أسيرها ... حاكى بروق السحب منها الخلب

ولأهل اللغة في مادة الحب خمس استعمالات:

الأول: الصفاء والبياض، ومنه قولهم لصفاء الأسنان ونضارتها: أحبب الأسنان، والحب إذا لم يصف من الأكدار، ويتصف تخلصه بوصفة النضار لا يعول عليه لدى الأخيار، ولا يُعَدُّ صاحبه من الأطهار.

قلت ارتجالاً بعدما جلت في ميدان الحب مجالاً:

مـــن لم يكـــن صـــاف مـــن الأكـــدار في حـــــبه لم يحـــــظ بالأوطـــــار
إن المحـــــبة بالـــــصفا مقـــــرونة مـــن لم يكـــن صـــاف فـــذلك طـــاري
فـــأنخ ركابـــك في مـــيادين الـــصفا إذ ذقــت كــأس الحــب بــاري المساوي
واصــعد بهــا درج المعــاني ناظــرًا لمعـــــارج الأبـــــرار والأخـــــيار
وإذا وصـــــلت قـــــصور ســـــعدى فانـــزلف فـــيها، تفـــز بطوالـــع الأنـــوار
وأشرف عـــلى كـــل العـــوالم مـــن ذرى علـــيائها، واكـــشف عـــن الأسرار
وإذا رســخت فــسر بــصدق صــاعدًا بعـــــوالم تـــــأتي بكـــــل فخـــــار
واحــذر وقــوفًا عــند كــون هالــك بــل كــن هــناك ككــوكب ســيار
فعــسى لــك الأبــواب تفــتح كلهــا وتعـــاين الحـــضرات باســـتقرار
هـــذي نـــتائج حـــبه، أعظـــم بهـــا مـــن مـــسعف يأتـــيك بـــالأثمار
ألـزم بهـا مـن مـتجد قـد أنجـد الـــ أرواح مـــن بـــين وحكـــم نفـــار
وإذا عـيون فيوضــه ســحب أتــت بعجائـــب، لكـــن عـــلى مقـــدار
فالـــزم حماهـــا لتحمتـــي بـــسما هـــر وقواضـــن مـــن ســـائر الأغـــيار
ثــم الــصلاة مــع الــسلام عــلى الــذي قـــد جـــاء يهديـــنا لحـــب الـــباري
والآل والأصــحاب مــن نالــوا بــه حـــــبًا وتقـــــريبًا رفـــــيع مـــــنار

الثاني: العلو والظهور، ومنه: حبب الماء وحبابه: ما يعلوه عند المطر الشديد، وحب المحبوب إذا لم يعلوا على غيره في غيابات القلوب، فليس هو الحب المطلوب، ولا يعول عليه عند من صفا لهم المشروب، ومِنْ وصف علوه أنه لا يكتم في جيوب الغيوب، بل يظهر وصفه على صاحبه، فيدركه على طروب ومحجوب.

وقلت:

إن للحب منصب الاعتلاء ... وظهور بأم بغير خفاء
وله القهر والسلطان فينا ... وكذاك التمكين باستيلاء
غالب للنهى فما قاومته ... قط نفس ذاقت شراب احتلاء
ليس صب يقوى على كتم حبه ... قد سرى في الوجود سري الدماء
والذي يدعي لذلك كتمًا ... لم يذق من خمور حاء وباء
رافع الحجب عن فؤاد مقاد ... بذمام للقاعة الوعساء
ظاهر الأمر بأهل السر بادي ... البر بادي الإحسان كالأنواء
مسجد النور محبة الطور محراب ... حضور، وجامع الأهواء
معهد الشرب معبد القرب ... أيضًا، من العز قبلة الاصطفاء
من سُقِي من كؤوسه قَهْوَ ... حي، وخلي فميت الإحياء
صبه مراق على كل راق ... قد أنيل الشفاء من كل داء
عبده الحر غيرة، فرقيق ... وطليق ما سوره في العلاء
وصلاة مع السلام على من ... قد جبي من درة بيضاء
وعلى آله الكرام وصحب ... عرفوا سر قبة خضراء
وعلى التابعين ما صب صب ... صيب الدمع خشية الإقصاء

والثالث: اللزوم والثبات، ومنه حبه البعير، وأحب إذا برك فلم يقم، فمن لزم الحب فؤاده، وتثبت عليه وصبر زاده؛ فقد بلغ مراده، وحصل على السعادة:

وأما من مال عنه لمحًا أو سلا طرفًا ... فما ذاق منه ممزوجًا، فكيف يدعي صرفا

وقلت:

كل قلب سلا عن الحب طرفًا ... فهو قلب ما كان للحب ظرفا

عاريًا عنه إذ تجلى بوصف الميل ... ما اشتم من شذا الحي عرفا

جاهل فيه ليس يذري خوافيه ... الموالي، ولا قرى عنه حرفا

لم يذق قط من قتيل خمور ... كيف حتى ادعى بذلك صرفا

لا، ولا ذاق من مدام مدامٍ ... رشفة، كيف يدعي الشرب

أيها الساترون للحب بالحب ... عن الغير فاصرفوا القلب

ثم طيروا للحي، بالحي تدنوا ... واعرفوا عرف ذلك الحي

واستقيموا على الوفا وأقيموا ... مقعد العزم، واجرفوا الصد

وعلى ما مضى من العمر في غير ... التصافي فلستذرفوا الدمع

ثم توبوا، وللمعارج أوبوا ... وأنيبوا للحب تلقون

واجمعوا ثم فرقوا وللحجب ... مزقوا تدركوا بمذلك

رب صل سلام على البدر طه ... كل إن ما الحب حرك

وعلى الآل والأصحاب جميعا ... ما بواو وألف نقصد

والرابع: اللب، ومنه حبة الفؤاد، أي: لبه، فكل من لم يسكن الحب من قلبه ورحابه، وينزل بين شغافه، ويستقي من أكوابه؛ ليعرف قشره من لبابه، ولا يدنيه من ساحة اقترابه؛ لم ينل شراب الحب، ولن يجد مثل شرابه.

وقلت:

إن قلبًا فيه حبًا ما هوى ... ذاق قلب لم يذق طعم الهوى

وفؤاد منه شربًا ما ارتوى ... ذا عليل، لم ينل خلاء الدوا

خاب شربًا سرى فيه الجوى ... في حبيب حبه عين الدوا

وهو روح الروح لب اللب ... بل، شر سر السر، بل قوت القوى

وغـدا الجـسم في ظاهـره ... وكـذا الـباطن فـبدا لا يُـرْتَوى
وبـه الأفـلاك دارت، إذ بـه ... حـركات العـشق قامـت باسـتوا
وكـذا الأمـلاك قـد قـام بهـا ... وصـف حـب عـن سوى الحب طوى
وحـبه ثـم أُنـس قـام بـل ... كـل شيء ذا حـب قـد كـوى
وبـه مـا فـاز إلا الهائمـون ... حـسـالاً وجـسـالاً باحـتوى
فلـه هـيا وهـيا يـا مـريد ... شراب الحـب مـن غـير الـتوى
وانـو في الـسير على الـصدق وبـالـ ... ـحـق سرٌّ يُـري لكـلٍ مـا نـوى
واخطـب الحـسنى وقـدم مهـرها ... ودع الأهـواء فـذوا الدعـوى غـوى
وابـذل الجهـد ولا تـصغي لمـن ... لام فـيها، فالـذي لام غـوى
فمحـب مـا انثنـى عـن حـبه ... فـيها يـومًا، وعـنانًا مـا لـوى
وإذا وافـيت ذاك الحـي حـي الـصلا ... ة لـسكان بـه ذاقـوا الجـوى
ثـم قلـت جـودوا لبكـري ... مـصطفى البكـري مـن فـيكم نـوى
علـيهم أن يـسمحوا لي سـاعة ... باللقـا؛ كـي انـج مـن أيـد الـنوى
ربـنا صـل عـلى خـير الـورى ... ثـم سـلم مـا بـدى نجـم هـوى
أحمـد المخـتار مـن لم يكـن ... يـنطق فـيما جـاء فـيه عـن هـوى
وعـلى آل وصـحب سـادة ... قـادة نالـوا بـه سـير الـسوى
وعـلى الأتـباع مـن كـل فتـى ... قـد طـواه الحـب فـيه فانطـوى

والخامس: الحفظ، ومنه الحب، وهو الوعاء الذي يحفظ الماء، ويمسكه على التحقيق من حفظ عهد الحب الوثيق، ولزم عهوده، ورعى حدوده.

وقلت: عهد، وقلت:

عهد حب من له حفظا ... رعا ذاك مولاه رعساه ورعا

ومتى يمسك من غير ضياع ... له، هذا له السعد سعى

والذي ما حاد عنه سلوة ... كل أعداء له الدهر نعى

ولأعباء التجلي قد عدا ... حاملاً، والسر في السر معا

وإذا ما عثرت رجل له ... قالت الأكوان: من حب لغا

يا خليلي بعهد المحيا ... سر أسرار الهوى مني اسمعا

والحجب قد تكاثرت ... على القلب واللب، بجاه فارفعا

ولمن يلجأ كما في السكر ... من خمر حب قد تصافا فاقطعا

فرقًا كل عيون أبلغت ... وافستحا عين عيون واجمعا

وبأوصاف علت فاتصفا ... وسمات نزلت فلتدعا

وأدبرا بصلاة السنا ... وسلام ينفيان الموجعا

واهديا هذين للبدر الذي ... جاء يهدينا بقرآن دعا

ولآل ثم صحب جمعوا ... كل بر ما الفتى العهد رعا

وقد أعطوا الحب حركة الضم، التي هي أقوى الحركات، وأشدها إشارة؛ على أنه بقوته يستولي على المحب، فيضعف أركانه، ويبشره، وقوته، وعزمه أضعفه، وأهانه، وأدمى جنانه، وهو يعطي صاحبه القوة والشدة، فترى الجبان فيه شجاعًا، والسر من المكنوز مذاعًا، والعديم مليًّا، والحكيم شقيًّا.

وأعطوا الحِب الذي هو المحبوب حركة الكسر؛ لخلفها؛ إشارة لخفة المحبوب عن القلوب، وبها جر محبة إلى المهالك، وألقاه في بحر المهابة الحوالك، وجره للرق فعاد مملوكًا وكان مالك، وعاد مأسورًا بعد ما كان مطلق الجناحين في المسالك، وتشير إلى كسر قلب المحب بالجفاء، وجره بالمواصلة الموجبة للصفاء.

قال الجيلي - الهمام المطاع - في «غنية أرباب السماع»: المحبة: هي نار تتقدح عن ميل القلب إلى محبوبه، فتحرق ما سواه، فلا يبقى لغير المحبوب وجود، والمحبون على أنواع:

منهم من تحرق محبته ما سوى محبوبه، فيكون المحب في هذه المرتبة باقيًا مع محبوبه يناجيه ويكلمه، وهذه مرتبة المكلمين وهو لعوام الطائفة.

ومنهم من تحرق محبته ما سوى محبوبه مطلقًا، فتحرق نفسها والمحب أيضًا، فيصير فانيًا تحت سلطان ظهور المحبوب، وهذه مرتبة المصطلمين: وهي لخواص الطائفة.

ومنهم من يبقيه الله بعد فناء، فتكون محبته باقية وهو باق ببقاء الله تعالى.

فالأول مريد، والثاني مراد، والثالث كامل؛ وإن شئت قلت: الأول مريد، والثاني عارف، والثالث محقق، ويُقال أن محبة الأول إرادة، وإرادة الثاني هو المحبة، ومحبة الثالث هي العشق.

واعلم أن العوام ليس عندهم من المحبة حقيقية شيء؛ فمحبتهم إنما هي ميل القلب لأجل الإحسان، فهم لا يعرفون ذوق المحبة الذاتية أبدًا، بل ولا يعرفون المحبة الصفاتية أيضًا؛ لأن المحبة الصفاتية أيضًا: أن يحب الله لكونه أهلاً أن يُحَب، لا لكي أن يقويك ويدنيك، والمحبة الذاتية: هي التي تكون بعد الرؤية، وليس عند العوام بشيء من ذلك، وإنما عندهم المحبة الفعلية: وهي محبة الإحسان؛ وأعني بالعوام: خواص العباد والزهاد والنساك، فافهم، انتهى.

(فِي مَحبتكمْ): كان الخطاب للعظيم، والميم للتعظيم (هَمًّا) والهم قال في «التعاريف»: عند القلب على، فقيل: شيء قبل أن يفعل من خير أو شر، وفي اللغة: الإرادة، قال الإمام الجيلي - في إنسانه أمده الله تعالى بسحب عرفانه - في باب القلب: اعلم أن وجه القلب يكون دائمًا إلى نور في الفؤاد يسمى اهم: هو محل نظر القلب وجهة توجهه إليه، فإذا حاذاه الاسم أو الصفة من جهة الهم نظره القلب، فانطبع بحكمه، ثم يزول فيعقبه اسم آخر، إما من جنسه أو من غير جنسه؛ فيجري معه على ما جرى مع الأول، وهكذا على الدوام.

وأما ما كان من قفا القلب فإنه لا ينطبع به، ثم اعلم أن القلب ما له قفا ينص عليه،

بل كله وجه، لكن موضع الهم منه يسمى وجهًا، وموضع الفراغ منه يُسمى قفا، وهذه فيها كيفية ما ذكر دائرة.

واعلم أن الهم لا يكون له من القلب سوى جهة الأسماء مخصوصة، بل قد يكون تارة إلى فوق وقد يكون تارة إلى تحت، هذا هو.

والصفات وعن اليمين وعن الشمال على قدر صاحب القلب؛ الاسم الحاكم، وإن من الناس من يكون همه إلى فوق أبدًا كالعارفين، ومنهم من يكون همه إلى تحت كبعض أهل الدنيا، ومنهم من يكون همه إلى اليمين كبعض العباد، ومن الناس من يكون همه إلى الشمال وهو محل النفس؛ لأن محله في الجانب الأيسر، وأكثر البطالين لا يكون همه إلا نفسه.

وأما المحققون فلا هم لهم، فليس لقلوبهم موضع يسمى قفا، بل يقابلون بالكلية كلية الأسماء والصفات، وليس يختص وقتهم باسم دون غيره؛ لأنهم ذائقون، فهم مع الحق بالذات لا بالأسماء والصفات، فافهم، انتهى.

ولما ذكر أهل الفناء، ومن بعدهم من أهل الإرادة لطريق السعادة، ثم ختم بذكر القصد والهم في محبة المولى المولى البر عبادة، ناسب أن يلحق بهذا البيت بيتًا فيه ذكر المريد من أهل السيادة؛ فلذا قال: منحه الله الحسنى والزيادة[1].

---

(1) اعلموا أيها الإخوان أن للرحمن بحرين بينهما برزخ لا يبغيان، يخرج من أحدهما در المحبة والمرجان، ومن الآخر سلسلة الغضب والعدوان، وأنبت من ذلك الدر السني جميع الأكوان، لتحصيل المحبة وتزيد القربان، وتكثير المودة وتوفير العرفان، على حسب سبق الرحمة على صفة الغضبان، كما قال نبينا محمد حبيب الرحمن: «كل مولود يولد على فطرة الإسلام، إلا أن أبويه يمجسانه، ويهودانه، وينصرانه»، وورد في الحديث القدسي النبوي: «سبقت رحمتي على غضبي». وذلك لأن الله تعالى- كان، ولم يكن معه شيء من الكون والمكان، ثم أحب بحسب الحكمة الحكيمة، أن يجعل لجماله المرآة المجلوة، فخلق مرآة الأكوان لينظروا بها إلى جمال الرحمن، كما ورد في الكلمات القدسية: «كنت كنزًا مخفيًا، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق» فكان المحبة كانت مناط جميع الموجودات، ومبادئ كل الكائنات؛ لكن المخلوق الأول هو العقل، وفيه أقوال نقلها في موضعه بعض النقال؛ لكن الحق الحقيق والوجه الوجيه روح محمد ﷺ دلّ عليه النقل كما ورد في الخبر: «أول ما خلق الله روحي». وورد: «أول ما خلق الله العقل». وورد: «أنا أبو الأرواح وآدم أبو الأشباح»، وشهد -

=

عليه العقل لأن الله تعالى- خلق العقل بالذات، وغيره بالوساطة، ومعلوم أن المخلوق بالذات أشرف المخلوقات، فيكون روح محمد لأنه خلاصة الموجودات، وألا يوجد شيء أشرف منه.

وهو خلاف ما ذهب إليه مشايخ أهل السنة رحمهم الله وخلاف ما دلَّ عليه صريح السنة نصَّ الآية الكريمة، فالمحبة سر عجيب، وأمر غريب، ولطف لطيف، وشيء شريف وبذر الموجود، وأصل المعهود ودر مكنون، ومحرومة مغبون فيها الإيمان والإسلام، وبها الأمان والسلام، وبها التوبة والإنابة، وبها الرغبة والإطاعة، وبها الرياضة والمجاهدة، وبها التوكل والقناعة، وبها الوقار والسكينة، وبها الخضوع والخشية، وبها الهيبة والرهبة، وبها العزة والغلبة، وبها الكرامة والمعجزة، وبها النبوة والرسالة، وبها الولاية والمشيخة، وبها المناعة والمناحة، وبها الفطنة والفكرة، وبها الهمة والعزيمة، وبها الارتقاء والرفعة، وبها الرتبة والمنزلة، وبها الجنة والدرجة، وبها العون والنصرة، وبها التوحيد والشهادة، وبها الصوم والصلاة، وبها الحج والزكاة، وبها المنة والنعمة، وبها الشفقة والرأفة، وبها الإحسان والرحمة، وبها الصبر والسلامة، وبها الخلوة والعزلة، وبها الصابرة والمرابطة، وبها الصدق والمصادقة، وبها الزوج والزوجة، وبها الخمود والشهرة، وبها الأنس والاشتياق، وبها التحسر والاحتراق، وبها الخوف والرجاء، وبها التسليم والرضاء، وبها الزهد والتقوى، وبها الورع والهدى، وبها الفقر والغنى، وبها الغناء والاستغناء، وبها الخلاص عن الحرص والهوى، وبها الترقي إلى الرتبة العليا، وبها الوصول إلى نهاية الارتقاء.

وكأن العبد بها عزيزًا سلطانًا، وكأن السلطان بها حقيرًا عريانًا، وكأن البلاقع بها جنة وبستانًا، وكأن التقليد بها حجة وبرهانًا، وكأن الجفاء بها منة وإحسانًا، وكأن الكفر بها خدمة وإيمانًا، وكأن اليأس بها أمنية وقرآنًا، وكأن المكر بها سلوة وأمانًا، وكأن الفرقة بها وصلة ووجدانًا، وكأن العقل بها جنة وحيرانًا، وكأن العقل بها والهًا وسكرانًا، وكأن الفقر بها غناء واستغناء، وكأن الفناء بها فقد وفناء، وكأن التعب بها ذوقًا وصفاء، وكأن نقص المهد بها أداء ووفاء، وكأن الداء بها شفاء، والشفاء بها داء، وكأن السخاء بها بخلاً، والبخل سخاء، وكأن الرياء بها إخلاصًا، والإخلاص رياء، وكأن البلاء بها خلاصًا، والخلاص بلاء، وكأن الجفاء بها وفاء، والوفاء جفاء، وكأن القهر بها لطفًا، واللطف قهرًا، وكأن الفرح بها غمًا، والغم فرحًا، وكأن الغفلة بها فكرًا وذكرًا، وكأن العصيان بها طاعة، وشكرًا، وكأن الكبر بها خضوعًا وابتهالاً، وكأن الإعراض بها رجوعًا وإقبالاً، وكأن العادل بها ظالمًا، والظالم عادلاً، وكأن الجاهل بها عالمًا، والعالم جاهلاً، وكأن المردود بها مقبولاً، والمقبول مردودًا، وكأن المودود بها مبغوضًا، والمبغوض مودودًا، وكأن المسعود بها شقيًا، والشقي مسعودًا، وكأن البعيد بها قريبًا، والقريب بعيدًا، وكأن الفلك بها متحركًا دوارًا، والسحاب مسخرًا سيارًا، وكأن الأرض بها ساكنًا ووقارًا، والوقار بها خفة تاركًا ديارًا، وكأن الماء جاريًا وبحارًا، والبحار جامعًا جرارًا، وكأن الدار بها صخرًا، والصخر دارًا، وكأن المداد بها مراءً،

=

(بِكُلِّ مُرِيدٍ)، أي: وأسألك بمن قام به وصف الإرادة لمولاه، لا لطلب عالم غيب ولا شهادة، وثبوتها له في أول أمره ثم محوها في السير (الثاني): من ثاني الولادة في هذا

=

والمراء مدادًا، وكأن النار بها نورًا، والنور نارًا، وكأن السقم بها صحة، والصحة علة، وكأن الموت بها حياة والحي ميتًا، وكأن السجن بها روضة، والروضة محنة، وكأن القهر بها رحمة، والرحمة زحمة، وكأن النور بها ظلمة، والظلمة نورًا، وكأن الجحيم بها برد وسلامًا، وكأن السلطان بها عبدًا وغلامًا، وكأن الملك بها غولاً، والغول ملكًا كرامًا، وكأن الجماد بها بشرًا سويًا، والبشر مؤدبًا زكيًا، وكأن المجنون بها عاقلاً سليمًا، والجاهل بها أديبا كليمًا، وكأن الغضب بها حلمًا، والحلم غضبًا، وكأن الذهب بها فضة، والفضة ذهبًا، وكأن العرشي بها فرشيًا، والفرشي عرشيًا، وبها تموج البحار، وجري الأنهار، وبها بر الأبرار، وخير الأخيار، وبها حبوب هبوب الرياح، ودفع شر الأشرار، وبها قلوب الأبرار قبور الأسرار، وبها أمن القرى ونظام الأمصار، وبها عتق العبيد، ورق الأحرار، وبها إظهار الأسرار، وأسرار الإظهار، وبها قطر الأمطار في الليل والنهار، وبها طهور الأنجاس، وطهور الأطهار، وبها إعدام الظلام، وإيجاد الأنوار، وبها البيعة والشورى، وبها العسر واليسر، وبها الفكر والآراء، وبها الأولى والأخرى، وبها الوصول إلى العلي الأعلى والمولى المعلي، وكأن بها العصا في يد موسى حية، والحية قرينًا صادقًا، وكأن بها الريح الصرصر جندًا والخصم أخًا موافقًا، وكأن الأخ بها عدوًا، والعدل حبيبا عتيقًا، وكأن بها الهواء حاملاً، والماء محمولاً، وكأن البحر بها منغلقًا، وفرعون غرقًا، وموسى ناجيًا، والحاصل بها فعل جميع الأنبياء ما فعلوا، وبها قالوا ما قالوا وبها أظهروا ما أظهروا، وبها عدوا ما جاهدوا، وبها وصلوا ما وصلوا، وبها نال جميع الأولياء ما نالوا، وبها جدّوا ما جدّوا، وبها وجدوا ما وجدوا، وكأن آدم بها صفيًا، وكأن نوح بها نجيا، وكأن إبراهيم بها خليلاً، وكأن موسى بها كليمًا، وكأن داود بها خليفة، وكأن عيسى بها روحًا، وكأن محمد بها نبيًا حبيبًا منصورًا، وكأن جميع الأنبياء بها محبوبًا مسرورًا، وجميع الأولياء بها مقبولاً مرغوبًا، وهي جناح للطالب كان بها إلى أوج العزة ومقر سعادة وبرج القربة، راغبا طيارًا، وبراق له كان بها إلى الملك والملكوت والجبروت، واللاهوت راكبًا سبّارًا، فتكون له آلة وسلاحًا، وعن المهالك فلاحًا ونجاحًا، وهي أم مكارم الأخلاق والخصال، وبذر محاسن الأعمال والفعال، كأنها ذات شريف قابل من العباد، وشأن لطيف مستعد للأضرار، فبالتربية والإصلاح إلى الصلاح تتحول وتتكثر، وبالتخليص عن شوك الرذائل تتكامل وتتوفر، وكعين جارية ما من شيء إلا وله منها شربة، وما من شيء عامر إلا له إليها إربة، وهي مهد سليمان، واسم الله الأعظم، من تملك بها يكون عند الله من الملك المقرب أكرم، ومن لم يكن فيه محبة فهو من أحقد الأنام بل هو أذل، ويكون عند الله تعالى كالأنعام بل هو أضل. [درر البحار للإسكداري ص 37] بتحقيقنا.

المقام السديد، قال أبو يزيد: أريد أن لا أريد بعض الإفادة، وإلا فالمريد: من ليست له إرادة، وأنشدوا:

تكـــون مـــريدًا ثـــم فـــيك إرادة إذا لم تـــرد شـــيئًا فأنـــت مـــريد

قال الله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [آل عمران: 152].

قال الشبلي المكي ﷺ: فأين من يريد الله، ثم قال: وإنما سكت عن ذكره؛ لندرة وجوده وعزة شهوده، أو ما معناه، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام:52].

والمريد: هو من تجرد عن الإرادة، وانقطع إلى الله تعالى عن نظر واستبصار في طلب خرق كل عادة، وتحقق أن كل ما وقع في الوجود فإرادة المريد، فمحا إرادته بإرادته، واستراح من طلب المزيد، ولم يكن مريدًا حتى أراده المريد، فحينئذٍ كل مريد مراد للولي الحميد، غير أهل السر والتجريد، اصطلحوا على الفرق؛ فسموا المبتدئ مريدًا، والكامل مرادًا، وعرفوا كلًّا بتعريفات كثيرة:

فمنها قولهم: المريد محمد والمراد محمود؛ المريد معني والمراد محضي، والمريد متعوب والمراد موهوم، المريد حاله الجنون والمراد من عبر بحر الفنون وحل بر السكون.

وقيل: المريد المزيد من خلع العذار، وهتك الأستار، وخلف خلفه الأطوار، وقد قدم الصدق حتى بلغ الأطوار؛ المريد: من باع نفسه الخسيسة في سبيل اشتراء الروح النفيسة، سكر بشراب الآداب نصحًا لدى باب الاقتراب، ثم سكر بشراب اللباب، وصحا في حضرة الوهاب، المريد: من مات عن هواه حبًا فعاش، وتجلى عليه مولاه فطاش، وله آداب في نفسه ومع شيخه ومع إخوانه، ألف الأعيان فيها ليدخل مصافيها، جنة أمانة، (طَالِب لِجَنَابِكُم) فهو مخصوص من عموم، فإن أهل الإرادة أعم في المفهوم؛ إذ طلاب الجناب أعز طلب، اتصفوا بطلبة الأحباب، بل هم الغرباء بين الأدباء، فعلى قدر شرف المطلوب يشرب الطالب، ولما كان طالب الحق طالب علوم غريبة وفهوم بعيدة، غير قريبة، إذا تدلت إليه وانجلت عليه تغربت عن وطنها، فيقال لغرابته مستهونًا بشدائد خطتها.

قيل فيه: غريب، ومتى لاح له بارق من بوارق الشهود، وتقرب به عن روية هذا

الوجود، وعلم أنه لا وجود لموجود إلا بالله المعبود، وعرف قول العارف المردود، وطالب غير الله في الأرض كلها؛ كطالب ما من سراب بقيعة، وفي الحديث: «**طلب الحق غربة**»[1]؛ أي: فإن من طلب تغرب عن عاداته، وارتحل عن مراداته، وسافر عن غفلاته، وانتقل عن حالاته، وكذلك من طلب الحق تغرب عن الباطل، وأدى الواجب عليه ولا يباطل.

ولما عزت الطلاب وقلت الخطاب، توحش سالك طريق الرحيب؛ فكأنه في غربة وليس بغريب، وأنشدوا:

وما عزت الطلاب إلا لأنه ... إذا عظم المطلوب قل المساعد

وفي «العبادلة»: من طلب الله وجده، وهو حسن، أي: من طلب، فإن من طلب ما طلب بنفسه، بل الله له طلب، فلو وقع طلبه في نفس الطالب، فوجد المطلوب عين الطالب والمرغوب عين الراغب، ومتى ارتفع ستر الغيب عن الحق، فحاز المطلوب، وإذا تجرد عن وجوده غاب في نور وجود الحق وشهوده، وتحقق أن وجوده سراب، ووجد الحق عنده فأسقاه من معرفته شرابًا؛ وما دامت العبودية فالطلب ثابت الحكم لا يرتفع؛ إذ به العد في الدارين ينتفع، وفي حديث: «**وإن الملأ إلا يطلبونه كما تطلبونه أنتم؛ لحجاب العزة المسدل الذي لا يزول ولا يتبدل**»[2].

(**فَلَم يَعْرِف الأَحْزَان**): جمع حزن، ضد السرور، (**فِيكُمْ**)، أي: في حال إرادتكم وطلبكم، والتقريب من مقام وصلتكم لغيبته في آثار أنوار محبتكم، وفنائه في شهود جمال الحضرة عزتكم، أو لعدم رؤيتها لقصور المنظر عن مشاهدتكم، وهذه حالة المتوسطين، وأما أهل البداية فهم لحمتهم وسداها، وملح طعام حالهم، ورأس ماهم في طلب مولاهم، وحالة الخواص هي حالة العوام؛ فإن النهايات رجوع إلى البدايات أيها العوام.

قال الإمام القشيري ﷺ في «الرسالة»: الحزن يقبض القلب عن التفريق في أودية الغفلة، والحزن من أوصاف أهل السلوك، سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: صاحب الحزن يقطع من طريق الله تعالى ﷻ في كل شهر مالا يقطعه من فقد حزنه سنين، وفي الخبر

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (1/ 293).

(2) ذكره حقي في تفسيره (8/ 75) بنحوه.

أن الله تعالى يحب كل قلب حزين.

وفي التوراة: «إذا أحبَّ الله عبدًا نصب في قلبه نائحة، وإذا بغض عبدًا جعل في قلبه مزمارًا».

وروي: أن رسول الله ﷺ «كان متواصل الأحزان دائم الفكر»[1].

وقال بشر بن الحارث: الحزن ملك، فإذا سكن في موضع لم يرض أن يساكنه أحد.

وقيل: إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب؛ كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب، ثم قال: وتكلم الناس في الحزن، فكلهم قالوا: إنما يحمد حزن الآخرة، فأما حزن الدنيا فغير محمود، إلا أبو عثمان الحيري فإنه قال: الحزن بكل وجه فضيلة، وزيادة للمؤمن، مالم يكن بسبب معصية، فإنه إذا لم يوجب تخصيصًا فإنه يوجب تمحيصًا، وكان بعض المشايخ إذا سافر واحد من أصحابه، يقول: إذا رأيت الحزن فأقرءه مني السلام.

وبسنده إلى الفضل بن عياض أنه قال: كان السلف ﷺ يقولون: إن على رأس كل شيء زكاة، وزكاة العقول الحزن.

وقال الإمام الأكبري في «مواقع النجوم»: الحزن حلية الأدباء، فرضي الله عن المحزون، فليتني أُرى محزونًا، يأيها المحزون طوبى لك، ثم طوبى لك، والله السعيد أنت، والله صاحب التحقيق أنت، والله خليل الصديق ـ وهو أبو بكر ﷺ ـ أنت، ليت الله يمن به من خزائن جوده، للحزن مخازن لا يعطي الله بها شيئًا إلا لصديق محبتي، الحزين عارف بقدره الحزين، هو العارف الحزين، هو الوارث الحزين، سر الله في أرضه الحزن، إذا فُقِدَ من القلب خرب، يا مخدع يظن لك في الحاصل وأنت في الفائت، يا مسكين مثلي لست تعلم أن الذي فاتك أكثر مما حصل لك، فبأي شيء تفرح، صاحب الأمن والبشرى في هذه الدار قرن على التقصير في هذه النعمة، مع أنه يرى توليها الحق في نفسه شكر، وهو عري عن ذلك، ناظر بعين التوحيد والأدب، أنت أنت وهو هو.

وإذا كان صاحب الأمن بهذه الحالة، فما ظنك بالخائف الذي لا يعرف ما يقدم، طوبى لمن كان شعاره الحزن، طوبى لمن كان دياره الحزن، وبيته الحزن، وطعامه الحزن،

(1) رواه الطبراني في الكبير (22/ 156).

وشرابه الحزن، به يلتذ الصديقون والنبيون، الحزن جماع الخير كله؛ إذا أحب الله عبدًا ألقى له نائحة في قلبه، من لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة على أنواعها، فلا يغرنك يا بني ما تسمع من قول صديق متمكن أن الحزن مقام نازل.

فليس يريد صاحب «التحقيق» ﷺ ما تخيله بعض المتطفلين على الطريقة، فإن الحزن تابع للمحزون، مثل العلم تابع المعلوم، فيتضع باتضاعه ويرتفع بارتفاعه، هبك أقامك الحق في أعلى المقامات، التي تنتهي إليها أعلى الموجودات، هل فاتك شيء أم لا؟ إما من جهة احترامها لعلوها، أو من جهة أخرى فوق هذا الست، نجد الحزن إن كنت مكملاً غير محجوب بشيئًا، فإن حجبك ذلك المقام فأنت ذا نقص، فليت الله يمن على قلبي بلطيف الحزن ودقيق الشجو؛ ثم قال:

مطلع هلاله حزن الفؤاد به ودينه ومذهبه إن حيته وجدته

أمرًا عبيرًا مركبه، وكل من شغله مقامه لا يطلبه

وقال في «العبادلة»: إن من رجال الله من يضحك ولا يبكي، ومنهم من لا يضحك ولا يبكي، ومنهم من يضحك ويبكي، ومنهم من يبكي ولا يضحك، وهذا الكامل الذي يوفي المقام حقه، فإن علم مراد الله من البكاء بكى، وإن علم أن مراده الضحك فيضحك؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ مع كونه متواصل الأحزان يضحك أحيانًا حتى تبدوا نواجذه، وكان أكثر ضحكه التبسم، فالغالب على طلاب الحق الانبساط مع ملازمة الأدب على البساط، بما يفوح ويلوح لهم من شمائة لمحات الحياء، ويتجلى لهم من عظيم جسيم المدد الأسماء.

قال الإمام القونوي ﷺ في «شرح الأسماء» عند الكلام على اسمه الباسط: والبسط قد يكون ابتداءً لسعة الرحمة الإلهية، فكل قبض لا بُدّ أن يعقبه بسط ولا يلزم عكسه؛ كالرحمة التي رحم الله بها عباده بعد وقوع العذاب بهم، فهذا بسط بعد قبض، ومحال أن يعقبه قبض مؤلف، فظهور أحكام هذه الحضرة في موطن الآخرة - أو على من هو في حكم الآخرة - من أهل الفناء في الله، فإن لهم إرسال عنان الفرح في ميادين البسط، ودول السرور بما خصوا من الحضرة الإلهية من نفحات ألطاف العناية، وسمات أنوار الهداية.

ومن عباده من وفقهم الله تعالى لوجود أفراح العباد على أيديهم، وأدنى درجاتهم

من يضحك الناس بما هو مباح، وهو الذي يسمى مسخرة؛ فيهزؤ به الجاهل، ويضحك عليه، ولا يرى له وزنًا، وأين هذا الجاهل من قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم: 43].

فالعارف المراقب الذي يشاهد آثار تجليات الحق في أعيان الوجود، ويرى النعت ظاهرًا في عين المسخرة ويعظم قدره؛ ولهذا كان نعيمان الأنصاري يحضر بين يدي رسول الله ﷺ فيضحكه، وحاشا منصب النبوة أن يعتقد فيه السخرية والاستهزاء، بل كان ﷺ يشاهد مجلاً إلهيًا يشاهد هذا الوصف الإلهي في مادته؛ أي: الإضحاك المشار إليه في الآية، وحقيقته تلك لا تنكشف إلا للعلماء بالله، انتهى.

فمريد الحق لا يعرف الأحزان شغلاً بشهود الدَّيان، فلم يبلغ درجة الاعتدال الوسطى الكمالي رجحان (وَلَا) يعرف هذا المريد أيضًا (الهَمَّا)، والهم: الحزن لغة، وقيل بل الهم إنما يكون في أمر متوقع، والحزن فيما وقع، والهم: هو الحزن الذي يذيب الإنسان، فهو أشد من الحزن، وهو خشونة لما يحصل فيها من الغم، فافترقا، وقال القاضي: الفرق بين الهم والحزن: أن الحزن على الماضي، والهم على المستقبل، وقيل: الفرق بالشدة والضعف.

قال: من حيث إن تركيبه أصل في الذوبان، يقال: أهمني المرض؛ بمعنى أذابني، وسنام مهموم: مذاب، وسمي به ما يعتري الإنسان من شدائد الغم؛ لأنه يبديه، وهو أبلغ وأشد من الحزن الذي أصله الخشونة، وفي الحديث: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال**»[1].

فإن قلت: كيف استعاذ النبي ﷺ من الهم والحزن مع أنه كان متواصل الأحزان، وهو عين الكمال في حقه لأنه من نتائج العجز، وهو صفة العبد؟ قلت: استعاذ من رؤيتها والإيغال بهما، أو يكون استعاذ من حزن وهم يكونان في أمر الدنيا حتى يصرفان القلب عن النظر إلى العقبى، أو الفطرة التي فطر الله العباد عليها، وهي الحيرة في جلاله، وجماله وهذه لا انفكاك للعبد عنها.

ومن قال بزوال الحيرة في الله فمراده: عند التجلي في غير عالم المراد، ونقل هذا

(1) رواه البخاري (3/ 1059).

الشعراني عن شيخه الخواص في «ميزان الذرية»[1]: فتكون الاستعاذة من الحجاب عن

(1) قال الشيخ الشعراني في «الميزان الذرية»: الحيرة في الله من كمال المعرفة به، وهي ساريةٌ في العالم النُّوريِّ والنَّاريِّ والترابيِّ، لأن العالَمَ ما ظهر إلا على ما هو عليه من العلم الإلهيِّ، وما هو في العلم الإلهيِّ لا يتبدَّل، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:30] الآية.

فما فُطِر العالَم إلا على الحيرة، وذلك لأن المرتبة الإلهية تنفي بذاتها التقييد عنها، والقوابل تنفي الإطلاق عنها، ولا تشهد إلا صورتها من التقييد. فهذا هو سبب شدة الحيرة في الوجود، ولا أحد أشدُّ حيرةً في الله من العلماء به؛ ولهذا ورد أنه ﷺ كان يقول: «زِدْنِي ٱللَّهُمَّ فِيكَ تَحَيُّرًا»، ومع ذلك فأعلى ما يصل إليه العلماء بالله تعالى من طريق نظرهم مبتدأ البهائم؛ لأنها كغيرها مفطورةٌ على الحيرة في الله ﷻ، والإنسان يريد أن يخرج بما أعطاه الله تعالى من العقل والروية وإمعان النظر عن الحيرة التي فُطِر عليها، فلا يصحُّ له ذلك. وعلى هذا الذي قررناه الإشارة بقوله تعالى في حقِّ قوم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:44]. فإن التشبيه بالأنعام إنما هو في الحيرة لا في المحار فيه، فليس ذلك نقصًا في الأنعام، وقوله: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أي طريقًا لأنهم زادوا على ضلال البهائم وحيرتهم في الله، والحيرة عَمًى بلا شكٍّ، ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء:72]، أعني جاهلاً بالذات، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، كما هو في الدنيا؛ ولذلك كان العارف المحقق عمرو بن عثمان المكي يقول في صفة العارفين: وكما هم اليوم يكونون غدًا، فعُلِمَ أن من طلب معرفة الذات من طريق الفكر والنظر كان مآله إلى الحيرة، كما أن من طلب الواحد في عينه لم يحصل إلا على الحيرة، فإنه لا يقدر على الانفكاك من الجمع والكثرة في الطالب والمطلوب، وكيف يقدر على ذلك، وهو يحكم على نفسه بأنه طالبٌ، وعلى نفسه بأنه مطلوبٌ، ومقام الواحد بتعالى أن يحلَّ في شيءٍ، أو يحلَّ فيه شيءٌ؛ لأن الحقائق لا تتغير عن ذاتها؛ إذ لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه، وتغير الحق في نفسه وتغير الحقائق محالٌ.

واعلم أن حيرة أهل الكشف والشهود أعظم من حيرة أصحاب النظر في الأدلة؛ لاختلاف الصورة عليهم عند الشهود، فإن أصحاب النظر والفكر ما برحوا بأفكارهم في الأكوان، فلهم أن يحاروا ويعجزوا، وهؤلاء ارتفعوا عن الأكوان، وما بقي لهم شهودٌ إلا فيه، فهو مشهودهم، فكانت حيرتهم باختلاف التجليات أشد من حيرة النُّظَّار في معارضات الدلالات، وفي الحقيقة ما في الوجود إلا الله، ولا يعرف الله إلا الله، فمن وصل إلى الحيرة من المقربين فقد وصل، والسلام.

وسمعت شيخنا ﷺ يقول: العلماء بالله على أربعة أصناف: صنف: ما لهم علمٌ بالله إلا من طريق النظر الفكري، وهم القائلون بالسلوب. وصنف: ما لهم علمٌ بالله إلا من طريق التجلي، وهم القائلون بالثبوت والحدود التابعة للصورة. وصنف: يحدث لهم علمٌ بالله بين الشهود والنظر، فلا يبقون مع الصورة في التجلي، ولا يصلون إلى معرفة هذه الذات الظاهرة بهذه الصورة في أعين

الحيرة في الأحباب، ولما توسل بما توسل، وتخص بما في ابتهاله تحصل، أخذته حرارة حزازة الضراعة، ونبذته مرارة خوف عدم الإجابة في قاع الكآبة قراعه، وتارت زفرات احتسابه، وفازت عيون عيوبه كالدماء مخافة إقصائه؛ لوجوب قلب أواه مخبت منيب في سبيل القريب المجيب، لا عن ثوران مرة سواد هم ولا صفراء حزن وهم، ولا جمرًا وحصية تشبه الدم، ولا بياض انقباض يحاكي البلغم، بل خشية ردٍّ ورهبة صدٍّ؛ فلذا قال: خفف الله عنه:

الناظرين. وصنف: ليس واحدٌ من هؤلاء الثلاثة، ولا يخرج عن جميعهم، وهو الذي يعلم أن الله تعالى قابلٌ لكل معتقدٍ في العالم، من حيث إنه عين الوجود، وهذا القسم ينقسم إلى صنفين: صنفٌ يقول: عين الحق هو المتجلي في صور الممكنات. وصنفٌ يقول: أحكام الممكنات، وهم الصور الظاهرة في عين الوجود الحق، وكلٌّ قال ما هو الأمر عليه، ومن هنا فلت الحيرة في المتحيَّرين، وهي عين الهدي في كل حائرٍ، فمن وقف مع الحيرة حار، ومن وقف مع كون الحيرة هدًى وصل، ومن وصل لا يرجع، لأن من المحال الرجوع بعد كشف الحجاب إلى الحجاب؛ إذ المعلوم لا يجهله العالم بعد تعلق العلم به. ومرادنا بالوصول الوصول إلى السعادة الدائمة. وهو معنى قوله: «فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه وبصرَه» الحديث. فَعُلِمَ أن من أعظم غلطات أهل النظر طلبهم الخروج عن الحيرة بالخلوة والرياضة، وذلك لا يكون لهم أبدًا، لأن التجرد عن المواد يُحقق ولا يُشهد، ولا يُسلم لهم عقلٌ من حكمٍ ولا خيالٍ؛ لأن كل ما سوى الله حقيقته الإمكان، والشيء لا يزول عن حكم نفسه، ولا يتعقل إلا ما كان على صورته، تعالى الله عن ذلك. وكان شيخنا ﷺ يقول: من الرجال من زالت عنه الحيرة في الله ﷻ. فقلت له: كيف ذاك؟ فقال: إذا تجلى الله تعالى للقلب في غير عالم المواد زالت الحيرة، وعلم من الله على قدر ذلك التجلي من غير تعيين؛ إذ لا يقدر أحدٌ على تعيين ما قد تجلَّى له إلا كونه تجلى في غير مادةٍ لا غير، ثم إذا رجع من هذا التجلي إلى عالم المواد صحبه تخيل تجلي الحق تعالى.

فما من حضرةٍ يدخلها إلا ويعرف الله تعالى في تجليها؛ لأنه قد ضبط من معرفته أولاً ما ضبط، فيَعلَم أن التجلي قد تحوَّل في أمرٍ آخر، فلا يجهله بعد ذلك أبدًا، ولا يتحجب عنه، فإن الحق تعالى ما تجلى لأحدٍ هذا التجلي، فاتحجب عنه بعد ذلك أبدًا. فإذا نزل العبد إلى عالم خياله وقد عرف الأمور على ما هي عليه مشاهدةً بعد أن عرفها قبل ذلك علمًا وإيمانًا رأى الحق تعالى في صورة الخيال مقيَّدًا فلم ينكره، لكن لا يسعه إلا السكوت، لأنه حينئذٍ يرى أن لا معلوم إلا الله، وإذا كان لا معلوم إلا الله فلا يدري أحدٌ ما يقول! ولا كيف ينسب الأمور.

(دَعَوْنَاكَ) أي: سألناك بجمعنا أو جميعنا دعاء موقنًا بالإجابة، مظهرًا للكآبة، (وَالأَحْشَاءُ): بالمد للضرورة: وهي ما انضمت عليه الضلوع، وهي مبتدأ، (يَبْدُو): فعل مضارع، و(زَفِيرهَا): فاعل.

فلذا قال خفف الله عنه الأثقال:

دَعَـوْنَاكَ وَالأَحْـشَاءُ يَـبْدُو زَفِـيرهَا وَعَيْـنَايَ جَـادا فِي دُمُـوعٍ كَـمَا الـدِّمَا

قال الشارح: (دَعَوْنَاكَ) أي: سألناك بجمعنا، أو جميعنا دعاء موقن بالإجابة مظهر للكآبة، (وَالأَحْشَاءُ) بالمد للضرورة، وهي ما انضمت عليه الضلوع، وهي مبتدأ، و(يَبْدُو) فعل مضارع، و(زَفِيرهَا) فاعل، وجملة (زَفِيرهَا)خبر، والجملة اسمية في موضع الحال، يبدو بدون همزة بمعنى: يظهر لك وليتأني بعد استقرارها في صميم جناني، (زَفِيرهَا)أي: تنفسها الداخل من الخشية التي تدخل الرجل عظيم المداخل، وفي «التهذيب»: والزفير إدخال النفس والشهيق إخراجه، وقد زفر يزفر، والاسم الزفرة، والجمع زفرات بالتحريك؛ لأنه ليس بنعت وربما سكنها الشاعر للضرورة كما قال: وستريح النفس من زفراتها، والزفير الراجية وزفرة الرجل أنصاره وشيعته عشيرته، انتهى.

الهمام لما علم أن نار الأحشاء المضطرمة عن الغرام المقومة لمعوج ضلوع، أو أم المستهام ويا نار أحشائي أقيمي من الجوى حنايا ضلوعي فهي غير قويمة، وعيناي معطوف على الاختيار ومحلها الابتداء، وجاد فعل ماض، والألف علامة التثنية، والجملة خبر، والياء للمتكلم مثنى عين، وجمعها: أعيان وأعين وعيون، وتأتي المعان كثيرة، جاد؛ أي: سمحا وسمحا، أو ماسحًا في دموع جمع دمع، قال في «القاموس»: الدمع: ما للعين من حزن، أو سرور، جمعه دموع، والدمعة: القطرة منه، انتهى.

لكن قال بعض الأخيار: دمع الحزن حار ودمع الفرح قار، ومنه: أقر الله عينك؛ أي: أبردها، وأنشد بعضهم:

طفـح الـسرور عـليَّ حتـى أنـه مـن عظـم مـا قـد سرى أبكـاني

قال بعض أهل التحقيق: البكاء عند التلاق من بقايا أثر الفراق، ومن فوائد انسكاب الدمع وجريانه ما قاله الصديق الأكبر في ديوانه: ألم تعلما أن الدموع إذا جرت دواء صداع الرأس والخفقان، وقد يجري الدمع مبيضًا على أصله ومسودًا، وقلت في ذلك:

لا تسلوا دمعي المسود حين جرى من مقلتي بحب غال

جرت عيوني دمعًا حتى أنها جرى السواد كسيل سبح منهال

وربما كان منشأ جريان الدمع الرغبة، وتارة يكون عن الرهبة، وآونة عن بوادر صدمات الحب، وجئنا عن نوادر غرمات تطلب الغرب ووقتا من خشية الجبار، وإنا من خوف نار، ومنع دخول دار قرار، وبعض الأحيان يكون عن تذكر ذنوب، وتفكر عيوب.

وجاء في الحديث الشريف: «**لا يلج أحدٌ في النار بكاء من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع**»(1).

وقال عقبة بن عامر ﷺ: ما النجاة يا رسول الله! قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»(2).

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: قلت: يا رسول الله يدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب، قال ﷺ: «**نعم من ذكر ذنوبه قبله**»(3).

وعنه ﷺ: «**ما من قطرة أحب لله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى**»(4) كذا في «الأخبار».

ومن دعائه ﷺ: «**اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان القلب بذرف الدموع من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس جمرا**»(5) رواه ابن عساكر عن ابن عمر، وعنه ﷺ: «**لو وزن دموع آدم بجميع دموع ولده لرجح دموعه على دموع ولده**»(6) رواه الطبراني، وابن عدي، والبيهقي، وابن عساكر عن سليمان بن بريدة عن أبيه، قال ابن عدي: روي موقوفًا عن ابن بريدة، وهو أصح (**كَمَا**) أنها الكاف للتشبيه، وما زائدة، و(**الدَّمَا**) جمع دم، وأصله دمي بوزن فعل، وقال المبرد: أصله دمي بالتحريك، والذاهب منه الياء، وهو الأصح، وتصغيره دمي، كذا في «المختار». وأنشد بعضهم:

---

(1) رواه الترمذي (4/ 555)، والنسائي (6/ 12)، وأحمد (2/ 505).

(2) رواه الترمذي (4/ 605)، وأحمد (4/ 148).

(3) ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (8/ 340).

(4) رواه معمر في الجامع (11/ 188).

(5) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (ص70).

(6) رواه البيهقي في الشعب (1/ 500).

أملـــت أن تـــنقطعوا بوصـــالكم فـــرأيت مـــن هجـــرانكم مـــا لا أرى

وعلمـــت أن بعـــادكم لا بُـــدّ أن يجـــري لـــه دمعـــي دمـــا وكـــذا جـــرى

وقد أكثرت الشعراء من ذكر الدماء مكان الدموع، فإنها إذا تعدت سال الجفن بها وهما، وهذا من باب المبالغة، فإن قلت: والتالي لهذا البيت إذا لم يكن حاله كما ذكر، هل يعد قوله كذبًا أو لا؟ قلت: لا؛ لأن البكاء ربما وجد في القلب، ولم يظهر منه على الحس شيء، ولذا كان الفضل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: ليس البكاء بكاء العين، وإنما البكاء بكاء القلب، فإن الرجل قد يبكي وقلبه قاسي، وكان سفيان بن عتيبة ﷺ يردد الدمع في عينيه، ويقول: أنه أبكى للكبد، انتهى.

والإنسان عالم كبير في تقيه، فربما بكى، أو سر، أو روحه، ولم يشعر إنما يجد رقة في باطنه، وذلة، واستكانة، ولم يشعر أن هذا من بكاء عوامله الباطنية لتجلي إلهي حصل له، أو مدد رباني، أو تعرف صمداني، فيقرأ البيت وهو في بكاء روحاني، ويصدق في قوله كما الدماء، فكان بكاء الأرواح، والعالم الجناني أبلغ من بكاء الإنسان بالدمع الفاني؛ لأنه عن شهود إنساني، وخمود وجود نفساني، وربما بكاء بطرفه الجسماني بكاءً صادرًا عن أمر سبحاني في عمره مرة، أو مرتين، أو أكثر، فيصير يخبر عن ذلك ويصدق في أخباره؛ لصدوره من السالك فيما هنالك، وقس عليه، والأحشاء يبدو زفيرها، وكذلك قولنا في «المنبهجة»: ودموع العين تسابقني من خوفك تجري كاللمح، والمراد: إظهار الخضوع والتملق بين يدي مولاه لا يحسن التملق.

وكان سفيان الثوري -رحمه الله سبحانه وتعالى- يقول: البكاء عشرة أجزاء، واحد منها لله، والتسعة كلها رياء، فإذا حصل الجزء الذي لله في السنة مرة واحدة ينجوا صاحبه من النار إن شاء الله تعالى.

وفي الحديث: «**بكاء المؤمن من قلبه، وبكاء المنافق من هامته**»[1]

وعنه ﷺ: «**المنافق يملك عينيه يبكي كما يشاء**»[2].

قال مالك بن دينار: قرأت في «التوراة»: إذا استكمل العبد النفاق ملك عينيه،

(1) رواه الطبراني في المعجم الصغير (2/ 41). (2) ذكره المناوي في فيض القدير (6/ 277).

ومن ثم قيل: دمع الفاجر حاجز.

قال المناوي -رحمه الله تعالى- قال الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى: رأيت من يبكي بإحدى عينيه؛ ثم يقول لها: قفي فيقف دمعها، ويقول للأخرى: أبكي أنت فيجري دمعها، انتهى.

وفي «تنبيه المغترين» للإمام الشعراني -قدس الله سره: الداني لا يكمل مقام الرجل في البكاء إلا ببكاء عينيه وقلبه، والباقي بأحدهما ناقص؛ لاسيما إن كان له أتباع، فإن بكاؤه بالقلب لا يذوقه أتباعه، فيحتاج إلى بكاء العين ضرورة، وإن كان مقامه عن ارتقاء عن ذلك، انتهى.

وسبب سحها كذلك خشية المالك، وفي حديث زين المهالك الذي نارت بظهوره الحوالك: «**عينان لا تصبهما النار؛ عين بكت في جوف الليل من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»[1].

وعنه ﷺ: «**عينان لا تريان النار أبدًا؛ عين بكت وجلاً من خشية الله، ورحم الله عينا سهرت في سبيل الله، وعينا باتت تكلأ في سبيل الله**»[2].

وعنه ﷺ: «**رحم الله عينا بكت من خشية الله**»[3] وحق لمن في ميدان المعاصي عدى، ولم يدر إلى ماذا يؤول أمره غدًا أن يبكي الدّما، ويهجر الغنا.

وحق لعين الصب تبكي الدماء أسى ... إذا لم يكن يدري غدًا ما الذي يجري

ولاسيما إن كان لم يرضى ربه ... وفي برصيد أن الوفاء لم يكن يجري

ولا عجب أن ذاب من حرقة النوى ... فإن زاغ الخوف في قلبه يجري

ولما ذكر أن أحشاءه بدا لهيبها، وعينيه كالدماء جرى صيبها، ومن كان حاله كذلك يقينًا، أو غلبه ظن من السالك لا بُدّ أن يفنى صبره عن احتمال هذا الحال؛ فلذا قال سامحه ذو الجلال: وصبري الصبر هو تجرع المصائب، والشدائد، من غير شكوى، والمكابدة على طاعة من له كلل يهوى، وربما استغرق بالموارد الإلهية المحب المجذوب، فلم يشعر بورود

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 488). (2) رواه النسائي في السنن الكبرى (3/ 11).

(3) رواه الترمذي (4/ 175).

البلايا لغيبته بمشاهدة المحبوب، وقيل: هو حبس النفس على المكروه، وعقد اللسان عن شكواه، ومكابدة الغصص في تحمل العبد بلواه، وهو على ثلاثة أقسام:

صبر العوام وهو تحمل مشقة، وتجرع غصة، والثبات على ما يجري من الأحكام، وهذا هو الصبر لله.

والثاني: للمريدين؛ وهو الصبر بالله، وحقيقته؛ محبة ما يصنع به مولاه، وفيه تسهيل وتخفيف؛ لثقل الموارد.

والثالث: صبر العارفين؛ وهو الصبر على الله وحقيقته التلذذ بالبلوى، والاستفسار باختيار المولى، وتسمى: الاصطبار الصبر الفاروق الأفخم، والترياق الأعظم، وبه حفظ القلب والروح منوط، وكذا الروح والصفاء، ولو لم يكن فيه إلا سعيه الله مع أهله لكفى، وهو كما في الحديث: «**الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله**»[1].

وفي الحديث أيضًا: «**الصبر والاحتساب أفضل من عتق الرقاب، ويدخل الله صاحبهن الجنة بغير حساب**»[2] وعنه ﷺ: «**الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد**»[3].

قال المناوي ـ رحمه الله تعالى الكبير ـ في «شرحه الكبير»: لأن الصبر يدخل في كل باب، بل في كل مسألة من مسائل الدين، فكان من الإيمان بمنزلة الرأس من الإنسان.

قال علي ﷺ: فإذا قطع الرأس مات الجسد، ثم أنه رفع صوته قائلاً: أما أنه لا إيمان لمن لا صبر له؛ أي: وإن كان فإيمانه قليل، وصاحبه ممن يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه.

وعنه ﷺ: «**الصبر عند الصدمة الأولى**»[4].

وعنه ﷺ: «**الصبر عند المصيبة**»[5] والعبرة لا يملكها أحد صبابة المرء إلى أخيه، قال الشارح المذكور، أعظم الله له الأجور: الصبابة رقة الشوق وشدته.

فائدة: قال ابن القيم: الصبر ينقسم إلى الأحكام الخمسة؛ فالواجب الصبر على الواجب، وترك المحرم، وتحمل المصيبة، والمندوب الصبر على فعل المندوب، وترك

(1) رواه الترمذي (4/ 175).
(2) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 233).
(3) رواه أحمد (5/ 340).
(4) رواه وكيع في الزهد (1/ 220).
(5) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 123).

المكروه، والمحرم الصبر على ترك نحو الأكل حتى يموت، والصبر على نحو حية، أو سبع، أو غرق، أو كافر يقتله، والمكروه الصبر على نحو قلة الأكل جدًّا، أو عن خليله إذا احتاجه، والمباح الصبر على ما خير بين فعله وتركه، انتهى.

وقد ورد في فضل الصبر أحاديث كثيرة:

منها: ما هو على مطلق البلايا، والأمراض، والمصائب.

ومنها: ما هو خاص؛ كالصبر على فقد البصر، وفقد الأولاد، والحمى، وغير ذلك من أنواع المكارة والشدائد، وفي «غنية أرباب السماع» للجيلي المطاع: الصبر هو السكون عند نزول البلاء.

وله علامات، **الأولى**: عدم الشكوى من المبتلي، **الثانية**: عدم الملل من دوام البلاء، والصابرون على مراتب:

منهم: من صبره احتسابًا بالله طلبًا لجزيل الثواب، وسكونًا إلى صادق وعد من لا يخلف الميعاد، وهذا هو صبر العباد، وكافة أهل النسك، وهو صبر معلول.

ومنهم: من صبره لا من أجل الثواب، فيحمل أعباء البلاء لأجل المبلي رضى بقضائه وقدره، وهذا هو صبر السالكين.

ومنهم: من صبره في الله؛ يعني في حب الله، لا يجد مرارة الصبر، بل لا يجد مشقة البلاء، ثم ينتهي في هذا المعنى إلى أن يلتذ بالعذاب، كما يلتذ بالنعيم نظرًا إلى فعل الله، كما قال سلطان المحبين، وقدوة العاشقين الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض ﷺ وأرضاه:

وتعذيبكم عذب لدي، وجوركم عليَّ بما يقضي الهوى لكم عدل.

ومنهم: من صبره على الله؛ وهو صبر المريد، فيصبر على حمل أعباء دوام التعلق بالله، فيضبط الإحساس، ويعد الأنفاس، ولا يشتغل أبدًا إلا بالله، فلو اشتغل بشغل ما، لكان مشتغلًا بالله في ذلك الشغل عن شغله، كما قيل:

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي فأصبح لي عن كل شغل بها شغل

ومنهم: من صبر مع الله فلا يخطر له خاطر غير الله كما قال بعض الشيوخ: كنت بواب قلبي ثلاثين سنة صبرت مع الله فيها، وما تركت القلب يسرح ويرتع في شيء سواه، وهذا الصبر؛ هو صبر العارفين.

ومنهم: من صبره عن الله؛ لكن بالله، وإذا أن العبد إذا وصل إلى الله، وتحقق بمقام البقاء في حضرة «كنت سمعه وبصره»، وقد يرجعه الله إلى الخلق لتكميله، أو لتكميل غيره، فيرسل دونه حجابًا رقيقًا، فيقف العبد خلف ذلك الحجاب، وقد تأدب لكل مقام بما يلزمه من الآداب؛ فصبره في هذه المرتبة عن الكمالات الإلهية هو الذي يسمى بالصبر عن الله، وهو أشق الصبر وأمره وأصعبه؛ ولكنه للمحققين، انتهى.

قلت: وهذا الصبر هو الذي يصبر عليه أبو يزيد بلغه الله المزيد لما قيل له: اخرج إلى خلقي بوصفي أي: صفني لعبادي، وحببني إليهم ليحنوا لقربي، ويأتوا [دربي ويسقوا][1] شربي فلما خطا خطوة صعق، فقيل: ردوا على عبدي فلا صبر له عني؛ لكن قد يقال: إن عدم الصبر كان في مقام المحبة، فلما بلغ مقام القوت، ورزق لذة الحب لا الحب لغيبته بلذة الحب عن الحب صبر بالله، فهون بحوله عليه عسيرة، ودعا إلى الله على بصيرة.

وقال سيدي عبد الله بدر الحبشي ﷺ تلميذ الإمام الأكبري في كتاب «الإنباه في طريق الله» الذي جمعه من كلام الشيخ رحمه الله تعالى: وقال: رجال الصبر على أقسام: فصابر عن الله، وهما رجلان: رجل مخالف لله في كل ما أمر به ونهى عنه، وهو صابر عن الله؛ لأنه غير ملتفت إلى الجانب المقرب إلى الله، ورجل صبر عن الله فنسبة الصبر إليه كنسبة الصبر إلى الله من اسمه الصبور، وهو أعلى المقامات في الصبر وأسمى أحواله، وصابر مع الله وهو الذي يشاهد المعذب وقت تعذيبه إياه، فتصحبه المشاهدة في العذاب، وصابر بالله، وهو الذي يسأل الله الصبر عند حلول البلاء، وصابر لله وهو يحتمل البلاء رجاء لقاء الله، وصابر في الله، وهو الذي يؤذي في ذاته إذ قال: احتملت في الله فيختبره الله، وصابر لله وهو الذي يحتمل البلاء رجاء لقاء الله، وليس البلاء ما يطلق عليه العامة اسم البلاء، فقد يبتلي الله عباده بالسراء كما يبتلي بالضراء، وحكم الحال فيه يختلف؛ فمن ابتلي بالضراء طولب بالصبر، ومن ابتلي بالسراء طولب بالشكر، هذا الأمر ظاهرًا وباطنًا؛ حتى أنه إذا وجد اللذة عند الخرق بالنار فما هو مطالب في هذا الوقت إلا بالشكر بأنه في نعمة،كما أنه إذا وجد الألم عند إسباغ النعم الظاهرة عليه طولب في ذلك الوقت بالصبر هكذا هي الحقائق، انتهى.

---

(١) كشط في الأصل.

وقد عقد القشيري ﷺ في «الرسالة» بابًا، وأيده الحاتمي في فتحه في باب الصبر، ونتركه لبابًا.

وأنشد بعضهم فيه لما دخل مقامه وخطا فيه:

وصبرت ولم أطلع هواك على صبري   وأخفيت ما بي منك في موضع الصبر

مخافة أن يشكو ضميري صبابتي   إلى دمعتي سرًّا فتجري ولا أدري

وأنشد ابن عطاء الله حباه الله عطاء ما مثله عطاء:

سأصبر كي ترضى وأتلف حسرة   وحسبي أن ترضى ويتلفني

وأنشد غيره، دام في الدارين سيره:

إذا لعب الرجال بكل شيء   رأيت الحب يلعب بالرجال

وكيف أبصر عمن حل مني   بمنزلة اليمين من الشمال

وأنشد الفارضي حباه الله من الرضا ما به أسارير وجهه تضيء:

وصَبريَ صَبْرٌ عنكُمُ وعليكُمْ   أرى أبداً عندي مرارتَه تحْلُو

وقلت:

الصبر إلا عن لقائك يحمد   والميل إلا عن فنائك يقصد

والسكر يهجر غير سكر مدامة قد   عتقت فالقوم عنها تبعد

خمارها من يسق من خمارها   إلا فتى فيها بها يتجرد

وله بها وله يزيد وأنة   تسمو وحرقة مهجة تتوقد

ودموع عين لا تمل من البكاء   وجموع أحزان بها تستجدد

وطلوع شمس الحب في أسراره   وسطوع أقمار اشتياق تشهد

فلتمثل ذا الساق يبيح دنانه   وينزه حان المدام فيسعد

وأداره للقديم مؤهلاً   أسقاه من كوب قديم يرشد

فنفيت عن هذا الوجود وأهله ... سكرًا به درج المعارف يصعد

ويصيح أن منعوه وصل وصالهم ... لا صبر لي عنكم ولا أتجلد

بالله لا تجفوا عبيدًا مغرمًا ... يسخو بروح كي به يتودد

عودتموه القرب قطع عوائد ... صعب لعشاق الملاحة يكمد

وحياتكم لا صبر لي في فقدكم ... وإذا منعتم وجدكم من أقصد

فبحق طه المصطفى خير الورى ... لا تحرموا رفدكم بل انجدوا

صلى عليه الله فيه مسلمًا ... ما القلب زورته قريبًا يرصد

والآل والأصحاب ثم ونابغ ... ما عائد لله فيه يعبد

أو ما شذا شاذ يذكر محبة ... أو مصطفي للسير صبحًا يحمد

قال المصنف:

وَصَبْرِي تَقَضَّى وَانْقَضَى الْعُمْرُ رَاحِلاً ... وَحُبِّيكَ يَا مَوْلَايَ قَلْبِي قَدْ أَصْطَمَا

قال الشارح: (تَقَضَّى) قال في «القاموس»: (تَقَضَّى): فني وانصرم؛ كتقضي، انتهى.

(وَانْقَضَى الْعُمْرُ): قال في «القاموس»: والعمر بالفتح والضم وبضمتين، الحياة جمعه أعمار؛ أي: قارب الانقضاء وما قارب الشيء يعطى حكمه؛ إذ قد جاءني التقدير، وكانت الداعية دعتني وحذرتني؛ أي: تحذير، ومع هذا فالغفلة مستولية على جناني، والمهلة تسوق وتوعد بكواذب الأماني، وأرجو من بالكرم أولاني أن يجذبني عني إليه؛ لأكون من حضراته داني، وممن طال عمره وحسن علمه، ففي الحديث: «**خياركم أطولكم أعمارًا وأحسنكم أعمالاً**»[1] وفي رواية: «أخلاقًا».

وعنه ﷺ: «**خير الناس من طال عمره وحسن عمله**»[2].

قال المناوي -رحمه الله تعالى-: لأن من خصال المؤمن: الازدياد، والترقي من مقام

(1) رواه أحمد (2/ 235).

(2) رواه الترمذي (4/ 566).

إلى مقام حتى ينتهي إلى مقام القرب؛ فلا ينبغي للمؤمن المتزود للآخرة الساعي في ازدياد العمل الصالح أن يطلب قطعه عن مطلوبه بتمني الموت.

وعنه ﷺ: «**خير الناس من طال عمره، وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره، وساء عمله**»[1].

وعنه ﷺ: «**طوبى لمن طال عمره وحسن عمله**»[2].

وعنه ﷺ: «**السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله**»[3] وفي رواية: «السعادة».

وعنه ﷺ: «**كلما طال عمر المسلم كان له خير**»[4].

واعلم أن من الناس: من يمضي عمره سبهللاً؛ فيذهب كلية، ولم يك يومًا للقرب مؤهلاً.

ومنهم: من تدركه العناية في أوله فيتصوم في المهد، ويتكلم فيه، وينبه على ما يرقيه قبل جد وبذل جهد.

ومنهم: من تحصل له الرعاية، وتحفه الحماية أوسط عمره، فيقوم بالله لا يزيد عمره، وهذا الحال الغالب على كل طالب.

ومنهم: من تلحقه الألطاف آخر عمره بالإشراف من أهل الإشراف.

ومنهم: من يكون آخر عمره مبروكًا.

ومنهم: من يكون ممحوق البركة فيه متروكًا.

ومنهم: من يوسع له فيه حتى يقرأ في الدرجة ألف ختمه.

ومنهم: المجذوب بجذبة توازي عمل الثقلين تطلق رجله، وتفكك من قلبه ختمه.

ومنهم: الذي يعمر الله عمره بالإمداد، ويغمره بالإسعاف والإسعاد، ويرقى صاحبه الدرج الكلي، ويرفعه المقام الجلي العلي، وربما لا يدرك بذلك؛ لأن ترقيه باطنًا ستر الحالة بمعونة الله المالك، وربما يصلحه الله تعالى في ليلة؛ كالمهدي شدد الله عزمه وحيله، وكثر رجله وخيله، ووفر نيله ومثيله، ومن الناس: من يكون له في كل عالم عمرًا فيسأل عنه فيجز عن مدة طويلة تغمر عقل العمر غمرًا وبالعكس، ويكون إجابة بحسب سعة

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (3/ 480).
(2) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 287).
(3) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 140).
(4) ذكره المناوي في فيض القدير (5/ 38).

ضيق زمان ذلك العالم ووسعه، وله في كل عالم نشأة خاصة بين أهله، وظهور وافي قذفه وجمعه، وعمر السالك من أول سلوكه، وعمر العارف من مبدأ معرفته وزوال شكوكه، وعمر المحقق من ابتداء تحقيقه، وانكشاف الستر له عن سحقه وتمزيقه.

قال الأكبري ﷺ في «العبادلة»: حشر العارفين عند موتهم، وحشر العابدين عند بعثهم من القبور؛ فحياة العارفين لا موت فيها، وحياة العامة رجوع بعد مفارقة، فقد يكون عين المفارق، وقد لا يكون، فإن آفات الفرقة كثيرة.

وقال فيه: تنقضي أعمار العارفين، وهم مع الحق على أول أقدامهم، فلم تنب لهم أعمارهم بما تعلقت به همتهم من إقامة حقوق الحق عليهم، وهم في الغيب مشهودون في الشهادة مغيبون، فهم ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وليس وراء الألف مرتبة، فإنها آخر مراتب الأعداد فيها ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:4] وعن العارف ظهر هذا الفرقان في العلم والروح فيها ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: 193-194] تنزل الملائكة كذلك قلب العارف تختلف عليه الملائكة بضروب الأوامر، فإذا طلع الفجر زالت ليلة القدر؛ فصار نور أبعد ما كان ذو وجهين، وهذا أسرار لأهل الله مصونة عن أعين الأغيار ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:114]، انتهى.

وقد كانت الأمم في عصر تقدم؛ غزيرة أموالهم، غزيرة أعمالهم، كبيرة أجسامهم، كثيرة آفاقهم، طويلة أعمارهم، فرحم الله هذه الأمة بنبيها نبي الرحمة، فكانت على عكس من سلف خير أمة خلفت رسولها، وأنعم بها من خلف.

جاء في الحديث الشريف عنه ﷺ أنه قال: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين**»[1] قال المناوي -رحمه الله تعالى-: أي البالغين من أمتي هذا القدر من العمر هم أقلهم، فإن معترك المنايا ما بين الستين والسبعين؛ فمن جاوز السبعين كان من الأقلين.

قال الحكيم: هذا من جملة رحمة الله على هذه الأمة، وعطفه عليهم أخرهم في الأصلاب حتى أخرجهم إلى الأرحام بعد نفاذ الدنيا؛ ثم قصر أعمارهم لئلا يتلبسوا بالدنيا إلا قليلاً، ولا يتدنسوا؛ لأن القرون الماضية كانت أعمارهم، وأجسادهم على

(1) رواه الترمذي (5/ 553).

أضعاف مناه؛ لأن أحدهم يعمر ألف سنة، وجسمه ثمانون ذراعًا، فيتناولون الدنيا بمثل هذه الصفة على مثل تلك الأجساد، وفي مثل تلك الأعمار؛ فأشروا وبطروا واستكبروا ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 13، 14].

وعنه ﷺ: «**أقل أمتي الذين يبلغون السبعين**»[1] قال الشارح المذكور -رحمه الله تعالى: كذا في النسخ المتداولة بتقديم السين، قال الهيثمي: ولعله التسعين بتقديم التاء، انتهى.

«**رَاحِلاً**» أي: انصرم وفني متنقلاً، ومرتحلاً عني، ونصب على الحال المؤكدة، فإن العمر ينتقل في كل يوم إلى درجة أقرب من درجته التي كان فيها قبل الآخرة؛ إذ العمر كل يوم؛ بل وساعة تمضي فيه في نقص من الحياة الدنيا، وزيادة قرب من العقبى.

(**وَحُبُّكَ**): أي: وحبي إياك ولك، (**يَا مَوْلَايَ**): أي: يا ناصري ومتولي أموري (**قَلْبِي**) مفعول حبي، (**قَدْ أَصْمَا**)؛ أي: رماه فأهلكه وأفناه وهو يراه، ومن أصاب حشاه سهم الحب فقتله أحياه مولاه به، وأبقاه وسقاه من ماء الحياة فبلغ مناه.

قال في «التهذيب»: وأصميت الصيد إذا رميته فقتلته وأنت تراه.

وعن ابن عباس قال له رجل: إني أصمي الصيد فأصمي وأنمي، فقال: كل ما أصميت ودع ما أنميت، وقال فيه وتقول: رميت الصيد فأنميته إذا غاب عنك؛ ثم مات والنامي النامي، انتهى.

ولما أخبر المؤلف -سامحه الله تعالى: إن الصبر مني كالعمر في ارتحاله، وأن الحب في الله أصما الفؤاد، وهكذا شأنه في آله، فإن الحب غلاب للنهي، سلاب له الهيمنة، والسلطان على كل محب هجر الأوطان، فيكسبه ثوب الذلة، ويتجلى عليه برداء العزة، وناهيك به من رداء وحلة؛ فيتحقق المحب بكل شيء يدينه من الحبيب الجليل إلا التملق، والتذلل، والانكسار دون ميل وتحويل، فإن من قامت به أوصاف العزة والجلالة يطلب مقابلها من غيره لا محالة.

وأنشدوا:

عن تكن فيما لديه طامعا ... فالزم الباب ذليلاً خاضعا

(1) رواه الترمذي (10/ 206).

وروي: أن الانكسار عليه المدار في كل دار، وأنه مما يرضي الجميل، ويرفع الأستار، قام على أقدامه رافعًا لكف الحاجة، وإبرامه لنيل فيض مدرار، فانكشف له ستر عن مقام الذلة والافتقار، والخضوع والانكسار؛ فعاين له من الأنوار والأسرار ما يبهر الأفكار، ويحير ألباب أهل الاستبصار، وشاهد لأهله من الدرجات الكبار ألوفًا تنفي الصغار عن الصغار، وهذا عندما تحقق المؤلف بهذا المقدار علم رفعة مقام الانكسار، وإن أهله ممن رفع الله لهم المنار، وبلغهم به الأوطار يسأل الله بهم لعلمه أنهم خيرة بررة أطهار؛ فلهذا قال سامحه الله الغفار:

إِلٰهِي بِأَهْلِ الانْكِسَارِ وَحَقِّهِمْ ... وَمَنْ بِكَ قَدْ نَالُوا المَقَامَ المُعَظَّمَا

قال الشارح: (**إِلٰهِي بِأَهْلِ الانْكِسَارِ وَحَقِّهِمْ**) ومضى الكلام عليه في الخطبة باختصار.

(**وَحَقِّهِمْ**) أي: وأسألك بما لهم من المرتبة العلية، والمزية السنية عندك المشار إليها في حديث قدسي يخاطب به الرب خليفته داود ﷺ: «**تواضع لمن تعلمه، ولا تتطاول على المريدين، فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضًا يمشون عليها**»[1].

وفي حديث: «**وبحق السائلين عليك**»[2]؛ أي: بما وعدتهم من استجابة دعائهم والإثابة على طاعتهم؛ إذ ليس لمخلوق حق على خالقه كما هو مذهب أهل السنة خلافًا للمعتزلة في قولهم الصلاح والأصلح فله تعذيب الطائع، وإثابة العاصي غير الوعد منه حق، والقول منه صدق، وقد وعد الطائع بالجنة والعاصي بالنار، وله أن يفعل في ملكه ما يشاء؛ إذ هو الفاعل المختار ومعنى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:54] كما قال القاضي: التزمها تفضيلاً وإحسانًا، انتهى.

وقيل: أوجب وعدان يرحمهم قطعًا، وفي الحديث: «**كتب ربكم على نفسه بيده قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي**»[3]، قال المناوي: قال التفتازاني: الكتابة باليد تصوير وتمثيل لإثباته وتقديره، انتهى.

---

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (10/ 80).

(2) رواه ابن ماجه (1/ 350).

(3) رواه البخاري (6/ 2700)، وابن ماجه (1/ 67).

وقال اللقاني - رحمه الله تعالى - في «جوهرته»: وقولهم إن الصلاح واجب عليه زور فاعليه واجب؛ إذ العبد لا حق له على سيده أصلاً فرعًا وأصلاً، وما في حديث: «**ما رفع قوم أكفهم إلى الله يسألونه شيئًا إلا كان حقًا على الله أن يضع في أيديهم الذين سألوا**»[1].

فقال المناوي -رحمه الله تعالى-: وعبر عن إعطاء المسؤول بلفظ الحق إشارة شهد بها إلى أن أعطاهم سألتهم؛ كالواجب عليه نظرًا إلى صدقه في وعده، فليس الحق قضاء بمعنى الواجب؛ إذ لا يجب على الله شيء عند أهل الحق خلافًا للمعتزلة، انتهى.

وفي «تنوير الأبصار» للشيخ حسن التمرتاشي الحنفي: وكره قوله بحق رسلك وأوليائك وحق البيت؛ لأنه لا حق لمخلوق على الخالق تعالى، ولو قال لأحد: بحق الله، أو بالله ألا تفعل كذا لا يلزمه ذلك، وإن كان الأولى فعله، انتهى.

لكن قال الشهاب الخفاجي في شرح «الشفاء» على قول أبينا آدم: «**اللهم بحق محمد أغفر لي خطيئتي**»[2]؛ أي: بما يستحقه عليك من الزلفى والكرامة، وهذا الحديث رواه البيهقي، والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما بسند فيه ضعف، وفيه دليل: على أنه يجوز أن يقال في الدعاء: بحق الأنبياء ونحوه خلافًا لمن أفتى من علماء العصر أنه لا يجوز أن يقال مثله؛ لأنه ليس لأحد على الله حق، وقد وقع مثله في أحاديث، ومعناه: ما مر، انتهى.

(**وَمَنْ**) أي: وأسألك بالذي ربك؛ أي: بقوتك، وحولك، وقدرتك، وحولك الحق للتحقيق، (**قَدْ نَالُوا**): أي: أصابوا، قال في «المختار»: نال خيرًا، يقال: نيل أصاب نيل ينيل مثل فهيم يفهم، والأمر منه نل بفتح النون، وإذا أخبرت عن نفسك كسرت النون، انتهى.

وقيل: النيل هو وصول النفع إذا أطلق وإن فيه وقع على الضرر؛ لأنه أصله الوصول إلى الشيء، انتهى.

وفي الحديث: «**اللهم أعطني إيمانًا ويقينًا ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة**»[3] المقام مضى الكلام عليه، (**المُعَظَّمًا**): الألف للإطلاق،

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (5/ 447).

(2) رواه الطبراني في الأوسط (6/ 373).

(3) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (1/ 115)، والطبراني في الدعاء (1/ 491).

والمعظم: هو الذي عظمه الحق بأن رفعه على غيره، فصار عظيمًا في نفسه، معظمًا عند أهل أنسه، وأعظم المقامات قدرًا، وأتمها بدرًا، وأكملها شهودًا، وأعدلها وجودًا؛ المقام الذاتي الإحدى الذي تجليات أهله ذاتية، وإن تنزلوا اختيار التجليات الصفاتية، وأكمل أهل هذا المشهد تصورًا، وأجل أهله بهجة ونورًا، وأرفعهم منارًا، وأجمعهم أسوارًا صاحب الوقت في كل آن المتفرد به الحق في ذلك الزمان الجامع لما تفرق في أهل عصره بفضل سيده، وتوليه، ونصره، ويحتمل إرادة الجنس فيصدق التوسل بأهل كل مقام، فإن ما من مقام إلا وهو عظيم في نفسه، وبالنسبة لما تحته، ولما كان المقام الكمالي الجمعي الوسطي الإحدى بطلب الانفراد، وعدم الاستناد لغير المراد.

وهكذا كل ذي مقام لا بُدّ له من توحد العزيمة؛ لنيل المرام، ناسب أن يعطف على النائلين غايات الإحسان الذين طلقوا الأكوان، فله فاه من المؤلف اللسان بحول المنان، فقال:

وَمَنْ أَطْلَقُوا الأَكْوَانَ حِبِّي وَطَلَّقُوا الـ ... ـمَنَامَ وَلَمْ يَشْكُوا لِزَادٍ وَلَا ظَمَا

قال شارح: (وَمَنْ أَطْلَقُوا الأَكْوَانَ) أي: وأسألك، والذين (وَطَلَّقُوا) أي: تركوا وخلوا الأكوان من نظرهم، فلم يلتفتوا إليها، ولا عرجوا عليها؛ إذ الوقوف معها حجاب، والشغوف إليها قنع بالسراب عن الشراب، فحال من لم يعرفها طرفه، ولا وسعها ظرفه؛ بل أطلقها، وما قيد خوفًا من شغله بها أن يتقيد حال الشيء، أي: رأى جنيًا فقيده بنظره؛ إذ بالخاصية لا يمكنه التحول عن بصره مادام الإنسي متبعًا بصره إليه؛ إذ لا ينفك شبح صورته قائمًا بين يديه، غير أنه يبرز صورة أخرى، فمتى نظر إليها الآدمي ذهبت الأولى، وتبعتها الثانية قهرًا، فبمجرد رؤيته يصرف عنه العين؛ لتنمحق منه العين خوفًا من شغل البال بغير الكبير المتعال.

وربما أراد المؤلف أرباب المقامات من كمل الرجال الذين صارت في أيديهم ككرة أطفال، يتصرفون فيها كيف شاءوا بمشيئة ذي الجلال؛ ثم تركوها موكلين الوكيل عن أمره، وهذا مقام جليل.

ويحتمل أنه أراد أهل السير التاركين كل غير، إذ الوقوف مع الحادث حدث يجب التطهر منه بالغيبة عنه، وهو فقير مثلك طالب ممن لك بالتخلي عن غيره مطالب، وأهل